

دَارُ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ

كِتَابُ

صُحُفُ الْأَسَدِ

نَالِيَةِ

الْشَيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلْقَشَنِيِّ

الجزء الثالث عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع

بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٧ هـ

م ١٩١٨

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

## المقالة السادسة

فما يُكْتَبُ في [الوصايا الدينية<sup>(١)</sup>]، والمسامحات، والإطلاقات السلطانية والطُرُخانيات، ونحويل السنين والتذاكر؛ وفيها أربعة أبواب

### الباب الأول

في الوصايا الدينية، وفيه فصول

### الفصل الأول

في تقديم الكتاب من ذلك

اعلم أنه كان لتقديم الكتاب بذلك عناية عظيمة بحسب ما كان للولوك : من الإقبال على معالم الدين، ومن أكثرهم عنايةً بذلك أهل الغرب : لم يزالوا يكتبون بمثل ذلك إلى نواحي ممالكهم، ويُقرأ على منابرهم؛ ولهم في ذلك الباع الطويل والمهمة الوافرة. وهذه نسخة من ذلك كتب بها أبو زيد الداراري : أحد كتّاب الأندلس عن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين المنصور<sup>(٢)</sup> : أحد خلفاء بني أمية بالأندلس، وهي :

(١) الزيادة من ج ١ ص ٢٦ من هذا المطبوع .

(٢) ليس في خلفاء بني أمية بالأندلس من اسمه المنصور، وإنما المنصور هو ابن أبي عامر كان تغلب على هشام بن الحكم الأموي واستبد به بالأمر وتغلب من بعده أبوه المنافر ثم أخوه المظفر عبد الرحمن الملقب بالناصر لدين الله، ثم انقرضت دولتهم وعادت الدولة إلى بني أمية ففزع هشام هذا ويبيع ابنه محمد الملقب بالمهدي . انظر "نفع الطيب" ج ١ و "العبر" ج ٤ و "صبح الأعشى" ج ٥ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ من هذا المطبوع .

الحمد لله الذى جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصليين نتفزع عنهما مصالح الدنيا والدين ، وأمر بالمعروف والإحسان إرشاداً إلى الحق المبين ، والصلاة على سيدنا محمد الكريم المبتعث بالشرعية التى طهرت القلوب من الأدران وأستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان طوراً بالشدة وتارة باللين ، القائل (ولا عدول عن قوله عليه السلام) «مَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ» تنبيها على ترك الشك لليقين ، وعلى آله الكرام أعلام الإسلام الملقين راية الأهداء فى إظهار السنن وإيضاح السنن باليمين ، الذين مكّنهم الله تعالى فى الأرض فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر : وفاء بالواجب لذلك التمكن .

والرضا عن الأئمة المظهرين للدين المتين ، البالغين بالبلاد والعباد نشر العدل وإتماماً للفضل إلى أقصى غاية التمهيد والتأمين ، رضى الله عنهم أجمعين ! وعن تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ! .

وإنا كتبناه لكم - كتب الله لكم أتباعاً إلى ما ينهى من المصالح إليكم ، واستمأً إلى ما يتلى من المواعظ عليكم - من حضرة إشبيلية - كلاًها الله - .

والذى نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه ، وأن تعلموا أنا لم نقيم هذا المقام الذى حفظ الله به نظام الحق من انتشاره ، وأمدنا بعونه الجميل على إحياء الدين وإفاضة أنواره ، إلا لنستوفى كل نظر يعود على الأمة باستقامة أئمرها وأولاهها ، ونهيب بها إلى أسمى رتب السعادة وأعلاها ، ونوقظ بصائرنا بنافع الذكرى من كراهها . فعليها لها بحكم ما تقلدناه من إمامتها ، وتحملناه من أمانتها ، أن نخوّلها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونرشدّها إلى المآهج الواضحة والسبل البينة ، ونضفى على خاصتها وعامتها ظل الدعة والأمنة ، وإذا كنا نوفيها تمهيد دنياها ،

ونعتني بحماية أقصاها وأدناها ، فالدين أهم وأولى ، والتمهم باحياء شرائعه وإقامة شعائره أحق أن يُقدّم وأحرى ، وعلينا أن نأخذ بحسب ماأمر به ونَدَع ، ونَتَّبِع السنن المشروعة ونذر البدع . ولها أن لا ندّخر عنها نصيحة ، ولا نُغَيِّبَ ارادةً من الأدواء مُريحيه . ولنا [ عليها ] أن تُطِيع وتُسمع ، وقد علم الله أنا لم نتحمّل أمانة الإسلام ، لنستكثر من الدنيا وزُخرفها ، ولم نتصدّ لهذا المقام ، لنستأثر بنعيمها وترَفِها ، وإنما كان قصدنا قبل وبعد إقامة الكفاة في أوثر قراها وأوطأ كنفها ، وبحسب هذه النية التي طابقتها العمل ، ولم يتعدّها الأمل ، نيلت من الخيرات نهايات ، كانت الخواطر تستبعد منالها ، وتيسّرت إرادات ، كانت الأمة منذ زمان لم ترمثالها ، وساعدت العناية الربّانية فلم تُؤن مقصوداً جميلاً ، ولا مناً جزيلاً .

وإلى هذا - أدام الله كرامتكم - فإننا لم نزل مع طول المباشرة للأحوال كلّها ، وتردّد المشاهدة لعقد الأمور وحلّها ، نقف وقوف المتأمل على جزئيات الأمور وكتلياتها ، ولا يغيبُ عن تصفّحنا وتعرّفنا شيء من مصالح الجهات وكيفياتها ، ولم نمتر بمائل إلا تولّينا إقامته ، وأعدنا إليه اعتداله واستقامته ، ولا آتينا إلى صواب قول أو عمل إلا شدنا مبناه ، وأظهرنا لفظه ومعناه .

والآن حين استوفى إشرافنا على البلاد قاطبه ، ولزينا بحكم القيام لله في خلقه بحقه أن نتعهد الكفاة دانية ونائية وشاهدة وغائبة ، ورجونا أن نتخلص من القسم الأول في قوله عليه السلام : «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به» بأعمال على الرفق دائية ، وعلى الحق مواظبه - صرفنا أعتناء بجوامع المصالح فرأينا الدين ينظم تبددها ، ويستوعب تعددها ، لا تشد مصلحة عن قوانينه ، ولا تُنال بركة إلا مع تحصينه وتحسينه ، والله تعالى يُعيننا وإياكم على إقامة حدوده ، وإدامة



عهوده . وأول ما يتناول به الأمر كافة المسلمين الصلاة لأوقاتها ، والأداء لها على  
أكل صفاتها ، وشهودها إظهاراً لشرائع الإيمان في جماعاتها ، فقد قال عليه السلام :  
« أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ ، مَنْ حَفِظَهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا  
فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ » . وقال عمر رضى الله عنه : « وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ  
الصَّلَاةَ » فهي الركن الأعظم من أركان الإيمان ، والأسُّ الأوثق لأعمال الإنسان ،  
والمواظبة على حضورها في المساجد ، وإيثار الصلاة الجماعة من المزية على صلاة  
الواحد ، أمر لا يضيّعه المفلحون ، ولا يحافظ عليه إلا المؤمنون . قال ابن مسعود  
رضى الله عنه : « لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ  
الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهْدَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ » وشهود الصبح والعشاء  
الآخرة شاهدٌ بتمحيص الإيمان ، وقد جاء : « إِنَّ شُهُودَ الصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ يَعْدِلُ  
قِيَامَ لَيْلَةٍ » وحسبكم بهذا الرجحان . والواجب أن يعتنى بهذه القاعدة الكبرى من  
قواعد الدين ، ويُؤخذ بها في كافة الأمصار الصغير والكبير من المسلمين ، ويلاحظ  
في التزامها قوله عليه السلام : « مُرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ  
سِنِينَ » . وبحسب ذلكم رأينا أن نلزم جار كل مسجد ، وأمير كل سوق وشيخ  
كل زقاق ومعلم كل جهة الانتداب لهذا السعى الكريم ، والبدار لما فيه من الأجر  
العظيم ، وأن يحض كل من في جهته أو سوقه أو حومة مسجده أو موضع صنغته  
أو تجارته أو تعليمه على الصلاة وحضورها ، والأعتناء بأحكام طهورها ، وأن لا يتخلف  
عن الجماعة إلا لعذر بين ، أو أمر يكون معه الشهود غير ممكن . وعليهم أن يلتزموا  
هذه الوظيفة أتم التزام ، ويقوموا بها مؤتجرين أحسن قيام ، ويسمروا عن ساعد  
كل جد وأعتزام ، ويتعرفوا كل من تحتوى عليه المنازل من بلغ حد التكليف من  
الرجال ، ويتعهدوهم الحين بعد الحين والحال إثر الحال ، ويطلبوهم بالذكر بملازمة

هذا العمل الذي قدّمه الله على سائر الأعمال . ويحذر المسلم أن يواقع بإضاعة المكتوبة أمرا أمرا ، ويترك من فرائض الإسلام ما يقتل متعمدا تركه حدا أو كفرا . وعلى معلمي كتاب الله أن يأخذوا الصبيان بتعلم الصلاة والطهارة والإدابة لإقامتها والموالات وحفظ ما تُقام به وأفل ذلك سورة فاتحة الكتاب . وعلى كل إنسان في خاصته أن يأخذ صغار بنيته و كبارهم وسائر أهله ومن إلى نظره بذلك ويأمرهم به ، قال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » .

ثم أعلموا أن الصلاة بما آثرها الله به من وظائفها الشريفة ، وخصائصها المنيفة ، تنتظم من أعمال البر ضرورا لا تُحصَر ، وتعصم من موقعة ما يُشَنُّ ويُنكَر ، وتُحْطَى من الخيرات العميمة الجسيمة بالقسم الأوفى الأوفر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ . ونحن لا نوسع تاركها بحال عذرا ، ولا نُؤخره عقابا وزجرا ، ولا نزال نجبره على إقامتها قسرا ، وإذا استمر التعهد لها مع الأحيان ، وعمل الناس بما جدّدناه من إجراء التذكير بها بين القرابة والصحابة والحيران ، وتواصوا بالمحافظة عليها حسب الإمكان ، لم تزل بيوت أذن الله تعالى أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه معمورة بتلاوة القرآن ، ولم تنفك إلا للإقامة عن الأذان .

ومما يزيد هذه الوظيفة تأكيدا ، ويوفى قواعدها تشريدا ، درس كتاب الصلاة والطهارة حتى يستكملوه وعيا وحفظا ، ويؤدّوا مضمّنه لفظا فلفظا ، ففي ذلك من الإشراف على أحكام العبادتين ما تبين مزيته وفضله ، ولا يسع المؤمن بحال جهله ، ثم إذا أحكموه انتقلوا إلى درس كتاب الجهاد ، وعمرّوا الآناء بتعرف ما أعدّ الله للمجاهدين من الخير المستفاد ، فالجهاد في سبيل الله فرض على الأعيان ، وقد تأكد

تعيينه لهذه البلاد المجاورة لعبدة الأصنام والصُّلْبَانِ ، ونرجو أن يُخِزَّ الله ما وعدَ به من الفتح القريب لأهل الإيمان ، وليطلبوا الناس بعرض ما يتدارسون تثبيتاً لمحفوظاتهم ، واستزادة لقسمهم من الأجر وحُظوظهم .

ومن مقدمات الجهاد ، وأقوى أسباب الاعتداد ، تعلمُ الرماية التي وردَ الحَضُّ عليها ، وندبَ الشرعُ إليها ، قال عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ «ألا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ» قالها ثلاثاً : فَأَظْفِرُوا النَّاسَ بتعلمهم ، ولترتبهم طبقاتٍ على قدر إجادتهم وتقدُّمهم ، قال عليه السلام : «مَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عَلَّمَهُ رَغَبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا أَوْ قَالَ كَفَرَهَا» . وقال عليه السلام : «مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَبَّغَ الْعَدُوَّ أَوْ لَمْ يَلْبُغْ كَانَ لَهُ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ» .

وليُعلموا أنهم يُطلبون في وقت الحاجة بما يُثمره هذا التأكيْدُ من بدارهم ، ويترتب عليه من أئتمارهم ، وليَحْرِصُوا على أن يُلْفَى عددهم وافراً في حَالَتِي إيرادهم وإصدارهم .

ومما فيه مصلحةٌ كريمةُ الأثر ، واضحةُ الجَوْل والغُرر ، يكونُ ذِكْرُهَا جَمِيلاً ، وأجرُهَا جَزِيلاً ، تعهدُ الضُّعَفَاءِ والفقراء ، وإسهامُهم من الكثير كثيراً ومن القليل قليلاً بحسَبِ الإِصَابَةِ والرِّخَاءِ ، ووضعُ الصدقات في أهلِ التعفُّف الذين لا يَسْأَلُونَ الناسَ الخافاً أَوَّلَ ما يَجِيءُ حينُ العطاء ، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : «لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَتَرُدُّهُ التَّمَرَّةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَإِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ» فتفقّدوا هذا الصَّنَفَ فهو أَوْلَى بالإِثَار ، وأَحَقُّ أَهْلُ الإِقْتَار ، والمؤمنون إخوة ويُعْنَى الجَارُ بِالْجَارِ ، ويُعْنَى الْغَنَى الْفَقِيرُ فَذَلِكَ مِنْ مَكَارِمِ الْآثَار .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفةٌ تعيَّنت إقامتها على المسلمين جميعاً فمن رأى منكراً فليُنهِه إليكم وعليكم تغييره وتعفيه أثره على ما يوجب به الدين ويقتضيه ، وليأخذوا الحق من كل من تعين عليه سواء في ذلك القوى والضعيف ، والمشروف والشريف . وكل من ارتكب منكراً كائناً من كان ، عزَّ قدره أو هان ، فليبالغ في عقابه ، وينكَل على قدر ما ارتكب من المنكر وأتى به ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » وقال لأسماء في الحديث نفسه « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ » وقد حدَّ عمر رضي الله عنه ولده ، وحدَّ عثمان رضي الله عنه أخاه . فلتكن هذه الوظيفة منكم بمرأى ومسمع ، ولتسلُّكوا في إقامتها على الخامل والنبه أَوْضَحَ مَهْيَعٍ ، وَوَفُوا المعروف حقَّه من الإظهار ، وتلقَّوا المنكر باتِّمَّ وجوه الإنكار ، ثم عليكم أجمعين بالتواصي بالخير والتعاون على البرِّ والتقوى ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ . وقال عليه السلام : « لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » .

وبالجملة فعلى المؤمن أن يستنفد وسعه في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف من بعده ، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، ولم ينشأ ما نشأ من الأهوال ، ولا طراً في هذه الأمة ما طراً من الاختلال ، إلا بمفارقة الاقتداء الذي هو للدين رأس المال ، ورضي الله عن عمر حيث قال : « فُرِضَتِ الْفُرَائِضُ وَسُنَّتِ السُّنَنُ وَتُرِكَتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا » .

ومن أشدَّ المنكرات بغير نكير وجوب تغيير الجمر التي هي أسُّ الإثم والفجور ، وأثم الحباث والشُرور ، وأسُّ كلِّ خطيئة ورأس كلِّ محذور ، فليشتدَّ أتمُّ الاشتداد

في أمرها ، ويبحث غاية البحث عن مكان عصرها ، ويتفقد الأماكن المتهمة ببيعها ، ويتسبب بكل وجه وكل طريق إلى قطعها . وليبادر حيث كانت إلى إراقة دنانها ، وليبالغ إلى أقصى غايات الاجتهاد في شأنها ، وإن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ؛ فليتيق الله مدمن شرها فإنها رجس من عمل الشيطان ، وليحذر ما في قوله عليه السلام : « لَا يَشْرَبُ الْمُؤْمِنُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » : من إخراجها عن أهل الإيمان ؛ وشرب الخمر لحاج في الطبع ، فلا خير فيها مع الاعتناء المبني على الشرع ، ولو نهى الناس عن فت البعر لفتوه حرصا غالبا على ما تقدم فيه من الزجر والمنع ؛ فمن عثر عليه بهد من شارب لها أو عاصر ، مستسرها أو مجاهر ، فليضرب الضرب المبرح ، ويسجن السجن الطويل ، وليبق إلى أن تصح توبته صحة لا تحتمل التأويل ؛ ثم إن عاد فالحسام المصمم يحسم داءه إذا أعضل ، ويصد به سواه عما استحل من هذا الحرام وأستسهل .

ومن أشد ما حذر منه ، وأكده النهي عنه ، كتب الفلاسفة لعن الله واضعها ! فإنهم بنوها على الكفر والتعطيل ، وأخلوها من البرهان والدليل ، وعدلوا بها ضلالا وإضللا عن سواء السبيل ، وجعلوها تكأة لعقائدهم ومقاصدهم الخيالة ركونا إلى الباطل وتمسكا بالمستحيل . وقد كان سيدنا الإمام المنصور رضى الله عنه قد جد فيها بالتحريق والتزريق ، وسد بامضاء عزمه المسدد ورأيه المؤيد وجوه طلابها بكل طريق ، فحسبنا أن تقتدى في ذلك بأثره الجميل ، وتأخذ في إحراقها حيث وجدت وإهانة كاتبها وطالبيها وقاريها ومقرريها ، ولا يعدل عن السيف في عقاب من آتجها وأستوهبها وإن السيف في حقه لقليل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمُ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ » وبحسب العاقل كتاب الله وسنة الرسول .

ويتعلق بهذا المنهى عنه ما أسترسل فيه مرّة أهل الأهواء ، والمتنكبون فيما تلبّسوا به من الأدّران عن سنن الاهتداء ، أولئك قومٌ اعتقدوا إباحة المحظورات كلّها ، وعدّوا بآيهماتهم السخيفة ، وتخيلاتهم الضعيفة ، كلّ واهى العقْد منحلّها ، وأدّعوا أنهم من الملة وأعمالهم تقضى بأنهم ليسوا من أهلها ، فليبحث عن ذلك الصنف الأوّل وهذا الثّان ، فذهبن أن نطهر دين الله مما لصق به من الأدّران ، وأن نعيده إلى ما كان عليه قبل والله المستعان .

ومن الوظائف التي يجب أن تعتنوا بها غاية الاعتناء ، وأن تقدّموا النظر فيها على سائر الأشياء ، أمر أسواق المسلمين فقد اتّصل بنا ما تطرّق للتّجارات من مُسامحات تعفّى عليها الخدع ، ولا ينثرها إلا الحرص والطمع ، ولا توافق الشرع ولا يطابقها الورع ، حتى شاب أكثر المعاملات الفساد ، ولا يجري على القانون الشرعيّ في كثير من المبيعات الإنعقاد ، وتصدّي المتحيّلون فيها لحيل يقصدونها ، وأنواع لاجنلاب السّحت يرصدونها ، وربما ورد التاجر من القطر الشاسع ، وحسن الظنّ بالمشتري منه أو البائع ، فيبلغ في خدعته ، والإضرار به في سلعته ، أسوأ المبالغ ، ويرتكب من محرم الخلافة ما ليس بالسائغ ، وسُمع من ذلك أن من لا يتقّى الله تعالى يلبس الرّبا في تجارته ، ويبنى عليه جميع إدارته ، وحفظ المكاسب من الخباياث أوجب الواجبات ، والحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات ، ويحقّ الله الرّبا ويربي الصدقات ، فلتلتزموا الأمانة المعروفين بالديانة ، المشهورين بالأمانة ، تفقد هذه الأسواق ، وليخصّ كلّ أمين من تشتمل عليه سوقه من التّجار ، وليعرف المختار منهم من غير المختار ، ومن لا يصلح للتجارة في سوق المسلمين يُقام منها على أسوأ حال ، ومن عثر منهم على ربا في معاملته عاجلتموه بأشدّ العقاب وأسوأ النّكال ، فخلصوا المتاجر من الشوائب ، ومروهم بأن يسيروا في بيعهم وشرائهم وأقتضائهم على

أجل المذاهب ، وأن يحذروا الغش فقد قال عليه السلام : «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»  
والإنتفاء من الإيمان من أعظم المصائب ، وإذا اعتبرت في المبايعات الوجوه  
الشرعية ولحظت الأحكام زكى الله عمل التاجر، وبورك له فيما يُدير من المتاجر .  
ثم لتوصوا كل من تقدمونه لشغل من الأشغال أن يبدأ بصلاح نفسه قبل سواها ،  
وأن يلتزم الأعمال التي يؤثرها الله تعالى ويرضاها ، وحذروهم كل الحذر أن تقفوا لهم  
على ما يشين ، أو تسمعوا لهم قبيحا يخفى أو يبين ، فمن سمعتم عنه أدنى سبب من هذا  
فعاجلوه بالعقاب الشديد ، والنكال الميّد ، إن شاء الله تعالى والسلام .

قلت : وعلى هذه المعانى والأمور المأمور بها في هذا الكتاب قد كانت الخلفاء  
تكتب بها في المكاتبات على أنحاء متفرقة على ما تقدم في مقاصد المكاتبات من  
المقالة الرابعة ، وكانوا يؤلون على الصلاة والمساجد من يقوم بأمرها على ما تقدم ،  
وإن أكثر هذه الأمور الآن مضمّنة في مواقع أصحاب الحسبة على ما تقدم ذكره  
في الكلام على الولايات في المقالة الخامسة وبالله التوفيق .

## الفصل الثانى

### من الباب الأول من المقالة السادسة

( فيما يكتب من ذلك فى زماننا )

وهو قليل : لقلة الاعتناء بأمر الدين والأكتفاء فى ذلك بالتفويض إلى متولى  
الحسبة ، إلا أنه ربما كتب فى ذلك فى الأمور المهمة عند تعدى الطور فى أمر  
من الأمور الدينية ، والخروج فيه عن الحد .

ثم هو على ضربين :

## الضرب الأول

( ما يُكْتَبُ عن الأبواب السلطانية )

وهذه نسخة توقيع شريف من هذا النوع كُتِبَ به في الأيام أن لا يباع  
على أهل الذمة رقيقٌ حين كثر شراء أهل الذمة من اليهود والنصارى العبيد والجواري  
(١) وتهويدهم وتنصيرهم .

---

(١) لم يذكر نسخة التوقيع بل كتب بهامش غير نسخة مانصه "بياض مقدار ورقة" .



## الضرب الثاني

( مما يُكتب في الأوامر والنواهي الدينية - ما يُكتب

عن نواب السلطنة بالممالك )

وهذه نسخة توقيع كريم بمنع أهل صيدا ويروت وأعمالها من اعتقاد الرافضة  
والشيعة وردعهم، والرجوع إلى السنة والجماعة، واعتقاد مذهب أهل الحق، ومنع  
أكابرهم من العقود الفاسدة والأنكحة الباطلة، والتعرض إلى أحد من الصحابة  
رضوان الله عليهم أجمعين؛ وأن لا يدعوا سلوك [ طريق ] أهل السنة الواضحة،  
ويمشوا في شرك أهل الشك والضلال، وأن كل من تظاهر بشيء من يدعهم قوبل  
بأشد عذاب وأتم نكال، وليحمد نيران يدعهم المذممة، وليبادر إلى حسم فسادهم  
بكل همم، وتصريفهم عن <sup>(١)</sup> اعتبره، وتطهير بواطنهم من رذالة اعتقادهم  
الباطل إلى أن يعانوا جميعهم بالترضى عن العشرة . وليحفظ أنسابهم بالعقود  
الصحيحة، وليدأوموا على اعتقاد الحق والعمل بالسنة الصريحة . في خامس عشرين <sup>(٢)</sup>  
جمادى الآخرة سنة أربع وستين وسبعمائة، وهي :

الحمد لله الذى شرع الحدود والأحكام، وجدع بالحق لأئوف العوام الأغنام  
الطغام، وجمع الصلاح والنجاح والفلاح فى الأخذ بسنة خير الخلق وسيد الأنام،  
وقمع الزائعين عما عليه أهل السنة من الحق فى كل تقضى وإبرام .

نحمده على نعمه الحسام، ومننه التى تومض بروقها وتسام، وآلائه التى لا تُسَام  
ولا تُسَام، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ليس لمن تمسك

(١) بياض فى الأصل ولعله «عن التهوك فى مهالك أهوائهم إلى مانص عليه الشرع واعتبره» .

(٢) كذا فى الأصل بآثبات النون ونقل الصبان عن ابن هشام تلحين الكتاب فيه .

بِعُرْوَتِهَا الْوُثْقَى أَنْفِصَالٌ وَلَا أَنْفِصَامٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى الْمَلِكِ الْعَلَامِ ، وَالْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِوَاضِحِ الْإِرْشَادِ وَالْإِعْلَامِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ أئِمَّةُ الْإِسْلَامِ ، وَهُدَاةُ الْخَلْقِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ؛ خُصُوصًا أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ بِمَا وَقَرَ فِي صَدْرِهِ لَا بِزِيَّةٍ صَلَاةٍ وَلَا بِزَيْدٍ صِيَامٍ ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ الَّذِي كَانَ لَهُ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ أَعْظَمُ مَقَامٍ ، وَمَنْ أَهْلُ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ آتِقَاءً وَانْتِقَامٍ ، وَعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ فَحَصَلَ لَشَمْلِ سُورِهِ وَأَيَاتِهِ بِمَا فَعَلَ أَحْسَنُ النِّثَامِ ، وَأَنْفَقَ مَالَهُ مُحْتَسِبًا لِلَّهِ تَعَالَى فَخَازَ مِنَ الثَّوَابِ رَتْبَةً لَا تُرَامُ ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي كَانَ صِهْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبْنَ عَمِّهِ وَوَارِثَ عِلْمِهِ اللَّهُامِ ، وَالْمُجَادِلَ عَنْ دِينِهِ بِالْعِلْمِ وَالْمُجَاهِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحُسَامِ ، وَالْبَاقِينَ مِنَ الْعَشْرَةِ الْكَرَامِ ، صَلَاةٌ تُسْتَمَدُّ بِرُكَاثِهَا وَتُسْتَدَامُ ، وَيَتَمَوَّضُ فَضْلُهَا بِغَيْرِ أَنْقِضَاءٍ وَلَا أَنْصِرَامٍ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرْعِهِ الَّذِي آرْتَضَاهُ ، وَدِينِهِ الَّذِي قَضَاهُ ، وَحُكْمَهُ الَّذِي أَرْمَهُ وَأَمْضَاهُ ؛ فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ ، وَأَوْضَحَ الدَّلَالَهَ ، وَأَفْصَحَ الْمَقَالَهَ ؛ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ طَوَائِفَ الْأَعْدَاءِ ، وَأَمَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَبُولِ قَوْلِهِ وَتَصْدِيقِهِ مِنْ سَبَقَتْ لَهُ الْعِنَايَةُ مِنَ الْأَوْدَاءِ ؛ وَنَصَرَهُ عَلَى مُخَالَفِيهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْحَاسِدِينَ حَتَّى مَاتَ كُلُّ مَنْهُمْ بِمَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الدَّاءِ ؛ وَبَيَّنَّ الطَّرِيقَ ، وَبَرَّهَنَ عَلَى التَّحْقِيقِ ، فَأَعْلَنَ النَّذَارَةَ وَالْبِشَارَةَ ، وَمَهَّدَ قَوَاعِدَ الدِّينِ تَارَةً بِالنَّصِّ وَتَارَةً بِالْإِشَارَةِ ؛ وَتَمَّ الدِّينُ بِأَحْكَامِ أَحْكَامِهِ ، وَشُدَّتْ قَوَاعِدُهُ بِإِعْلَاءِ أَعْلَامِهِ ؛ وَعَمَّتِ الدَّعْوَةُ وَتَمَّتْ ، وَفُشَّتِ الْهُدَايَةُ وَنَمَتْ ؛ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الدِّينِ أَرْسَالًا ، وَبَلَغَتْ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ آمَالًا ، وَأَصْبَحَتِ الْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ تُتَوَاتَرُ وَتَتَوَالِي ، وَنَحَدَّتْ نَارُ الشَّرِّكَ وَطَفَفَتْ مَصَابِيحُ الضَّلَالَةِ وَوَحَّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

فلما تكامل ما أراد الله تعالى إظهاره في زمانه ، وتم ما شاء إبرازه في إبانته ، وأعلنت الهداية ، ومُحيت الغواية ، وقام عمود الدين ، ودَحَضَت حجة الملّحين ، وأستوسق أمر الإسلام وأستتب ، وتبّت يدا مناويه وتبّت - اختار الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جواره وقربه ، فقضى نخبه ولقي ربه ، فقام خلفاؤه بعده بآثاره يقتدون ، وبهديه وإرشاده يهتدون ، ولأحكامه يتبعون ، ولأوامره يستمعون ، ولمعاني ماجاء به يعون ، وإلى قضاياه يرجعون ، لا يغيرون ولا يبدّلون ، ولا يتعرّضون ولا يتأوّلون ، فقضى على ذلك الخلفاء الراشدون ، والأئمة المهديّون ، لم يتبع أحد منهم في زمانهم عقيدة فاسده ، ولم يُظهر أحد مقالة عن سواء السبيل حائده ، ثم تفرّقت الآراء ، وتعدّدت الأهواء ، واختلّفت العقائد ، وتباينت المقاصد ، ووهت القواعد ، وتصادمت الشواهد ، وتفرّقت الناس إلى مقرّ بالحقّ وجاحد ، وظهرت البدع في المقالات ، وضلّ كثير في كثير من الحالات ، وتهاوت غالبيتهم في الضلالات ، وقال كل قوم مقالة تضمّنت أنواعا من الجهالات ، وكان من أسخفهم عقلا ، وأضعفهم نقلا ، وأوهنهم حجّة ، وأبعدهم من الرشد محجّه ، طائفة الرافضة والشيعة ، لارتكابهم أمورا شنيعة ، وإظهارهم كلّ مقالة فظيعة ، وخرقهم الإجماع ، وجمعهم قبيح الابتداع ، فتبدّدوا فرقا ، وسلّكوا من فواحش الاعتقادات طرقا ، وتنوّع ناسهم ، وتعدّدت أجناسهم ، وتجروا على تبديل قواعد الدين ، وأقدموا على نبذ أقوال الأئمة المرشدين ، وقالوا ما لم يُسبقوا إليه ، وأعظموا الفرية فيما حملوا كلام الله ورسوله عليه السلام عليه ، وبأوا بإثم كبير وزور عظيم ، وعرجوا عن سواء السبيل فخرجوا عن الصراط المستقيم ، وفأهرا بما لم يفه به قبلهم عاقل ، وانتحلوا مذاهب لا يساعدهم عليها نقل ناقل ، وتخيّلوا أشياء فاسدة حالهم فيما تخيلها أسوأ من حال باقل ، وتمسّكوا بآثار

موضوعه ، وحكاياتٍ إلى غير الثقات مرفوعة ؛ ينقل عن أحدهم ما ينقله عن مجهول غير معروف ، أو عن هو بالكذب والتدليس مشهور وموصوف ؛ فأداهم ذلك إلى القول بأشياء - منها ما يوجب الكفر الصراح ، ويبيح القتل الذي لا حرج على فاعله ولا جناح - ومنها ما يقتضي الفسق إجماعاً ، ويقطع من المتصف به عن العدالة أطماعاً - ومنها ما يوجب عظيم الزجر والنكال - ومنها ما يفضي بقائله إلى الويل والوبال . لعب الشيطان بعقولهم فأغواهم ، وصمّمهم إلى حزبه وآواهم ، ووعدهم غرورا ومنّاهم ، وتمنّوا مغالبة أهل الحق فلم يبلغوا منهاهم ؛ مرقوا من الدين ، وخرقوا إجماع المسلمين ، واستحلوا المحارم ، وأرتكبوا العظائم ، واكتسبوا الجرائم ؛ وعدلوا عن سواء السبيل ، وتبّعوا من غضب الله شرّاً مقيلاً . مذهبيهم أضعف المذاهب ، وعقيدتهم مخالفة للحق الغالب ؛ وآراؤهم فاسدة ، وقرائحهم جامدة ، والنقول والعقول بتكذيب دعاويهم شاهده ؛ لا يرجعون في مقالاتهم إلى أدلة سليمة ، ولا يرجعون في استدلالهم على طريق مستقيمة ؛ يعارضون النصوص القاطعة ، ويضطلون القواعد لمجرد المنازعة والمدافعة ، ويفسّرون كلام الله تعالى بخلاف مراده منه ، ويتجرّعون على تأويله بما لم يرده الله ولم يرده عنه ؛ فهم أعظم الأمة جهالة ، وأشدّهم غواية وضلالة ؛ ليس لهم فيما يدعونه مستند صحيح ، ولا فيما ينقلونه نقل صريح .

فلذلك كانوا أقل رتبة في المناظره ، وأسوأ الأمة حالاً في الدنيا والآخرة ؛ وأحقّر قدرًا من الاحتجاج عليهم ، وأقلّ وضعاً من توجيه البحث إليهم ؛ أكابرهم مخبطون ، وأصاغرهم مثلهم ومعظمهم مخبطون ؛ بل كلهم ليس لأحد [منهم] حظ في الجدل ، ولا قدم في صحة الاستدلال ؛ ولو طُلب أحد منهم بصحة دعواه لم يجد عليها دليلاً ؛ ولو حُقق عليه بحث لم يلق إلى الخلاص سبيلاً ؛ غاية متكلّمهم أن يروى عن منكر من الرجال مجهول ، ونهاية متعلّمهم أن يُورد حديثاً هو عند العلماء موضوع أو معلول ؛ يطعنون

في أئمة الإسلام، ويسبون أصحاب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ويدعون أنهم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو برىء منهم، منزّه عما يصدر عنهم، فقدّرهُ أرفع عند الله والناس، ومحلّه أعلى بالنص والقياس، ويحرم أن ينسب إليه الرضا بهذه العقائد، أو التقرير لهذه المقاسد، فإن طريقته هي المثلى، وسيرته هي العليا، فالأخذ بالحق إليه يسول، والصواب معه حيث يفعل أو يقول، ولا يصح نقل شيء من هذا عنه، ولا يحل نسبة شيء إليه منه، ومنصبه أجل من ذلك، ومكانه أعز مما هالك، غير أن هؤلاء يعرض لأحدهم في دينه شبهة، يقلّد فيها مثله في الضلالة وشبهه، ويتردّد في نفسه من الغم برهنة لا يجد لخلاصه منها وجهه، ولا يوجه قلبه إلى طلب النجاة منها وجهه، ولا يقع نظر بصيرته على طريق الصواب ولا يحقق كنهه، فيتركب خطرا يوجب توبيخه في القيامة وجهه، وتسود في الموقف ناصية منه وجهه، ويعتدم لتجيره في الضلال عقله وفهمه وفقهه، قد صرّفوا إلى الطعن في العلماء، ومخالفة ربّ الأرض والسماء، همّهم وهمّهم، وافترّوا على الله كذبا فدمّهم وأباح دمّهم، وقال لسان حال أمرهم أرا قدّمهم أراق دمّهم، وهان دمّهم فيها ندمّهم .

وقد بلغنا أن جماعة من أهل بيروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها المضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كل من الجهتين وضياعتها، وأصقاعها وبقاعها، قد انتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقرّروه، وبشّوه في العامة ونشروه، واتخذوه ديناً يعتقدونه، وشرعاً يعتمدونه، وسلكوا منهاجهم، وخاضوا لحاجهم، وأصلوه وفرّعوه، وتدينوا به وشرعوه، وحصلوه وفصلوه، وبلغوه إلى نفوس أتباعهم ووصلوه، وعظّموا أحكامه، وقدموا حكمه، وتسموا بتجيلة وإعظامه، فهم بباطله عاملون، وبمقتضاه يتعاملون، ولأعلام علمه حاملون، وللفساد

قابلون ، وبغير السداد قائلون ، وبحرم حرامه عائذون ، وبحمي حمايته لا ئذون ، وبكعبة ضلاله طائفون ، وبسدة شدته عاكفون . وإلهم يسبون خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين ، ويستحلون دم أهل السنة من المسلمين ، ويستبيحون نكاح المتعة ويرتكبونه ، ويأكلون مال مخالفيهم ويتتبعونه ، ويجمعون بين الأختين في النكاح ، ويتدينون بالكفر الصراح ، إلى غير ذلك من فروع هذا الأصل الخبيث ، والمذهب الذي ساوى في البطلان مذهب الثلاث - فأنكرنا ذلك غاية الإنكار ، وأكبرنا وقوعه أشد إكبار ، وغضبنا لله تعالى أن يكون في هذه الدولة للكفر إذاعه ، وللعصية إشادة وإشاعة ، وللطاعة إخافة وإضاعة ، وللإيمان أزجي بضاعة ، وأردنا أن نجهز طائفة من عسكر الإسلام ، وفرقة من جند الإمام ، تستأصل شأفة هذه العصابة الملحده ، وتطهر الأرض من رجس هذه المفسده ، ثم رأينا أن نقدم الإنذار ، ونسب إليهم بالإعذار ، فكتبنا هذا الكتاب ، ووجهنا هذا الخطاب ، ليقراً على كافتهم ، ويبلغ إلى خاصتهم وعامتهم ، يعلمهم أن هذه الأمور التي فعلوها ، والمذاهب التي اتحلوها ، تبيح دماءهم وأموالهم ، وتمتضي تعميمهم بالعذاب واستئصالهم ، فإن من استحل ما حرم الله تعالى وعرف كونه من الدين ضرورة فقد كفر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَأَفَ ﴾ عطفاً على ما حكم بتحريمه ، وأطلق النص فنعين حمله على تعميمه ، وقد آنقد على ذلك الإجماع ، وأنقطعت عن مخالفته الأطماع ، ومخالفة الإجماع حرام بقول من لم يزل سمياً بصيراً ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ . ونكاح المتعة منسوخ ، وعقده في نفس الأمر منسوخ ، ومن ارتكبه بعد علمه بتحريمه واشتباره ، فقد خرج عن الدين برده الحق وإنكاره ، وفاء له ان لم يتب فهو مقتول ، وعذره فيما يأتيه من ذلك غير مقبول . وسب الصحابة رضوان الله عليهم

مخالف لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعظيمهم ، ومنايذ لتصريحه باحترامهم وتبجيلهم ، ومخالفته عليه السلام فيما شرعه من الأحكام ، موجبة للكفر عند كل قائل وإمام ، ومتركب ذلك على العقوبة سائر ، وإلى الجحيم صائر . ومن قذف عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بعد ما برأها الله تعالى فقد خالف كتابه العظيم ، وأستحق من الله النكال البليغ والعذاب الأليم ، وعلى ذلك قامت واضحات الدلائل ، وبه أخذ الأواخر والأوائل ، وهو المنهج القويم ، والصراط المستقيم ، وماعدا ذلك فهو مردود ، ومن الملة غير معدود ، وحادث في الدين ، وباعث من الملحدين ، وقد قال الصادق في كل مقاله ، والموضح في كل دلاله ، « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » . فتوبوا إلى الله جميعا ، وعودوا إلى الجماعة سريعا ، وفارقوا مذهب أهل الضلالة ، وجانبوا عصبية الجهالة ، واسمعوا مقالة الناصح لكم في دينكم وعوا ، وعن النبی ارجعوا ، وإلى الرشاد راجعوا ، وإلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض باتتباع السنة بادروا وسارعوا . ومن كان عنده امرأة بنكاح متعة فلا يقربها ، وليحذر من غشيانها وليتجنبها . ومن نكح أختين في عقدين فليفارق الثانية منهما فإن عقدها هو الباطل ، وإن كانتا في عقد واحد فليخرجهما معا عن حبالته ولا يماطل ، فإن عذاب الله شديد ، ونكال المجرم في الحميم كل يوم يزيد ، ودار غضب الله تُنادى بأعدائه هل من مزيد ، فلا طاقة لكم بعذابه ، ولا قدرة على أليم عقابه ، ولا مفر للظالم منه ولا خلاص ، ولا ملجأ ولا مناص . فرحم الله تعالى امرأاً نظرت لنفسه ، واستعدت لرأسه ، ومهد لمصرعه ، ووطأ لمضجعه ، قبل فوات الفوت ، وهجوم الموت ، وانقطاع الصوت ، واعتقال اللسان ، وانتقال الإنسان ، قبل أن تبذل التوبة ولا تقبل ، وتذري الدموع وتسبل ، وتتقضي الآجال وينقطع الأمل ، ويمتنع العمل ، وترهق من العبد نفسه ، ويضمه رأسه ، ويرد على ربه وهو عليه

غَضَبَانِ ، وَإِنَّ سُخْطَهُ عَلَيْهِ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ قَدْ بَانَ ، وَلَا يَنْفَعُهُ حِينَئِذٍ النَّدَمُ ، وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ إِذَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ ، وَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أُنْذِرَ ، وَأَنْصَفَ مَنْ حَدَّرَ ، فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلِبُونَ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ، أَلْهَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ رُشْدَنَا ، وَوَفَّقَ إِلَى مَرَاذِيهِ قُضْدَنَا ، وَجَمَعَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَأَعَانَنَا جَمِيعًا عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه نسخة مرسوم كُتِبَ به عن نائب المملكة الطرابُلسيَّة إلى نائب حصن الأكراد ، بإبطال ما أُحْدِثَ بالحصن : من الخُمَّارة ، والفَوَاحِش ، وإلزام أهل الذِّمَّة بما أُجْرِيَ عليهم أحكامه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه - في أواخر جمادى الأولى سنة خمس وستين وسبعائة ، وهو :

المرسومُ بالأمر العالى - لازال قصده الشريفُ المثارَبة على تغيير المنكر ، وشَدَّ أزر المنكر ، مشمِّراً فى إراحة القلوب بإزاحة مواطن الفواحش : من سِقَاحٍ ومُخَدَّرٍ وميسر ومُسَكَّر - أن يتقدَّم الجَنَابُ الكريم باستمرار ما وُفِّقنا الله تعالى له ورَسَمْنَا به ، وأعطيناه دُسْتُوراً يَجِدُهُ من عَمَلٍ به يوم حِسَابِهِ : من إبطال الخُمَّارة ، وهدم مبانيها بحيث لا يبقى للنَّفْسِ الأَمَّارة عليها أَمَّارُهُ ، وإخفاء معالمها التى توطَّنُها الشَّيْطَانُ فَقَطَّنَ ، وإزالة ما بها من الفَوَاحِش التى ما ظهر منها أَقْلٌ مما بَطَّنَ ، وإخلاء تلك البلاد من هذا الفَسَادِ الموجب لكثرة المحن والاختلاف وإراقة ما بها من الخُمُور ، التى هى رأس الإثم والشُّرُور ، وإحراق كل مُخَدَّرٍ مذموم فى الشَّرْعِ مُحْدُورٍ ، وإذهاب اسم الحانة بالكلية بحيث لا يتلفظ به مسلمٌ ولا كافرٌ ، ولا يُطَمَعُ نفسَه فى الترتيب عليها مَنْ هو على نَحْزِيهِ وَبَغْيِهِ مُظَافِرٌ . وقد غَيْرْنَا هذا المنكر بيد أطلال الله بفضله فى الخير بَاعَهَا ، وَغَنِمْنَا إِزَالََةَ هذه المَفْسَدَةِ فَأَحْرَزْنَا بِرَّهَا وَأَصْطَنَاعَهَا ، خَوْفاً من وعيد



قوله تعالى : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ورجاء أن نكون من المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وعملاً بقوله عليه السلام : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ » . وعلمنا بأن أمير الرعية إذا لم يزل المنكر من بينهم فكيف يفلح في يومه وحال السؤال عنهم في غده .

وقد صار حصن الأكراد بهذه الحسنة في الحصن المنيع ، وأهله المتمسكون بالعروة الوثقى في مربع خصب مربع ، وضواحيه مطهرة من خبث السفاح ونجاسة الخمر ، ونواحيه كثيرة الشور قليلة الشرور ، قد أعلی الله تعالى به كلمته ، وأجاب لصغيره وكبيره في هذا الأمر دعوته ، وما ذلك إلا بتوفيق من أهلكنا لذلك ، وألهمنا رشدنا وطهرنا من هذه المفاسد تلك المسالك ، وله الحمد على ما وفق إليه ، وأعان عبده في ولايته عليه ، فإن المنكر إذا فشا ولم ينكر آن نراب الديار ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ لَيَغَارُ » ، فعند ذلك تمنع السماء درها ، وتمسك الأرض بذرها ، ويخف الضرع ، ويبيس الزرع ، وتعطش الأجداد ، وتهلك البلاد .

فليسط الجنب الكريم يده في إزالة ما بقي من منكر ، متفقدا لجليسه وحقيقه بالفحص الشديد وما على ذلك يحمّد بكل لسان ويشكر ، متقربا من يدخل البلد ذلك ليقابله بالضرب بالسياط ، آخذا في تتبع حلاله بالحزم والتحري والاحتياط ، إلى أن تصل بنا أخباره ، ويعلمو لدينا في سياسته ونهضته مناره ، ونحمد عندنا إيالته وآثاره ، وهو بحمد الله كما نعهد شديد على كل مفسد ومعاند ، سيد الآثار والآثار والمقاصد .

وأما أهل الذمة فما رُفع عنهم السيف إلا باعطاء الجزية والتزام الأحكام ، وأخذ عهود أكيدة عليهم من أهل النقض والإبرام .

فليتقدّم الجنبُ الكريمُ بالزّامِهم بما ألزّمهم به الفاروق رضوانُ الله عليه، وليُجْهِم في كل أحوالهم إلى ما أُلْجَاهم إليه : من إظهار الدّلة والصّغار ، وتغيّر النّعل وشدّ الزّنار، وتعريف المرأة بصنّغ الإزار، وليُمنّعوا من إظهار المنكر والخمر والنّاقوس وليُجعل الخاتم أو الحديّد في رقابهم عند التجرد في الحَمّام، وليُلزّموها بغير ذلك من الأحكام التي ورد بها المرسوم الشريف من مُدّة أيّام، ومن لم يلتزم منهم بذلك وأمتنع، وأعلن بكفره وأعلى كلمته ورفّع، فما له حَكَم إلا السيّف، وغنم أمواله وسبى ذراريه وما في ذلك على مثله حَيْف، فهاتان مَفْسَدَتانِ أمرنا بالزّامهما فرارا من سُخْطِ الله تعالى وحِذارا، إحداهما إبطالُ الحانة والثّانية إخفاء كلمة اليهود والنّصارى .

فليتقدّم الجنبُ المشارُ إليه باستمرار ما رَسَمنا به فهو الحق الذي لا شك فيه ، والنور الذي يتبعه المؤمن ويَحْكِيه ، ونرجو من كرم الله تعالى استمرار هذه الحسنة مدى الأزمان، وأسْتِثَار شجرها المائد الأغصان ، وإبطال هذا الحُزن المسمّى ظلما بالفرح، وإعمال السيّف في عنق من أرتضاه بين أظهر المسلمين فانتهك سرّه وأفتضح .

وليَقْمَعَ أهل الشرك والضلال ، بما يُلْزِم الصّغار عليهم والإذلال، إلى أن لا يُرْفَعَ لهم راس ، ولا يُسَيِّدوا كيدا إلا على غير أساس ، وليستجلب الجنبُ الكريم لهذه الدولة الشريفة ولنا الدّعاء من المسلمين ، والفقراء والصالحين والمساكين ، وليُطَبّ قلوبهم باستمرار ما أزلناه، ومحونا آثاره وأبطلناه ، وقصّدا بابطاله من تلك الأرض ، مساحمة من الحَكَم العَدْل يوم العَرَض ؛ ومن أعاد ما أبطلناه أو أغان على إعادته ، أو أمر بتشيدده وبناء حجّارته ، أو رتّب مرتبّا على خِذْرِ بَغْيٍ وموّه ودّلس بالأفراح ، أو أطلق أن يُباع منكر أو سوّل له شيطانُه أنه من الأرباح ، فإن الله تعالى يُحاكمه وهو أحكم الحاكمين ؛ وعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين .

## الباب الثانى

فيما يكتب فى المسامحات والإطلاقات، وفيه فصلان

### الفصل الأول

فيما يكتب فى المسامحات

والمُسامَحات جمع مُسامَحة، وهى [ الجُود والمُوافقةُ على ما أُريد منه ] . والمراد المُسامَحةُ بما جرت به عادةُ الدواوين السلطانية : من المقررات واللوازم السلطانية، وهى على ضربين :

#### الضرب الأول

( ما يُكتب من الأبواب السلطانية )

وقد جرت العادة أن السلطان إذا سَمَحَ بترك شيء من ذلك كُتِبَ به مرسومٌ شريف وشِملته العلامة الشريفة، وهو على مرتبتين :

#### المرتبة الأولى — المسامحات العظام .

وقد جرت العادة أن تُكتب فى قطع الثلث مفتوحةً بـ «الحمد لله» .

وصورتها أن يُكتب فى أعلى الدَّرَجِ بوسَطِهِ الأسمُ الشريف كما فى مراسيم الولايات، ثم يكتب من أول عَرْضِ الورق إلى آخره «مرسومٌ شريفٌ أن يُسمح بالجهة الفلانية وإبطال المُكوس بها، أو أن يسمح بالباقي بالجهة الفلانية، أو أن يُسمح أهلُ الناحية الفلانية بكذا وكذا، ابتغاءً لوجه الله تعالى، ورجاءً لنواله الجسيم

(١) بياض فى الأصل والتصحيح من المصباح .

على ما شرح فيه» ثم يُترك وصلان بياضاً غير وصل الطَّرة، ويكتب في أول الوصل الثالث البسملة، ثم الخطبة بالحمد لله إلى آخرها، ثم يقال : وبعد، ويؤتى بمقدمة المسامحة : من شكر النعمة، والتوفية بحقوقها ومقابلتها بالإحسان إلى الخلق، وعمل مصالح الرعية وعمارة البلاد، وما ينخرط في هذا السلك، ثم يقال : ولذلك لما كان كذا وكذا اقتضت آراؤنا الشريفة أن يُسمح بكذا، ثم يقال : فرسم بالأمر الشريف أن يكون الأمر على كذا وكذا، ثم يقال : فلتستقر هذه المسامحة ويؤتى فيها بما يناسب، ثم يقال : وسبيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف العمل بمضمونه أو بمقتضاه، ويختتم بالدعاء بما يناسب .



وهذه نسخة مرسوم بمسامحة ببواقي دمشق وأعمالها، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى، وهي :

الحمد لله الرؤوف بخلقه، المتجاوز لعباده عما قصروا فيه من حقه، المسامح لبريئه بما أهملوه من شكر ما بسط لهم من رزقه، جاعل دولتنا القاهرة مطمع كرم، تُجتلى أنوار البر في البرايا من أفقه، ومنشأ ديم، تُجتلب أنواء الرفق بالرايا من برقه، ومضمار جود يحتوى على المعروف من جميع جهاته ويشتمل على الإحسان من سائر طرقه، فلا يرتتهى إليه الآمال إلا ولكرمنا إليه مزية سبقه، ولا أجر يتوجه إليه وجه الأمانى إلا تلقته نعمنا بمتهلل وجه الإحسان طلقه، ولا معروف تجذب منه أرجاء الرجاء إلا واستهلّت عليه آلاؤنا من صوب برنا المألوف لآلى ودقه .

نحمده على نعمه التي عمت الرعايا بتوالي الإحسان إليهم، وأنامتهم في ميهاد الأمن بما وضعت عنهم مساحتنا من إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وأنالتهم ما لم

تَطْمَحْ آمَالُهُمْ إِلَيْهِ : مَنْ رَفَعَ الطَّلَبَ عَنْ بَوَاقِ أَمْوَالِ أَخْرُوهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَكَانَتْ كَالْأَعْمَالِ الْمُقَدِّمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِمْ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَبَعَتْهُ عَلَى نَشْرِ رَحْمَتِهِ ، الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي عِبَادِهِ ، وَتَحُثُّ عَلَى بَثِّ نِعْمَتِهِ ، الَّتِي غَمَرَتْ كُلَّ حَيٍّ عَلَى اجْتِمَاعِهِ وَوَسَّعَتْ إِلَى كُلِّ حَيٍّ عَلَى انْفِرَادِهِ ، وَتَحُضُّ عَلَى مَا أَلْهَمْنَا مِنْ رَأْفَةٍ بِمَنْ ذَابَلَهُ بِتَوْحِيدِهِ وَشِدَّةٍ عَلَى مَنْ جَاهَرَ بِعِنَادِهِ .

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَسَكَّتْ أَلْسِنَةَ الشَّرْكِ وَأَخْرَسَهَا ، وَعَفَّى مَعَالِمَ الْعُدْوَانِ وَطَمَسَهَا ، وَأَثَّلَ قَوَاعِدَ الدِّينِ عَلَى أَرْكَانِ الْهُدَى وَأَسَّسَهَا ، وَأَوْضَحَ سُبُلَ الْخَيْرَاتِ لِسَالِكِيهَا فَإِذَا سَعِدَتْ بِالْمُلُوكِ رَعَايَاهَا فَإِنَّمَا أَسْعَدَتِ الْمُلُوكَ بِذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ أَنْفُسَهَا . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ شَفَعُوا الْعَدْلَ بِالْإِحْسَانِ ، وَجَمَعُوا بَيْنَ مُلْكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِإِحْيَاءِ السُّنَنِ الْحَسَنَةِ ، وَزَرَعُوا الْجِهَادَ بِالْإِيمَانِ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَأَثْمَرَ بِالتَّوْحِيدِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ ، صَلَاةَ جَامِعَةٍ أَشْتَاتِ الْمُرَادِ ، سَامِعَةً نَدَاءَ أَرْبَابِهَا يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، قَامِعَةً أَرْبَابَ الشُّكِّ فِيهَا وَالْإِلْحَادَ ، وَسَلَمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدَ ، فَإِنَّا لِمَا آتَانَا اللَّهُ مِنْ مُلْكِ الْإِسْلَامِ ، وَخَصَّنَا بِهِ مِنَ الْحُكْمِ الْعَامِّ ، فِي أُمَّةٍ سَيَدْنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَأَيَّدَنَا بِهِ مِنَ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَاءِ دِينِهِ ، وَأَمَدَّنَا بِهِ مِنْ تَأْيِيدِ تَأْيِيدِهِ وَدَوَامِ تَمْكِينِهِ ، وَجَعَلَ دَوْلَتَنَا مَرْكَزًا مَدَارُ مُلْكِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَيْهِ ، وَفَلَكًا مَالُ أُمُورِ الْأُمَّةِ الْحَمْدِيَّةِ فِي سَائِرِ الْمَمَالِكِ عَلَى اخْتِلَافِهَا إِلَيْهِ ، وَرَزَقَنَا مِنَ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ مَا أَعَزَّ الْمُسْلِمِينَ وَأَدَاهُمْ ، وَأَذَلَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَذَاهُمْ ، وَكَفَّ بِالرُّعْبِ أَطْمَاعَهُمْ ، وَأَعْمَى بِمَا شَاهَدُوهُ أَبْصَارَهُمْ وَأَصَمَّ بِمَا سَمِعُوهُ أَسْمَاعَهُمْ ،

وحَصَرهم بالمهابة في بلادهم ، وأَيَّسهم بالخافة من نفوسهم قبل طارفهم وتلادهم - لم نزل نرغب في حسنات نُحَلِّ بها أيامنا ، وقُرْبَاتٍ تَجْرِي بها أَقلامنا ، ومَكْرُمَاتٍ تَكْمُلُ بها عوارِفنا وإنعامنا ، وما تَرِيحُلُدُّ بها في الباقيات الصالحات ذِكْرنا ، ومواهب تُجَمِّلُ بها بين سِيرِ العصور الزاهية سِيرَتنا الشريفة وعَصْرنا ، ومَصالِحُ يُصَرِّفُ بها إلى مصالح البلاد والعباد نظرنا الجميل وفِكْرنا ، نهوضًا بطاعة الله فيما ألقى مَقَاليدَه إلينا ، وأداءً لشُكْرِهِ فيما أتمَّ به نِعَمَهُ العَمِيمةَ علينا ، واكتسابًا لثوابه فيما تُقَدِّمُهُ من ذخائر الطاعات بين يدينا ، ونظرًا في عمارة البلاد بخِفَّةِ ظهور ساكنيها ، وإطابة لقلوب العباد من تَبَعَاتِ البواقي التي كانت تمنعهم من عمارة أراضيمهم وتُفَرِّغهم من التوطن فيها ، ورغبةً فيما عند الله والله عنده حُسْنُ الثواب ، وتحريًا لإصابة وجه المصلحة الإسلامية في ذلك والله الموفق للصواب .

ولذلك لما اتَّصل بنا [أَنَّ] باقي البلاد الشامية من البواقي التي يُتَعَبُ السَّنةُ الأَقلامَ ، إحصاؤها ، ويثقل كواهل الأفهام ، تعداد وجوهِها وأستقصاؤها ، مما لا يُسَمَحُ بمثله في سالف الدُّهور ، ولا يَسْخُو به إلا من يرغبُ مثلنا فيما عند الله من أجورٍ لا تُخْرِجُهُ عن مصالح الجُهور - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نُعْفِيَ منها ذِمًّا كانت في أغلالِ إسارها ، وأثقالِ انكسارها ، وروعة اقتضاها ، ولوعة التردد بين إظهار المطالبة وإمضاها ، وأن نُعْتِقَ منها نفوسًا كانت في سياق مساقها ، وحبال إزهاقها وإرهاقها ، لتتوفَّرَ الهِمَمُ على عمارة البلاد ، بالأمن على الطارف والتلاد ، وتُجْمَعَ الخواطرُ على حُسْنِ الخلف ، بما حصل لهم من المساعدة عما عليهم من ذلك سلف ، بذم بريئة من تلك الأثقال ، عريئة عن عثرات تلك البواقي التي ما كان يُقال إنها تُقال .

فُرِسِمَ بالأمر الشريف - زاده الله تعالى علّوا وتشريفوا ، وأمضاه بما يعم الآمال  
 رفقا بالرعايا وتخفيفا ، وأجراه من العدل والإحسان بما يعم البلاد ، ويحجر العباد ،  
 فإن الأرض يُحييها العدل ويَعْمُرُها الاقتصار على الاقتصاد - أن يسامح ... ..  
 فليستقر حكم هذه المسامحة استقراراً يبق رستمها ، ويححو من تلك البواق المساقاة  
 رستمها وأسمها ، ويضع عن كواهل الرعايا أعباءها ، ويسير بين البرايا أخبارها الحسنة  
 وأنباءها ، ويسقط من جرائد الحساب تفاصيلها وجملها ، ويحقق بتعفيته آثارها رجاء  
 رعية بلادنا المحروسة وأملها .

فقد آبتغينا بالمسامحة بهذه الجمل الوافرة ثواب الله وما عند الله خير وأبقى ،  
 وأعتقنا بها ذمم من كانت عليه من ملكة المال الذي كان له باستيلاء الطلب  
 واستمراره مسترقاً ، تقربا إلى الله تعالى لما فيه من إثارة التخفيف ، ووضع إصر  
 التكليف ، وتقوية حال العاجز فإن غالب الأموال إنما تُساق على الضعيف ،  
 وتوفير هم الرعايا على عمارة البلاد وذلك من أكد المصالح وأهمها ، وتفريغ خواطرهم  
 لأداء ما عليهم من الحقوق المستقبلية وذلك من أخص المنافع وأعمها ، فليقبلوا هذه  
 النعم بشكر الله على ما خص دولتنا به من هذه المحاسن ، ويوالوا حمده على ما متعهم  
 به من مواد عذها التي ماء إحسانها غير آسن ، ويتهللوا لآيماننا الزاهرة بالأدعية  
 التي نُخلد سلطانها ، وتشيّد أركانها ، وتعلي منار الدين باعتلائها ، وتؤيدها بالملائكة  
 المنقرين على أعداء الله وأعدائها . وسبيل كل واقف على مرسومنا هذا : من ولاة  
 الأمر أجمعين العمل بمضمونه ، والانتفاء إلى مكنونه ، والمبادرة إلى إثبات هذه  
 الحسنة ، والمسارة إلى العمل بهذه المسامحة التي تستدعي مسار القلوب وثناء  
 الألسنة ، وتعفية آثار تلك البواق التي عفونا عن ذكرها ، ومحو ذكر تلك الأموال  
 التي تعوضنا عن استيفائها بأجرها .



وهذه نسخة مرسوم شريف بالمساحمة بالبواقي في ذم الجُند والرعايا بالشام ،  
كُتِبَ به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في شهور سنة آئتين وسبعائة بخط  
السلامة كمال الدين محمد الزمليكانى من إنشائه <sup>(١)</sup> ، وقُرئ على المنبر بالجامع الأموى  
بدمشق المحروسة ، وهى :

الحمد لله الذى وَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ، وَسَمِعَ نَدَاءَ كُلِّ حَيٍّ رَأْفَةً وَحِلْماً ،  
وخصَّ أَيْمَانَنَا الزَاهِرَةَ بِالْإِحْسَانِ فَأُتِجِعَ فِيهَا مَنْ عَدَلَ وَخَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ،  
وَزَانَ دَوْلَتَنَا بِالْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ فَهِيَ تَعْتَدُ الْمَسَاحِمَةَ بِالْأَمْوَالِ الْحَسِيمَةِ غِنًى إِذَا أَعْتَدَتْهَا  
الدُّوْلُ غُرْمًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي عَمَرَتْ رَعَايَانَا بِإِدَامَةِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَعَمَرَتْ مَمَالِكَنَا بِمَا  
تَتَعَاهَدُ بِهِ أَهْلُهَا مِنْ نَشْرِ جَنَاحِ الرَّأْفَةِ عَلَيْهِمْ ، وَخَفَّفَتْ عَنْ أَهْلِ بِلَادِنَا أَثْقَالَ بَوَاقِي  
الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانُوا مَطْلُوبِينَ بِهَا مِنْ خَلْفِهِمْ وَمَنْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَمْ تَزَلْ تَشْفَعُ لِأَهْلِهَا الْعَدْلَ بِالْإِحْسَانِ ، وَتَجْمَعُ لِأَرْبَابِهَا  
بِالرَّأْفَةِ وَالرَّفْقِ أَشْتَاتِ النِّعَمِ الْإِحْسَانِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي جَلَّ  
الْغُمُّهُ ، وَهَدَى الْأُمَمَ ، وَسَنَّ الرَّأْفَةَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَالرَّحْمَةَ ، وَحَثَّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى  
ذَوِي الْعُسْرَةِ لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ بَرَاءَةٍ كُلِّ مَشْغُولِ الذِّمَّةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
الَّذِينَ أَمَرُوا بِالتَّيْسِيرِ ، وَأَقْتَنَعُوا مِنَ الدُّنْيَا بِالتَّيْسِيرِ ، وَأَوْضَحُوا طُرُقَ الْإِحْسَانِ لِسَالِكِيهَا  
فَسَهَّلَ عَلَى الْمُقْتَدِي بِهِمْ فِي الْحَقِّ عَلَى الْأُمَّةِ الصَّعْبُ وَيُسِّرَ الْعَسِيرَ ، صَلَاةً تُدْخِلُ يَوْمَ  
الْحِسَابِ ، وَتُعَدُّ لِلْوَقْتِ الَّذِي إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

(١) نسبة إلى زمليكان وقد ضبطها صاحب القاموس بالسر وضبطها ياقوت في معجمه بالفتح فلعل  
فيها روايتين .



وبعد ، فإن الله تعالى لما خَصَّ أياَمنا الزاهرة بالفتوح التي أنامت الرعايا ، في مهاد أمنها ، وأنالت البرايا ، مواقع يُمْنها ومَنّا ، وكفّت أكَفّ الحوادث عن البلاد وأهلها ، ونشرت عليهم أجنحة البشائر في حزن الأرض وسهائها ، وأعدبت من الطمأنينة مواردَهم ، وعمّت بالدعة والسكون قاطنهم وراحلهم ، وبدلتهم من بعد خوفهم أمنا ، ونوّلتهم باجابة داعي الذب عنهم مِنّا مِنّا ، رأينا أن نُفسّح لهم مجال الدعة والسكون ، وأن لا تنقّع لهم بما كان من أسباب المسار حتى نُتبعها بما يكون ، وأن نُصنّف بالإعفاء من شوائب الأكدار سُرْبهم ، ونؤمّن بالإعفاء عن طلب البواقي التي هي على ظهورهم كالأوزار سُرْبهم ، وأن نشفع العدل فيهم كما أمر الله تعالى بالإحسان إليهم ، ونضع عنهم بوضع هذه الأثقال إضرهم والأغلال التي كانت عليهم ، وأن نُوفر على عمارة البلاد هِمَمهم ، ونبرئ من تبعات هذه الأموال اللازمة لهم ذِمَمهم ، ونريخ من ذلك أسرارهم ، ونطلق من رِبقة الطلب المستمِرّ إسارهم ، ونساحمهم بالأموال التي أهملوها وهي كالأعمال محسوبة عليهم ، ونُعفيهم من الطلب بالبواقي التي نسوها كالأجال وهي مقدّمة بين يديهم ، لتكون بُشراهم بالنصر كامله ، ومسرّتهم بالأمن من كل سبيل شامله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزال برّه عميا ، وفضله لحسن النظر في مصالح رعاياه مُديما - أن تُساح مدينة دمشق المحروسة وسائر الأعمال الشامية بما عليها من البواقي المُساقاة في الدواوين المعمورة إلى المدد المعينة في التذكرة الكريمة المتوّجة بالخط الشريف ، وجملة ذلك من الدراهم ألف<sup>(١)</sup> ألف وسبعمائة ألف وستة وأربعون ألفا ومائة ألف وخمسة وأربعون درهما ، ومن الغلال المنوعة تسعة آلاف وأربعمائة وأثنان وأربعون غمارة ، ومن الحبوب مائتان وثمان وعشرون غمارة ، ومن الغنم

(١) لعله « من الدنانير » وحيث يستقيم الكلام .

نحسائة رأس ، ومن الفولاذ ستمائة وثمانية أرطال ، ومن الزيت ألفان وثلثمائة رطل ، ومن حب الرمان ألف وستمائة رطل .

فليتلقوا هذه النعمة بباع الشكر المديد ، ويستقبلوا هذه المنّة بحمد الله تعالى فإنّ الحمد يستدعي المزيد ، ويرفلوا في أيامنا الزاهرة ، في حلل الأمن الضافية ، ويردوا من نعمنا الباهرة ، مناهل السعد الضافية ، ويقبلوا على مصالحهم بقلوب أزال الأمن فلقها ، وأذهبت هذه المساحة المبرورة فرقها ، ونفوس أمنت المؤاخدة من تلك التبعات بحسابها ، ووثقت بالنجاة في تلك الأموال من شدة طالب يأبى أن يفارق إلا بها ، وليتوفروا على رفع الأدعية الصالحة لأيامنا الزاهرة ، ويتيمنوا بما شملهم من الأمن والمن في دولتنا القاهرة ، فقد تصدقنا بهذه البواقى التي أبقت لنا أجرها وهي أكل ما يقتنى ، وخففت أثقال رعايانا وذلك أجمل ما به يعتنى . وسبيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف اعتماد حكمه ، والوقوف عند حدّه ورسمه ، ويعفى آثار هذا الباقي المذكور بحور رسمه واسمه ، بحيث لا يترك لهذه البواقى المذكورة في أموالنا انتساب ، ولا يبقى لها إلى يوم العرض عرض يُورده ولا حساب ، والخط الشريف شرفه الله تعالى أعلاه حجة بمقتضاه .



وهذه نسخة مساحية بمكوس على جهات مستقبحة بالملكة الطرابلية ، وإبطال المنكرات ، كُتب بها في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » أيضا في شهر سنة سبع عشرة وسبعائة ، وهي :

الحمد لله الذى جعل الدين المحمديّ في أيامنا الشريفة على أثبت عماد ، وأصطفانا لإشادة أركانه وتنفيذ أحكامه بين العباد ، وسمل علينا من إظهار شعائره ما رام

مَنْ كَانَ قَبْلَنَا تَسْهِيلَهُ فَكَانَ عَلَيْهِ صَعَبَ الْإِتْقَادِ ، وَأَذْخَرْنَا مِنْ أَجُورِ نَصْرِهِ أَجَلَ مَا يُذْخِرُ لِيَوْمٍ يَفْتَقَرُ فِيهِ لِصَالِحِ الْإِسْتِعْدَادِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمٍ بَلَّغَتْ مِنْ إِقَامَةِ مَنَارِ الْحَقِّ الْمُرَادِ ، وَأُحْدَثَتْ نَارَ الْبَاطِلِ بِمُظَافِرَتِنَا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَتْ شَدِيدَةَ الْإِتْقَادِ ، وَنَكَّسَتْ رُؤُوسَ الْفَحْشَاءِ فَعَادَتْ عَلَى أَسْتَحْيَاءِ إِلَى مُسْتَسْنَاهَا أَقْبَحَ مَعَادِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ سَطَّرَ فِي صَحَائِفِنَا مِنْ غُرَرِ السَّيْرِ مَا تَبْقَى بِهِجْتِهِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَجِدُّهَا الْعَبْدُ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، وَتَسْرَى أَنْوَارُ هَدْيِهَا فِي الْبَرَايَا فَلَا تَزَالُ آخِذَةً فِي الْإِزْدِيَادِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِالْإِنْدَارِ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ ، وَالْإِعْذَارِ إِلَى مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِشَهَادَةِ الْمَلَائِكِينَ فَأَوْضَحَ لَهُ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ رَدَّ أَهْلَ الرَّدَّةِ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ أَحْسَنَ تَرْدَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَمَّمَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ سَائِرَ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَذَلَ مَالَهُ لِلْجَاهِدِينَ وَنَفْسَهُ لِلْجِهَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَافَعَ عَنِ الْحَقِّ فَلَا بَرَحَ فِي جِدَالٍ عَنْهُ وَفِي جِلَادِ ، صَلَاةٌ تَهْدِي إِلَى السَّدَادِ ، وَتَقُومُ الْمُعْجُجَ وَتُثَقِّفُ الْمِيَادِ ، وَسَلَامٌ تَسْلِمُ كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْدُ مَلَكًا أُمُورَ خَلْقِهِ ، وَبَسَطَ قُدْرَتَنَا فِي التَّصَرُّفِ فِي عِبَادِهِ وَالْمَطَالِبَةِ بِحَقِّهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْنَا الْقِيَامَ بِنُصْرَةِ دِينِهِ ، وَفَهَّمَنَا أَنَّهُ تَعَالَى قَبْضَ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلَائِقِ قَبْضَتَيْنِ فَرَغَبْنَا أَنْ نَكُونَ مِنْ قَبْضَةِ يَمِينِهِ ، وَالْقِيَامَ إِلَيْنَا مِنْ مَقَالِيدِ الْمَمَالِكِ ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْنَا بِتَمْكِينِ الْبَسْطَةِ وَعَدَمِ الْمُشَاقِقِ فِي ذَلِكَ ، وَمَهَّدَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا عَلَى غَيْرِنَا تَوَعَّرَ ، وَأَعَدَّ لَنَا مِنَ النَّصْرِ مَا أَجْرَانَا فِيهِ عَلَى عَوَائِدِ لُطْفِهِ لَا عَنْ مَرَحٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا عَنْ خَدٍّ مُصَعَّرٍ - أَلْهَمْنَا إِعْلَاءَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَإِعْزَازَ الْحَلَالِ وَإِذْلَالَ الْحَرَامِ ، وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَأَنْ لَا نَخْتَارَ عَلَى دَارِ الْآخِرَةِ دَارَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ نَزَلْ نُقِيمِ

للدِّينِ شِعَارًا ، وَنُعْفَى لِلشَّرِّ أَثَارًا ، وَنُعْلِنُ فِي النَّصِيحَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهْرًا وَإِسْرَارًا ، وَنَتَّبِعُ أَثَرَ كَرَمِ نَقْتِفِيهِ ، وَمِمَطُولٍ بِحَقِّهِ نُوفِيهِ ، وَنَعْلَمُ حَقَّ قُرْبَةٍ نُشِيدُهُ ، وَمُخَذُّوْلًا أَسْتَظْهَرِ عَلَيْهِ الْبَاطِلَ نُؤَيِّدُهُ ، وَذَا كُرْبَةٍ نَفْرِجُهَا ، وَغَرِيبَةً فَخْشَاءَ أَسْتَطْرِدُّ مِنْ أَدْوَارِ الْحَقِّ نُخْرِجُهَا ، وَسَنَةً سَيِّئَةً تَسْتَغِيْمُ النُّفُوسَ زَوَالَهَا فَتُجْعَلُهَا هَبَاءً مَنْثُورًا ، وَجَمَلَةً عَظِيمَةً أُسِّسْتُ عَلَى غَيْرِ التَّقْوَى مَبَانِيهَا فَيَحْطِمُهَا كَرْمُنَا فَتُؤْدَى الْجُزْءُ عَنْهَا مَوْفُورًا ، فَاسْتَقْصَيْنَا ذَلِكَ فِي مَمَالِكِنَا الشَّرِيفَةِ مَمْلَكَةً مَمْلَكَةً ، وَأَسْتَطْرَدْنَا فِي إِبْطَالِ كُلِّ فَاحِشَةٍ مُوَبَقَةٍ مُهْلِكَةٍ ، فَعَفَيْنَا مِنْ ذَلِكَ بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَةِ مَا شَاعَ خَبْرُهُ ، وَظَهَرَ بَيْنَ الْأَنْامِ أَثَرُهُ ، وَطُبِّقَتْ بِجَاسَنِهِ الْآفَاقُ ، وَلَهَجَتْ بِهِ أَلْسِنَةُ الدُّعَاةِ وَالرِّفَاقِ : مِنْ مُكُوسٍ أَبْطَلْنَاهَا ، وَجَهَاتٍ سُوءٍ عَطَّلْنَاهَا ، وَمَظَالِمَ رَدَدْنَاهَا إِلَى أَهْلِهَا ، وَزَجَرْنَاهَا عَنْ غِيَّهَا وَجَهْلِهَا ، وَبَوَاقٍ سَاحَنَاهَا وَسَمَخْنَاهَا ، وَطَلِبَاتٍ خَفَّفْنَاهَا عَنِ الْعِبَادِ بِتَرْكِهَا وَأَرْحَنَاهَا ، وَمَعْرُوفٍ أَقْنَاهَا دُطَائِمَهُ ، وَبُيُوتٍ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ أَثَرُنَا مِنْهَا كُلِّ نَائِمَةٍ ، ثُمَّ بَشَّنَا ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَجَنَيْنَا ثَمَرَاتِ النُّصْرَةِ مِنْ شَجَرَاتِ الْعَدْلِ الَّتِي هِيَ بَيْدٌ يَقْطِطُنَا مَغْرُوسَهُ .

وَلَمَّا آتَيْنَا بِمَعْلُومَاتِ الشَّرِيفَةِ أَنَّ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ أَثَارَ سُوءٍ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا ، وَمَوَاطِنَ فِسْقٍ لَا يَقْدِرُ غَيْرُنَا عَلَى دَفْعِ ضَرَرِهَا وَضَرِيرِهَا ، وَمَظَانَّ أَنْامٍ يَجِدُ الشَّيْطَانُ فِيهَا مَجَالًا فَسِيحًا ، وَقُرَى لَا يُوجَدُ بِهَا مِنْ [ كَان ] إِسْلَامُهُ مَقْبُولًا وَلَا مِنْ [ كَان ] دِينُهُ صَحِيحًا ، وَنَحْمُورًا يُتَظَاهَرُ بِهَا ، وَيَتَّصِلُ سَبَبُ الْكِبَائِرِ بِسَبَبِهَا ، وَتُشَاعُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ مُجَهَّرًا ، وَتُبَاعَ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ فَلَا يُوجَدُ لِهَذَا الْمُنْكَرِ مُنْكَرًا ، وَيُحْتَجُّ فِي ذَلِكَ بِمَقَرَّرَاتٍ تُنْتَفَى لَا تُجَدَى نَفْعًا ، وَتَبْقَى فِي يَدِ آخِذِهَا كَانَهَا حَيَّةً تَسْمَى .

ومما أنهى إلينا أن بها حانةٌ عبر عنها بالأفراح قد تطاير شررها، وتفاقم ضررها، وجوهر فيها بالمعاصي، وأذنت لولا حلم الله وإمهاله بزلزلة الصياصي، وغدت لأهل الأهوية مجمعا، ولذوى الفساد مربعا ومرتعا، يتظاهرون فيها بما أمر بستره من القاذورات، ويؤتى بما يجب تجنبه من المحذورات، ويُسْرَل في الأفراح بما يؤدى إلى غضب الجبار، وتهافت النفوس فيها كالفراس على الاقتحام في النار.

ومنها - أن المسجون إذا سُجِن بها أخذ بجميع ما عليه بين السجن وبين الطلب، وإذا أفرج عنه ولو في يومه أنقلب إلى أهله في الحسارة بشر منقلب، فهو لا يجد سرورا بفرجه، ولا يحمد عقي مخرجه.

ومنها - أن بالأطراف القاصية من هذه المملكة قرى سُكَّانها يعرفون بالنصيرية لم يلج الإسلام لهم قلبا، ولا خالط لهم لبًا، ولا أظهروا له بينهم شعارا، ولا أقاموا له منارا، بل يُحَالِفُونَ أحكامه، ويجهلون حلاله وحرامه، ويخالطون ذبائحهم بذبائح المسلمين، ومقابرهم بمقابر أهل الدين، وكل ذلك مما يجب ردُّهم عنه شرعا، ورجوعهم فيه إلى سواء السبيل أصلا وفرعا، فعند ذلك رغبنا أن نفعل في هذه الأمور ما يبقَى ذكره مَفْخَرَةً على ممر الأيام، وتدوم بهجته بدوام دولة الإسلام، ونمحو منه في أيامنا الشريفة ما كان على غيرها به عارا، ونسترجع للحق من الباطل ثوبا طالما كان لديه معارا، وثبتت في سيرة دولتنا الشريفة عوارف لا تزال مع الزمن تُذَكَّر، وتتلو على الأسماع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾.

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال بالمعروف آمرا، وعن المنكر ناهيا وزاجرا، ولامثال أوامر الله تعالى مسارعا ومبادرا - أن يُبْطَل من المعاملات بالمملكة الطرابلسية ما يأتى ذكره :

<p>سجن الأقباب</p> <p>المُحدث بأمر أقباب الديوان المعمور التي كان فلاحو الكورة بطرابلس يعملون بها ثم أعفوا عن العمل وقدر عليه في السنة</p> <p>ل</p>	<p>السجون</p> <p>بالمملكة الطرابلسية خارجا عن سجن طرابلس بحكم أنه أبطل بمرسوم شريف متقدم التاريخ وتقديرها</p> <p>عالم</p>	<p>جهات</p> <p>الأفراح المحذورة بالفتوحات خارجا عما لعله يستقر من ضمان الفرح الخ . وتقديرها</p> <p>للم</p>
<p>حق الديوان</p> <p>بصهيون بطرابلس وقصريون بطرابلس عمن كان معا في حصنها وتقدير متحصل ذلك</p> <p>للم</p>	<p>عفاية الشام</p> <p>بكور طرابلس واقفة والسرون وما معه بحكم أن المذكورين كانوا ثبتوا على المراكز بالبحر فلما شكت المراكز بالعساكر المنصورة قرر على ذلك في السنة</p> <p>عالم</p>	<p>أقباب</p> <p>للأمراء بحكم أن بعض الأمراء كان لهم جهات زرع أقباب وقدروا على بقية فلاحهم العمل بها والقيام بنظيره آخر العمل . وتقدير ذلك</p> <p>للم</p>
<p>المستحدث</p> <p>إقطاعا من بعض الأمراء على الفلاحين مما لم تجربه عادة : من حشيش وملح وضيافة . وتقديره</p> <p>للم</p>	<p>ضمان</p> <p>المشعل بطرابلس مما كان أولا بديوان الشام بالفتوحات ثم استقر بالديوان المعمور في شهور سنة ست عشرة وسبعائة وتقديره</p> <p>للم</p>	<p>هبة الشاة</p> <p>بنواحي الكهف تُشد فيما كان يستأدى من كل مدير وتقدير متحصله</p> <p>للم</p>

فليُطْلَ هذا على مَمَرِ الأزمنة والذهور، إبطالاً باقياً إلى يوم النشور، لا يُطْلَب ولا يُستادى، ولا يَبْلُغُ الشيطانُ في بقائه مُراداً .

ويُقرأ مرسومنا هذا على المنابر ويُشاع، وتُستجَلَبُ لنا منهم الأدعية الصالحة فإنها نِعَمُ المتاع .

وأما النصيرية فليُعمروا في بلادهم بكل قرية مسجداً، ويُطلق له من أرض القرية رُقعة أرض تقومُ به وبمن يكون فيه من القوام بمصالحه على حسب الكفاية، بحيث يستفِرُّ الجَنابُ الفلاني نائب السلطنة بالملكة الطرابلسية والحصون المحروسة ضاعف الله تعالى نعمته من جهته من يثق إليه لإفراد الأراضى وتحديدِها وتسليمها لأئمة المساجد المذكورة، وفصلها عن أراضى المُقطعين وأهل البلاد المذكورة ويعملُ بذلك أوراقاً وتُخَدُّ بالديوان المعمور حتى لا يبقى لأحد من المُقطعين فيها كلام، ويُنادى في المُقطعين وأهل البلاد المذكورة بصورة ما رسمنا به من ذلك .

وكذلك رسمنا أيضاً بمنع النصيرية المذكورين من الخطاب وأن لا يُمكنوا بعد ورود هذا من الخطاب جملةً كافية، وتؤخذ الشهادة على أكابرهم ومشايخ قُرَاهم لئلا يعود أحدٌ منهم إلى التظاهر بالخطاب ومن تظاهر به قُوبِلَ أشدَّ مقابلة .

فلتُعتمد مراسمنا الشريفة ولا يُعدَّلَ عن شيء منها، ولتُجَرِ المملكة الطرابلسية مجرى بقية الممالك المحروسة في عدم التظاهر بالمنكرات، وتعفية آثار الفواحش وإقامة شعائر الدين القويم : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّمَا إِيْمُهُ عَلَى الدِّينِ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بالمساححة في جميع المراكز بما يُستأدى على الأغنام الدغالي الداخلة إلى حلب ، وأن يكون ما يُستخرج من تجار الغنم على الكبار منها خاصة ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، مما كُتب به في شهور سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله ذي المواهب العظيمة ، والعطايا التي لا تُجود بها يد كريمة ، والمِنن التي عَوَضنا منها عن كل شيءٍ بخيرٍ منه قيمة ، والمساححة التي أدخرنا بها عن كل مال حُسْن مآل وبكُل غَنَم غَنِيمه .

نحمده على نِعَمه التي غَدَتْ على كثرة الإنفاق مُقِيمه ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أكرم من سَمَحَ وسامح في أمورٍ عظيمة . صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً مستديمة ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فنندُّ ما كُنَّا الله لم نزل نرغب إليه ، ونعامله بما نهبه له ونربح عليه ، ولم نُبق مملكة من ممالكنا الشريفة حتى ساحتنا فيها بأموال ، وسامينا فيها بنفع أرضها السحب الثقال ، وكانت جهة العِداد بالملكة الحليّة المحروسة مُثَقَلَة الأوزار بما عليها ، مَشْدُودَة النطاق بما يغُلُّ من الطلب يديها ، مما هو على التُّركان بها محسوب ، وإلى عديدهم عدده منسوب ، ونحن نُظَنُّه في جملة ما أسقطته مساحتنا الشريفة وهو منهم مطلوب ، وهو المعروف بالدغالي زائداً على الرؤوس الكبار ، ومعدودا عند الله من الكجائر وهو في حساب الدواوين من الصغار ، فلما اتصل بنا أن هذه المظلمة ما أنجلي عنهم ظلمها ، ولا رُفِعَ من الحساب عنهم قلمها - أكبرنا موقع بقائها ، وعلمنا أنها مدّة مكتوبة لم يكن بُدٌّ من المصير إلى آتقضائها ؛ واستجلبنا قلوب



طوائف التُّركان بها ، وأوثقنا أسبابهم في البلاد بسببها ، لأمرين كلاهما عظيم :  
 لرغبتنا فيما عند الله ولما لهم من حقٍّ ولأئ قديم ، كم صاروا مع الجيوش المنصورة  
 جيوشاً ، وكم ساروا إلى بلاد ملوك الأعداء فقتلوا لهم عروشاً ، وكم كانوا على أعقاب  
 العساكر المؤيدة الإسلامية ردفاً ومقدمتهم في محاصرة جاليشا ، وكم قتلوا بسببهم  
 كافراً وقدموا لهم رماحهم نعوشاً ، ومنهم أمراء وجنود ، ونزولٌ ووُفود ، وهم وإن  
 لم يكونوا أهل خباء فهم أهل عمود ، وذوو أنساب عريقة ، وأحساب حقيقه ،  
 إلى القَبْجاق الخَلَص مرجعهم ، والفُرس بفرسان دولتنا الشريفة تجمعهم - فاقضى  
 رأينا الشريف أن نرعى لهم هذه الحقوق بإبطال تلك الزيادة المرادة ، وأن نتناسى  
 منها ما هو في العدد كالنسيء في الكفر زيادته .

فرسم بالأمر الشريف - لا زالت مواهبه تشمل الآفاق ، وتزيد على الإنفاق ،  
 وتقدم ما ينفد إلى ما هو عند الله باق - أن يُساح جميع التراكين الداخل عدادهم  
 في صَمانِ عِدَادِ التُّركان بالملكة الحلبية المحروسة بما يُستأدى منهم على الأغنام الدغالى ،  
 وأن يكون ما يُستخرج منهم من العدد على الكبار خاصة : وهو عن كل مائة رأس  
 كبار ثلاثة أرؤس كبار خاصة لا غير من غير زيادة على ذلك ، مساحة مستمره ، دائمة  
 مستقره ، باقية بقاء الليالى والأيام ، لا تبدل لها أحكام ، ولا تتغير بتغير حاكم من  
 الحكام ، نرجو أن تُسرَّبها في صحائف أعمالنا يوم العرض ، لا يتأول فيها حساب ،  
 ولا تمتد إليها [يد] حساب ، ولا يبق عليها سبيل للدواوين والكتب ، ولا تُسبب  
 أغنامهم ليرعاها منهم أولئك الذئاب ؛ كلما مرَّ على هذه المساحة زمانٌ أُكِّد أسبابها ،  
 وبيَّض في صحائف الدفاتر حسابها ، لا تُعارض ولا تُناقض ولا يتأول فيها متأول  
 في هذا الزمان ولا فيما بعده من الزمان ، ولا يدخل حُكْمُها في النسيان ، ولا يُنقص  
 أجرها المضمون ، ولا تُطلب أصحاب هذه الدغالى عليها بعداد في قرن من القرون ،

ولا يُستحقَّر بما يُستأدى منها جليلاً ولا حقيراً ، ولا يَسْمَح لنفسه من قال إنها صغيرة  
وهي عند الله كبيرة : لتطيب لأهلها ومن تَسَامَع بما شملهم من إحساننا الشريف  
النفوس ، ولا تُصدِّع لهم بسبب هذا الطَّلَب رؤوس ، فمن تعرَّض في زماننا أمدنا  
الله بالبقاء أو كشف في هذه الصدقة الجارية وجه تأويل ، أو سكن فيها إلى مداومة  
بقليل ، أو طلب من ظالم بعينه مداواة قوله العليل ، فسيجد ما يصح به مثله ،  
ويتوب به مثله ويكون لمن بعده عبرة بمن قدَّم قبله ، ونحن نبرأ إلى الله ممن يتعرَّض  
بعدنا إلى نقضها ، وهذه المسامحة عليه حجتنا التي لا يقدر عند الله على دحضها .

ولتقرأ على المنابر وتعل كمتها ، وتمد في أقطار الأرض كما أمتد السحاب ترجمتها ،  
وسبيل كل واقف عليها من أرباب الأحكام : أصحاب السيوف والأقلام ، ومن  
يتناوب منهم على الدوام ، العمل بما رسمنا به واعتاد ما حكم بموجبه ، بعد الخط  
الشريف شرفه الله تعالى أعلاه . إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثانية — من المسامحات أن تُكتب في قطع العادة مفتحة برسم  
بالأمر الشريف .

وغالب ما يُكتب ذلك للتجار الخواجية بالمسامحة بما يلزمهم من المكوس  
والمقررات السلطانية عن نظير ثمن ما يُبتاع منهم من الممالك .  
والعادة أن يكتب في طرتها « توقيع شريف بمسامحة فلان بما يجب عليه من  
الحقوق الديوانية بالديار المصرية والبلاد الشامية » بحسب ما يرسم له به .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

رسم بالأمر الشريف — لا زال يُتبع السَّاح بمثله ، ويشمل الرعايا كل وقت  
في ممالكه الشريفة بعذله ، ويواصل إليهم رفقته ورفده فلا يبرحون في مهاده من

نِعْمِهِ وَإِسْعَادٍ مِنْ فَضْلِهِ - أَنْ يُسَاحَّ الْمَجْلِسُ السَّامِي (إِلَى آخِرِ الْقَابِ) أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى  
رَفْعَتَهُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقُوقِ الدِّيُونَانِيَّةِ بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، وَسَائِرِ  
الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فِيمَا يَبِيعُهُ وَيَتَبَاعُهُ وَيَتَعَوَّضُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ خَلَا الْمَنْوَعَاتِ :  
صَادِرًا لِغَيْرِهِ أَوْ صَادِرًا وَوَارِدًا ، بِنَظِيرِ الْمَالِكِ الَّذِينَ ابْتَاعَهُمْ بِرِسْمِ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ  
بِكَذَا وَكَذَا أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

فَلْيَعْتَمِدْ هَذَا الْمَرْسُومَ الشَّرِيفَ كُلُّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ وَيَعْمَلُ بِحَسْبِهِ وَمَقْتَضَاهُ ، مِنْ  
غَيْرِ عُدُولٍ عَنْهُ وَلَا نُخُوجٍ عَنْ حُكْمِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ  
حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

\* \*

وهذه نسخة دعاءٍ آخرٍ يفتتح به توقيعُ مسامحةٍ ، وهو : لَزَالَتْ نِعْمُهُ عَمِيمُهُ ، وَسَجَايَاهُ  
كَرِيمُهُ ، وَمَوَاهِبُهُ فِي الْآفَاقِ سَائِرَةً وَفِي الْأَقْطَارِ مُقِيمُهُ ، أَنْ يُسَاحَّ فَلَانٌ بِكَذَا وَكَذَا .  
آخِرُ : لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَحَقُّقُ وَسَائِلَ طَالِبِهَا ، وَأَوَامِرُهُ الْمَطَاعَةُ  
نَافِذَةٌ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، أَنْ يُسَاحَّ فَلَانٌ بِكَذَا وَكَذَا .

قَالَ : وَالْعَادَةُ فِي مَسْتَدَدِ ذَلِكَ أَنَّهُ تُحَضَّرُ بِهِ قَائِمَةٌ مِنْ دِيْوَانِ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ  
فِيُكْتَبُ عَلَيْهَا كَاتِبُ السَّرِّ بِالتَّعْيِينِ ، وَيُحْلَدُّهَا كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ عِنْدَهُ شَاهِدًا لَهُ بِذَلِكَ كَمَا  
فِي غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْمُسْتَنَدَاتِ .

### الضرب الثاني

( مَا يُكْتَبُ عَنْ نَوَابِ السُّلْطَانَةِ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ )

وْغَالِبُ مَا يَكُونُ فِي مَسَامِحَاتِ التِّجَارِ بِمَقَرَّرٍ مَا يَتَبَاعُونَهُ أَوْ يَشْتَرُونَهُ ، أَوْ يَقْدَرُ مَعِيْنٌ  
يَحْصِلُ الْوَقُوفُ عِنْدَهُ ، وَيَعْبَرُ عَمَّا يُكْتَبُ فِيهِ بِالتَّوَاقِعِ كَمَا فِي الْوَلَايَاتِ عِنْدَهُمْ ،  
وَأَكْثَرُ مَا يُفْتَتَحُ بِرِسْمِ بِالْأَمْرِ .

وهذه نسخة مرسوم شريف بمساحة كُتِبَ بها عن نائب الشام في الدولة الناصرية «فرج» لخواجه محمد بن المزلق، وهى :

رسم بالأمر العالى - لا زال قصدُ ذوى الحقوق عنده ناهجا، وإحسانه للمُقَرَّبِ  
إليه مساحا - أن يُسَاحَ الجَناب العالى، الصِّدْرِى، الكَبِيرى، المحترَمى، المؤتمنى،  
الأوحدى، الأكلى، الرئيسى، العارفى، المقرَّبى، الخواجهكى، الشمسى، محمدُ  
الإسلام والمسلمين، شرف الأكارف فى العالمين، أوجد الأمناء المقربين، صدرُ  
الرؤساء، رأس الصُّدور، عينُ الأعيان، كبير الخواجهكيه، سفيرُ الدوله، مؤتمنُ  
الملوك والسلطين: محمدُ بن المزلق، عينُ الخواجهكيه بالملكة الشريفة الشامية المحروسة  
- أدام الله تعالى نعمته - بما يجب عليه من الحقوق الديوانية بالطُّرقاتِ المِصرية،  
وجميع البلاد الشامية المحروسة والركاه بدمشق، وحلب، وطرابلس، وحماة،  
وصفد، وغزّة، وحمص، وبعْلَبك المحروسات، والبروك، والمقطعين، وقطيا،  
مما يبيعه ويتباعه ويتعوضه من جميع الأصناف خلا المنوعات صادرا وواردا،  
ويُمنَّ عليه بقيمة ما يشتريه بما مبلّغه من الدراهم النُقرة الجيدة مائتا ألف درهم،  
ولا يُطالبُ عن ذلك بحقٍّ من الحقوق ولا بمقررٍ من المقررات، مساحةً باقيةً  
مستمرة، دائمة أبداً مستقره، لا ينتقضُ حكمها، ولا يغيرُ رسمُها، لخدمته الدُول  
على اختلافها، وللبالغته فى التقرب بما يُرضى الخواطرَ الكريمة وينفع الناس بما  
يُحضره من أنواع المتاجر وأصنافها، ولاستحقاقه لهذا الإنعام، ولاختصاصه به  
دُون الخاص والعام .

فلتلق ذلك بالحمد والابتهال، والله تعالى يبلّغه من مزيد إنعامنا الآمال، والاعتماد  
فى معناه، على الخط الكريم أعلاه . إن شاء الله تعالى .

## الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة السادسة

( فيما يكتب من الإطلاقات : إما تقريراً لما قرره غيره من الملوك السابقة ، وإما ابتداءً لتقرير ما لم يكن مقرراً قبلاً ، وإما زيادةً على ما هو مقرّر ، وفيه طرفان )

### الطرف الأول

( فيما يكتب عن الأبواب السلطانية ، وهو على ثلاث مراتب )

#### المرتبة الأولى

( ما يكتب فى قطع الثلث مفتوحاً بالحمد لله ، وهو أعلاها )

وهذه نسخة توقيع شريف باستقرار ما أطلقه السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بالديار المصرية للعمريين أعصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كتب به فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله ، وهى :

الحمد لله الذى أبدأ الجميل وأعاده ، وأجرى تكررنا على أجمل عاده ، وقفى بنا آثار الذين أحسنوا الحسنى وزياده .

نحمده على أن جعل جودنا المقدم وإن تأخر أياما ، والمطيب لذكر من تقدم حتى كأنما حاله مثل المسك ختاماً ، والصيب الذى تقدمه من بوادى الغيث قطر ثم استهل هو غماماً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرفع أعلامها ونمنع أن تطمس الليالى لمن جاهد عليها من ملوك الزمان أعلاماً ، ونشهد أن سيدنا محمداً

عبدُه ورسوله الذي هَدَى به إلى أوضح المسالك ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
الذين فتَحُوا من الأرض ما وُعِد أنه سيبُلغُ مُلْكُ أُمَّتِه إلى ما زُوِيَ من ذلك ، وسلم .  
وبعدُ ، فإن أفضل النعم ما قُرِن بالإدامه ، وأعظم الأجور [أجر] من سنِّ سنة  
[حسنة] فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأحسن الحسنات ما رَغِبَت  
السلف الصالح في خلفهم ، وأمرت بأيديهم ما حازوه من ميراث سلفهم ، وكان المولى  
الشهيدُ الملكُ الناصر صلاح الدين ، منقذُ بيت المقدس من المشركين ، أبو المظفر  
يوسفُ بن أيوب - قدس الله روحه - هو الذي كان على قواعد العمرين بانيا ،  
والفاتح لكثير من فتوحات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتوحاً ثانياً ،  
ولما اعلَى الله بمصر دولته المُنيه ، ومحا به من البدع الإسماعيلية عظام كثيره ،  
حبس ناحية « شباس الملح » وما معها جميع ذلك بحده وحدوده وقريبه وبعيده ،  
وعاصره وغاصره ، وأوله وآخره ، على المُقيمين بالحرمين الشريفين من الذرية العمرية ،  
كما قاله في توقيعه الشريف المكتتب بالخط الفاضل عمر الأنام ، وأقتنى بهداه بعده  
من إخواننا الصالحين ملوك الاسلام ، فحددنا لهم هذا التوقيع الشريف تبركاً بالمشاركة  
واستدراك ما فاتنا مع سلفهم الكريم بالإحسان إلى أعقابهم . ومرسومنا أن يُحمَلوا  
على حكم التوقيع الشريف الصَّلاحى وما بعده من تواقع الملوك الكرام ، ولا يُغَيَّر  
عليهم فيه مُغَيَّر من عوائد الإكرام ، ولا يُقبَل فيهم قولُ معترض ولا تتعرَّض إليهم يدُ  
متعرِّض ، ولا يُفَسَّح فيهم لمستعص إن لم يكن رافضاً فإنه برفض حقهم مترفض ،  
وليُعَامِل الله فيهم بما يزيد جدَّهم رضى الله عنه رضا ، ويُحبس تحبيساً ثانياً لولانا  
لِقِيل لمن يُطالب بها كيف يُطالب بشيء مضى مع مَنْ مضى ، ونحن نبرأ إلى الله  
من سعى في نقضها بسبب من الأسباب ، أو مدَّ فيها إلى فتح باب ، أو تأول في حكم  
هذا الكتاب عليهم وقد وافق حكم جدَّهم حكم الكتاب ، وأن لا يُقسَم شيء من ريع

هذه الناحية على غير المقيمين منهم بالحرمين الشريفين . ومن خاف على نفسه في المقام فيهما من كان في أحدهما ثم فارقه على عزم العود إلى مكانه ، وأقام وله حنين إلى أوطانه ، ولم يُلْهِهِ استبدال أرض بأرض وجيران بجيران عن أرضه وجيرانه ، إتباعا لشرطها الأول بمثله ، وآتباعا فيها (؟) فاز مع السابقين الأولين بمزيد فضله .

وليكن النظر فيه لأمثل هذا البيت من المستحقين لهذا الحبس كابرًا عن كابر ، ناظرًا بعد ناظر ، آتباعا للراد الكريم الصلاحى في مرسومه المقدم ، وتفسيرًا لمن لا يفهم ، من غير مشاركة معهم لأحد من الحكام ، لا أرباب السيوف ولا أرباب الأقلام : لنكون نحن ومحبتنا - أثابه الله على هذه الحسنة - متناصرين ، ولتجد البقية التى قد ناصرها ناصرين الناصر الأول منهما بناصرين ، وليحذر من تتبع عليهم تأويلا ، ومن وجد في قلبه مرضًا فأعداهم به تعليلًا ، فما كتبناه لتأويل حصل عليهم ، ولا لتعليل المراسيم الملوكية التى هى في أيديهم ، وإنما هو بمثابة إسجال اتصل من حاكم إلى حاكم ، وسيف جددنا تقليده ليضرب به على يد الظالم ، وجود أعلمنا من يحى أنه على مدى الليالى والأيام ضرب لازم ، وفضل إن تقدمنا إليه من الملوك الكرام حاتم ، فإن كرمنا عليه خاتم ، فقد نبهوا رحمهم الله مكافأة على إحسانهم إلى الذرية العمرية عُمَرًا ، ثم ماتوا وأحالوا على جودنا الحمدي فإنهم بركات من سُمينا باسمه صلى الله عليه وسلم لأنواع الحسنات أسرا . فكان توقعنا هذا لهم بمنزلة الخاتمة الصالحة ، والرحمة التى أربت أوائلها على الغيوث الساخة ، فلقد تداركنا رفق برهم المعلل ، ولحقنا سابق معروفهم فلم نتمهل ، وأعدنا ما بدأوا به من الجميل فتكمل ، وقرنا مراسيمنا المطاعة بعضها ببعض وربما زاد الآخر على الأول ، فأمددناها منه بما لو لم يكن مداده أعز من سواد القلب والبصر لما كان قوة عين لمن يتأمل : ليرتفع عن هذه الناحية وعمر فيها كل كارث كارث ، وي زال عنهم إلا ما يكون من مجددات

الخير خيرٌ حادث ، ويعلم المَلِكُ المتقدِّمان أماننا أن نُعزِّز بثالث . وجميع الثواب والولاء والمتصرفين ، والمصارعين إلى الخيرات ونعوذُ بالله من المتوقِّفين ، ومن يدخلُ في دائرة الأعمال ، وينضمُّ إلى راية العَمال ، فانا نُحذِّره أن يتعرَّض فيها إلى سوء مآل ، أو يردَّ منها يده إلى جيبه بمال ، أو يُشَوِّش على أهلها ما استقاموا على أحسن حال ؛ وإن يحمِّد الله من تقدَّمتنا من الملوك وتَّبِعُوا فيه التوفيق في علاماتهم فإنا نحمِّده وهو أَمَلُّنا ولنا في الغيب آمال ، والله تعالى يجعل هذه الحسنة خالصةً لوجهه الكريم ، معوضةً منه بالثواب العظيم ، واصلهً بالرحمة لريم هذا البيت القديم ، إن شاء الله تعالى ، والاعتماد ... .. .

### المرتبة الثانية

( ما يُفتتح بـ «أما بعد حمد الله» )

وهو على نحو ما تقدَّم في الولايات : إما في قُطْعِ الثلث أو في العادة المنصوريِّ .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى جعل أيماننا مطعماً للسَّعادة ، وجعل لأوليائنا ، من إحساننا الحُسنى وزيادته ، وأضفى حُلَّ بهائنا ، على من لم يجتمع لغيره ما اجتمع له من أوصاف السيَّادة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى شَيَّد الله به مباني الدين الحنيفيَّ ورفع عِمادَه ، ونصر جيوش الإسلام ومهد مهاده ، وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من جعل طاعته ونصرتَه عمدته وأَعْتادَه ، واتخذ مُظافَرته ومؤازرته في كل أمر عتَّاده ، صلاةً مستمرةً على كَرِّ الحديدِ إلى يوم الشَّهادة - فإنَّ أولى من تلحَّظُه دولتنا الشريفةُ في أقبالها بمزيد إقبالها ، وتُعَلِّي قدره إلى غاية



تَقْصُرُ الْأَفْلَاحُ عَنْ إِدْرَاكِ مَنَارِهَا وَبَعْدَ مَنَازِلِهَا<sup>(١)</sup> ، وَتُضَاعِفُ لَهُ أَسْبَابَ الْإِحْسَانِ مِنْ حُسْنِ نَظَرِهَا وَأَشْتِمَالِهَا ، وَتُشَيِّدُ مَبَانِيَ عِزِّهِ فَلَا تَصِلُ يَدُ الزَّمَنِ إِلَى بَعْضِ تَصَرُّمِهَا ، وَتُسَبِّغُ مَلَابِسَ النِّعَمِ عَلَيْهِ فَيَخْتَالُ فِي أَضْفَايَا وَمُعَلِّمِهَا ، وَتُجَدِّدُ مِنْ مَزَايَا جُودِهَا مَا يَحْسُنُ بِهِ الْجَزَاءُ عَمَّا أَسْلَفَهُ مِنْ خِدْمِهَا - مَنْ نَظَرَ فِي مَصَالِحِ أَحْوَالِهَا الْمَنْصُورَةِ فَأَحْسَنَ النَّظَرَ ، وَعَظَّمَ أَنْصَارَهَا بَآرَائِهِ الَّتِي تُشْرِقُ بِهَا وَجُوهُ الْأَيَّامِ إِشْرَاقَ الدَّرَارِيِّ وَالْذَرَرِ ، وَأَضْحَى وَلَهُ فِي الْعَلِيَاءِ الْمَحَلُّ الْأَيْمِلُ ، وَالْمُنَاقِبُ الَّتِي هِيَ كَالنَّهَارِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ، وَالسِّيَادَةُ الَّتِي تَكْسُو الزَّمَانَ حُلَّالَ الْبَهَاءِ فَيَجْزُرُ مِنْهَا عَلَى الْمَجَرَّةِ ذِيلاً ضَافِياً ، وَالْمَآثِرُ الَّتِي لَوْلَا مَا أَحْيَيْتَهُ مِنْ مَعَالِمِ الرَّعَاسَةِ كَانَ طَلَلًا عَافِياً ، مَعَ مَالِهِ مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي تَشْكُرُهَا الْأَيَّامُ وَالْأَيُّامُ ، وَالْخِدْمُ الَّتِي كَمْ بَلَغَ بِخَالِصَتِهِ فِيهَا مِنْ قَصْدٍ وَأَمَلٍ ، وَالسَّجَايَا الَّتِي إِذَا خَلَعَتْ عَلَيْهَا حُلَلًا مِنَ الثَّنَاءِ وَجَدَتْهَا مِنْهُ فِي أَبْهَى الْحُلَلِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَحَلَّى مِنْ هَذَا الثَّنَاءِ بِذَرَّةِ الثَّمِينِ ، وَتَلَقَّى رَايَةَ هَذَا الْمَجْدِ كَمَا تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ ، وَتَنَضَّدَتْ كَوَاكِبُ هَذَا الْمَدْحِ لَتَنْتَظِمَ سِلْكَ الْمَآثِرِ ، وَأَتَسَقَّتْ فَرَائِدُ هَذَا الشُّكْرِ لَتُرْصَعَ عَقُودًا لِمَفَاحِرِهِ - وَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نُجَدِّدَ لَهُ فِي أَيَّامِنَا مَا تَضَاعَفَ بِهِ أَسْبَابُ النِّعَمِ لَدَيْهِ ، وَيَتَحَقَّقَ مِنْهُ إِقْبَالُنَا بِوَجْهِهَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ .

فَلَذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللَّهُ تَعَالَى فِي عِلَالَتِهِ ، وَأَضْفَى عَلَى أَوْلِيَائِهِ حُلَّ آلَائِهِ ، وَأَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ بِوُجُودِهِ رَوْنَقَ بَهَائِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ لِلشَّارِ إِلَيْهِ فِي الشَّهْرِ كَذَا وَكَذَا مُضَافًا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ لَحْمٍ وَتَوَابِلٍ وَعَلِيقٍ عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، فَلْيَتَلَقَّ إِحْسَانُنَا بِيَدِ اسْتِحْقَاقِهَا فِي الْفَضْلِ بَاعٌ شَدِيدٌ ، وَيَتَقَيَّ مِنْهَا بِالْإِقْبَالِ الَّذِي لَا يَزَالُ عِنْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ ، وَيَتَنَاوَلُ مَا قُرَّرَ بِاسْمِهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَسْتِقْبَالِ تَارِيخِهِ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) لعله لارتفاعها وبعد الخ .

## المرتبة الثالثة

( مما يكتب به في الاطلاقات )

أن يُكْتَبَ في قطع العادة مفتتحاً برُسم بالأمر الشريف ، والرسم فيه على نحو ما تقدّم في الولايات ، وهو أن يقال : « رسم بالأمر لا زال ... .. أن يستقر باسم فلان كذا وكذا : لأنه كذا وكذا » ونحو ذلك .

وهذه نسخة توقيع شريف بمرتّب على الفرّنج الجُرْجان الواردين لزيارة القدس أنشأته لشرف الدين قاسم ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال عدله الشريف لمال الفىء بين ذوى الاستحقاق قاسماً ، وفضله العميم لأولى الفضل فى سلك الصّلات ناظماً ، ومعروفه المعروف لمواقع البرّ يؤمّ علماً وبيت غانماً - أن يستقرّ لمجلس القاضى فلان الدين على الفرّنج الجُرْجان الواردين لزيارة قُمامة بالقدس الشريف كذا وكذا : لما أشتمل عليه : من مبین العلم ومّتين العمل وجميل السّيره ، واجتمع لديه : من طيّب الذّكر وجميل الأثر وصفو السّريه ، وإقامته بالمسجد الأقصى الذى هو أحد المساجد الثلاثة التى تُشدّ الرحال إليها ، وإحدى القبليتين المعولّ فى أول الإسلام عليها ، ومجاورة الصّخرة المعظّمة ، والآثار الشريفة والأماكن المكرّمة ، وقيامه بما يجب من الدعاء لدولتنا القاهرة ، والأبتهال إلى الله تعالى بدوام أيّامنا الزاهره .

فليتناول هذا المعلوم مهناً ميسراً ، وليرج من كرمنا الوافر فوق ذلك مظهرها ، وليشهر سلاح دعائه بتلك الأماكن الشريفة على أعداء الله وأعداء الدين ، ويرمهم بسهام الليل التى لا تُخطئ إن شاء الله تعالى الطّغاة المتمرّدين ، فبذلك يستحقّ هذا السّهم من الفىء حقاً ، ويُعدّ من المقاتلة الذّابّين عن الإسلام صدقاً ، وليقيم على جادة

الاستقامة في الدين وليكن مما سوى ذلك برياً ، ويقابل هو ومثله إنعامنا بالشكر  
يتلو عليهم لسان كرمنا فكلوه هنياً مرياً ، والخط الشريف أعلاه ... .. .



وهذه نسخة توقيع شريف أيضا أنشأته باسم بهاء الدين أبي بكر بن غانم كاتب  
الدست الشريف بالشام المحروس باستمرار مرتبه على الفرنج الجرجان الواردين إلى  
نغر الرملة المحروس ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إحسان كرمه يزین بهاء حسنه المكارم ، وكرم  
إحسانه تراكم سحائبه الهاميه فترى بالسيول وتهزأ بالغائم ، وفي نواله يقسم  
في أوليائنا خلفاً بعد سلف فهم من فضله بين غانم وأبن غانم - أن يستقر مرتب  
المجلس السامى ... .. . (١)

(١) لم يذكر الطرف الثاني وهو ما يكتب عن التواب فتنه .

## الباب الثالث

### من المقالة السادسة في الطرخانيات

والمرادُ بها أن يصيرَ الشخصُ مسموحاً له بالخدم السلطانية : يُقيم حيثُ شاء ،  
ويرتحل متى شاء : تارةً بعلوم يتناولُه مجَّاناً، وتارةً بغير معلوم ، وفيه فصلان :

## الفصل الأول

### في طرخانيات أرباب السُّيوف

وأعلم أنَّ الطرخانية تُكتب للأمرء تارةً وللأجناد أخرى، وأكثر ما تُكتب  
لمن كبرت سنُّه وضعُفت قُدْرته وعجزَ عن الخدمة السلطانية .  
وقد جرت العادةُ أن يسمَّى ما يكتب فيها مراسيم ، وهي على ثلاث مراتب :

### المرتبة الأولى

( أن يُفتَحَ المرسوم المكتبُ في ذلك بالحمد لله )

والرسمُ فيه على نحوٍ من الولايات : وهو أن تُستوفى الخطبةُ إلى آخرها ، ثم يقال :  
وبعد ، ثم يقال : ولما كان فلانٌ ونحو ذلك ، ثم يقال : أقتضى رأينا الشريف ،  
ثم يقال : فلذلك رُسِم بالأمر الشريف أن يستقرَّ فلانٌ طرخاناً يتصرَّف على اختياره  
يسيرُ ويُقيم في أيِّ مكان اختاره من بلاد المملكة ، وما يجري مجرى ذلك .

وهذه نسخة مرسوم شريف بطرخانيةٍ لأَمير ، وهي :

الحمدُ لله اللطيف بعباده الرؤوف بخلقه ، المانِّ بفضلِه الغامرِ بجوده الجائد برزقه ،  
المتفضل على العبد : في الصِّبا بصفحه وفي الكُهولة بعفوه وفي الشَّيخوخة بعنقه .

نحمده على أن جبلنا على أصطناع الصنائع ، وخصنا برفع العوائق وقطع القواطع ،  
 وألهمنا عطف النسق وإن كثرت مما سواه التوابع ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده  
 لا شريك له شهادة تسكن الرحمة في قلب قائليها ، وترفع سطوة الغضب عن متحليها  
 في أواخر السطوة وأوائلها ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبي أوعد  
 فعفا ، وأكرم رسول وعد فوفى . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا  
 في المعروف سننه ، ونهجوا في الإحسان إلى الخلق نهجه فكان لهم في رسول الله أسوة  
 حسنة ، صلاة ثقيل العثرات ، وتلو بلسان قبولها ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾  
 وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من رمقته المراحم الشريفة ، بعين عنايتها ، ولحظته العواطف  
 المنيفة ، بلحظ رعايتها ، <sup>(١)</sup> مالا يفارقه ولا يباين ، وأن لا يحط من قدره العالى  
 بسبب ما آتفق إذ كل مقدر كائن ، وأن يصرف اختياره في الإقامة حيث شاء من  
 الممالك المحروسة والمدائن .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال من شيمه السباح ، ومن كرمه بلوغ النجا  
 والنجاح ، ومن نعمه الصفح عن الذنب المتاح ، حتى يحفظ على الأنفس النفيسة  
 الأموال ويريح لها الأرواح ، [ولا يرج يولى] <sup>(٢)</sup> من قسمة المكرمات ما ينسى به الذنب  
 فكأنه كان برقاً أومض ولمح وراح - أن يكون المشار إليه طرخاناً يقيم حيث شاء  
 وأين أراد من البلاد الإسلامية المحروسة معاملاً بمزيد الإكرام والاحترام ، وأوفر  
 العناية والرعاية حسب ما اقتضته المراسيم الشريفة في ذلك عند ما شملته الصدقات  
 العميمة والمراحم الشاملة بالعفو الشريف ، والحكم المنيف ، والإقبال والرضا ،

(١) بياض في الأصل ولعله « من أهله اخلاصه في الخدم لأن يقوم مقام الخ » .

(٢) زدنا هذه الجملة لينتسق الكلام .

والصَّفح عَمَّا مَضَى، لِمَا رَأَيْنَاهُ مِنْ تَرْفِيهِ خَاطِرِهِ، وَقَرَّارِ قَلْبِهِ بِرَفْعِ التَّكْلِيفِ عَنْهُ  
وُقُورَةِ نَاضِرِهِ . وَلِمَا تَخَلَّقَتْ بِهِ أَخْلَاقُنَا، مِنْ التَّيَمُّنِ الَّذِي أَلْبَسَهُ أَثْوَابَ الْأَمَانِ،  
وَجُبِلَتْ عَلَيْهِ طِبَاعُنَا، مِنْ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّاحُونَ بِرَحْمَتِهِمُ الرَّحْمَنُ، وَلِمَا مَهَّدَهُ لَهُ  
عِنْدَنَا اعْتِرَافُهُ الَّذِي هُوَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ أَقْوَى شَفَاعَةٍ، وَلِمَا تَحَقَّقْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ  
ذَلِكَ إِلَّا لَوْفُورِ الطَّاعَةِ الَّتِي أُوجِبَتْ لَهُ الْإِرْهَابُ إِذْ الْهَرَبُ مِنَ الْمُلُوكِ طَاعَهُ، وَكَيْفَ  
لَا وَقَدْ تَيَقَّنَ سُخْطَنَا الشَّرِيفَ وَعَلِمَ، وَخَشِيَ مَهَابَتَنَا الشَّرِيفَةَ وَمَنْ خَافَ سَلِمَ .

فَلْيَتَقَلَّدْ عُقُودَ هَذِهِ الْمِنَّةِ الَّتِي طَوَّقَتْ جِيدَهُ الْجُودَ، وَلْيَشْكُرْ مَوَاقِعَ هَذَا الْحِلْمِ الَّذِي  
سَرَّ وَسَارَ كَالْمَثَلِ السَّائِرِ فِي الْوُجُودِ، وَلْيُقَابِلْ هَذَا الْإِقْبَالَ بِالْإِعْدَاءِ لِأَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ،  
وَلْيَحْظَ بِمَوَاهِبِنَا الْعَمِيمَةِ وَصَدَقَاتِنَا الْبَاهِرَةِ، وَلْيَحِظْ عِلْمًا بِأَنَّ إِحْسَانَنَا الْعَمِيمَ قَدْ  
أَعَادَ إِلَيْهِ مَا أَلْفَهُ مِنَ الْإِسْعَادِ وَالْإِصْعَادِ، وَأَنَّ صَفْحَنَا الشَّرِيفَ قَدْ أَضْرَبَ عَمَّا  
مَضَى وَالْمَاضِيَ لِإِعَادِهِ، فَلْيُتَقَيَّمْ حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْبِلَادِ الْمَحْرُوسَةِ، مَتَفَيِّئًا ظِلَالَ مَوَاهِبِنَا  
الَّتِي يَغْدُو وَسَرَائِرُهَا بِهَا مَأْنُوسُهُ، وَارْدًا بِحَارِ عَطَايَانَا الزَّاهِرَةِ، مُمْتَعًا بِمَلَابِسِ رِضَانَا  
الْفَانِرَةِ، طَيِّبَ الْقَلْبِ مِنْبَسِطِ الْأَمَلِ، مُنْشِرِحَ الصَّدْرِ بِمَا عَمَّهُ مِنَ الْإِنْعَامِ وَشَمْلُ،  
مَرَعَى الْجَنَابِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مَعْظَمَ الْقَدْرِ عَلَى تَوَالِي الْأَزْمَانِ، مَبْتَهَجًا بِغَمْدِ  
مَا عَرَّضَ مِنْ ذَلِكَ التَّقْطِيبِ، مُسْتَبْشِرًا بِإِقْبَالِنَا الَّذِي يَلْدُّ بِهِ عَيْشُهُ وَيَطْيِبُ، وَاللَّهُ  
تَعَالَى يُدِيمُ لَهُ عَوَارِفَنَا الْمُطْلَقَةَ، وَغَمَائِمَ كَرَمِنَا الْمُغْدِقَةِ، وَمَوَاهِبِنَا الَّتِي انْتَشَرَتْ لَهُ  
فِي كُلِّ قُطْرٍ فَهِيَ لِأَنْوَاعِ الْعَطَايَا مُسْتَغْرِقَةٌ، وَمِنْنَنَا الَّتِي تَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُمَا سَارَ وَتُقِيمُ لَدَيْهِ  
أَنْتَى أَقَامَ فَلَا تَزَالُ عِنْدَهُ فَخِيمَةً فِي الْأَمَاكِنِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ  
أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ .

### المرتبة الثانية

( أن يفتتح مرسوم الطرخانية بـ «أما بعد» )

والرسم فيه كما في الولايات أيضا يقال فيه [ أما بعد ] فإن كذا وكذا ، ثم يقال :  
ولما كان كذا وكذا ، اقتضى رأينا الشريف ، ثم يقال : ولذلك رُسم بالأمر  
الشريف ، ويكمل عليه .

وهذه نسخة مرسوم من ذلك ، وهى :

أما بعد حمد الله على نعمه التى أوزعنا بالإحسان إلى عباده أداء شكرها ، وآلائه  
التي ألهمتنا بالتخفيف عن برئته اقتران محامده بذكرها ، ومننه التى وفق بها دولتنا  
الشريفة لأن يكون العدل والإحسان أولى ما أجرته بفكرها ، وأحق ما أمرته  
بذكرها . والصلاة والسلام على رسوله الذى أوضح سبيل المعروف ، وشرع سنن  
العدل المألوف ، ووصفه الله تعالى بالرفقة والرحمة فيه يقتدى كل رحيم وبه ياتم كل  
رؤوف ، وعلى آله وصحبه الذين رفعوا منار العدل لسالكه ، وقربوا منال الفضل  
لأخذه وبينوا الحيف والأشتطاط لتاركه . فإن الله تعالى خص أيامنا الزاهرة  
بتعاهد أهل خدمتنا بالعدل والإحسان ، وتفقد رعايانا بإزالة ما يكدر عليهم موارد  
النعم الحسان ، فلا نزال ننعم النظر فى أمورهم ، ونفيض عام إحساننا على خاصهم  
وجمهورهم ، ليناموا من عدلنا فى مهاد الدعة ، ويبيت ضعيفهم من مراحنا الشريفة  
فى أتم رافة وفقيرهم فى أوفر سعة .

ولما كان فلان ممن توفّر فى الخدمة الشريفة قسمه ، وكبر فى الطاعة سنه ووهن  
عظمه ، وعجزت عن الركوب والنزول حركته ، وذهبت مواقف حربه ولم يبق إلا أن  
تلمس بركته . اقتضى حسن رأى الشريف أن يضاعف إليه الإحسان ، ويعامل  
بوافر البر وجزيل الأمتنان .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - لا زال يُوالى المنن ، ويُولى الأولياء من المعروف  
كلّ جميل حسن - أن يستقرّ المذكور طَرْخَانًا لا يُطَلَّب لخدمة في نهار ولا ليل ،  
ولا يُلَزَم بالقيام بَنَزْكَ<sup>(١)</sup> ولا خيل ، فليُصَصَّ حكم هذه الطَرْخَانِيَّة لا تتأوّل ألسنة الأقلام  
في نصّه ، ولا تتطرق أوهام الأفهام إلى اعتراض ماثبت من إعفائه بنقصه ولا نقصه ،  
وسبيل كل واقف عليه اعتماد مضمونه والوقوف عند حكمه ، والانتهاؤ إلى حدّه  
وأتباع رسمه ، إن شاء الله تعالى .<sup>(٢)</sup>

## الفصل الثاني

### من الباب الثالث من المقالة السادسة

( فيما يكتب في طَرْخَانِيَّات أرباب الأقلام )

وهو قليل نادر قلّ أن يُكْتَب ، وإذا كتب فغالب ما يفتتح برسم ، ويسمى  
ما يكتب فيه تواقع .

وهذه نسخة طَرْخَانِيَّة كُتِب بها عن الملك الناصر محمد بن قلاوون للقاضي  
قُطْب الدين بن المكرم أحد كُتّاب الدّرج الشريف بالأبواب الشريفة ، عند إقامته  
بالبحاز الشريف ، بأن يستقرّ طَرْخَانًا بنصف معلومه الذي كان له على كتابة الدّرج  
الشريف وأن يقيم حيث شاء ، وهي :

رُسِم بالأمر الشريف - لا زال يأمر فُيْطَاع ، ويصل فيعين على الانقطاع ،  
ويُرى على اقتراح الآمل جوده المكرر المكرم فالآمل يقترح ما أستطاع - أن يستقرّ  
للجلس السامي القضائي فلان بن المكرم نفع الله به من معلومه عن كتابة الدرج

(١) النّزك الطعن بالنّزك وهو رخ صغير .

(٢) لم يذكر المرتبة الثالثة ولعلها ما يفتتح برسم بالأمر الشريف .



الشریف الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت النصف من كل شهر ، على  
الأدعية الصالحة لهذه الدولة القاهرة ، ويُقيم حيث شاء ، ثم يستقر ذلك لأولاده  
من بعده ، ثم لأولاد أولاده بالسوية إعانة له على بلوغ قصده ورغائبه ، وأستعانة  
بجاضر الجود دون غائبه ، وإكراماً لجانبه ، وطالب وجه الله تعالى [يعان] على الفوز  
بكنوز مطالبه .

وما كنا لنسمح ببعده عن أبوابنا الشريفة ، ولا نُجيبه لمفارقة ما بيده من وظيفه ،  
لأنه ما يدرك أحد من أبناء عصره مدته ولا نصيفه ، ولديوان إنشائنا جمال بعقود  
كتابته النظمة ومعاني ألفاظه اللطيفة ، وإتباع لإقباله على الآجله ، وإعراضه عن  
العاجله ، وأستيعاب أوقاته بأداء الفريضة والنافله ، أسعفنا سؤاله بالإجابة ، وأعنا  
على الإنابة ، وأجرلنا سئمه من الإحسان فبلغ سئمه الإصا به ، ومن أحسن سبيلا ممن  
أخذ لنفسه قبل الحين ، ونقض يديه من الدنيا فراح بالخير مملوء اليدين ، فنظر إلى  
معاده فأقبل على الله قرير العين ، وها نحن قد كرمناه في وقت واحد بإنشاء ولدَيْن .

فلنشكر لصدقاتنا هذه النعم المتزايدة ، والصّلات العائده ، والإحسان إليه وإلى  
بنيه جملةً واحده ، وليدع لدولتنا القاهرة حين يقوم لله قانتاً ، وحين يقول ناطقاً  
وحيث يفكر صامتاً ، وعند فطره من صومه ، وفي أعقاب الصلوات في ليلته ويومه ،  
وليوصّل إليه هذا المرتب ميسراً لا يكدر مورده بتأخير ، وليصرف إليه مهنأ لا يشان  
طوله بتقصير ، ولا يحوج إلى عناء وطلب ، ولا يلجأ في تناوله إلى كد وتعب ، بل  
يرفه خاطره عما فاز به من حسن المنقلب ، والله تعالى يمدّه بعونه وفضله ، ويُنْجِب  
فرعه ببركة أصله ، والخط الشريف أعلاه حجة فيه ، إن شاء الله تعالى .

## الباب الرابع

### من المقالة السادسة

( فيما يُكتب في التوفيق بين السنين الشمسية [ والقمرية ] المعبر عنه في زماننا  
بتحويل السنين ، وما يُكتب في التذاكر ، وفيه فصلان )

## الفصل الأول

[ فيما يكتب في التوفيق بين السنين ، وفيه طرفان ]

### (١) الطرف الأول

( في بيان أصل ذلك )

اعلم أن استحقاق الحراج [و] جبايته منوطان بالزروع والثمار من حيث إن الحراج من متحصل ذلك يؤخذ ، والزروع والثمار منوطة بالشهور والسنين الشمسية من حيث إن كل نوع منها يظهر في وقت من أوقاتها ملازم له لا يتحول عنه ولا ينتقل للزوم كل شهر منها وقتاً يعينه من صيف أو شتاء أو خريف أو ربيع ؛ واستخراج الحراج في الملة الإسلامية منوط بتاريخ الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وشهوره وسنوه عربية . والشهور العربية تنتقل من وقت إلى وقت ، فربما كان استحقاق الحراج في أول سنة من السنين العربية ، ثم تراخى الحال فيه إلى أن صار استحقاقه في أواخرها ، ثم تراخى حتى صار في السنة الثانية فيصير الحراج منسوباً للسنة السابقة ، واستحقاقه في السنة اللاحقة ، فيحتاج حينئذ إلى تحويل السنة الحراجية السابقة إلى التي بعدها على ما سيأتي ذكره .

(١) الزيادة مأخوذ مما سيأتي له من التقسيم .

قال في "موادّ البيان" : والسبب في انفراج ما بين السنين الشمسية والهلالية أن أيام السنة الشمسية هي المدة التي تقطع الشمس الفلك فيها دفعة واحدة ، وهي ثمانمائة وخمسة وستون يوماً ورُبْع يوم بالتقريب حسب ما توجبه حركتها ، وأيام السنة الهلالية هي المدة التي يقطع القمر الفلك فيها اثنتى عشرة دفعة ، وهي ثمانمائة وأربعة وخمسون يوماً وسُدُس يوم ، فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوماً وسُدُس يوم ، فتكون زيادة السنين الشمسية على السنين الهلالية في كل ثلاث سنين شهراً واحداً وثلاثة أيام ونصف يوم تقريباً . وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنة بالتقريب ، فإذا تبادى الزمان تفاوت ما بين السنين تفاوتاً قبيحاً ، فيرى السلطان عند ذلك أن تُنقل السنة الشمسية إلى السنة الهلالية بالاسم دون الحقيقة توفيقاً بينهما ، وإزالة للشبهة في أمرهما ، ومتى أوعز بذلك لم يقف على الغرض فيه إلا الخاصة دون العامة ، وأسرع إلى ظنّ المعاملين وأرباب الخراج والأملك أن ذلك عائدٌ عليهم بظلم وحيف ، وإلى ظنّ مستحقّ الإقطاع أنه متقصّص لهم ، ونسبوا الجور إلى السلطان بسبب ذلك وشنعوا عليه ، فرسم بُلغاء الكتاب في هذا المعنى رسوماً تعود بتفهم الغي ، وتبصير العمى ، وتوصل المعنى المراد إلى الكافة إيصالاً يتساوون في تصديقه وتيقنه ، ولا تتوجه عليهم شبهة ولا شك فيه .

قلت : وقد ذكر أبو هلال العسكري في الأوائل : أن أول من أخر النيروز المتوكل على الله أحد خلفاء بني العباس ، وذلك أنه بينما هو يطوف في متصيد له إذ رأى زرعاً أخضر ، فقال : قد استأذني عبيد الله بن يحيى في فتح الخراج وأرى الزرع أخضر ، فقليل له : إن جباية الخراج الآن قد تضرّ بالناس إذ تلجئهم إلى أنهم يقترضون ما يؤدّون في الخراج ، فقال : أهذا شيء حدث أو لم يزل كذا ، فقليل له : بل حدث ، وعرف أن الشمس تقطع الفلك في ثمانمائة وخمسة وستين يوماً ورُبْع يوم ،

وَأَنَّ الرُّومَ تَكْبِسُ فِي كُلِّ أَرْبَعِ سِنِينَ يَوْمًا فَيَطْرَحُونَهُ مِنَ الْعَدَدِ ، فَيَجْعَلُونَ شَبَاطَ ثَلَاثِ سِنِينَ مَتَوَالِيَاتٍ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا . وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ يَنْجِرُ مِنْ ذَلِكَ الرَّبْعِ الْيَوْمِ يَوْمٌ تَامٌ ، فَيَصِيرُ شَبَاطُ تِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَيُسَمُّونَ تِلْكَ السَّنَةَ الْكَيْسَةَ . وَكَانَتِ الْفَرَسُ تَكْبِسُ لِلْفَضْلِ الَّذِي بَيْنَ سِنِيهَا وَبَيْنَ سَنَةِ الشَّمْسِ فِي كُلِّ مِائَةِ وَسِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً شَهْرًا ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ عَطَّلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَأَضْرَبَ النَّاسُ ذَلِكَ ، وَجَاءَ زَمَنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاجْتَمَعَ الدَّهَاقَةُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ وَشَرَحُوا لَهُ ذَلِكَ ( وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَأَضْرَبَ النَّاسُ ذَلِكَ ) <sup>(١)</sup> ، وَقَدْ سَأَلُوهُ أَنْ يُؤَنِّرَ إِلَيْهِ [فَأَرْسَلَ] <sup>(٢)</sup> الْكُتُبَ إِلَى هِشَامٍ سَرًّا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ هِشَامُ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ .

فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الرَّشِيدِ اجْتَمَعُوا إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ، وَسَأَلُوهُ فِي تَأْخِيرِ النَّيْرُوزِ نَحْوَ شَهْرِ فَعَزَمَ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَكَلَّمَ أَعْدَاؤُهُ فِيهِ وَقَالُوا : تَعْصَبُ لِلْمَجُوسِيَّةِ ، فَأَضْرَبَ عَنْهُ فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ ، فَأَحْضَرَ الْمُتَوَكِّلُ حِينَئِذٍ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَنْهُ كِتَابًا فِي تَأْخِيرِ النَّيْرُوزِ بَعْدَ أَنْ تُحْسَبَ الْأَيَّامُ ، فَوَقَعَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى أَنْ يُؤَنِّرَ إِلَى سَبْعَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا مِنْ حَزِيرَانَ ، فَكَتَبَ الْكِتَابَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ الْعَسْكَرِيُّ : وَهُوَ كِتَابٌ مَشْهُورٌ فِي رِسَائِلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ قُتِلَ الْمُتَوَكِّلُ قَبْلَ دُخُولِ السَّنَةِ الْحَدِيدَةِ ، وَوَلِيَ الْمُتَصِرُّوْا حَتَّىجَ إِلَى الْمَالِ فَطُوْلِبَ بِهِ النَّاسُ عَلَى الرَّسْمِ الْأَوَّلِ ، وَانْتَقَضَ مَارِسَمُهُ الْمُتَوَكِّلُ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ حَتَّى وَلِيَ الْمُعْتَصِدُ ، فَقَالَ لَعَلِّي بَنِي يَحْيَى الْمُنْجِمُ : تَذَكَّرُ ضَجِيجَ النَّاسِ مِنْ أَمْرِ الْخَرَاجِ فَكَيْفَ جَعَلَتِ الْفُرْسُ مَعَ حِكْمَتِهَا وَحُسْنِ سِيرَتِهَا أَفْتَتَاحَ الْخَرَاجِ فِي وَقْتٍ مَالًا يَتِمَكَّنُ النَّاسُ مِنْ أَدَائِهِ فِيهِ ؟ فَشَرَحَ لَهُ أَمْرَهُ ، وَقَالَ :

(١) لعل ما بين القوسين مكرر من قلم الناسخ .

(٢) بياض في الأصل بقدر كلمة .

ينبغي أن يُردَّ إلى وقته ، ويلزم يوما من أيام الروم فلا يقع فيه تغيُّر ، فقال له المعتضد سرُّ إلى عبيد الله بن سليمان فوافقه على ذلك ، فصرت إليه ووافقته ، وحسبنا حسابه فوقع في اليوم الحادى عشر من حزيران ، فأحكيم أمره على ذلك ، وأثبت في الدواوين ، وكان النيروز الفارسيّ إذ ذاك يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وثمانين ومائتين . ومن شهور الروم الحادى عشر من نيسان .

وقد قال أبو الحسين عليّ بن الحسين الكاتب رحمه الله : عَهِدْتُ جباية الخراج في سنين قبل سنة إحدى وأربعين ومائتين في خلافة أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله عليه تجرى لكل سنة في السنة التي بعدها بسبب تأخر الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة أحد عشر يوما ورُبْعَ يوم وزيادة الكسر عليه ، فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، كان قد آنقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة ، أوطن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمه الله عليه ، واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة : وهي ثلثائة وخمسة وستون يوما ورُبْعَ يوم وزيادة الكسر ، وتبيها إدراك غلات وثمار سنة إحدى وأربعين ومائتين في صدر سنة اثنتين وأربعين [ومائتين] ، فأمر أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله عليه بالغاء ذكر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، إذ كانت قد آنقضت ونُسب الخراج إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

قال صاحب "المنهاج في صناعة الخراج" : ولما نُقِلَت سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سنة اثنتين وأربعين ، جَبَى أصحاب الدواوين الجوالي والصدقات لستى إحدى واثنتين وأربعين ومائتين في وقت واحد ، لأن الجوالي بسر من رأى ومدينة السلام ومضافاتهما كانت تُجْبَى على شهور الأهلة ، وما كان عن جماجم أهل القرى

والضِّياع والمستغلات كانت تُجْبَى على شهور الشمس ، وأُلْزِمَ أهلُ الجِوَالِي خاصَّةً<sup>(١)</sup> في مدة الثلاثِ وثلاثين سنة ، ورفعها العُمَالُ في حُسْبَانَاتِهِمْ فاجتمع من ذلك أُلُوفُ أُلُوفٍ دراهم ، فحُزَّتْ الأَعْمَالُ بعد نقل المتوَكَّل على ذلك سنةً بعد سنة ، إلى أنْ انْقَضَتْ ثلاثٌ وثلاثون سنةً آخِرَتُنْ انْقِضَاءُ سنة أربع وسبعين ومائتين ؛ فلم يُنَبِّهْ كُتَّابُ أمير المؤمنين : المعتمدِ على الله رحمة الله عليه على ذلك ، إذ كان رؤسائهم في ذلك الوقتِ إسماعيل بن بُلَيْل وبنو الفُرات ، ولم يكونوا عَمِلُوا في ديوانِ الخِراج والضِّياع في خلافة أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله ، ولا كانت أسنانهم أسنانًا بلغت معرفتهم معها هذا النَقْل ، بل كان مولدُ أحمد بن محمد بن الفُرات قبل هذه السنة بخمس سنين ، ومولِدُ عليٍّ أخيه فيها ؛ وكان إسماعيل يتعلَّم في مجلسٍ لم يبلغْ أنْ يَنْسَخَ ، فلما تَقَلَّدَتْ لناصر الدين رحمة الله عليه أعمالَ الضِّياع بقُزوين ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين ، وكان مقيمًا بأَذْرَبِجَان ، وخليفته بالجليل والقرى جرادة بن محمد ، وأحمد بن محمد كاتبه ، واحتجَّتْ إلى رفع جماعتي إليه - ترجمتها بجماعة [سنة] ست وسبعين ومائتين [ التي أدركت غلاتها وثمارها في سنة سبع وسبعين ومائتين ]<sup>(٢)</sup> ، ووجب إلغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين ؛ فلما وَقَفَا على هذه الترجمة أنكرها وسألاني عن السبب فيها فشرحتُ لهما ، ووَكَّدْتُ ذلك بأن عَرَفْتُهُمَا أني قد أَسْتَخْرِجُ حسابَ السنين الشمسية والسنين القمرية من انقضاء [بعد] ما عرضته على أصحاب التفسير ، فذكروا أنه لم يَأْتِ فيه شيء من الأثر ، فكان ذلك أَوْكَدَ

(١) عبارة المقرئ ج ١ ص ٢٧٦ « وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فألزم أهل الذمة خاصة بالجوالي ورفعها الخ » وهي أوضح .

(٢) الزيادة من "المواعظ والاعتبار" للمقرئ ج ١ ص ٢٧٦ وقد اعتمداها في كثير من التصحيف في هذا الموضع .

في لطف استخراجي : وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ . فلم أجد أحداً من المفسرين عرّف ما معنى ' وازدادوا تسعاً ' ، وإنما خاطب الله جل وعز نبيه بكلام العرب وما تعرّفه من الحساب ؛ فمعنى هذه التسع أن الثلاثمائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية ، فإذا أضيف إلى الثلاثمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية [صحيحة] فاستحسنناه ؛ فلما انصرف جرادة مع الناصر رحمة الله عليه إلى مدينة السلام وتوفي الناصر رضوان الله عليه وتقلد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان رحمه الله كتابة أمير المؤمنين : المعتضد بالله صلوات الله عليه ، أجرى له جرادة ذكر هذا النقل ، وشرح له سببه : تقرّباً إليه ، وطعناً على أبي القاسم عبيد الله رحمه الله في تأخيره إياه .

فلما وقف المعتضد بالله رحمه الله على ذلك تقدّم إلى أبي القاسم بإنشاء الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ، فكتب ، وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ، ثم مضت السنون سنة بعد سنة إلى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة أولاهن السنة التي كان النقل وجب فيها : وهي سنة خمس وسبعين ومائتين ، وآخرهن انقضاء سنة سبع وثلاثمائة ، فوافق ذلك خلافة المطيع لله في وزارة أبي محمد المهلب ، فأمر بنقل سنة ست وثلاثمائة إلى سنة سبع وثلاثمائة ، ونسبة الخراج إليها فنقلت ، وأمر بالكتابة بذلك من ديوان الانشاء فكتب به .

وقد حكى أبو الحسين هلال بن المحسن بن أبي إسحق إبراهيم الصابى عن أبيه أنه قال : لما أراد الوزير أبو محمد المهلب نقل السنة أمر أبا إسحق والدى وغيره من كتابه في الخراج والرسائل بإنشاء كتاب عن المطيع لله رحمه الله عليه في هذا المعنى ، وكلّ منهم كتب ، وعرضت النسخ على الوزير أبي محمد فاختر منها كتاب والدى

وتقدم بأن يُكتب إلى أصحاب الأطراف . وقال لأبي الفرج بن أبي هاشم خليفته :  
 اكتب إلى العمال بذلك كتباً مخففة ، وأنسخ في أواخر [ها] هذا الكتاب السلطاني  
 فغاط أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب والدي ، وقد كان عمل نسخة  
 أطرح في جملة ما أطرح ، وكتب : « قد رأينا نقل سنة خمسين [ إلى إحدى  
 وخمسين ] فاعمل على ذلك » ولم ينسخ الكتاب السلطاني ، وعرف الوزير أبو محمد  
 ما كتب به أبو الفرج ، فقال له : لماذا أغفلت نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتاب  
 إلى العمال وإثباته في الديوان ؟ فأجاب جواباً علل فيه ، فقال له يا أبا الفرج : ما تركت  
 ذلك إلا حسداً لأبي إسحق على كتابه ، وهو والله في هذا الفن أكتب أهل زمانه .

قال صاحب "المنهاج في صنعة الخراج" : وقد كان نقل السنين في الديار المصرية  
 [ أغفل ]<sup>(٣)</sup> حتى كانت سنة تسع وتسعين وأربعمائة الهلالية فنقلت سنة تسع وتسعين  
 الخراجية إلى سنة إحدى وخمسمائة فيما رأيته في تعليقات أبي . قال : وآخر ما نقلت  
 السنة في وقتنا هذا أن نقلت سنة خمس وستين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين  
 وخمسمائة الهلالية ، فتطابقت السنتان . وذلك أني لما قلت للقاضي الفاضل عبد الرحيم  
 البيساني : إنه قد آن نقل السنة ، أنشأ سجلاً بنقلها نسخ في الدواوين ، وحمل  
 الأمر على حكمه ، ثم قال : وما برح الملوك والوزراء يعنون بنقل السنين في أحيانها ،  
 ومطابقة العاميين في أول زمان اختلافيهما بالبعد وتقارب اتفاقيهما بالنقل .

قلت : والحاصل أنه إذا مضى ثلاث وثلاثون سنة من آخر السنة ، حوت  
 السنة الثالثة والثلاثون إلى تلو السنة التي بعدها ، وهي الخامسة والثلاثون ، وتلغى

(١) في المقرئ « هشام » .

(٢) الزيادة من المقرئ ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) من المقرئ ص ٢٧٦ - ج ١ .



الرابعة والثلاثون ؛ ومقتضى البناء على التحويل الذى كان فى خلافة المطيع فى سنة سبع وثلاثمائة المقدم ذكره أن تحوّل سنة سبع وثلاثمائة إلى سنة تسع وثلاثمائة ؛ ثم تحوّل سنة أربعين وثلاثمائة إلى اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، وتلغى سنة إحدى وأربعين ؛ ثم تحوّل سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة إلى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وتلغى سنة أربع وسبعين ؛ ثم تحوّل سنة ست وأربعين وثلاثمائة إلى سنة ثمان وأربعين ، وتلغى سنة سبع ؛ ثم تحوّل سنة تسع وثلاثين وأربعين وثلاثمائة إلى سنة إحدى وأربعين وأربعين ، وتلغى سنة أربعين ؛ ثم تحوّل سنة اثنتين وسبعين وأربعين وثلاثمائة إلى سنة أربع وسبعين وأربعين ، وتلغى سنة ثلاث وسبعين ؛ ثم تحوّل سنة خمس وخمسمائة إلى سنة سبع وخمسمائة ، وتلغى سنة ثلاث وسبعين ؛ لكن قد تقدّم من كلام صاحب ”المنهاج فى صناعة الخراج“ أن التحويل كان تأخر بالديار المصرية إلى آخر سنة تسع وتسعين وأربعين ، فحوّلت سنة تسع وتسعين الخراجية إلى سنة إحدى وخمسمائة ؛ فيكون التحويل بالديار المصرية قد وقع قبل استحقاقه بمقتضى الترتيب المقدم ذكره بست سنين من حيث إنه كان المستحقّ مغلّ سنة خمس وخمسمائة إلى سنة سبع وخمسمائة كما تقدّم ، فنقلت سنة تسع وتسعين وأربعين وثلاثمائة إلى سنة إحدى وخمسمائة . والأمر فى ذلك قريبٌ إذ التحويل على التقريب دون التحديد .

ثم مقتضى ترتيب التحويل الرابع فى الديار المصرية بعد تحويل سنة تسع وتسعين وأربعين إلى سنة إحدى وخمسمائة أن تحوّل بعد ذلك سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة إلى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، وتلغى سنة ثلاث وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة خمس وستين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وتلغى سنة ست وستين ؛ ثم تحوّل سنة ثمان وتسعين وخمسمائة إلى سنة ستائة ، وتلغى سنة تسع وتسعين وخمسمائة ؛ ثم تحوّل سنة إحدى وثلاثين وستائة إلى سنة ثلاث وثلاثين وستائة ، وتلغى سنة

أثنتين وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة أربع وستين وستمائة إلى سنة ست وستين وستمائة ،  
وتلغى سنة خمس وستين ؛ ثم تحوّل سنة سبع وتسعين وستمائة إلى سنة تسع وتسعين  
وستمائة ، وتلغى سنة ثمان وتسعين ؛ ثم تحوّل سنة سبعمائة وثلاثين إلى سنة سبعمائة  
وأثنتين وثلاثين ، وتلغى سنة إحدى وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة ثلاث وستين وسبعمائة  
إلى سنة خمس وستين وسبعمائة ، وتلغى سنة أربع وستين وسبعمائة ؛ وتحوّل سنة  
ست وتسعين وسبعمائة إلى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، وتلغى سنة سبع وتسعين ؛  
ثم لا يكون تحويل إلى سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، فتحوّل إلى سنة إحدى وثلاثين  
وثمانمائة ، لكن قد حوّل كُتّاب الدواوين بالديار المصرية وأرباب الدولة بها سنة  
تسع وأربعين وسبعمائة : (وهي سنة الطاعون الجارف العام) إلى سنة إحدى وخمسين  
وسبعمائة ، وألغوا سنة خمسين . وكان يقال : مات في تلك السنة كل شيء حتى  
السنة ، وسيأتى ذكر المرسوم المكتتب بها في تحويل السنين في هذه المقالة ،  
إن شاء الله تعالى .

ونقل ذلك لتأخير وقع من إغفال تحويل سنة سبعمائة وثلاثين المتقدمة الذكر ،  
(١)  
وآخر سنة حوّلت في زماننا سنة ... .. .

(١) بياض في الأصل .

## الطرف الثاني

( في صورة ما يُكتب في تحويل السنين ، وهو على نوعين )

### النوع الأول

( ما كان يكتب في ذلك عن الخلفاء ، وفيه مذهبان )

### المذهب الأول

( أن يُفتح ما يكتب به «أما بعد» )

وعلى ذلك كان يكتب من ديوان الخلافة ببغداد .

وهذه نسخة ما ذكر أبو الحسين بن علي الكاتب المتقدم ذكره أنه كتب به في ذلك في نقل سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين في خلافة المعتضد بالله أمير المؤمنين ، وهي :

أما بعد ، فإن أولى ما صرف إليه أمير المؤمنين عنايته ، وأعمل فيه فكره ورويته ، وشغل به تفقده ورعايته ، أمر النعمان الذي خصه الله به وألزمه جمعه وتوفيره ، وحياطته وتكثيره ، وجعله عماد الدين ، وقوام أمر المسلمين ، وفيما يُصرف منه إلى إعطيات الأولياء والجنود ، ومن يُستعان به لتحصيل البيضة والذئب عن الحرم ، وحج البيت ، وجهاد العدو ، وسد الثغور ، وأمن السبل ، وحقن الدماء ، وإصلاح ذات البين . وأمير المؤمنين يسأل الله راغباً إليه ، ومتوكلاً عليه ، أن يُحسن عونَه على ما حمله منه ، ويُديم توفيقه لما أرضاه ، وإرشاده إلى ما يقضي عنه وله .

وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان يجري عليه أمر جباية هذا النعمان في خلافة آباءه الراشدين فوجده على حسب ما كان يدرك من الغلات والثمار في كل سنة أولاً

أولاً على مجارى شهور سنَى الشمسِ فى النُّجوم التى يَحِلُّ مألُ كلِّ صنف منها فيها ،  
ووجدَ شُهورَ السنة الشمسية تتأخَّر عن شهور السنة الهلالية أحدَ عشر يوماً ورُبعا  
وزيادةً عليه ، ويكونُ إدراكُ الغلات والثَّمار فى كلِّ سنة بحسَب تأخُّرها .

فلا تَزَالُ السَّنُونُ تَمْضِي على ذلك سنةً بعد سنةٍ حتى تَقْضِي منها ثلاثٌ وثلاثون  
سنةً وتكونُ عدَّةُ الأيام المتأخِّرة منها أيامَ سنةٍ شمسيةٍ كاملةً ، وهى ثلاثمائة وخمسة  
وستون يوماً ورُبْعَ يومٍ وزيادةً عليه ، فحينئذٍ يَتِمُّ بِمَشِيئةِ الله وقُدْرَتِهِ إدراكُ الغلات  
التي تجرى عليها الضرائبُ والطُّسوقُ فى آسْتِقْبالِ المحَرَّمِ من سِنَى الأَهْلِةِ . ويجبُ مع  
ذلك إلغاءُ ذِكْرِ السنةِ الخارجةِ إذ كانت قد انْقَضَتْ ونُسِبَتْها إلى السنةِ التي أدركتِ  
الغلات والثَّمار فيها . وإِنَّه وَجَدَ ذلك قد كان وقعَ فى أيامِ أمير المؤمنين المتوَكِّلِ على الله  
رحمة الله عليه عند انْقِضاءِ ثلاثٍ وثلاثين سنةً ، آخِرَتْهُنَّ سنةٌ إحدى وأربعين ومائتين ،  
فاستُغْنِيَ عن ذكرها بالغائِها ونُسِبَتْها إلى سنةِ اثنتين وأربعين ومائتين ، فخرتِ  
المكتاباتُ والحُسبانُ وسائرُ الأعمالِ بعد ذلك سنةً بعد سنةٍ إلى أن مضت ثلاثٌ  
وثلاثون سنةً ، آخِرَتْهُنَّ انْقِضاءُ سنةٍ أربع وسبعين ومائتين ، [ووجب إنشاء الكتب  
(١)  
بإلغاء ذِكْرِ سنةٍ أربع وسبعين ومائتين ] ونُسِبَتْها إلى سنةٍ خمس وسبعين ومائتين .  
فذهب ذلك على كُتَّابِ أمير المؤمنين [ المعتمدِ على الله وتأخَّر الأمرُ أربع سنين إلى  
أن أمر أمير المؤمنين ] المعتضدُ بالله رحمه الله فى سنةٍ سبع وسبعين ومائتين بنقل  
خَراجِ سنةٍ ثمان وسبعين ومائتين إلى سنةٍ تسع وسبعين ومائتين ، فخرى الأمرُ على  
ذلك إلى أن انْقَضَتْ فى هذا الوقت ثلاثٌ وثلاثون سنةً : أولاهنَّ السنةُ التي كان  
يجب نقلُها فيها ، وهى سنةٍ خمس وسبعين ومائتين ، وآخِرَتْهُنَّ انْقِضاءُ شُهورِ خَراجِ  
سنةٍ سبعٍ وثلاثمائة ؛ ووجب افتتاحُ خَراجِ ما تجرى عليه الضرائبُ والطُّسوقُ فى أولها

(١) الزيادة من المقرري ص ٢٧٧ ج ١ وهى لازمة لاستقامة الكلام .

[وإن] من صواب التدبير واستقامة الأعمال ، واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج لسنة سبع وثلاثمائة إلى سنة ثمان وثلاثمائة ، فرأى أمير المؤمنين (لما) يلزمه نفسه ويؤاخذها به ، من العناية بهذا الفء وحياطة أسبابه ، وإجرائها مجاريها ، وسؤلك سبيل آباءه الراشدين رحمة الله عليهم فيها ،) أن يكتب إليك وإلى سائر العمال في النواحي بالعمل على ذلك ، وأن يكون ما يصدر [إليك] من الكتب وتصدرونه عنكم وتجري عليه أعمالكم ورؤوسكم وحساباتكم وسائر مناظراتكم على هذا النقل .

فأعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأعمل به مستشعرا فيه وفي كل ما تضيئه تقوى الله وطاعته ، ومستعملا [عليه] ثقات الأعوان وكفائهم ، مشرفا عليهم ومقوما لهم ، واكتب بما يكون منك في ذلك ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة ما كتب به أبو إسحق الصابي عن المطيع لله بنقل سنة ست وثلاثمائة<sup>(١)</sup> إلى سنة سبع وثلاثمائة ، وهى :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لا يزال مجتهدا في مصالح المسلمين ، وباعثا لهم على مرشد الدنيا والدين ، ومهيئا لهم إلى أحسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون ، وأصوب الرأي فيما يبرمون وينقضون ، فلا تلوح له خلة داخلية على أمورهم إلا سدها وتلافها [ولا حال عائدة بحظ عليهم إلا اعتمدها وأتاها]<sup>(٢)</sup> ولا سنة عادلة إلا أخذهم بإقامة رسمها ، وإمضاء حكمها ، والاقتداء بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع لها ، وإذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها ، وتجهله العامة بقصور أفهامها ، وكانت أوامرهم فيه خارجة إليك وإلى أمثالك من أعيان رجاله ، وأمائل

(١) صوابه « بنقل سنة خمسين وثلاثمائة إلى إحدى وخمسين وثلاثمائة » كما يفيد نص الكتاب بعد اه .

(٢) الزيادة من « رسائل الصابي » ص ٢٠٩ ومن المقرئ ص ٢٧٨ ج ١ .

عَمَّالَهُ ، الذين يَكْتَفُونَ بالإِشارَةِ ، وَيَجْتَزُّونَ بِسِيرِ الإِبَانَةِ وَالْعِبَارَةِ ، لَمْ يَدَّعُ أَنْ يَبْلُغَ مِنْ تَلْخِيصِ اللَّفْظِ وَإِيضَاحِ الْمَعْنَى إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يُلْحِقُ الْمُتَأَخِّرَ بِالْمُقَدِّمِ ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ الْعَالَمِ وَالْمَتَعَلِّمِ ، وَلَا سِيَّما إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَعَامِلَاتِ الرِّعْيَةِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ إِلَّا الظَّوَاهِرَ الْجَلِيَّةَ دُونَ الْبَوَاطِنِ الْخَفِيَّةِ ، وَلَا يَسْتَمَلُّ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالَ عَنْ الْعَادَاتِ الْمُتَكَرِّرَةِ ، إِلَى الرُّسُومِ الْمُتَغَيِّرَةِ ، لِيَكُونَ الْقَوْلُ بِالْمَشْرُوحِ لِمَنْ بَرَزَ فِي الْمَعْرِفَةِ مَذَكِّراً ، وَلِمَنْ تَأَخَّرَ فِيهَا مَبْصِراً ، وَلِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تُنَمَّعَ هَذِهِ الطَّبَقَةُ مِنْ بَرْدِ الْيَقِينِ فِي صُدُورِهَا ، وَلَا أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَى الْأَمْحَةِ الدَّالَّةِ فِي مَخَاطَبَةِ جُمْهُورِهَا ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ الْأَقْدَامُ بِطَوَائِفِ النَّاسِ فِي فَهْمِ مَا أُمِرُوا بِهِ وَفَقِهِ مَا دُعُوا إِلَيْهِ وَصَارُوا فِيهِ عَلَى كَلِمَةٍ سِوَا لَا يَعْتَرِضُهُمْ شَكُّ الشَّاكِّينَ وَلَا اسْتِرَابَةُ الْمُسْتَرِيبِينَ ، أَطْمَأْنَنْتْ قُلُوبُهُمْ ، وَأَنْشَرَحَتْ صُدُورُهُمْ ، وَسَقَطَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ ، وَاسْتَمَرَ الْإِتِّفَاقُ فِيهِمْ ، وَاسْتَقْبَلُوا أَنَّهُمْ مَسُوسُونَ عَلَى اسْتِقَامَةٍ مِنَ الْمِنْهَاجِ ، وَمَحْرُوسُونَ مِنْ جَرَائِرِ الزَّيْغِ وَالْأَعْوَجَاجِ ، فَكَانَ الْإِنْقِيَادُ مِنْهُمْ وَهُمْ دَارُونَ عَالِمُونَ ، لَا مَقْلَدُونَ مُسَلِّمُونَ ، وَطَائِعُونَ مُخْتَارُونَ ، لَا مُكْرَهُونَ وَلَا مُجْبَرُونَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَعِذُّ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَغْرَاضِهِ وَمَرَامِيهِ ، وَمَطَالِبِهِ وَمَغَازِيهِ ، مَادَّةً مِنْ صُنْعِهِ تَقِفُ بِهِ عَلَى سَنَنِ الصَّلَاحِ ، وَتَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ النَّجَاحِ ، وَتُنْمِضُهُ بِمَا أَهْلُهُ لِحْمَلِهِ مِنَ الْأَعْبَاءِ الَّتِي لَا يَدَّعِي الْإِسْتِقْلَالَ بِهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ [وَمُعُونَتِهِ] ، وَلَا يَتَوَجَّهُ فِيهَا إِلَّا بِدَلَالَتِهِ وَهُدَايَتِهِ ، وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى أَنَّ أَوْلَى الْأَقْوَالِ أَنْ يَكُونَ سَدَاداً ، وَأَحْرَى الْأَفْعَالِ أَنْ يَكُونَ رَشَاداً ، مَا وَجَدَ لَهُ فِي السَّابِقِ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ أَصُولٌ وَقَوَاعِدُ ، وَفِي النَّصِّ مِنْ كِتَابِهِ آيَاتٌ وَشَوَاهِدُ ، وَكَانَ مُقْضِيًّا بِالْأُمَّةِ إِلَى قَوَامِ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا ، وَوَفَاقٍ فِي آخِرَةٍ وَأُولَى ،

فذلك هو البناء الذى يثبت ويعلو، والغرس الذى ينبت ويزكو، والسعى الذى تتجح مباديه وهواديه، وتبهج عواقبه وتواليه، وتستنير سبله لسالكها، وتورد لهم موارد السعود فى مقاصدهم فيها، غير ضالين ولا عادلين، ولا منحرفين ولا زائلين.

وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الأفلاك الدائرة، والنجوم السائرة، فيما تتقلب عليه من اتصالٍ وافتراق، ويتعاقب عليها من اختلافٍ واتفاق، منافع تظهر فى كُرور الشهور والأعوام، ومُرور الليالي والأيام، وتتأوب الضياء والظلام، واعتدال المساكن والأوطان، وتغاير الفصول والأزمان، ونشء النبات والحيوان، فما فى نظام ذلك خلل، ولا فى صنعة صانعه زلل، بل هو منوط ببعضه ببعض، ومحوط من كل ثلثة ونقض، قال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وقال جل من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. وقال: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾. وقال عزت قدرته: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾. ففضل الله تعالى فى هذه الآيات بين الشمس والقمر، وأنبأنا فى الباهر من حكمه، والمعجز من كلمه، أن لكل منهما طريقاً سخر فيها وطبيعة جُبِلَ عليها، وأن كل تلك المباينة والمخالفة فى المسير، تؤدى إلى موافقة وملازمة فى التدبير، فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ورُبْعاً بالتقريب المعمول عليه، وهى المدة التى تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة، ونقصت السنة الهلالية فصارت ثلثمائة وأربعة وخمسين يوماً وكسراً، وهى المدة التى يجامع القمر فيها الشمس اثنتى عشرة

مرة، واحتيج إذا انساق هذا الفضل إلى استعمال النقل الذي يطابق إحدى السنتين بالأخرى إذا اختلفتا، ويداني بينهما إذا تفاوتتا .

وما زالت الأُمّ السالفة تكس زيادات السنين على افتنان من طرقها ومذاهبها، وفي كتاب الله عز وجل شهادة بذلك إذ يقول في قصة أهل الكهف : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ . فكانت هذه الزيادة بأن الفضل في السنين المذكورة على تقريب التقريب .

فأما الفرس فإنهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهروها اثنا عشر شهرا، وأيامها ثلثمائة وستون يوما، ولقبوا الشهور اثني عشر لقباً، وسموا أيام الشهر منها ثلاثين اسماً، وأفردوا الأيام الخمسة الزائدة، وسموها المسترقة وكبسوا الربع في كل مائة وعشرين سنة شهرا .

فلما انقرض ملكهم، بطل في كبس هذا الربع تديبرهم، وزال نور وزهم عن سنته، وأنفرج ما بينه وبين حقيقة وقته، انفراجاً هو زائد لا يقف، ودائر لا ينقطع، حتى إن موضوعهم فيه أن يقع في مدخل الصيف وسيتهى إلى أن يقع في مدخل الشتاء، [ويتجاوز ذلك، وكذلك موضوعهم في المهرجان أن يقع في مدخل الشتاء<sup>(١)</sup> وسيتهى إلى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوزة .

وأما الروم فكانوا أتقن منهم حكمة وأبعد نظراً في عاقبة : لأنهم رتبوا شهور السنة على أرساد رصودها، وأنواء عروفوها، وفَضُّوا الخمسة الأيام الزائدة على الشهور، وساقوها معها على الدهور، وكبسوا الربع في كل أربع سنين يوماً، وسموا أن يكون إلى شباط مضافاً فقرّبوا ما بعده غيرهم، وسهلوا على الناس أن يقتنوا أثرهم، لا جرم

(١) الزيادة من "المقریزی" ص ٢٧٩ ج ١ ومن الرسائل وهي من سقطات النسخ .



(١) أن [المعتضد بالله صلوات الله عليه على أصولهم بنى ، ولما لهم آحتذى] في تصديره نوروزة اليوم الحادى عشر من حريان ، حتى سلم مما لحق النواريز في سالف الأزمان ، وتلافوا الأمر في عجز سني الهلال عن سني الشمس ، بأن جبروها بالكبس ، فكلما اجتمع من فضول سني الشمس ما يفي بتمام شهر جعلوا السنة الهلالية التي يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا ، فربما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين وربما تم في سنتين بحسب ما يوجب الحساب ، فتصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين أبدا لا يتباعد ما بينهما .

وأما العرب فإن الله جل وعز فضلها على الأمم الماضية ، وورثها ثمرات مساعيها المتعبية ، وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة أهل ملتها ، وجزية أهل ذمتها ، على السنة الهلالية ، وتعبدها فيها برؤية الأهلة ، إرادة منه أن تكون مناهجها واضحة ، وأعلامها لائح ، فيتكافأ في معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منهم والعام ، والناقص الفقه والنام ، والأثني والذكر ، وذو الصغر والكبر ، فصاروا حينئذ يحبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة ونراج الأرض المسوحة ، ويحبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات والأرجاء والمقاطعات والمستغلات ، وسائر ما يجري على المشاهرات ، وحدث من التعاظم والتداخل بين السنين ما لو استمر لقبح جدا ، وازداد بعدا ، إذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي تنتهي إليها تنسب في التسمية إلى ما قبلها فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلغى ، ويتجاوز إلى ما بعدها ويتخطى ، ولم يجز لهم أن يقتدوا بخالفهم في كبس سنة الهلال بشهر ثالث عشر ، لأنهم لو فعلوا ذلك لترحلت الأشهر الحرم عن مواقعها ، وانحرفت المناسك

(١) الزائد من "رسائل الصابي" و"المقریزی" .

(٢) كذا في المقریزی أيضا والذي في الرسائل الخطية «والأرحام» .

عن حقائقها ، ونقصت الجباية عن سني الأهلة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها ، فانتظروا بذلك الفضل إلى أن تتم السنة ، وأوجب الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين سنة هلالية ، فنقلوا المتقدمة إلى المتأخرة نقلا لا يتجاوز الشمسية ، وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة في دينهم .

وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة الهلالية جمعا بينهما ، ولزوما لتلك السنة فيهما .

فاعمل بما ورد به أمر أمير المؤمنين عليك ، وما تضمنه كتابه هذا إليك ، ومُرِ الكُتَّابَ قَبْلَكَ أَنْ يَحْتَدُوا رِسْمَهُ فِيمَا يَكْتُبُونَ بِهِ إِلَى عُمَّالِ نَوَاحِيكَ ، وَيُخَلِّدُونَهُ فِي الدُّوَاوِينِ مِنْ دُكُورِهِمْ وَرُفُوعِهِمْ ، وَيَقَرَّرُونَهُ فِي دُرُوجِ الْأُمُوالِ ، وَيَنْظِمُونَهُ فِي الدِّفَاطِرِ وَالْأَعْمَالِ ، وَيَبْنُونَ عَلَيْهِ الْجَمَاعَاتِ وَالْحُسْبَانَاتِ ، وَيُوعِزُّونَ بِكُتُبِهِ مِنَ الرُّوزَنَامَاتِ وَالْبَرَآتِ ، وَلِيَكُنِ الْمُنْسُوبُ كَانَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى سَنَةِ خَمْسِينَ وَثَلَاثِينَ<sup>(١)</sup> الَّتِي وَقَعَ النُّقْلُ [ عَنْهَا مَعْدُولًا بِهِ إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ الَّتِي وَقَعَ النُّقْلُ ] إِلَيْهَا ، وَأَقِمَّ فِي نَفُوسٍ مِنْ بَحْضَرَتِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْجُنْدِ وَالرَّعِيَةِ وَأَهْلِ الْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ أَنَّ هَذَا النُّقْلَ لَا يَغَيِّرُ لَهُمْ رِسْمًا ، وَلَا يُلْحَقُ بِهِمْ ثَلَمًا ، وَلَا يَعُودُ عَلَى قَايِضِي الْعَطَاءِ بِنُقْصَانٍ مَا اسْتَحَقُّوا قَبْضَهُ ، وَلَا عَلَى مُؤَدَّى حَقِّ بَيْتِ الْمَالِ بِإِغْضَاءٍ عَمَّا وَجِبَ أَدَاؤُهُ ، فَإِنْ قَرَأَتْ أَكْثَرُهُمْ فَقِيرَةً إِلَى إِفْهَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يُؤْثِرُ أَنْ تَزَاحَ فِيهِ الْعِلَّةُ ، وَتُسَدَّ بِهِ مِنْهُمْ الْحَلَّةُ ، إِذْ كَانَ هَذَا الشَّأْنُ لَا يَتَجَدَّدُ إِلَّا فِي الْمُدَدِ الطَّوَالِ الَّتِي فِي مِثْلِهَا يُحْتَاجُ إِلَى تَعْرِيفِ النَّاشِئِ ، وَإِذْ كَارِ النَّاسِ ، وَأَجِبْ بِمَا يَكُونُ مِنْكَ جَوَابًا يَحْسُنُ مَوْقِعَهُ لَكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) الزيادة من رسائل الصابي الخطية .

## المذهب الثانى

( مما كان يُكْتَب عن الخلفاء فى تحويل السنين أن يُفْتَح ما يكتب بلفظ :  
« من فلان أمير المؤمنين إلى أهل الدولة » ونحو ذلك )  
ثم يؤتى بالتحميد وهو المعبر عنه بالتصدير، وعليه كان يكتب خلفاء الفاطميين  
بالديار المصرية .

قال فى "مواد البيان" : والطريق فى ذلك أن يفتح بعد التصدير والتحميد ...  
.....

## الضرب الأول

( ما كان يُكْتَب فى الدولة الأيوبية )

وكانت العادة فيه أن يفتح بخرجت الأوامر ونحو ذلك ، ثم يذكر فيه نحو  
مما تقدم .

وهذه نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية [ إلى السنة العربية ] ، من إنشاء  
القاضى الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب » تغمده الله  
برحمته ، وهى :

خرجت الأوامر الصلاحية بكتب هذا المنشور وتلاوة مودعه بحيث يستمر  
ونسخه فى الدواوين بحيث يستقر ، ومضمونه .

إن نظرنا لم يزل نتجلى له الجلائل والدقائق ، ويتونى من الحسنات ما تسيربه  
الحقائب والحقائق ، ويحلل من الأخبار المشروعة ، كل عذب الطرائق رائق ، ويجدد

(١) هنا بياض فى الاصل بقدر كلمات ولعل بعدها وهو على ضربين « الضرب الخ .

من الآثار المتبوعة ، ما هو ببناء الخلائق لائق ، ولا يُغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير إلا جهدنا أن نكتسبها ، ولا يُثوب بنا الداعي إلى مَثُوبَةٍ إلا رأينا أن نحتسبها ، لا سيمًا ما يكون للسنين الماضية مُمضيا ، وإلى القضايا العادلة مُفْضيا ، ولحَاسن الشريعة مُجَلِّيا ، ولعوارض الشبهة رافعا ، ولتناقض الخبر دافعا ، ولأبواب المعاملات حافظا ، ولأسباب المغالطات لافظا ، وللخواطِر من أمراض الشكوك مصححا ، وعن حقائق اليقين مُفْصِّحا ، وللأسماع من طيف الاختلاف مُعْفيا ، ولغاية الإشكال من طُرُق الأفهام مُعْفيا .

ولما استهلَّت سنة كذا الهلالية ، وقد تباعد ما بينها وبين السنة الخراجية إلى أن صارت غلاتها منسوبة إلى ما قبلها ، وفي ذلك ما فيه : من أخذ الدرهم المنقود ، عن غير الوقت المفقود ، وتسمية بيت المال مُمَطَّلا وقد أُنجَز ، ووصف الحق المُتَلَف بأنه دينٌ وقد أُعْجَز ، وأكل رِزْق اليوم وتسميته منسوباً إلى أمسه ، وإخراج المعتد لسنة هلاله إلى حساب المعتد إلى سنة شمسه .

وكان الله تعالى قد أجرى أمر هذه الأُمَّة على تاريخ مَرَّه عن اللَّبَس ، مُوقِّراً عن الكَبَس ، وصرَّح كتابه العزيز بتحريمه ، وذَكَر ما فيه من تأخير وقت النسيء وتقديمه ، والأُمَّة المحمدية لا ينبغي أن يدركها الكسر ، كما أن الشمس لا ينبغي أن تُدْرِكَ القمر ، وسُنَّها بين الحق والباطل فارقه ، وسَنَّتْها أبداً سابقه ، والسَّنون بعدها لا حقه ، يتعاورها الكسر الذي يُزْحِر أوقات العبادات عن مواضعها ، ولا يُدْرِك عملها إلا من دَقَّ نظره ، واستفِرغت في الحساب فكره ، والسنة العربية تقطع بخناجر أهلتها الاشتباه ، وتردُّ شهورها حاليةً بعقودها موسومة الجباه ، وإذا تقاعست السنة الشمسية عن أن نطأ أعقابها ، وتواطى حسابها ، اجتذبت قراها قسراً ، وأوجبت

لَحَقَّهَا ذِكْرًا، وَتَزَوَّجَتْ سَنَةُ الشَّمْسِ سَنَةَ الْهِلَالِ وَكَانَ الْهِلَالُ بَيْنَهُمَا مَهْرًا، فَسَتَّهِمُ  
 الْمُؤَنَّثَةُ وَسَتَّنَا الْمَذَكَّرُ، وَآيَةُ الْهِلَالِ هُنَا دُونَ آيَةِ اللَّيْلِ هِيَ الْمُبْصَرَةُ، وَفِي السَّنَةِ  
 الْعَرَبِيَّةِ إِلَى مَا فِيهَا مِنْ عَرَبِيَّةِ الْإِفْصَاحِ، وَرَاحَةِ الْإِيضَاحِ، الزِّيَادَةُ الَّتِي تَظْهَرُ  
 فِي كُلِّ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً تُوفَّى عَلَى عَدَدِ الْأُمِّ قَطْعًا، وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ:  
 ﴿وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ الرَّائِدَةِ زِيَادَةُ،  
 مِنْ لَطَائِفِ السَّعَادَةِ، وَوُضَائِفِ الْعِبَادَةِ، لِأَنَّ أَهْلَ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ يَمْتَازُونَ عَلَى كُلِّ  
 مِلَّةٍ بِسَنَةِ فِي نَظِيرِ تِلْكَ الْمُدَّةِ قَصَدُوا صَلَاتَهَا، وَأَدَّوْا زَكَاتَهَا، وَحَجَّوْا فِيهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ  
 الْكَرِيمَ، وَصَامُوا فِيهَا الشَّهْرَ الْعَظِيمَ، وَاسْتَوْجَبُوا فِيهَا الْأَجُورَ الْجَلِيلَةَ، وَأَنْسَتَ فِيهَا  
 أَسْمَاءُهُمْ بِالْأَعْمَارِ الطَّوِيلَةِ، وَمَخَالِفُوهُمْ فِيهَا قَدْ عَطَّلَتْ صَحَائِفُهُمْ فِي عُذْوَانِهِمْ، وَإِنْ  
 كَانَتْ عَاطِلَةً، وَخَلَّتْ مَوَاقِفُهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَطُّ آهَلَةً.

وَقَدْ رَأَيْنَا بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَالتَّيَمُّنِ بِاتِّبَاعِ الْعَوَائِدِ الَّتِي سَلَكَهَا السَّلَفُ،  
 وَلَمْ تَسْلُكْ فِيهَا السَّرَفَ، أَنْ يَنْسَخُوا أَسْمَاءَهَا مِنَ الْخَرَاجِ، وَيَذْهَبَ مَا بَيْنَ السَّنِينَ  
 مِنَ الْأَضْطِرَابِ وَالْإِعْوَاجِ، لَا سِيَّمَا وَالشُّهُورُ الْخَرَاجِيَّةُ قَدْ وَافَقَتْ فِي هَذِهِ الشُّهُورِ  
 الشُّهُورَ الْهِلَالِيَّةَ، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي أَيَّامِنَا الْوِفَاقَ بَيْنَ الْأَيَّامِ، كَمَا أَلْقَى بَاعْتِلَانَنَا الْوِفَاقَ بَيْنَ  
 الْأَنَامِ، وَأَسَكَّنَ بَنَظَرَنَا مَا فِي الْأَوْقَاتِ مِنْ أَضْطِرَابٍ وَفِي الْقُلُوبِ مِنْ أَضْطِرَامٍ.

فَلْيُسْتَأْنَفِ التَّارِيخُ فِي الدَّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ، لِاسْتِقْبَالِ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، بِأَنْ تُوسَمَ  
 بِالْهِلَالِيَّةِ الْخَرَاجِيَّةِ لِإِزَالَةِ الْإِلْتِبَاسِ، وَلِإِقَامَةِ الْقِسْطِ، وَإِيضًا [حَا] لِمَنْ أَمُرُهُ عَلَيْهِ  
 عَمَّةٌ مِنَ النَّاسِ، وَعَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ، تُكْتَبُ سَجَلَاتُ التَّحْضِيرِ، وَتَنْتَظِمُ الْحُسْبَانَاتُ  
 الْمَرْفُوعَةُ، وَالْمَشَارِعُ الْمَوْضُوعَةُ، وَتَطْرُدُ الْقَوَانِينُ الْمَشْرُوعَةُ، وَتُثَبَّتِ الْمَكَلَّفَاتُ  
 الْمَقْطُوعَةُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ دَوَاعِي نَقْلِهَا، وَعَوَارِضِ زَلِيلِهَا وَزَوَالِهَا، إِلَّا أَنَّ الْأَجْنَادَ

إذا قبضوا واجباتهم عن منشور إلى سنة خمس في أواخر سنة سبع وسقط ساقطهم بالوفاة، وجرى بحكم السمع لا بالشَّرع إلى أن يرث وارثه دون بيت المال مستغل السنة الخراجية التي يلتقي فيها تاريخ وفاته من السنة الهلالية وفي ذلك ما فيه، مما يباين الإنصاف وينافيه [لكفى] .

وإذا كان العدل وضع الأشياء في مواضعها فإسنا نحريم أيامنا المحرمة بزماننا، ما رزقته أبناؤها من عدل أحكامنا، بل نخلع عن جديدها المس كل المس، و[نمنع] تبعه الضلال أن تُسند مهادنته إلى نور الشمس، ولا نجعل أيامنا معمورة بالأسقاط التي تجمعها، بل معمورة بالأقساط التي تنفعها، فليبين التاريخ على بُنيانه وليحسم الخلف الواقع في السنين، بهذا الحق الصادع المبين، وليُنسخ المشهود به في جميع الدواوين، وليكتب بحكمه من الخراج إلى من يمكنه من المستخدمين - ومنها أن المستجد من الأجناد لو حُل على السنة الخراجية في استغلاله، وعلى الهلالية في استقباله، لكان مُحالاً على ما يكون مُحالاً، وكان يتعجل استقبالا، ويأطن استعلالا، وفي ذلك ما ينافر أوصاف الإنصاف ويصون الفلاح إن شاء الله تعالى .

## الضرب الثاني

( ما يُكتب به في زماننا )

وقد جرت العادة أن يُكتب في قطع الثُّلث وأنه يفتح بخطبة مفتحة بـ«الحمد لله» ثم يقال : وبعد فإننا لما اختصنا الله تعالى به من النظر في أمر الناس ومصالحهم، ويذكر ما سنح له من ذلك ثم يُقال : ولما كان، ويذكر قصة السنين : الشمسية والقمرية، وما يطرأ بينهما من التباعد الموجب لنقل الشمسية إلى القمرية،

ثم يقال : أقتضى الرأي الشريف أن يحوّل مغلّ سنة كذا إلى سنة كذا وتذكر نسخة ذلك ، ثم يقال : فرسم بالأمر الشريف الفلاني لا زال ... .. أن تحوّل سنة كذا إلى سنة كذا .

وهذه نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية إلى العربية ، وهى :

الحمد لله الذى جعل الليل والنهار آيتين ، وصير الشهور والأعوام لأبتداء المدد وانتهاء غايتين ، ليعلم خلقه عدد السنين والحساب ، وتعمل بريته على توفية الأوقات حقها من الأفعال التى يحصل بها الاعتداد ويحسن بها الاحتساب .

نحمده على ما خصّ أيامنا الزاهرة من إنعام النظر فى مصالح خلقه ، وإمعان الفكر فى تشييد ما بسط لهم من رزقه ، وإزالة الضرر فى تيسير القيام بما أوجب عليهم من حقه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عاصمة من الزرع ذا هوى ، معتصمة من التوفيق بأقوى أسباب التوثيق وأوثق أسباب القوى ، شافعة حسن العمل فى مصالح العباد بحسن النية ، فإن الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه الله رحمة للعالمين ، وحجة على العالمين ، ونشر دعوته فى الآفاق فأيدته لإقامتها بنصره وبالمؤمنين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أمروا فاطاعوا ، ونهوا فاجتنبوا ما نهوا عنه ما استطاعوا ، صلاة تبنى نماء البدور ، وتبقى بقاء الدهور ، وتطوى بنشرها مراحل الأيام إلى يوم النشور .

وبعد ، فإننا لما آتينا الله تعالى به من التوفيق على مصالح الإسلام ، والتناول لما تنشر به فى مواقع الجهاد ، صدور السيوف وتنطق به فى مصالح العباد ، السنة الأعلام ، نتبع كل أمر فنسند خالله ، ونثقف ميكه ، ونقيم أوده ، وننظر ليومه

بما يصلح به يومه ولغده بما يصلح غده ، إصلاحاً لكل حال بحسبه ، وتقريباً لكل شيء على ما هو أليق بشأنه وإقراراً لكل أمر على ما هو الأحسن به .

ولما كان الزمن مقسوماً بين سنين شمسية يتفق فيها ما أخرج الله تعالى من الرزق لعباده ، ويحصل بها ميقات القوت الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ وقمرية لا يعول في أحكام الدين إلا عليها ، ولا يرجع في تواريخ الإسلام إلا إليها ، ولا تعتبر العبادة الزمانية إلا بأهلقتها ، ولا يهتدى إلى يوم الحج الأكبر إلا بأدلتها ، ولا يعتد في العدد التي تحفظ بها الأنساب إلا بأحكامها ، ولا تعلم الأشهر الحرم إلا بوجودها في الأوقات المخصوصة من عامها . وكان قد حصل بينهما من تفاوت الأيام في المدد ، واختلاف الشهور الهلالية في العدد ، ما يلزم منه تداخل مغل في مغل ، ونسبة شيء راح وانقضى إلى ما أدرك الآن وحصل ، ويؤدى ذلك إلى إبقاء سنة بغير خراج ، وهدر ما يجب تركه فليس الوقت إليه محتاج ، وإلغاء ما يتعين إلغاؤه ، وإسقاط ما تلتفت إليه الأذهان وهو لا يمكن رجأؤه ، وإن كان ذلك الإسقاط لا ضرر فيه على العباد والبلاد ، ولا نقص ينتج منه للأمرء والأجناد ، ولا حقيقة له ولا معنى ، ولا إهمال شيء أفقر تركه ولا إبقاؤه أغنى ، ولكن صار ذلك من عوائد الزمن القديمه ، ومصطاحاً لا تزال العقول بالاحتياج إلى فعله عليمه ، وأمر لا بد للملك منه ، وحالا لا مندوحة للدول عنه ، لتغدو التصرفات على الاستقامة ماشيه ، والمعاملات من الحق ناشيه ، ويعنى رسم ما لم يكن في الحقيقة رابط ، ويزال أسم ما لو توسمه الفضل لأضحي كأنه يغالط - أقتضى حسن الرأي الشريف أن تحوّل هذه السنة التي يحصل بها الكبس ، وأن يدحضها يقين النفس ، وأن يرفع ما بها من أشكال الإشكال ، ويزال هذا السبب الذي نشأ عنه دخول الأكر باستدراج الأقل فلا يكون للأذهان عليه اتكال .



نظراً بذلك في مصالح الأمة ، ودفعاً لما يجدونه من أوهام مُدْهِمَةٍ ، وعملاً يطابق به الدليل حكمه ، ويوافق فيه اللفظُ معناه والفعلُ أسمه ، وتخفيفاً عن الرعية من لزوم مالا يلزم في الحقيقة عملاً بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لازل عدله سائراً في الأيام والأَنَامِ ، وفضله [سائداً] بالرفق الذي تغدو به العقول والعيون كأنها من الأمن في منام - أن يُحوَّلَ مُغْلٌ سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالديار المصرية المحروسة ، لمُغْلٍ سنة خمسين وسبعمائة ، ويُغَيَّ أَسْمُ مُغْلٍ السنة المذكورة ، من الدواوين المعمورة ، ولا يُنسَبُ إليها مُغْلٌ بل يكون مُغْلٌ سنة خمسين وسبعمائة تالياً لمُغْلٍ سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتستقر السنة حينئذٍ هلاليةً نَحَاجِيَّةً بحكم دوران السنين ، وأستحقاق هذا التحويل من مدة خمس عشرة سنة ، حيث آتفاق مبدأ السنين الشمسية والقمرية ، ووقوع الإغفال عن هذا المُبْهَمِ في الدول الماضية ، لتكون هذه الدولة الشريفة قائمة بما قعد عنه من مَضَى من الدول ، مُقَوِّمَةً بَعَوْنِ اللَّهِ لكل متأقِدٍ من الزَّيْغِ والخلل ، لما في ذلك من المصلحة العامة ، والمنحة التامة ، والحق الواضح ، والقصد الناجح ، والمنهج القويم ، والصراط المستقيم ، والاعتماد على الشهور القمرية قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ .

فليُعْتَمَدَ حُكْمُ ما قَرَّرْنَاهُ ، وليُمَثَّلَ أَمْرُ ما أَمَرْنَاهُ ، وليُثَبَّتَ ذلك في الدواوين ، وليُشْهَرِ نَبْؤُهُ المبين ، وليُسَقَطَ ما تَخَلَّلَ بين هاتين السنتين من المُغْلِ الذي لاحقيقة له ، وليُتْرَكْ ما بينهما من التفاوت الذي لا تُعْرِفُ الحُسَبَانَاتُ مُعَدَّلَهُ ، وليُجَحَّ أَسْمُ هذه الأيام من الدفاتر ، وليُنَسَّ حُكْمُهَا فإنها أولى بذلك في الزمن الآتي والغابر ، فليس المُغْلُ سوى للعام الذي وُجِدَ فيه سببه ، وظهر فيه حصوله وتعيَّن طلبه ، وأدرك في إبانته ، وجاء

في زمانه ، وأينع به ثمر غرسه ، وأستحق في وقته لا كما يلزم أن يكون اليوم في أمسه ؛ وفي ذلك من الأسباب الباعثة على مارسمتنا به ، والدواعي اللازمة لذهابه ، والبراهين القاطعة بقطعه ، والدلائل الواضحة على دفعه ، ما قدمناه : من المصالح المعينة ، والطرق المبيّنة ، وإزالة الأوهام ، وتأكيّد الأفهام ، وإراحة الخواطر ، وإزاحة ما تشوّق إليه الظنون في الظاهر ؛ وليطّل ذلك من الارتفاعات بالكليّة ، ويسقط من الجرائد لتغدو الحسابات منه خلية ، ولا يذكر مغل السنة المدحوضة في سجل ولا مشروح ، ولا مشهود يغدو حكمه ويروح ، ولا مكلفات تودعها الأفلام شيئاً على المجاز وهو في الحقيقة مطروح ، لتثبت الحسنات لأيماننا الزاهرة في هذا المحو ، ويكشف ما ينتج بساء العقل من غيم الجهالة بما وضح من هذا الصحو ، ويتمسك في صحة العبادات والمعاملات بالسنين العربية من غير خروج عن ذلك النحو ، والله تعالى يبين بنا طرق الصواب ، ويحسن ببقاء ملكنا الشريف المال والمآب ، ويجعل دولتنا توضح الأحكام على اختلاف الحديد : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ .

والاعتماد فيه على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

حادي عشرين جمادى الأولى سنة خمسين وسبعمائة <sup>(١)</sup> .

حسب المرسوم الشريف ؛ بالإشارة الكافية السيفية ، كافل الممالك الشريفة الإسلامية ، أعزّ الله تعالى نصرته ؛ ثم الحمدلة والتصلية والحسبلة .

قلت : وهذه النسخة صدرها إلى قوله : والشهور الهلالية أجنبي عما بعد ذلك من نمة الكلام . وذلك أني ظفرت بعجز النسخة ، وهو المكتتب في تحويل

(١) كذا في الأصل باثبات النون وهو كثير في كتابات الكتاب وهو لحن .

سنة تسع وأربعين في نفس المرسوم الشريف الذي شملته العلامة الشريفة ،  
وقد قُطِعَ أوله فركبها على هذا الصدر .

ومن عجيب ما يُذكر في ذلك أن سنة تسع وأربعين التي حوّلت إلى سنة خمسين  
هي السنة التي وقع فيها الطاعون الجارف الذي عم الأقطار خلا المدينة النبوية ،  
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يدخلها  
الطاعون ، وكثر فيها الموت حتى انتهى إلى عشرين ألفاً في اليوم الواحد ، وكان يُقال  
في هذه السنة لما حوّلت : [ مات كل شيء حتى السنة ] لإلغائها . وجعل مُغَلَّ  
سنة خمسين تالياً لمُغَل سنة ثمان وأربعين كما تقدّم .

## الفصل الثاني

من الباب الرابع من المقالة السادسة  
( فيما يُكتب في التذاكر )

والتذاكر جمع تذكرة .

قال "في مواد البيان" : وقد جرت العادة أن تُضمّن حمل الأموال التي يُسافر  
بها الرسول ليعود إليها إن أغفل شيئاً منها أو نسيه ، أو تكون حجة له فيما يُورده  
ويُصدره ، قال : ولا غنى بالكاتب عن العلم بعنواناتها وترتيبها .

فأما عنوان التذكرة فيكون في صدرها تلو البسملة ، فإن كانت للرسول يعمل  
عليها ، قيل : تذكرة مُنْجحة صدرت على يد فلان عند وصوله إلى فلان بن فلان ،  
ويُنْتَهَى بمشيئة الله تعالى إلى ما نُصّ فيها . وإن كانت حجة له يعرضها لتشهد بصدق

ما يورده، قيل : تذكرة مُنِجحة صدرت على يد فلان بن فلان بما يحتاج إلى عرضه على فلان .

وأما الترتيب فيختلف أيضا بحسب اختلاف العُنوان : فإن كانت على الرسم الأول ، كان بصدرها « قد استخرنا الله عز وجل وندينك ، أو عولنا عليك ، أو نفذناك ، أو وجهناك إلى فلان : لإيصال ما أودعناك وشافهناك به من كذا وكذا » ويقص جميع الأغراض التي أُلقيت إليه مجملة . وإن كانت محمولة على يده كالجبة له فيما يعرضه ، قيل : « قد استخرنا الله عز وجل وعولنا عليك في تحمل تذكرتنا هذه والشخص بها إلى فلان ، أو النفوذ ، أو التوجه ، أو المصير ، أو القصد بها وإيصالها إليه ، وعرض ما تضمنته عليه ، من كذا وكذا » ويقص جميع أغراضها .

ثم قال : وهذه التذاكر أحكامها أحكام الكتب في النفوذ عن الأعلى إلى الأدنى ، وعن الأدنى إلى الأعلى ، فينبغي أن تُبتنى على ما يحفظ رتب الكاتب والمكتوب إليه : فإن كانت صادرة عن الوزير إلى الخليفة مثلاً فتصدر بما مثاله « قد استخرت الله تعالى ، وعولت عليك في الشخص في حضرة أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - متحملاً هذه التذكرة ، فإذا مثلت بالمواقف المطهرة ، فوفها حقها من الإعظام والإكبار ، والإجلال والوقار ، وقدم تقبيل الأرض والمطالعة بما أشاء مواصلته من شكر نعم أمير المؤمنين الضافية على ، المتابعة لدى ، وإخلاص طاعته ، وانتصابي في خدمته ، وتوفيري على الدعاء بثبات دولته ، وخلود مملكته ، وطالع بكذا وكذا » وعلى هذا النظام إلى آخر المراتب يعني مراتب المكاتبات .

قلت : والذي جرى عليه اصطلاح كُتّاب الزمان في التذاكر أن التذكرة تكتب في قطع الشامي ، تُكسّر فيها الفرخة الكاملة نصفين ، وتجعل دفترًا وورقةً إلى جنب

أخرى لا كُرَّاسَةً بَعْضُهَا دَاخِلُ بَعْضٍ ، وَتَكُونُ كِتَابَتُهَا بِقَلَمِ الرَّقَاعِ ، وَتَكُونُ الْبِسْمَلَةُ فِي أَعْلَى بَاطِنِ الْوَرَقَةِ الْأُولَى بِيَاضٍ قَلِيلٍ مِنْ أَعْلَاهَا وَهَامِشٍ عَنْ يَمِينِهَا ، ثُمَّ يُكْتَبُ السُّطْرُ التَّالِي مِنْ التَّذِكْرَةِ عَلَى سَمْتِ الْبِسْمَلَةِ مَلَاصِقًا لَهَا ، ثُمَّ يُحَلَّى قَدْرُ عَرْضِ إصْبَعَيْنِ بِيَاضًا وَيُكْتَبُ السُّطْرُ التَّالِي ، ثُمَّ يُحَلَّى قَدْرُ إصْبَعٍ بِيَاضًا وَيُكْتَبُ السُّطْرُ التَّالِي ، وَيَجْرَى فِي بَاقِي الْأُسْطُرِ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِ الْوَرَقَةِ ، ثُمَّ يُكْتَبُ بَاطِنُ الْوَرَقَةِ الَّتِي تَلِيهَا كَذَلِكَ ، ثُمَّ ظَاهِرُهَا كَذَلِكَ ، ثُمَّ الْوَرَقَةُ الثَّانِيَةُ فَمَا بَعْدَهَا عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ إِلَى آخِرِ التَّذِكْرَةِ ، ثُمَّ يُكْتَبُ « إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » ثُمَّ التَّارِيخُ ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ الْحَسْبُ ، عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ فِي الْمَكَاتِبَاتِ وَالْوَلَايَاتِ وَغَيْرِهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْخَوَاتِمِ .



وَهَذِهِ نَسْخَةُ تَذِكْرَةِ أَنْشَأَهَا الْقَاضِي الْفَاضِلُ عَنْ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، سَيَّرَهَا صُحْبَةُ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ الْخَطِيبِ : أَحَدِ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَةِ إِلَى أَبْوَابِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ فِي خِلَافَةِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ ، وَهِيَ :

تَذِكْرَةٌ مُبَارَكَةٌ وَلَمْ تَزَلْ الذِّكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ نَافِعَةً ، وَلِعَوَارِضِ الشُّكِّ دَافِعَةً ، صُمِّمَتْ أَغْرَاضًا يُقَيِّدُهَا الْكِتَابُ ، إِلَى أَنْ يُطْلَقَ الْخُطَابُ . عَلَى أَنَّ السَّائِرَ سَيَّارُ الْبَيَانِ ، وَالرَّسُولَ يَمْضِي عَلَى رِسْلِ التَّبْيَانِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُسَدِّدُهُ قَائِلًا وَفَاعِلًا ، وَيَحْفَظُهُ بَادِيًا وَعَائِدًا وَمُقِيمًا وَرَاحِلًا .

الْأَمِيرُ الْفَقِيهُ شَمْسُ الدِّينِ خَطِيبُ الْخُطَبَاءِ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ ، وَكُتِبَ سَلَامَتُهُ ، وَأَحْسَنَ صَحَابَتِهِ - يَتَوَجَّهَ بَعْدَ الْأَسْتِخَارَةِ وَيَقْصِدُ دَارَ السَّلَامِ ، وَالْخِطَّةَ الَّتِي هِيَ عُشُّ بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ ، وَمَجْتَمَعَ رَجَاءِ الرِّجَالِ ، وَمَتَّسَعُ رَحَابِ الرِّجَالِ ، فَإِذَا نَظَرَ تِلْكَ الدَّارَ

الدار سحابها ، وشافه بالنظر معالم ذلك الحرم المحترم على الخطوب خطابها ، ووقف أمام تلك المواقف التي تحسد الأرجل عليها الرؤوس ، وقام بتلك المنازل التي تنافس الأجسام فيها النفوس ، فلو استطاعت لزارت الأرواح محرمة من أجسادها ، وطافت بكعبتها متجردة من أعمايدها ، فليمطر الأرض هناك عنا قبلا تحضنها ، بأعداد لا تحصى ، وليسلم عليها سلاما نعتده من شعائر الدين اللازمه ، وسنن الإسلام القائم ، وليورد عنا تحية يستزلهما من عند الله تحية مباركة طيبة ، وصلاة تحترق أنوارها الأستار المحجبه ، وليصافح عنا بوجهه صفحة الثرى ، وليستشرف عنا بنظره فقد ظفر بصباح السرى ، وليستلم الأركان الشريفة ، فإن الدين إليها مستند ، وليستدم الملاحظات اللطيفة ، فإن النور منها مستمد ، وإذا قضى التسليم وحق اللقاء ، وأستدعى الإخلاص جهد الدعاء ، فليعد وليعد حوادث ما كانت حديثا يفترى ، وجواري أمور إن قال منها كثيرا فأكثر منه ما جرى ، وليشرح صدرا منها لعله يشرح منا صدرا ، وليوضح الأحوال المستسرة فإن الله لا يعبد سراً :

وَمِنَ الْغَرَائِبِ أَنْ تَسِيرَ غَرَائِبُ \* فِي الْأَرْضِ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا الْمَأْمُولُ

كَالْعَيْسِ أَقْتُلُ مَا يَكُونُ لَهَا الظَّلَامُ \* وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَجْمُولُ

فإننا كنا نفتيس النار بأيدينا ، وغيرنا يستنير ، ونستدب الماء بأيدينا ، وغيرنا يستمير ، ونلقى السهام بنحورنا ، وغيرنا يغير التصوير ، ونصافح الصفاح بصدورنا ، وغيرنا يدعى التصدير ، ولا بد أن نسترد بضاعتنا ، بموقف العدل الذي ترد به الغصوب ، ونظهر طاعتنا ، فنأخذ بحظ الألسنة كما أخذنا بحظ القلوب ، وما كان العائق إلا أننا كنا ننظر ابتداء من الجانب الشريف بالنعمة ، يضاهي ابتداءنا بالخدمة ، وإيجاباً للحق ، يشاكل إيجابنا للسبق ، إلى أن يكون سحابها بغير يد مستنزلا ، وروضها بغير غرس مطفلا .

كان أول أمرنا أنا كُفّا في الشام نفتَح القُتُوحاتِ مُباشرين بأنفسنا ونُجاهد الكُفّارَ  
مُتقدِّمين لعساكره نحنُ ووالدنا وعمُّنا، فأى مدينة فُتِحت ، أو مَعْقِلٌ مُلك ، أو عسكر  
للعُدُو كُسِر ، أو مَصَافٌ للإسلام معه ضرب ، فما يجهل أحد ، ولا يجهّدُ عدو ، أنا  
نصْطلي الجُمُره ، ونملك الكُسره ، ونتقدّم الجماعة ، ونرتب المقاتلة ، ونُدبر التعبئة ،  
إلى أن ظهرت في الشام الآثارُ التي لنا أجراها ، ولا يضرنا أن يكون لغيرنا ذِكْرُها .

وكانت أخبارُ مصرَ تتصل بنا بما الأحوالُ عليه فيها من سوء التدبير ، ومما  
دولتها عليه من غلبة صغيرٍ على كبير ، وأن النظام قد فسَد ، والإسلام بها قد ضَعُف  
عن إقامته كلُّ قائم بها وقَعَد ، والفرنج قد احتاج من يدبرها إلى أن يُقاطِعَهم بأموال  
كثيره ، لها مقاديرُ خطيره ، وأن كلمة السُّنة بها وإن كانت مجموعته ، فإنها مَقْمُوعه ،  
وأحكام الشريعة وإن كانت مُسمّاه ، فإنها مُتَجاماه ، وتلك البِدَع بها على ما يَعْلَم ،  
وتلك الضلالات فيها على ما يُفْتَى منها بفراق الإسلام ويُحْكَم ، وذلك المذهب قد  
خالط من أهله اللحم والدم ، وتلك الأنصاب قد نُصِبَت آلهةٌ تُتخذ من دُون الله تُعْظَم  
وتُفَخَّم ، فتعالى الله عن شبه العباد ، وويل لمن غرّه تقلُّب الذين كفروا في البلاد .

فسمتُ هَمَمنا دُونَ هِمَم ملوك الأرض إلى أن نستفتح مُقفَلها ونسترجع للإسلام  
شاردها ونُعِيد على الدين ضالته منها فسرنا إليها بعساكر ضخمه ، وجموع جمه ،  
وبأموالٍ انتهكت الموجود ، وبلغت منا المجهود ، وأنفقناها من خالص ذِمِّنا وكَسَب  
أيدينا ، ومن أسارى الفرنج الواقعين في قبضتنا ، فعرضت عوارض منعت ، وتوجهت  
للمصريين حيل باستنجاد الفرنج تمت : «ولكلِّ أجلٍ كتاب» . ولكلِّ أملٍ باب .

وكان في تقدير الله سبحانه أننا نمليكم على الوجه الأحسن ، ونأخذها بالحكم  
الأقوى الأمكن ، فغدر الفرنج بالمصريين غدرة في هُدنةٍ عظم خطبها وخبطها ،

وَعَلِمَ أَنَّ اسْتِئْصَالَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ مَحْطُّهَا ، وَكَاتَبْنَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ مِصْرَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ،  
 كَمَا كَاتَبْنَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الشَّامِ فِي هَذَا الْأَوَّانِ ، بَأَنَّا إِن لَمْ نُدْرِكِ الْأَمْرَ وَإِلَّا نَخْرُجَ  
 مِنَ الْيَدِ ، وَإِن لَمْ نُدْفَعْ غَرِيمَ الْيَوْمِ لَمْ يُنْهَلْ إِلَى الْغَدِ ، فِيسِرْنَا بِالْعَسَاكِرِ الْمَوْجُودَةِ  
 وَالْأَمْرَاءِ الْأَهْلِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَى بِلَادٍ قَدْ تَمَهَّدَ لَنَا بِهَا أَمْرَانِ ، وَتَقَرَّرَ لَنَا فِيهَا فِي الْقُلُوبِ  
 وَدَّانِ : الْأَوَّلُ لَمَّا عَلِمُوهُ مِنْ إِثَارِنَا الْمَذْمُوبِ الْأَقْوَمِ ، وَإِحْيَاءِ الْحَقِّ الْأَقْدَمِ ، وَالْآخِرُ  
 لَمَّا يَرْجُونَهُ مِنْ فَكِّ إِسَارِهِمْ ، وَإِقَالَةِ عِثَارِهِمْ ، فَفَعَلَ اللَّهُ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَجَاءَ الْخَبْرُ إِلَى  
 الْعَدُوِّ فَانْقَطَعَ حَبْلُهُ ، وَضَاقَتْ بِهِ سُبُلُهُ ، وَأَفْرَجَ عَنِ الدِّيَارِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ضِيَاعُهَا  
 وَرَسَائِقُهَا وَبِلَادُهَا وَإِقْلِيمُهَا قَدْ تَفَدَّتْ فِيهَا أَوَامِرُهُ ، وَخَفَقَتْ عَلَيْهَا صُلْبَانُهُ ، وَأَمِنَ  
 مِنْ أَنْ يُسْتَرْجَعَ مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ حَاصِلًا ، وَأَنْ يُسْتَنْقَذَ مَا صَارَ فِي مِلْكِهِمْ دَاخِلًا ، وَوَصَلْنَا  
 الْبِلَادَ وَبِهَا أَجْنَادٌ عَدَدُهُمْ كَثِيرٌ ، وَسَوَادُهُمْ كَبِيرٌ ، وَأَمْوَالُهُمْ وَاسِعَةٌ ، وَكَلِمَتُهُمْ جَامِعَةٌ ،  
 وَهُمْ عَلَى حَرْبِ الْإِسْلَامِ أَقْدَرُ مِنْهُمْ عَلَى حَرْبِ الْكُفْرِ ، وَالْحِيلَةُ فِي السَّرِّ مِنْهُمْ أَنْفَذُ مِنْ  
 الْعَزِيمَةِ فِي الْجَهْرِ . وَبِهَا رَاجِلٌ مِنَ السُّودَانِ يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ كُلُّهُمْ أَغْنَاءُ  
 أَعْجَامٍ ، إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، لَا يَعْرِفُونَ رَبًّا إِلَّا سَاكِنَ قَصْرِهِ ، وَلَا قِبْلَةً إِلَّا مَا يَتَوَجَّهُونَ  
 إِلَيْهِ مِنْ رُكْنِهِ . وَبِهَا عَسَاكِرُ مِنَ الْأَرَمَنِ بَاقُونَ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ عَنْهُمْ الْحَزَنَةُ  
 كَانَتْ لَهُمْ شَوْكَةً وَشَكَّةً ، وَحِمِيَّةً وَحِمَةً ، وَلَهُمْ حَوَاشٍ لِقَصْرِهِمْ مِنْ بَيْنِ دَاخِلٍ تَلَطَّفَ  
 فِي الضَّلَالِ مَدَاخِلُهُ ، وَتُصِيبُ الْعُقُولَ مَخَاتِلُهُ ، وَمِنْ بَيْنِ كُتَّابِ أَقْلَامِهِمْ تَفْعَلُ أَفْعَالُ  
 الْأَسَلِ ، وَخُذَّامٌ يَجْمَعُونَ إِلَى سَوَادِ الْوُجُوهِ سَوَادَ النَّحْلِ ، وَدَوْلَةٌ قَدْ كَبُرَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ ،  
 وَلَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهَا الْكَبِيرُ ، وَمَهَابَةٌ تَمْنَعُ خَطَرَاتِ الضَّمِيرِ ، فَكَيْفَ لِحَظَاتِ التَّدْبِيرِ .

هَذَا إِلَى اسْتِبَاحَةِ الْحَارِمِ ظَاهِرَةً ، وَتَعْطِيلِ الْفَرَائِضِ عَلَى عَادَةٍ جَارِيَةٍ ، وَتَحْرِيفِ  
 لِلشَّرِيعَةِ بِالتَّأْوِيلِ ، وَعُدُولِ إِلَى غَيْرِ مُرَادِ اللَّهِ فِي التَّنْزِيلِ ، وَكُفْرِ سُمِّيَ بِغَيْرِ اسْمِهِ ،  
 وَشَرَعَ يُتَسَتَّرُ بِهِ وَيُحْكَمُ بِغَيْرِ حُكْمِهِ .



فما زلنا نَسَحَتُهُمْ سَحَّتِ الْمَبَارِدُ لِلشَّفَارِ ، وَتَحَيَّفَهُمْ تَحَيَّفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارُ لِلْأَعْمَارِ ،  
 بِعَجَائِبِ تَدْيِيرٍ ، لَا تَحْتَمِلُهَا الْمَسَاطِيرُ ، وَغَرَائِبِ تَقْرِيرٍ ، لَا تَحْتَمِلُهَا الْأَسَاطِيرُ ، وَلَطِيفِ  
 تَوَصُّلِ مَا كَانَ فِي حِيلَةِ الْبَشَرِ وَلَا قُدْرَتِهِمْ إِلَّا إِيَّاهُ الْمَقَادِيرُ ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ اسْتَنْجَدُوا  
 عَلَيْنَا الْفَرَنْجَ دَفْعَةً إِلَى بَابِلَيْسَ ، وَدَفْعَةً إِلَى دِمَاطَ ، فِي كُلِّ مِنْهُمَا وَصَلُوا بِالْعَدُوِّ الْمُجْهَرِ ،  
 وَالْحَشْدِ الْأَوْفَرِ ، وَخُصُوصًا فِي نَوْبَةِ دِمَاطَ فَإِنَّهُمْ نَازَلُوهَا بِحَرًّا فِي أَلْفِ مَرَكَبٍ مُقَاتِلِ  
 وَحَامِلِ ، وَبَرًّا فِي مِائَتِي أَلْفِ فَارِسٍ وَرَاجِلِ ، وَحَصَرُوهَا شَهْرَيْنِ يَبَاكُرُونَهَا وَيُرَاحُونَهَا ،  
 وَيُمَاسُونَهَا وَيُصَاحُجُونَهَا ، الْقِتَالُ الَّذِي يُصَلِّيهِ الصَّلِيبُ ، وَالْقِرَاعُ الَّذِي يُنَادِي بِهِ مِنْ  
 مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَنَحْنُ نُقَاتِلُ الْعُدُوِّينَ : الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَ ، وَنُصَابِرُ الضَّدَّيْنِ : الْمُنَافِقَ  
 وَالْكَافِرَ ، حَتَّى أَتَى اللَّهَ بِأَمْرِهِ ، وَأَيَّدَنَا بِنَصْرِهِ ، وَخَابَتِ الْمَطَامِعُ مِنَ الْمُضَرِّيِّينَ وَمَنْ  
 الْفَرَنْجِ وَمَنْ مَلِكِ الرُّومِ وَمَنْ الْجَنَوِيِّينَ وَأَجْناسِ الرُّومِ لِأَنَّ أَنْفَارَهُمْ تَنَافَرَتْ ، وَنُصَابِرَاهُمْ  
 تَنَاصَرَتْ ، وَأَنَاجِيلَ طَوَاغِيَتِهِمْ رُفِعَتْ ، وَصُلبَ صَلْبُوهُمْ أُخْرِجَتْ ، وَشَرَعْنَا فِي تِلْكَ  
 الطَّوَائِفِ مِنَ الْأَجْنَادِ وَالسُّودَانِ وَالْأَرْمَنِ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنَ الْقَاهِرَةِ تَارَةً بِالْأَوَامِرِ  
 الْمُرْهِقَةِ لَهُمْ ، وَبِالدُّنُوبِ الْفَاضِحَةِ مِنْهُمْ ، وَبِالسُّيُوفِ الْمَجْرَدَةِ وَبِالنَّارِ الْمُحْرِقَةِ ، حَتَّى بَقِيَ  
 الْقَصْرُ وَمَنْ بِهِ مِنْ خَدَمِهِ قَدْ تَفَرَّقَتْ شَيْعُهُ ، وَتَمَزَّقَتْ يَدَعُهُ ، وَخَفَّتْ دَعْوَتُهُ ،  
 وَخَفِيَتْ ضَلَالَتُهُ . فَهَنَّا لَكَ تَمَّتْ لَنَا إِقَامَةُ الْكَلِمَةِ وَالْجَهْرُ بِالْخُطْبَةِ وَالرُّفْعُ لِلِوَاءِ السَّوَادِ  
 الْأَعْظَمِ ، وَالْجَمْعُ لِكَلِمَةِ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَعَاجَلَ اللَّهُ الطَّاغِيَةَ الْأَكْبَرَ بِفَنَائِهِ ، وَبَرَّأَنَا  
 مِنْ عَهْدَةِ يَمِينٍ كَانَ حَنْثُهَا أَيْسَرَ مِنْ إِثْمِ إِبْقَائِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ عُوِجِلَ لِقَرُطِ رَوْعَتِهِ ، وَوَافَقَ  
 هَلَاكَ شَخْصِهِ هَلَاكَ دَوْلَتِهِ .

وَلَمَّا خَلَا ذَرْعُنَا ، وَرَحِبَ وَسْعُنَا ، نَظَرْنَا فِي الْغَزَوَاتِ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّارِ ، فَلَمْ  
 تَخْرُجْ سَنَةً إِلَّا عَنْ سُنَّةٍ أُقِيمَتْ فِيهَا بَرًّا وَبَحْرًا ، وَمَرَكَبًا وَظَهْرًا ، إِلَى أَنْ أَوْسَعْنَاهُمْ  
 قَتْلًا وَأَسْرًا ، وَمَلَكْنَا رِقَابَهُمْ قَهْرًا وَقَسْرًا ، وَفَتَحْنَا لَهُمْ مَعَاقِلَ مَا خَطَرَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ فِيهَا

منذ أخذت من أيديهم ، وما أوجفت فيها خيلهم ولا ركابهم منذ ملكها أعاديهم ،  
فمنها ما حكمت فيه يد الخراب ، ومنها ما استولت عليه يد الاكتساب ، ومنها قلعة  
بشعر أيلة كان العدو قد بناها في بحر الهند ، وهو المسلوك منه إلى الحرمين واليمن ،  
وغزا ساحل الحرم فسبى منه خلقا ، وخرق الكفر في هذا الجانب خرقا ، فكادت  
القبلة أن يستولى على أصلها ، ومساجد الله أن يسكنها غير أهلها ، ومقام الخليل  
صلوات الله عليه أن يقوم به من ناره غير برد وسلام ، ومضجع الرسول شرفه الله أن  
يتطرقه من لا يدين بما جاء به من الإسلام ، ففتح الله هذه القلعة وصارت معقلا  
للجهاد ، وموئلا لسفّار البلاد ، وغيرهم من عباد العباد ، فلو شرح ما تم بها للمسلمين  
من الأثر الجليل ، وما استند من خلاصهم ، وأحرق من زروع المشركين ورعى من  
غلاتهم ، إلى أن ضعفت ثغورهم ، واختلت أمورهم ، لاحتيج فيه إلى زمن يشغل  
عن المهمات الشريفة لسماع مؤرده ، وإيضاح مقصده .

وكان بايتم ما علم من ابن مهدي الضالّ وله آثار في الإسلام ، وثار طالبه النبي  
عليه الصلاة والسلام ، لأنه سبى الشرائف الصالحات وباعهنّ بالثمن البخس ،  
واستباح منهن كلّ ما لا تقرّ عليه نفس ، وكان بيده دعا إلى قبر أبيه وسمّاه كعبه ،  
وأخذ أموال الرعايا المعصومة وأجاحها ، وأحلّ الفروج المحرّمة وأباحها ، فأنهضنا  
إليه أخانا بعسكرنا بمد أن تكلفنا له نفقات واسعة ، وأسلحة رائعه ، وسار فأخذناه  
ولله الحمد ، وأنجح الله فيه القصد ، ووردتنا كتب عساكرنا وأمرائنا بما نفذ في ابن  
مهدي وبلاده المفتحة ومعاقله المستضافة ، والكلمة هنالك بمشيئة الله إلى الهند  
سارية ، وإلى ما لم يقتض الإسلام عذرتّه مد أقام الله كلمته متمادية .

ولنا في المغرب ، أثر أغرب ، وفي أعماله أعمال دُون مطلبها كما يكون المهلك  
دُون المطلب ، وذلك أن بني عبد المؤمن قد اشتروا أن أمرهم أمر ، ومملكهم

قد عمّر، وجُيوشهم لا تُطاق، وأوامرهم لا تُشاق، ونحن والحمد لله قد ملكنا مما يُجاورنا منه بلادًا تزيد مسافتها على شهر، وسيرنا عسكريًا بعد عسكر رجع بنصر بعد نصر، ومن البلاد المشاهير، والأقاليم الجاهير—لُك—برقة—قفصة—قسطيلية—توزر، كل هذه تُقام فيها الخطبة لمولانا الإمام المستضيء بالله سلام الله عليه، ولا عهد للإسلام باقامتها، وتنفذ فيها الأحكام بعلمها المنصور وعلامتها. وفي هذه السنة كان عندنا وفدٌ قد شاهدته وفود الأمصار، مقدارُه سبعون راجعًا كلُّهم يطلب لسلطان بلده تقليدًا، ويرجو منّا وعدًا ويخاف وعيدًا.

وقد صدرت عنا بحمد الله تقاليدُها، وألقيت إلينا مقاليدُها، وسيرنا الخلع والألوية، والمناشير بما فيها من الأوامر والأقضية.

وأما الأعداء الذين يُحْدِقون بهذه البلاد، والكُفَّار الذين يُقاتلوننا بالممالك العظام والعزائم الشداد، فمنهم صاحب قُسطَنْطِينِيَّة وهو الطاغية الأكبر، والجبار الأَكْفَر، وصاحب المملكة التي أكلت على الدهر وشربت، وقائم النصرية التي حكمت دولته على ممالكها وغلبت، وجرت لنا معه غزوات بحرية، ومناقلات ظاهرية وسريّة، وكانت له في البلاد مطامع منها أن يجبي خراجًا، ومنها أن يملك منها فجاجًا، وكانت غُصَّة لا يُسِفها الماء، وداهية لا تُرجى لها الأرض بل السماء، فأخذنا والله الحمد بكظامه، وأقمناه على قدمه، ولم نُخْرِج من مصر، إلى أن وصلتْنا رُسُلُه في جمعة واحدة في نوبتين بكتابين كُلُّ واحد منهما يُظهر فيه خفض الجناح، وإلقاء السلاح، والانتقال من معاداه، إلى مهاداه، ومن مناصحه، إلى مناصحه، حتى إنه أنذر بصاحب صقّلية وأساطيله التي يردُّ ذكرها، وعساكره التي لم يخف أمرها.

ومن هؤلاء الكفار صاحب صقلية هذا كان حين علم أن صاحب الشام وصاحب قسطنطينية قد اجتمعاً في نوبة دمياط فغلبا وهزما وكسرا، أراد أن يظهر قوته المستقلة بمفردها، وعزيمته القائمة بجردّها، فعمر أسطولاً استوعب فيه ماله وزمانه: فإنه إلى الآن منذ خمس سنين يكثر عدته، وينتخب عدته، ويحتلب مقاتلته إلى أن وصل منها في السنة الحالية إلى إسكندرية أمر رائع، وخطب هائل، ما أنقل ظهر البحر مثل حملة، ولا ملأ صدره مثل خيله ورجله، ما هو إقليم بل أقاليم ثقله، وحيش ما احتفل ملك قط بنظيره لولا أن الله خذله، ولو ذهبنا نصف ما ذهب فيه من ذهب، وما أخذ منه من سلاح وخيل وعدد ومجانيق، ومن أسر منه من خيالة كبار، ومقدمين ذوي أقدار، وملوك يقاطعون بالجل التي لها مقدار، وكيف أخذه وهو في العدد الأكثر بالعدد الأقل من رجالنا، وكيف نصر الله عليه مع الأصعب من قتاله بالأسهل من قتالنا، لعلم أن عناية الله بالإسلام تُغنيه عن السلاح، وكفاية الله لهذا الدين تكفيه مئونة الكفاح، ومن هؤلاء الجنويين الذين يسربون الحيوش - البنادق - البياشنة - الجنوية كل هؤلاء تارة لا تطاق ضراوة شرهم، ولا تطفا شرارة شرهم، وتارة يجهزون سفارا يحتكون على الإسلام في الأموال المجلوبة، وتقصر عنهم يد الأحكام المرهوبة، وما منهم الآن إلا من يجلب إلى بلدنا آلة قتاله وجهاده، ويتقرب إلينا بإهداء طرائف أعماله وبلاده، وكلهم قد قررت معه المواقفة، وانتظمت معه المسالمة، على ما نريد ويكرهون، ونؤثروا ولا يؤثرون.

ولما قضى الله بالوفاة النورية، وكنا في تلك السنة على نية الغزو، والعساكر قد ظهرت، والمضارب قد برزت، ونزل النمرج بانياس وأشرفوا على احتيازها، ورأوها فرصة مدوا إليها يد انتهازها، استصرخ بنا صاحبها للممانعة، واستنهضنا لتفريج الكرب الواقع، فسرنا مراحل اتصل بالعدو أمرها، وعوجل بالهدنة الدمشقية

التي لولا مسيرنا ما انتظم حكمها ولا قيل كثيرها ولا قليلها ، ثم عدنا إلى البلاد فتوافت إلينا الأخبار بما الدولة الثورية عليه من تشعب الآراء وتوزعها ، وتشتت الأمور وتقطّعها ، وأن كل قلعة قد حصل فيها صاحب ، وكل جانب قد طمّح إليه طالب ، والفرنج قد بنوا بلادا يتخيّمون بها الأطراف الإسلامية ، ويضايقون بها البلاد الشامية ، وأمراء الدولة قد سجن أكابريهم وعوقبوا وصودروا ، والمماليك الذين للتوفي أغرار خلقوا للأطراف لا للصُدور ، وجعلوا للقيام لا للجلوس في المحفل المحصور ، وقد مدّوا الأعين والأيدى والسيف ، وساءت سيرتهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، وكل واحد يتخذ عند الفرنج يدا ، ويجعلهم لظهره سندا ، ويرفع عنهم ذخيرة كانت للإسلام ، ويفرّج لهم عن أسير من أكابر الكفار كان مقامه مما يدفع شرا ، ولا يزيد نار الكفر جمرًا ، وإطلاقه يحلب قطيعة تقوى إسلاما وتضعف كفرًا ، فكثرت إلينا مكاتبات أهل الآراء الصائبة ، ونظرنا للإسلام ولنا ولببلاد الإسلام في العاقبة ، وعرفنا أن البيت المقدس إن لم نتيسر الأسباب لفتح ، وأمر الكفر إن لم يجرد العزم في قلعه ، وإلا ثبتت عروقه ، وآتسعت على أهل الدين خروقه ، وكانت الحجة لله قائمه ، وهم القادرين بالقعود آثم ، وإذا لا نتمكن بمصر منه مع بُعد المسافة ، وأتقطاع العارة وكلال الدواب ، وإذا جاورناه كانت المصاحبة بادية ، والمنفعة جامعة ، واليد قادرة ، والبلاد قريبة ، والغزوة ممكنة ، والميرة متسعة والخيل مستريحة ، والعساكر كثيرة ، والجموع متيسرة ، والأوقات مساعدة ، وأصحابنا ما في الشام من عقائد معتلة ، وأمور مختلة ، وآراء فاسده ، وأمراء متحاسده ، وأطماع غالبه ، وعقول غائبه ، وحفظنا الولد القائم بعد أبيه ، وكفلناه كفالة من يقضى الحق ويوفيه ، فإننا به أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه ، ويظهرون الوفاء بخدمه وهم عاملون بظلمه ، والمراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ،

ويؤكد الدعوه، ويجمع الأمة، ويحفظ الألفه، ويضمن الزلذه، ويفتح بقية البلاد،  
ويطبق بالاسم العباسي كل ما تخطئه العهاد - ونحن نقترح على الأحكام المهوده،  
وننتظر أن يأتي الإنعام على الغايات المزيده، وهو تقليد جامع لمصر والمغرب واليمن  
والشام، وكل ما تشتمل عليه الولاية النورية، وكل ما يفتح الله للدولة بسيفنا  
وسيف عساكرنا، ولن نقيم من أخ وولد من بعدنا، تقليدًا يضمن للنعمه  
تخليدا، وللدعوة تجديدا، مع ما ينعم به من السمات التي يقتضيها الملك، فإن الإمارة  
اليوم بحسن نيتنا في الخدمة تصرف بأقلامنا، ونستفاد من تحت أعلامنا، ويتبين  
أن أمراء الدولة النورية يحتاج اليهم في فتح البلاد القدسية ضرورة: لأنها منازل  
العساكر، ومجمع الأنفار والعشائر، فحق لم يكن عليهم يد حاكمه، وفيهم كلمة نافذه،  
منعهم ولاية البلاد، وبغاة العناد.

وبالجملة فالشام لا ينتظم أمره بمن فيه، وفتح بيت المقدس ليس له قرن يقوم به  
ويكفيه، والفرنج فهم يعرفون منا خصما لا يمل الشر حتى يملوا، وقرنا لا يزال يحرم  
السيف حتى يحلوا، حتى إننا لما جاورناهم في هذا الأمد اقرب، وعلموا أن  
المصحف قد جاء بأيدينا يخاصم الصليب، استشعروا بفراق بلادهم، وتهادوا التعازي  
لأرواحهم بأجسادهم، وإذا سدد رأينا حسن الرأي ضربنا بسيف يقطع في غمده،  
وبلغنا المنى بمشيئة الله ويد كل مسلم تحت برده، وأستقذنا أسيرا من المسجد  
الذي أسرى الله اليه بعبده.

هذا ما لاح طابته على قدر الزمان، والأنفس تطلب على مقدار الإحسان، فإن  
في استنهاض نيات الخدام بالإنعام ما يعود على الدولة منافع، وتنكأ الأعداء مواقع،  
وتبعث العزائم من موت منامها، وتنفض عن البصائر غبار ظلامها، والله تعالى يُجبد  
إرادتنا في الخدمة بمضاعفة الاقتدار، ومساعدة الأقدار، إن شاء الله تعالى.

## الضرب الثاني

( ما كان يُكتب لنواب السلطنة بالديار المصرية عند سفر السلطان

عن الديار المصرية )

والعادة أن يُكتب فيما يتعلق بمهمات الديار المصرية وأحوالها ومصالحها ، وما يترتب فيها ، وما يُشئ على حكمه بمصر والقاهرة المحروستين ، وسائر أعمال الديار المصرية ، وما تبرز به المراسيم الشريفة في أمورها وقضاياها ، وأستخراج أموالها وحملها ، وعمَل جُسورها وحفائرِها ، وما يتجدد في ذلك ، وما يجري هذا المجرى من سائر التعلقات ، وتصدر بذلك التذكرة .

وهذه نسخة تذكرة سلطانية كتبت بها عن السلطان الملك الصالح على ، ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، لكافل السلطنة بالديار المصرية ، الأمير زين الدين كتبغا ، عند سفر السلطان الملك الصالح الى الشام ، وأستقرار كتبغا المذكور نبأ عنه في سنة تسع وتسعين وستمائة ، من إنشاء أحمد بن المكرم بن أبى الحسن الأنصارى ، أحد كتّاب الدرج يومئذ ومن خطّه نقلت ، وهى :

تذكرة نافعة ، للخيرات جامعته ، يعتمد عليها المجلس العالى ، الأميرى ، الزينى ، كتبغا المنصورى ، نائب السلطنة الشريفة - أدام الله عزه - فى مهمات الديار المصرية وأحوالها ومصالحها ، وما يترتب بها ، وما يبت ويفصل فى القاهرة ومصر المحروستين وسائر أعمال الديار المصرية ، صانها الله تعالى ، وما تُستخرج به المراسيم الشريفة ، المولوية ، السلطانية ، الملكية ، الصالحية ، الفلانية - أنفذها الله تعالى - فى أمورها وقضاياها ، وولاياتها وولاتها ، وحملها وحفيرها وحفظها ومتجدداتها على ماُشرح فيه :

## فصل الشرع الشريف :

يُشَدُّ مِنْ حُكَّامِهِ وَقُضَاتِهِ فِي تَنْفِيزِ قُضَايَاهُ وَتَصْرِيفِ أَحْكَامِهِ ، وَالشَّدُّ مِنْهُ فِي نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ .

## فصل العدل والانصاف والحق :

يَعْتَمِدُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْمَمْلَكَةِ الشَّرِيفَةِ : مُدْنِيَّهَا وَقُرَاهَا وَأَعْمَالِهَا وَوِلَايَاتِهَا : بِحَيْثُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الرِّعَايَا مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ ، وَبَعِيدٍ وَقَرِيبٍ ، وَغَائِبٍ وَحَاضِرٍ ، وَوَارِدٍ وَصَادِرٍ ، وَيَسْتَجْلِبُ الْأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ ، وَيَسْتَنْطِقُ الْأَلْسِنَةَ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ حِجَّةُ اللَّهِ وَمَحَجَّةُ الْخَيْرِ ، فَيُدْفَعُ كُلُّ ضَرَرٍ وَيَرْفَعُ كُلُّ ضَيْرٍ .

## فصل الدماء :

يَعْتَمِدُ فِيهَا حُكْمُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . وَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ قِصَاصٌ يَسَلِّمُ لْغَرِيمِهِ لِيَقْتَصَّ مِنْهُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَطْعُ يُقَطَّعُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

## فصل الأمور المختصة بالقاهرة ومصر المحروستين حرسهما الله تعالى :

لَا يَتَجَوَّهُ فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَقْوَى قَوْيٌّ عَلَى ضَعِيفٍ ، وَلَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ جَمَلَةً كَافِيَةً .

## فصل

يَتَقَدَّمُ بَأَنٍ لَا يَمْشِي أَحَدٌ فِي الْمَدِينَةِ وَلَا ضَوَاحِيهَا فِي الْحُسَيْنِيَّةِ وَالْأَحْكَارِ فِي اللَّيْلِ إِلَّا لْضُرُورَةٍ ، وَلَا يُخْرَجُ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِهِ لْغَيْرِ ضُرُورَةٍ مَاسَّةٍ ، وَالنِّسَاءُ لَا يَنْصَرِفْنَ فِي اللَّيْلِ وَلَا يُخْرَجْنَ وَلَا يَمْشِينَ جَمَلَةً كَافِيَةً .



## فصل الحبوس :

تُحْرَسُ وتُحْفَظُ بالليل والنهار، وتُحْلَقُ لِحَى الأسارى كلهم : من فَرَّجَ وأنطاكيين وغيرهم ، ويُتَعَهَّدُ ذلك فيهم كلما تَنَبَّهَتْ ، ويُحْتَزَزُ في أمر الداخل إلى الحبوس ، ويُحْتَزَزُ على الأسارى الذين يُسْتَعْمَلُونَ ، والرجال الذى يخرجون معهم ، وتُقَامُ الضَّمَانُ الثَّقَاتُ على الجاندارية الذين معهم ، ولا يُسْتَخْدَمُ فى ذلك غريب ، ولا مَنْ فيه رِيبة ، ولا تَبَيَّتِ الأسارى الذين يُسْتَعْمَلُونَ إلا فى الحبوس ، ولا يخرج أحدٌ منهم لحاجة تختص به ولا لحَمَام ولا كنيسة ولا فُرْجة ، وتُتَفَقَّدُ قيودهم وتُوثَّقُ فى كل وقت .

ويضاعف الحرس فى الليل على خزانة البُنُود باظهار ظاهرها وعلوها وحولها وكذلك خزانة الشمائل وغيرها من الجيوش .

## فصل

يُرْتَبُ جماعة من الجند مع الطوائف فى المدينة لكشف الأزقة وغلق الدروب وتفقد أصحاب الأرباع ، وتأديب من يُخْلَلُ بمركزه من أصحاب الأرباع ، وتكون الدروب مغلقه . وكذلك تجرد جماعة الحسينية والأحكار وجميع المراكز ، ويعتمد فيها هذا الاعتماد ؛ ومن وجد فى الليل قد خالف المرسوم ويمشى لغير عذر يمسك ويؤدب .

## فصل

يُحْتَزَزُ على الأبواب غاية الاحتراز ، ويتفقّد فى الليل خارجها وباطنها وعند فتحها وغلقها .

## فصل

الأمّا كنُ التى يجتمع فيها الشباب وأولو الدعارة ومن يتعانى العيث والزنطرة ، لا يُفْسَحُ لأحد فى الاجتماع بها فى ليل ولا نهار ، ويكفون الأُكُف اللثام بحيث تقوم المهابة وتعظم الحرمه ، وينزجر أهل النجى والعيث والعبث .

## فصل

يرتَّب المجرَّدون حولَ المدينتين بالقاهرة ومصر المحروستين على العادة، وكذلك جهةُ القَرَافَةِ وخلفَ القلعةِ وجهةُ البحر، وخارجُ الحسينية، ولا يهملُ ذلك ليلةً واحدة، ولا يفارقُ المجرَّدون مراكرهم إلا عند السُّقُور وتكاملِ الضوء.

## فصل

يتقدَّمُ بأن لا تجتمعَ الرجال والنساءُ في ليالي الجمعِ بالقرافتين، ويمنعُ النساءُ من ذلك.

## فصل

مِهْمَاتُ الغائبين في البيكار المنصور تُلحَظُ وَيُشَدُّ من تَوَابِهِم في أمُورهم ومصالحهم، ويستَخَاصُ حقوقهم لتَوَابِهِم وغلمانهم ووَكلائهم؛ ومن كانت له جهةٌ يستَخَاصُ حقَّه منها ولا يتعرَّضُ إلى جهاتهم المستقرَّة فيما يستحقُّونه؛ وَيُقَوِّ أَيْدِيَهُم، وتؤخذُ الجُحج على وُكلائهم بما يَقْبِضُونَه حتى لا يقولَ موكلُوهم في البيكار: إنَّ كُتُبَ وُكلائنا وردتْ بأنهم لم يَقْبِضُوا لنا شيئاً، فيكون ذلك سبباً لردِّ شكاويهم.

## فصل

خليجُ القاهرة ومصر المحروستين يُرسمُ بعمله وحفره وإتقانه في وقته: بحيث يكون عملاً جيِّداً مُتَقَناً من ذير حَيْف على أحد، بل كلُّ أحدٍ يعمل ما يلزمه عملاً جيِّداً.

## فصل

جُسُورُ ضواحي القاهرة يُسرَّعُ في إتقانها وتعريضها، ويحتد في حُسْنِ رصفها وفتح مشاربها، وحفظها من الطارق عليها، وتبقى متقنة مكلمة إلى وقت النيل المبارك؛ ولا يخرجُ في أمرها عن العادة، ولا يحتَمي أحدٌ عن العمل فيها بما

يلزمه ، ويحمل الأمر في جرائفها ومقلفاتها على ما تقدمت به المراسيم الشريفة في أمر الجسور القريبة والبعيدة .

#### فصل في الأعمال والولايات .

تُنَجِّزُ الأمثلةُ الشريفةُ السلطانية ، الملووية ، الملكية ، الصالحية ، الفلانية ، شرفها الله تعالى ، بإتقان عمل الجسور وتجويدها وتعريضها وتفقد القناطر والترايع ، وعمل ما تهتم منها وترميم ما وهى ، وإصلاح ما تشعث من أبوابها ، وتحصيل أصنافها التي تدعو الحاجة إليها في وقت النيل ، وتعتمد المراسيم الشريفة من أن أحدا لا يعمل بالجاه ، ومن وجب عليه فيها العمل يعمل على العادة في الأيام الصالحة ، ويؤكد على الولاية في مباشرتها بنفوسهم ، وأن لا يتكلموا على المشددين ، وأى جهة حصل منها نقص أو خلل كان قبالة ذلك روح وإلى ذلك العمل وماله ، ويشدد على الولاية في ذلك غاية التشديد ، ويحذر أتم التحذير ، وتؤخذ خطوط الولاية بأن الجسور قد أُتقن عملها على الوضع المرسوم به ، وأنها أُتقنت ولم يبق فيها خلل ، ولا ما يخشون عاقبة ، ولا ما يخافون دركه ، وأنها عُمت على ما رسم .

#### فصل

يتقدم إلى الولاية ويستخرج الأمثلة الشريفة السلطانية بترتيب الخفراء على ما كان الحال رتب عليه في الأيام الظاهرية : أن يرتب من البلد إلى البلد خفراء ينزلون بيوت شعر على الطرقات على البلدين ، يخفرون الرياح والغادي ، وأى من عدم له شيء يلزمه دركه ، وينادى في البلاد أن لا يسافر أحد في الليل ولا يغرر ، ولا يسافر الناس إلا من طلوع الشمس إلى غروبها ، ويؤكد في ذلك التأكيد التام .

## فصل الثغور المحروسة :

يُلاحظ أمورَها ومهمَّاتها، ويستخرج الأمثلة الشريفة السلطانية في مهمَّاتها وأحوالها وحفظها، والأحترار على المعتقلين بها، والاستظهار في حفظهم، واليقظ لمهمات الثغر، واستجلاب قلوب التجار، واستمالة خواطيرهم، ومعاملتهم بالرفق والعدل حتى نتواصل التجار وتعمُر الثغور؛ ويؤكد عليها في المستخرج وتحصيل الأموال، وأصناف الذخائر، وأصناف الخزائن المعمورة والحوائج خاناه، ويوعز إليهم بأن هذا وقت أنفتاح البحر وحضور التجار وترجية الأموال، وصلاح الأحوال، والنهضة في تكثير الحمول، ويؤكد عليهم في المواصلة بها، وأن تكون حمولا متوفرة، وأنه لا يُفَرط في مستخرج حقوق المراكب الواصلة، ولا يُقلل متحصِّلها، ولا ينقص حملها، ويسير بحملها حملا إلى بيت المال المعمور على العادة، ويؤكد عليهم في الاستعمالات، وتحصيل الأقمشة والأمتعة على اختلاف أصنافها وإزالة الأعذار فيها : بحيث لا يتوقف أمر الاستعمالات ولا يؤخر مهمَّتها عن وقته، ومهمَّات وصل من الممالك والجواري والحرير والوبر والأطلس والفضة الحجر، وأقصاب الذهب المغزول يعتمد في تحصيله العادة .

## فصل

يؤكد على ولاة الأعمال في استخلاص الحقوق الديوانية من جهاتها، والمواصلة بالحمول في أوقاتها، ومباشرة أحوال الأقصاب ومعاصيرها في أوقاتها، وأعتاد مصلحة كل عمل على ما يناسبه وتقتضيه مصلحته : من مستخرج ومستغل، ومحمول ومزدرع، ومستعمل ومنفق، ويحذّرهم عن حصول خلل، أو ظهور عجز، أو فتور عزم، أو تقصير رأى، أو ما يقتضي الإنكار ويوجب المؤاخذه، ويشدد في ذلك ما تقتضيه فرص الأوقات التي ينبغي اتّهازها على ما يطالعون به .

## فصل [أموال] الخراج الديوانية :

يُحْتَرَزُ عَلَيْهَا وَتُرَبَّى وَتَمْتَّى ، وَلَا يُطَلَّقُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا بِمَرْسُومٍ شَرِيفٍ مَنَّا ، وَيُطَالَعُ  
بِأَنَّ الْمَرْسُومَ وَرَدَ بِكَذَا وَكَذَا وَيَعُودُ الْجَوَابُ بِمَا يَعْتَمَدُ فِي ذَلِكَ .

## فصل حقوق الأمراء والبحرية والحلقة المنصورة والجند وجهاتهم :

يَسْتَخْلِصُ أَمْوَالَهُمْ وَوُكَلَاءَهُمْ ، وَيُوجَدُ الشَّهَادَاتُ بِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ غَلَّةٍ وَدِرَاهِمٍ ، وَغَيْرِ  
ذَلِكَ ، وَلَا يُحَوِّجُ الْوُكَلَاءَ إِلَى شَكْوَى مِنْهُمْ تَتَّصِلُ بِمَنْ هُوَ فِي الْبَيْكَارِ ، وَيُخْسِمُ هَذِهِ  
الْمَادَّةَ ، وَيَسُدُّ أَبْوَابَ الْمَسَاطِلَةِ عَنْهُمْ .

## فصل

يَتَقَدَّمُ إِلَى الْوَلَاةِ وَالنَّظَارِ وَالْمُسْتَعْدِمِينَ بِعَمَلِ أَوْ رَاقٍ بِمَا يَتَحَصَّلُ لِلْمُقْطَعِينَ الْأَصْلِيَّةِ (؟)  
فِي كُلِّ بَلَدٍ ، وَلَمُقْطَعِ الْجِهَةِ ، وَلَمَنْ أُفْرِدَ لَهُ طِينٌ بِجِهَةٍ ، وَإِنْ جِهَتُهُ عَلَى الرُّسُومِ : لِيُعْلَمَ  
حَالُ الْمُقْطَعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْجَيْشِيَّةِ وَالْجِهَاتِيَّةِ وَمَا تَحَصَّلَ لِكُلِّ مِنْهُمْ ، وَلَا يَحْصُلُ  
مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْوَلَاةِ مَكَاشِرَةٌ وَلَا إِهْمَالٌ ، وَلَا يُطْمَعُ فِي الْوُكَلَاءِ لِأَجْلِ غَيْبَةِ الْأَمْرَاءِ  
وَالْمُقْطَعِينَ فِي الْبَيْكَارِ ، وَلَا يُحَوِّجُ أَحَدٌ مِنَ الْمُقْطَعِينَ إِلَى شَكْوَى بِسَبَبِ تَأَخَّرِ  
وَلَا ظُلْمَةٍ وَلَا إِجْحَافٍ .

## فصل

إِذَا خَرَجَ جَانْدَارٌ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْأَعْمَالِ لَا يُعْطَى فِي الْعَمَلِ أَكْثَرَ مِنْ دَرَاهِمِينَ ثَقَرَةً ،  
وَيُوصَلُ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَ فِيهِ لِمُسْتَحِقِّهِ ، فَإِنْ حَصَلَ مِنْهُ قَالٌ وَقِيلٌ أَوْ حَيْفٌ أَوْ تَعَنُّتٌ  
يُرْسَمُ عَلَيْهِ ، وَيُسَيَّرُ الْحَقُّ مَعَ صَاحِبِهِ مَعَهُ ، وَيُطَالَعُ بِأَنَّ فَلَانَا الْجَانْدَارَ حَضَرَ وَجَرَى  
مِنْهُ كَذَا وَكَذَا ، وَيُشْرَحُ الصُّورَةُ لِيُخْسِمَ الْمَوَادَّ بِذَلِكَ .

## فصل

إذا سَيرَ أحدٌ من الولاة رسولا بسببِ خلاصِ حقٍّ من بعضِ قرى أعماله فيكون ما يُعطى الجاندار عن مسافة سفر يومٍ نصفَ نُقْرة ، وعن يومين درهمٌ واحدٌ لا غير ، وأى جاندار تعدى وأخذ غير ذلك يؤدَّب ويُصَرَف من تلك الولاية .

## فصل :

تُكتبُ الحجج على كل وكيل يقبضُ لمخدومه شيئاً من مغلَّة أو جهته : من الديوان أو الفلاحين ، ولا يسلم له شيء إلا بشهادةٍ بحجج مكتوبة عليه ، تُخلد منها حجة الديوان المعمور بما قبضه من جهته أو إقطاعه ، وتبقى الحججُ حاصلة حتى إذا شكا أحد إلينا وسيرنا عرفناهم بمن يشكو من تأخر حقه ، يُطالعوننا بأمر وكيله وما قبض من حقه ، وتُسَير الشهادة عليه طي مطالعته ، (ويُحترز من الشهادات) بما وصل لكل مُتمطع ، حتى إنا نعلم من مضمون الحجج والشهادات متحصِّل المُقطَّعين من البلاد والجهات مُفصَّلاً وجملة ما حصل لكل منهم : من عين وغلة وما تأخر لكل منهم ، ويعمل بذلك صورة أمور البلاد والمُقطَّعين وأحوالهم ، ويُزيلُ شكوى من تجب إزالة شكواه ، وتُعلم أحوالهم على الجليَّة .

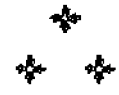
## فصل

تقرأ هذه التذاكر على المنابر فصلاً فصلاً ، ليسمعهما القريب والبعيد ، ويُبلغها الحاضر والغائب ، ويعمل بمضمونها كل أحد . ومن خرج عنها أو عمل بخلافها فهو أخبر بما يلقاه من سطواتنا وشدة بأسنا ، والسلام .

## الضرب الثالث

( ما كان يُكتب لنواب القلاع وولاتها : إما عند استقرار النائب بها ،  
وإما في خلال نيابته )

والعادة فيها أن يكتب فيها باعتماد الكشف عن أحوال القلعة وأسوارها وعرض  
خواصها ، ومقدمى رجالها ، وترتيب الرجال في مراكزهم ، وكشف مظالم الرعايا ،  
والنظر في الاحتراز على القلعة وعلى أبوابها ، والاحتفاظ بمفاتيحها على العادة ، وتحصيل  
ما يحتاج إليه فيها من الزاد والخطب والمأوى والفحم وغير ذلك . والمطالعة بمتجددات  
الأخبار .



وهذه نسخة تذكرة كتب بها عن السلطان الملك المنصور قلاوون بسبب قلعة  
صرخد من الشام ، عند استقرار الأمير سيف الدين باسطى نائباً بها ، والأمير عز الدين  
واليا بها في سنة تسع وسبعين وستمائة ، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر  
صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية ، وهى :

تذكرة مباركة نافعة ، لكثير من المصالح جامعة ، يعتمد عليها الأميران : سيف الدين  
وعز الدين عند توجههما إلى قلعة صرخد المحروسة :

يعتمدان العدل فى الرعية ، وسلوك منج الحق فى كل قضية ، واعتماد ما يرضى الله  
تعالى ويرضينا ، وليكن الإنصاف لهما عقيدة والتقوى ديناً ، ولا يتطاع أحدهما إلى  
ما فى يد أحد من مال ولا نسب ، ولا يعارض أحد أحداً بلا سبب ، وليتقوا الله  
وينخشوه ، ويتجنبوا الباطل ولا يغشوه ، ولا يظن أحد منهم أن قد بعد عنا فيطمح  
إلى الظلم أو يطمع ، فإننا منهم بمرأى ومسمع ، وليكونوا على المصالح متفقين ، وبأذial  
الحق متعلقين ، وعلى الرعية مشفقين .

## فصل

يَتَقَدَّمَانِ بِكَشْفِ أَسْوَارِ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ وَأَبْرَاجِهَا وَبَدَنَاتِهَا وَأَبْوَابِهَا ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحٍ وَتَرْمِيمٍ وَعِمَارَةٍ ، وَيُحَرِّرانَ أَمْرَ ذَلِكَ تَحْرِيراً ، وَيَجْتَهِدَانِ فِي إِصْلَاحِ مَا يَجِبُ إِصْلَاحُهُ وَتَرْمِيمِ مَا يَجِبُ تَرْمِيمُهُ ، وَالْمُطَالَعَةِ بِمَا كَشَفَاهُ وَمَا اعْتَمَدَاهُ .

## فصل

يَتَقَدَّمَانِ بَعَرْضِ حَوَاصِلِ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ ، وَالْخِزَانَةِ الْمَعْمُورَةِ ، وَيَحْقُقُونَ مَا بَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْغِلَالِ وَالذَّخَائِرِ وَالْحَوَاصِلِ ، وَيَعْمَلُونَ بِذَلِكَ أَوْراًقاً مُحَرَّرَةً ، وَيُسَيِّرُونَ نَسْخَتَهَا إِلَى الْبَابِ الشَّرِيفِ .

## فصل

يَتَقَدَّمَانِ بَعَرْضِ مَقْدَمِ رِجَالِ الْقَلْعَةِ ، وَأَرْبَابِ الْجَامِيَّاتِ وَالرَّوَاتِبِ بِهَا ، وَيُحَرِّرانَ أَمْرَ مَقَرَّرَاتِهِمْ : مِنْ جَامِكِيَّةٍ وَجِرَافِيَّةٍ ، وَيُحَرِّرانَ فِي صَرْفٍ ذَلِكَ عَلَى الْعُودَةِ الْجَارِيَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ .

## فصل

يَسْتَوْضِحَانِ مِنَ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَالْأَمِيرِ عِلْمَ الدِّينِ الْمُنْصَرِفَيْنِ عَنِ الْمَصَالِحِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَذِهِ الْقَلْعَةِ وَعَنْ أُمُورِهَا ، جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا ، فَإِنَّهُمَا قَدْ أَحْسَنَا فِي ذَلِكَ التَّدْيِيرَ ، وَأَجْمَلَا التَّأْيِيرَ ، وَسَلَكَا أَجْمَلَ مَسَلَكٍ ، وَيَهْتَدِيَانِ بِمَا يَوْضَحُّنَاهُ لَهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمُهَيِّمَاتِ لِيَكُونَ دُخُولُهُمَا فِي هَذَا الْأَمْرِ عَلَى بَصِيرَةٍ .

## فصل

يَكُونُ أَمْرُ النِّيَابَةِ وَالْحُكْمِ الْعَامِّ فِي الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ ، وَتَنْزِيلِ الرِّجَالِ وَاسْتِخْدَامِهِمْ وَصَرْفٍ مِنْ يَجِبُ صَرْفُهُ - لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بِاسْطَى بِمُشَارَكَةِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ - فِي أَمْرِ الرِّجَالِ وَالْإِسْتِخْدَامِ وَالْمَصْرُفِ ، وَيَكُونُ أَمْرُ النِّيَابَةِ رَاجِعاً لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ



باسطى والحكم فيها له ، ويكون أمر ولاية القلعة للأمير عن الدين ، ويجريان في ذلك على عادة من تقدّمهما في هذه النيابة والولاية ، ويكون الأمير سيف الدين في الدار التي كان يسكنها الأمير عن الدين ، وحكمه في النيابة حكمه ، ويسكن الأمير عن الدين في الدار التي كان يسكن فيها الأمير علم الدين ، وحكمه في الولاية حكمه . ولا يتعدى أحد طوره ، ولا يخرج عما قرّر فيه ، ويرعى كل منهما لصاحبه حقه فيما رتب فيه ، ويتفقان على المصالح كلها ، ويكونان كروحين في جسد واحد .

فصل

يتقدمان بأن يترتب الرجال في مراكرهم ومنازلهم على العادة في الليل والنهار ، والحرسية على العادة في الليل والنهار . وإن كان ثم خلل في ذلك أو تفريط أو إهمال ، فليستدرك الفارط ويرتب الأمر فيه على أحسن ترتيب .

فصل

ينتصبان في أوقات العادة في باب القلعة لكشف مظالم الرعية في القلعة والبر ، ويعتمدان إنصافهم ، وتلبية داعيهم ، وسماع كلمهم ، وكف ظالمهم وإعانة مظلومهم ، وأعتاد ما يجب من العدل وبسطه في الرعية ، وكف الأيدي العادية .

فصل

أبواب القلعة إذا أغلقت في كل ليلة تُبَيّت المفاتيح عند النائب في المكان المعتاد بعد ختم الوالى عليها على العادة ، وإذا تسلمها يتسلمها بختمها على العادة .

فصل

الدخائر والغلال يُحتد في تحصيلها بالقلعة ، ولا تُخزن غلة جديدة على غلة عتيقة . وكل هري يُخزن فيه غلة يحترق أمرها وتُشال عيبتها في كيس وتجعل في الخزانة ويُختم عليها ، ولا يُصرف من الحديد قبل نفاد العتيق ، ولا يُترك العتيق ويُصرف من الحديد . وكذلك بقية الحواصل يُسلك فيها هذا المسلك .

## فصل

مَهْمَا جَرَتِ الْعَادَةُ بِتَثْمِينِهِ عَلَى أَرْبَابِ الْجَامِيَّاتِ وَالْمَقَرَّاتِ ، فَلْيُجْرَ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى الْعَادَةِ مِنْ غَيْرِ حَيْفٍ ، وَلْيَدْخُلِ الدِّيَوَانُ وَالْمُبَاشِرُونَ فِي التَّثْمِينِ لئَلَّا يُسْلِكَ أَمْرُ التَّثْمِينِ عَلَى الرَّجَالَةِ وَالضُّعْفَاءِ مَعَ قَلَّةِ مَعْلُومِهِمْ وَيُوفَّرَ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَابُ الدَّوَاوِينَ مَعَ كَثْرَةِ مَعْلُومِهِمْ ، بَلْ يَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ يُثَمِّنَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ : مِثْلُ رَاجِلٍ ضَعِيفٍ أَوْ رَبِّ مَعْلُومٍ قَلِيلٍ ، فَلْيُفَرَّقْ بِهِ فِي ذَلِكَ ، نَظَرًا فِي حَقِّ الضُّعْفَاءِ .

## فصل

يَكْثُرُونَ مِنَ الْأَحْطَابِ وَمِنَ الْفَحْمِ وَالْمِلْحِ بِالذِّخَائِرِ ، وَكَذَلِكَ مِنْ كُلِّ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي تَحْصِيلِ الْأَمْوَالِ وَتَوْفِيرِهَا بِالْخِزَانَةِ الْمَعْمُورَةِ : بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لَهَا شُغْلٌ يَشْغُلُهَا عَنْ ذَلِكَ ، بَلْ يَصْرِفَانِ الْهَمَّةَ فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهِمَا إِلَى الْفِكْرَةِ فِي مَالٍ يَحْصُلُونَهُ ، أَوْ صِنْفٍ يَذْخُرُونَهُ ، وَلَا يَهْمَلَانِ ذَلِكَ .

## فصل

يُطَالَعَانِ الْأَبْوَابُ الْعَالِيَّةُ فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهِمَا بِمَا يَتَجَدَّدُ عِنْدَهُمَا مِنَ الْمَصَالِحِ ، وَبِمَا يَتَمَيَّزُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَ[بِمَا] حُجِّلَ إِلَى الْخِزَائِنِ وَإِلَى الْأَهْرَاءِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْغِلَالِ . وَكَذَلِكَ يُطَالَعَانِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بِدِمَشْقِ الْحَرُوسَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ ، وَلْتَكُنْ مَطَالَعَتُهُمَا جَامِعَةً وَعَالِيَا خَطُّهُمَا . وَمَنْ لَاحَتْ لَهُ مَصْلَحَةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَاخْتَارَ أَنْ يَطَالَعَ بِانْفِرَادِهِ فَلْيُطَالَعْ .

## فصل

لَا يَمْكُنُ أَحَدًا مِنَ الرِّجَالِ الْمُرْتَبِينَ بِالْقَلْعَةِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَرْبَابِ النُّوبِ أَنْ يُخِلَّ بِنُوبَتِهِ وَلَا يَفَارِقَهَا ، وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْقَلْعَةِ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا بِدُسْتُورٍ وَيَعُودُ فِي يَوْمِهِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

قلت : وبالجملـة فالتذاكر مَنُوطـة بحال المَكْتُوبِ له التذكرة، والمكْتُوبِ بسببه ؛  
فيختلفُ الحال باختلاف الأسباب، ويُؤتى لكل تذكرة بفُصول تُناسبها بحسب  
ماتدعو الحاجة إليه .

وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّائِقَ بِالتَّذَاكِرِ الْخَارِجَةِ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ أَنْ تَكُونَ فِي الْفَصَاحَةِ  
وَالْبَلَاغَةِ عَلَى حَدِّ الرِّسَالِ ، فَيَعْلَمُ شَأْنَ التَّذِكِرَةِ بِاعْتِبَارِ اشْتِمَالِهَا عَلَى الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ،  
وَيَنْحَطُّ بِفَوَاتِمِهَا ، وَأَنْظَرُ إِلَى تَذَكِرَةِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ الْمُبْتَدِإِ بِهَا ، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ  
مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَأَيْنَ هِيَ مِنَ التَّذَكِرَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَهَا ، فَإِنَّهُ قَدْ أَهْمِلَ فِيهِمَا  
مِرَاعَاةَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ جَمَلَةً ، بَلْ لَمْ تُرَاعَ فِي الْأَخِيرَةِ مِنْهُمَا قَوَائِنُ النُّحُو ، إِذْ يَكُونُ  
يَتَكَلَّمُ بِصِغَةِ التَّثْنِيَةِ عَلَى سِيَاقٍ مَا عُدَّتْ لَهُ التَّذِكِرَةُ لَا شَتْمًا لَهَا عَلَى أَثْنَيْنِ فَإِذَا هُوَ  
قَدْ عَدَلَ إِلَى لَفْظِ الْجَمْعِ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى لَفْظِ التَّثْنِيَةِ ، هَذَا ، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْقَاضِي  
مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ ، صَاحِبِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ يَوْمَئِذٍ ، وَهُوَ مِنْ بَيْتِ الْكِتَابَةِ  
وَالْبَلَاغَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يُرِيدُ بِعُدُولِهِ مِنَ التَّثْنِيَةِ إِلَى الْجَمْعِ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى خُطَابِ جَمْعِ  
الْمُتَحَدِّثِينَ فِي الْقَلْعَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ الْفَصْلِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ ، وَإِلَّا فَلَا يَجُوزُ صُدُورُ  
مِثْلِ ذَلِكَ عَنْهُ وَتَكَرُّرُهُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْأُخْرَى .

## المقالة السابعة

في الإقطاعات والقطائع ، وفيها بابان

### الباب الأول

في ذكر مقدمات الإقطاعات ، وفيه فصلان

### الفصل الأول

في ذكر مقدماتٍ تتعلّق بالإقطاعات ، وفيه ثلاثة أطراف

### الطرف الأول

( في بيان معنى الإقطاعات وأصلها في الشرع )

أما الإقطاعاتُ بجمعٍ إقطاع ، وهو مصدر أقطع ، يقال : أقطعه أرض كذا يقطعه إقطاعاً ، وأستقطعه إذا طلب منه أن يقطعه ، والقطيعة الطائفة من أرض الخراج .  
وأما أصلها في الشرع فما رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده إلى ابن سيرين عن تميم الداريّ أنه قال : « استقطعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أرضاً بالشام قبل أن تُفتح فأعطانيها ، ففتحها عمرُ بن الخطاب في زمانه فأتيته ، فقلتُ : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطاني أرضاً من كذا إلى كذا ، فجعل عمرُ ثلثها لابن السبيل ، وثلثاً لعمارتها ، وثلثاً لنا » .

وفي رواية : استقطعتُ أرضاً بالشام فأقطعنيها ، ففتحها عمرُ في زمانه فأتيته ، فقلتُ : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطاني أرضاً من كذا إلى كذا ، فجعل عمرُ ثلثها لابن السبيل ، وثلثاً لعمارتها ، وترك لنا ثلثاً .

وذكر الماوردي في "الأحكام السلطانية" : أن أبا ثعلبة الخشني رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع أرضاً كانت بيد الروم فأعجبه ذلك ، وقال ألا تسمعون ما يقول ؟ فقال : والذي بعثك بالحق ليقتحن عاك ، فكتب له بذلك كتاباً .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطع الزبير بن العوام ركض فرسه من موات البقيع فأجراه ورمى بسوطه رغبة في الزيادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطوه منتهى سوطه » .

وذكر أن الأبيض بن حمّال استقطع ملح مارب فأقطعته ، فأخبره الأفرع ابن حابس أنه كان في الجاهلية [ وهو بأرض ليس فيها غيره من ورده أخذه ، وهو مثل الماء العذب بالأرض ، فاستقال الأبيض في قطيعة الملح فقال قد أقلتك على أن تجعله مني صدقة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو منك صدقة ، وهو مثل الماء العذب من ورده أخذه <sup>(١)</sup> ] .

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن أول من أقطع القضايع بالأرضين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه - ولا وجه له بعد ما تقدم ذكره ؛ اللهم إلا أن يريد أن عثمان أول من أقطع القضايع بعد الفتح ، فإن ما أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل الفتح كما تقدم .

قال بعد ذلك : ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم : أقطع قضايع فافتدى عثمان به في ذلك وأقطع خباب بن الارت وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد

(١) ترك في الأصل بياضاً في هذا الموضع وقد تداركناه من كتاب الأحكام السلطانية ص ١٧٤

(١) والزبير، وأقطع طلحة أجمّة الجُرْف : وهو موضع النَّسَاجِ ، فكتب إلى سعيد  
ابن العاص وهو بالكوفة أن ينقّذها له .

### الطرف الثاني

( في بيان أول من وَضَعَ ديوان الجيش ، وكيفية ترتيب منازل الجُند  
فيه ، والمساواة والمفاضلة في الإعطاء )

ذكر أبو هلال العسكري في "الأوائل" والماوردي في "الأحكام السلطانية" أن أول من وَضَعَ الديوان في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال الماوردي : واختلف [الناس] في سبب وضعه [له] : فقال قوم : سببه أن أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين ، فقال له عمر : ما جئت به ؟ قال خمسمائة ألف درهم ، فأستكثره عمر ، وقال : أتدري ما تقول ؟ قال نعم ! مائة ألف خمس مرات ، فقال عمر : أطيب هو ؟ قال لا أدري . فصعد عمر المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! قد جاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلنا لكم كيلاً ، وإن شئتم عدّنا لكم عدّاً ، فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين : رأيت الأعاجم يدوّنون ديواناً ، فدوّن أنت لنا ديواناً .

وذهب آخرون إلى أن سبب وَضْع الديوان أن عمر بعث بعثاً وعنده الهرمزان ، فقال لعمر : هذا بعثٌ قد أعطيت أهله الأموال ، فإن تخلف منهم رجل وأخلّ بمكانه ، فمن أين يعلم صاحبك به ؟ فأثبت لهم ديواناً ، فسأله عن الديوان ففسّره له .

(١) في الأوائل "الجوف" .

وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَدْوِينِ الدَّوَاوِينِ ، فَقَالَ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : تَقْسِمُ كُلَّ سَنَةٍ مَا اجْتَمَعَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَالِ ، وَلَا تُنْسِكْ مِنْهُ شَيْئًا . وَقَالَ عُمَانُ : أَرَى مَالًا كَثِيرًا يَسْعَى النَّاسُ ، فَإِنْ لَمْ يُحْصَوْا حَتَّى يُعْلَمَ مِنْ أَخَذَ مِنْ لَمْ يَأْخُذْ ، خَشِيتُ أَنْ يَنْتَشِرَ الْأَمْرُ . فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدْ كُنْتُ بِالشَّامِ فَرَأَيْتُ مُلُوكَهَا دَقُّوا دِيَوَانًا وَجَنَّدُوا جُنُودًا ، فَدَوَّنُوا دِيَوَانًا وَجَنَّدُوا جُنُودًا ، فَأَخَذَ بِقَوْلِهِ وَدَعَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَمُحْرَمَةَ بْنَ نُوْفَلٍ ، وَجُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ ، (وَكَانُوا مِنْ شَبَابِ قُرَيْشٍ) فَقَالَ : آكْتُبُوا [النَّاسَ] عَلَى مَنَازِلِهِمْ ، فَبَدَّعُوا بَنِي هَاشِمٍ فَكَتَبُوهُمْ ، ثُمَّ اتَّبَعُوهُمْ أَبَا بَكْرٍ وَقَوْمَهُ ، [ثُمَّ عَمَرُوا قَوْمَهُ] وَكَتَبُوا الْقَبَائِلَ وَوَضَعُوا مَوَاهِمَهَا عَلَى الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ رَفَعُوهُ إِلَى عُمَرَ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ ، قَالَ : لَا ! وَمَا وَدِدْتُ أَنَّهُ هَكَذَا ، وَلَكِنْ أَبَدَّعُوا بِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْأَقْرَبَ فَلِأَقْرَبٍ حَتَّى تَضَعُوا عُمَرَ حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ . فَشَكَرَ الْعَبَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ : وَصَلَّتْكَ رَحِمٌ .

وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ بَنِي عَدِيٍّ جَاءُوا إِلَى عُمَرَ ، فَقَالُوا : إِنَّكَ خَلِيفَةُ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَوْ جَعَلْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ جَعَلَكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَتَبُوا ؟ فَقَالَ : بَخٍ بَخٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ ! ! إِنْ أَرَدْتُمْ إِلَّا الْأَكْلَ عَلَى ظَهْرِي ، وَأَنْ أَذْهَبَ حَسَنَاتِي لَكُمْ ، لَا وَاللَّهِ ! حَتَّى تَأْتِيَكُمْ الدَّعْوَةُ وَلَوْ أَنْطَبَقَ عَلَيْكُمْ الدَّفْتَرُ . يَعْنِي وَلَوْ أَنْ تُكْتُبُوا آخِرَ النَّاسِ . إِنَّ صَاحِبِي سَلَكَ طَرِيقًا ، فَإِنْ خَالَفَتْهُمَا خُولَفَ بِي ، وَاللَّهُ مَا أَدْرَكْنَا الْفَضْلَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَا نَرْجُو الثَّوَابَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى عَمَلِنَا إِلَّا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُوَ أَشْرَفُنَا ، وَقَوْمُهُ أَشْرَفُ الْعَرَبِ ، ثُمَّ الْأَقْرَبُ فَلِأَقْرَبٍ ، وَوَاللَّهُ لَئِنْ جَاءَتِ الْأَعْجَامُ بِعَمَلٍ وَجِئْنَا بِعَمَلٍ دُونَهُمْ ، لَهُمْ أَوْلَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : فَإِنَّ مِنْ قَصَرٍ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسْبُهُ .

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَرَادَ وَضَعَ الدِّيَّانَ، قَالَ : بَيْنَ أَبَدَأُ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : أَبَدَأُ بِنَفْسِكَ، فَقَالَ عُمَرُ : أَذْكَرُ أَنِّي حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْدَأُ بِنَبِيِّ هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَبَدَأَ بِهِمْ عُمَرُ، ثُمَّ بَيْنَ يَلِيهِمْ مِنْ قِبَائِلِ قُرَيْشٍ بَطْنًا بَعْدَ بَطْنٍ، حَتَّى آسَتْ وَفِيَّ جَمِيعَ قُرَيْشٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَقَالَ عُمَرُ : أَبَدَأُوا بِرَهْطِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مِنَ الْأَوْسِ، ثُمَّ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ لِسَعْدٍ .



وَأَمَّا الْمُسَاوَاةُ وَالْمُفَاضَلَةُ فِي الْعَطَاءِ فَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ : فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرَى التَّسْوِيَةَ [بَيْنَهُمْ] فِي الْعَطَاءِ [وَلَا يَرَى التَّفْضِيلَ بِالسَّابِقَةِ] كَمَا حَكَاهُ عَنْهُ الْمَأْوَرْدِيُّ فِي "الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ" .

قَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي "الْأَوَائِلِ" : وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَوَانَةَ أَنَّهُ قَالَ : جَاءَ مَالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَاوَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ، فَغَضِبَتْ الْأَنْصَارُ، وَقَالُوا لَهُ : فَضَّلْنَا، فَقَالَ : إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَفْضَلَكُمْ فَقَدْ صَارَ مَا عَمِلْتُمُوهُ لِلدُّنْيَا، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَمِلْنَاهُ إِلَّا لِلَّهِ! وَأَنْصَرَفُوا . فَرَفَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُنْبِرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَوْ شِئْتُمْ [أَنْ] تَقُولُوا : إِنَّا آوَيْنَاكُمْ وَشَارَكْنَاكُمْ أَمْوَالَنَا وَنَصَرْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا لَقَاتَمَ، وَإِنَّ لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُحْصَى لَهُ عَدَدٌ، وَإِنْ طَالَ الْأَمَدُ، فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ الْغَنَوِيُّ :

بَرَئَ اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْلَقَتْ \* بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتْ

أَبَوَا أَنْ يَمْلُوكَنَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَا \* تُلَاقِي الَّذِي لَا قُوَّةَ مِنَّا لَمَلَّتْ

هُمْ أَسْكَنُونَا فِي ظِلَالِ بَيْوتِهِمْ \* ظِلَالِ بَيْوتِ أَدْفَاتٍ وَأَكْنَتِ

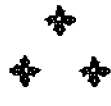


قال الماوردي : وإلى ما رأى أبو بكر رضى الله عنه ذهب على رضى الله عنه في خلافته ، وبه أخذ الشافعي ومالك .

وكان عمر رضى الله عنه يرى التفضيل بالسابقة في الدين ، حتى إنه ناظر أبا بكر رضى الله عنه في ذلك ، حين سوى بين الناس ، فقال : أئساوى بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف ؟ ! - فقال أبو بكر : إنما عملوا لله ، وإنما أجورهم على الله ، وإنما الدنيا [دار] بلاغ [للاكب] <sup>(١)</sup> ، فقال له عمر : لا أجعل [من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ؛ فلما وضع الديوان جرى] على التفضيل بالسابقة ؛ ففرض لكل رجلٍ شهيد بذرًا من المهاجرين [الأولين] خمسة آلاف درهم كل سنة ، ولكل من شهيد بذرًا من الأنصار أربعة آلاف درهم ، ولكل رجلٍ هاجر قبل الفتح ثلاثة آلاف درهم ، ولكل رجلٍ هاجر بعد الفتح ألفين ؛ وفرض لفلانٍ أحداثٍ من أبناء المهاجرين والأنصار أسوة من أسلم بعد الفتح ؛ وفرض للناس على مآزهم ، وقراءتهم القرآن ، وجهادهم بالشام والعراق ؛ وفرض لأهل اليمن وقيس : لكل رجلٍ من ألفي درهم إلى ألف درهم ، إلى خمسمائة درهم ، إلى ثيمائة درهم ، ولم ينقص أحدا منها ، وقال : لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم : ألفا لفرسه ، وألفا لسلاحه ، وألفا لسفره ، وألفا يخففها في أهله ؛ وفرض للنفوس مائة درهم ، فإذا ترعرع فرض له مائتين ، فإذا بالغ زاده . وكان لا يفرض للولود شيئاً حتى يقطم ، إلى أن سمع ليلة امرأة تكبره ولدها دلى الفطام ، وهو يبكي ، فسأله عنه - فقالت : إن عمر لا يفرض للولود حتى يقطم فإنا أكرهه على الفطام حتى يفرض له - فقال يا ويح عمر ! كم أحتمب من

(١) الزيادة من "الاحكام السلطانية" ص ١٧٧ .

وَزُرَّ وَهُوَ لَا يَدْرِى ؛ ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا فِينَادِي : أَلَا لَا تُعْجِلُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْفِطَامِ ، فَإِنَا نَفْرَضُ  
لِكُلِّ مُوَلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ . قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ : ثُمَّ رُوِيَ فِي التَّفْضِيلِ عِنْدَ أَنْقَرَضِ  
أَهْلِ السَّوَابِقِ التَّقَدُّمُ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْبَلَاءِ فِي الْجِهَادِ .



وَأَمَّا تَقْدِيرُ الْعَطَاءِ فَمُعْتَبَرٌ بِالْكَفَايَةِ حَتَّى يَسْتَعْنِيَ بِهَا عَنِ التَّمَسِّسِ مَادَّةً تَقْطَعُهُ عَنِ  
حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ . ثُمَّ الْكَفَايَةُ مُعْتَبَرَةٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ : أَحَدُهَا عَدَدٌ مِنْ يُعُولِهِ مِنَ  
الدَّرَارِيِّ وَالْمَالِيكِ - وَالثَّانِي عَدَدٌ مَا يَرْتَبِطُ مِنَ الْخَيْلِ وَالظَّهْرِ - وَالثَّالِثُ :  
الْمَوْضِعُ الَّذِي يَحْتَلُّهُ فِي الْغَلَاءِ وَالرُّخْصِ فَتَقْدَرُ [ كَفَايَتُهُ فِي ] نَفَقَتِهِ وَكُسُوتِهِ لِعَامِهِ  
كُلَّهُ . ثُمَّ تُعْتَبَرُ حَالُهُ فِي كُلِّ عَامٍ ، فَإِنْ زَادَتْ نَفَقَاتُهُ زَيْدٌ ، وَإِنْ نَقَصَتْ نُقْصٌ ،  
فَلَوْ تَقَدَّرَ رِزْقُهُ بِالْكَفَايَةِ ، فَمَنْعَ الشَّافِعِيِّ مِنْ زِيَادَتِهِ عَلَى الْكَفَايَةِ وَإِنْ أَسْعَى الْمَالُ ،  
لَأَنَّ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ لَا تَوْضَعُ إِلَّا فِي الْحَقُوقِ الْإِلَازِمَةِ ، وَأَجَازَ أَبُو حَنِيفَةَ  
زِيَادَتَهُ حِينَئِذٍ .

### الطرف الثالث

( فِي بَيَانٍ مِنْ يَسْتَحِقُّ إِثْبَاتَهُ فِي الدِّيَوَانِ ، وَكَيْفِيَّةَ تَرْتِيبِهِمْ فِيهِ )

فَأَمَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ إِثْبَاتَهُ فِي الدِّيَوَانِ ، فَمِنْهُ خَمْسَةُ أُمُورٍ :

أَحَدُهَا - الْبُلُوغُ . فَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ الصَّبِيِّ فِي الدِّيَوَانِ ، وَدَوْرَائِيٌّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ ، وَبِهِ أَخَذَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَلْ يَكُونُ جَارِيًّا فِي جُمْلَةِ عَطَاءِ الدَّرَارِيِّ .  
الثَّانِي - الْحُرِّيَّةُ . فَلَا يُثَبَّتُ فِي الدِّيَوَانِ مَمْلُوكٌ ، بَلْ يَكُونُ تَابِعًا لِسَيِّدِهِ دَاخِلًا  
فِي عَطَائِهِ ، خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ فَإِنَّهُ جَوَّزَ إِفْرَادَ الْمَمْلُوكِ بِالْعَطَاءِ ، وَهُوَ رَأْيُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ .

الثالث — الإسلام ، لِيُدْفَعَ عن المِلَّةِ باعتقاده ، حتَّى لو أُثبتَ فيهم ذمٌّ لم يجز ، ولو آرتد منهم مُسلمٌ سَقَطَ .

الرابع — السَّلامة من الآفاتِ المانعة من القتال . فلا يجوز أن يكون زَمِنًا ولا أَعْمَى ولا أَقْطَعَ ، ويجوز أن يكون أنْحَرَسَ أو أَصَمَّ . أما الأَعْرَجُ ، فإن كان فارسًا جاز إثباته أو راجلاً فلا .

الخامس — أن يكون فيه إقدامٌ على الحرب ومَعْرِفَةٌ بِالْقِتَالِ ، فإن ضَعُفَتْ هِمَّتُهُ عن الإقدام ، أو قَلَّتْ معرفتُهُ بالقتال لم يجز إثباته .

فإذا وُجِدَتْ فِيهِ هذه الشروطُ ، أُعْتَبِرَ فِيهِ خُلُوهُ عن عملٍ وطلبُهُ الإثباتَ في الديوانِ ، فإذا طَلَبَ فعلى وَلِيِّ الأمرِ الإجابةُ إذا دَعِيَ الحاجةُ إليه . ثم إن كان مشهورَ الأسمِ فذاك ، وإلا حُلِّ وَنُعِتَ ، بذكرِ سِنِّهِ وَقَدِّهِ وَلَوْنِهِ وصفةِ وجهه ، ووَصِفَ بما يُمَيِّزُ به عن غيره ، كي لا تَتَّفِقَ الأسماءُ ، أو يَدَّعَى في وقتِ العطاء ، ثم يُضَمُّ إلى تَقْيِيبٍ عليه أو عَرِيفٍ يكونُ مأخوذاً بِدَرَكِهِ .



وأما ترتيبُهم في الديوانِ فقد جعلهم الماورديُّ في ”الأحكام السلطانية“ على ضربين :

الضرب الأول — الترتيبُ العامُّ . وهو ترتيبُ القبائلِ والأجناسِ حتَّى تُمَيِّزَ كُلُّ قبيلةٍ عن غيرها وكلُّ جنسٍ عمن يخالفه ، فلا يُجْمَعُ بين المختلفين ، ولا يُفَرَّقُ بين المؤتمنين : لتكرنَ دعوةُ الديوانِ على نَسَقٍ معروفٍ النسبِ يزولُ فِيهِ التنازعُ والتجاذبُ . فإن كانوا عَرَبًا رُوِيَ فِيهِمُ القُربُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، كما فعلَ عمرُ

رضى الله عنه : فُقَدِمُ الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةُ : وهم عَدَنَانُ من ولد إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،  
 عَلَى الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ : وهم بَنُو قُحْطَانَ عَرَبُ الْيَمَنِ : لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ  
 عَدَنَانَ . ثُمَّ عَدَنَانُ تَجْمَعُ رِبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ ، فَتُقَدَّمُ مُضَرٌّ عَلَى رِبِيعَةٍ : لِأَنَّ النَّبُوَّةَ فِي مُضَرٍّ ،  
 وَمُضَرٌّ تَجْمَعُ قُرَيْشًا وَغَيْرُ قُرَيْشٍ ، فَتُقَدَّمُ قُرَيْشٌ عَلَى غَيْرِهِمْ : لِأَنَّ النَّبُوَّةَ فِيهَا ، فَيَكُونُ  
 بَنُو هَاشِمٍ هُمْ قُطْبُ التَّرْتِيبِ ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِمْ مِنْ أَقْرَبِ الْأَنْسَابِ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ  
 قُرَيْشًا ، ثُمَّ مَنْ يَلِيهِمْ فِي النَّسَبِ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ جَمِيعَ مُضَرٍّ ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِمْ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ  
 جَمِيعَ عَدَنَانَ .

وإن كانوا عَجَمًا لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى سَبِّ ، فالمرجوعُ إليه في أمرهم : إما أَجْنَسٌ  
 وإما بِلَادٌ ، فالْمُمَيِّزُونَ بِالْأَجْنَسِ كَالَّذِينَ كَالْتُرْكِ وَالْهِنْدِ ، ثُمَّ تَمَيِّزُ التُّرْكِ أَجْنَسًا ،  
 وَالْهِنْدُ أَجْنَسًا . وَالْمُمَيِّزُونَ بِالْبِلَادِ : كَالَّذِينَ بِالْجَبَلِ ، ثُمَّ تَمَيِّزُ الدَّيْلِمِ بُلْدَانًا ،  
 وَالْجَبَلِ بُلْدَانًا . فَإِذَا تَمَيَّزُوا بِالْأَجْنَسِ أَوِ الْبُلْدَانِ : فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ سَابِقَةٌ تَرْتَّبُوا عَلَيْهَا  
 فِي الدِّيَوَانِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةٌ تَرْتَّبُوا بِالْقُرْبِ مِنْ وَلِيِّ الْأَمْرِ ، فَإِنْ تَسَاوَوْا  
 فَبِالسَّبْقِ إِلَى طَاعَتِهِ .

الضرب الثاني : الترتيبُ الخاصُّ : وهو ترتيبُ الواحد بعدَ الواحد ، فيقدم  
 فيه بالسابقة بالإسلام كما فعل عُمرُ رضي الله عنه ، فَإِنْ تَسَاوَوْا تَرْتَّبُوا بِالَّذِينَ ، فَإِنْ  
 تَقَارَبُوا فِيهِ رُتَّبُوا بِالسَّنِّ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا بِالسَّنِّ رُتَّبُوا بِالشَّجَاعَةِ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا فِيهَا ،  
 كَانَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بِالْخِيَارَيْنِ أَنْ يَرْتَّبَهُم بِالْقُرْعَةِ أَوْ عَلَى رَأْيِهِ وَاجْتِهَادِهِ

## الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة السابعة

( في بيان حكم الإقطاع )

قال في "الأحكام السلطانية" : وإقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه ، ونفذت فيه أوامره ، دون ماتعين ماله وتميز مستحقه .

ثم الإقطاع على ضربين :

### الضرب الأول

( إقطاع التملك )

والأرض المقطعة بالتملك إما موات ، وإما عامر ، وإما معدن .

فأما الموات فإن كان لم يزل مواتا على قديم الزمان ، لم تجر فيه عمارة ، ولم تثبت عليه ملك ، فيجوز للسلطان أن يقطعه من يحييه ويعمره . ثم مذهب أبي حنيفة أن إذن الإمام شرط في إحياء الموات ، وحينئذ فيقوم الإقطاع فيه مقام الإذن . ومذهب الشافعي أن الإقطاع يجعله أحق بإحيائه من غيره . وعلى كلا المذهبين يكون المقطع أحق بإحيائه من غيره .

وأما إن كان الموات عامرا فخرب وصار مواتا عاطلا ، فإن كان جاهليا : كأرض عاد وثمود ، نهى كالموات الذي لم تثبت فيه عمارة في جواز إقطاعه . قال صلى الله عليه وسلم : « عادت الأرض لله ولرسوله ، ثم هي لكم مني ، يعني أرض عاد » . وإن كان الموات إسلاميا جرى عليه ملك المسلمين ، ثم خرب حتى صار مواتا عاطلا ،

فمذهبُ الشافعيّ أنه لا يُمْلِكُ بالإحياء، عُرِفَ أربابه أم لم يُعرفوا، ومذهبُ مالك أنه يُمْلِكُ بالإحياء، عُرِفَ أربابه أم لم يُعرفوا، ومذهبُ أبي حنيفة أنه إن عُرِفَ أربابه لم يُمْلِكُ بالإحياء، وإلاّ مُلِكَ . ثم إذا لم يجوز أن يُمْلِكُ بالإحياء على مذهب الشافعي، فإن عُرِفَ أربابه لم يجوز إقطاعه، وإن لم يُعرفوا جاز إقطاعه وكان الإقطاع شرطاً في جواز إحيائه . فإذا صار المواتُ إقطاعاً لمن خصّه الإمام به لم يستقرّ ملكه عليه حتى يُحييه ويكمل إحياءه، فإن أمسك عن إحيائه كان أحقّ به يداً وإن لم يصر له ملكاً .

وأما العامر : فإن تعيّن مالكوه، فلا نظّر للسلطان فيه إلا ما تعلّق بتلك الأرض من حقوق بيت المال إذا كانت في دار الإسلام، سواء كانت لمسلم أو ذمّي، وإن كانت في دار الحرب التي لم يثبت عليها للمسلمين يدٌ جاز للإمام أن يقطعها لملكها المقتطع عند الظفر بها، كما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم تيمماً وأصحابه أرضاً بالشام قبل فتحه، على ما تقدّم ذكره في أول الباب .

وإن لم يتعيّن مالكوه: فإن كان الإمام قد أصطفاه لبيت المال من فتوح البلاد: إما بحق الخمس، أو باستطابة نفوس الغنائم، لم يجوز إقطاع رقبته : لأنه قد صار باصطفائه لبيت المال ملكاً لكافة المسلمين، فصار على رقبته حكم الوقف المؤبد، والسلطان فيه بالخيار بين أن يستغله لبيت المال وبين أن يتخير له من ذوى المكنة والعمل من يقوم بعمارة رقبته، ويأخذ خراجها، ويكون الخراج أجرة عنه تُصرف في وجوه المصالح .

(١) عبارة الأحكام السلطانية «وان لم يجوز على مذهبه أن يملك» الخ والضمير عائد على أبي حنيفة، وحرر.

(٢) عبارة «الأحكام» السلطانية «بخرى على رقبته حكم الخ» وهي أوضح .

وإن كان العامر أرض خراج لم يجوز إقطاع رقابها تملكاً .

وأما إقطاع خراجها فسيأتى فى إقطاع الاستغلال فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

وإن كان الموات قد مات عنه أربابه من غير وارث، صار لبیت المال ملكاً لعامة المسلمين . ثم قيل : تصير وقفاً على المسلمين بمجرد الانتقال الى بیت المال، لا يجوز إقطاعها ولا بيعها . وقيل : لا تصير وقفاً حتى ينفقها الإمام، ويجوز للإمام بيعها إذا رأى فيه المصلحة ويصرف ثمنها فى ذوى الحاجات . ثم قيل : يجوز إقطاعها كما يجوز بيعها، ويكون تملك رقبته بالإقطاع كتمليك ثمنها . وقيل : لا يجوز إقطاعها وإن جاز بيعها : لأن البيع معاوضة والإقطاع صلة .

## الضرب الثانى

( من الإقطاع إقطاع الاستغلال )

وهو : إما خراج أو عشر .

فأما الخراج : فإن كان من يقطع الإمام من أهل الصدقات لم يجوز أن يقطع مال الخراج : لأن الخراج قى لا يستحقه أهل الصدقة كما لا يستحق الصدقة أهل الفئ وأجاز إقطاعه أبو حنيفة .

وإن كان من أهل المصالح فمن ليس له رزق مفروض فلا يصح أن يقطع على الإطلاق وإن جاز أن يعطى من مال الخراج : لأنهم من نفل أهل الفئ لا من فرضه، وما يعطونه إنما هو من غلات المصالح، فإن جعل لهم من مال الخراج شئ أجرى عليه حكم الحوالة لأحكام الإقطاع .

وإن كان من مُرْتَقَةٍ أَهْلِ الْفَيْءِ وَهَمِ أَهْلِ الْجَيْشِ ، فَهَمِ أَخْصَ النَّاسِ بِجَوَازِ الْإِقْطَاعِ : لِأَنَّ لَهُمْ أَرْزَاقًا مَقْدَرَةً تُصْرَفُ إِلَيْهِمْ مَصْرُفَ الْأَسْتَحْقَاقِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَعْوَاضٌ عَمَّا أَرْصَدُوا نَفُوسَهُمْ لَهُ مِنْ حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَالذَّبِّ عَنِ الْحَرِيمِ .

ثُمَّ الْخَرَاجُ : إِمَّا جَزِيَّةٌ وَهِيَ الْوَاجِبُ عَلَى الْجَمَاعِمِ ، وَإِمَّا أُجْرَةٌ وَهِيَ الْوَاجِبُ عَلَى رِقَابِ الْأَرْضِ . فَإِنْ كَانَ جَزِيَّةً لَمْ يَجْزِ إِقْطَاعُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مَوْثُوقٍ بِاسْتِحْقَاقِهِ بَعْدَهَا لِاحْتِمَالِ أَنْ يُسَلِّمَ الذَّمَّى فَتُرَوَّلَ الْجَزِيَّةُ عَنْهُ . وَإِنْ كَانَ أُجْرَةً جَازَ إِقْطَاعُهُ سَنِينَ لِأَنَّهُ مُسْتَقَرُّ الْوَجُوبِ عَلَى التَّابِيدِ .

ثُمَّ لَهُ ثَلَاثُ أَحْوَالٍ :

إِحْدَاهَا — أَنْ يُقَدَّرَ بِسَنِينَ مَعْلُومَةٍ ، كَمَا إِذَا أَقْطَعَهُ عَشْرَ سَنِينَ مِثْلًا ، فَيَصِحُّ ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ رِزْقُ الْمُقْطَعِ مَعْلُومَ الْقَدْرِ عِنْدَ الْإِمَامِ ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْرُ الْخَرَاجِ مَعْلُومًا عِنْدَ الْإِمَامِ وَعِنْدَ الْمُقْطَعِ ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ مَجْهُولًا عِنْدَهُمَا أَوْ عِنْدَ أَحَدِهِمَا لَمْ يَصِحَّ . ثُمَّ بَعْدَ صِحَّةِ الْإِقْطَاعِ يُرَاعَىٰ حَالُ الْمُقْطَعِ فِي مَدَّةِ الْإِقْطَاعِ : فَإِنْ بَقِيَ إِلَىٰ انْقِضَاءِ مَدَّةِ الْإِقْطَاعِ عَلَىٰ حَالِ السَّلَامَةِ فَهُوَ عَلَىٰ اسْتِحْقَاقِ الْإِقْطَاعِ إِلَىٰ انْقِضَاءِ الْمَدَّةِ ، وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْمَدَّةِ بَطَلَ الْإِقْطَاعُ فِي الْمَدَّةِ الْبَاقِيَةِ ، وَيَعُودُ الْإِقْطَاعُ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَالِ . وَإِنْ كَانَ لَهُ ذَرِّيَّةٌ دَخَلُوا فِي عَطَاءِ الذَّرَارِيِّ دُونَ أَرْزَاقِ الْأَجْنَادِ ، وَيَكُونُ مَا يُعْطَوْنَهُ تَسْبِيًا لَا إِقْطَاعًا . وَإِنْ حَدَثَ بِالْمُقْطَعِ زَمَانَةٌ فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ فَفِي بَقَاءِ الْإِقْطَاعِ قَوْلَانِ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّ إِقْطَاعَهُ بَاقٍ عَلَيْهِ إِلَىٰ انْقِضَاءِ الْمَدَّةِ (وَالثَّانِي) أَنَّهُ يُرْتَجَعُ مِنْهُ .

الثَّانِيَّةُ — أَنْ يُقْطَعَهُ مَدَّةَ حَيَاتِهِ ثُمَّ لَعَقِبَهُ وَوَرِثَتْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَلَا يَصِحُّ : لِأَنَّهُ يَخْرُجُ بِذَلِكَ عَنْ حَقِّقِ بَيْتِ الْمَالِ إِلَى الْأَمْلاكِ الْمُورُوثَةِ ، فَلَوْ قَبَضَ مِنْهُ شَيْئًا بَرِيءُ أَهْلِ الْخَرَاجِ بِقَبْضِهِ : لِأَنَّهُ عَقْدٌ فَاسِدٌ مَأْذُونٌ فِيهِ وَيُحَاسَبُ بِهِ مِنْ جَمَلَةِ رِزْقِهِ : فَإِنْ



كان أكثر ردّ الزيادة، وإن كان أقلّ رجّع بالباقي، وعلى السلطان أن يظهر فساد الإقطاع حتى يمتنع هو من القبض ويمتنع أهل الخراج من الدّفع ولم يبرءوا بما دفعوه إليه حينئذ .

الثالثة — أن يقطع مدّة حياته . ففي صحّة الإقطاع قولان للشافعي بالصحة والبطالان، ثم إذا صحّ الإقطاع فالسلطان أسترجاعه منه فيما بعد السنة التي هو فيها، ويعود رزقه إلى ديوان العطاء . أما السنة التي هو فيها : فإن حلّ رزقه فيها قبل حلول خراجها لم يسترجع منه في سنته لاستحقاق خراجها في رزقه، وإن حلّ خراجها قبل حلول رزقه جاز أسترجاعه منه : لأنّ تعجيل المؤجل وإن كان جائزا فليس بلازم .

وأما العشر فلا يصحّ إقطاعه، لأنه زكاة الأصناف، فيعتبر وصف استحقاقهم عند دفعها إليهم، وقد يجوز أن لا يوجد فلا تجب .

قلت : هذا حكم الإقطاع في الشريعة، وعليه كان عمل الخلفاء والملوك في الزمن السالف، أما في زماننا فقد فسّد الحال وتغيّرت القوانين، وخرجت الأمور عن القواعد الشرعية، وصارت الإقطاعات تردّ من جهة الملوك على سائر الأموال : من خراج الأرضين، والحزبية، وزكاة المواشي، والمعادن، والعشر، وغير ذلك . ثم تفاحش الأمر وزاد حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها، وعمت بذلك البلوى، والله المستعان في الأمور كلّها ! .

## الباب الثاني من المقالة السابعة

( فيما يُكْتَب في الإقطاعات في القديم والحديث ، وفيه فصلان )

### الفصل الأول في أصل ذلك

والأصل فيه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع تميم الدار أرضاً بالشام وكتب له بها كتاباً .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فيه طرقاً مختلفة . فروى بسنده إلى زياد بن فائد ، عن أبيه فائد ، عن جدّه زياد بن أبي هند ، عن أبي هند الدار أنّهُ قال : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَنَحْنُ سِتَّةٌ نَقَرُ : تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ ، وَنَعِيمُ بْنُ أَوْسٍ أَخُوهُ ، وَيزِيدُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَبُو هِنْدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ ، وَأَخُوهُ الطَّيِّبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [ كَانَ اسْمُهُ بَرًا ] فَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَفَاكُهُ بْنُ النِّعْمَانِ ، فَأَسْلَمْنَا وَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْطِعَنَا أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَأَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ » . فَقَالَ تَمِيمٌ : أَرَى أَنْ نَسْأَلَهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَكُورَهَا ، فَقَالَ أَبُو هِنْدٍ : [ هَذَا مُحَلٌّ لِمُلْكِ الْعَجَمِ ] وَكَذَلِكَ يَكُونُ فِيهَا مُلْكُ الْعَرَبِ وَأَخَافُ أَنْ لَا يَتِمَّ لَنَا هَذَا ، فَقَالَ تَمِيمٌ : فَنَسْأَلُهُ

(١) في "سيرة ابن هشام" عدهم ثمانية .

(٢) الزيادة من "سيرة ابن هشام" ج ٢ ص ١٩٥ وهي لازمة لصحة المقام .

(٣) في "سيرة ابن هشام" - عبدالله - وأن الذي سماه عبدالرحمن إنما هو عرفة بن مالك ولم يذكر هنا .

(٤) الزيادة من "السيرة الحلبية وتاريخ ابن عساكر المحفوظ بدار الكتب الأزهرية" .

بيت جبرين وكورتها ، فقال أبو هنيء : هذا أكبر وأكبر . فقال : فأين ترى أن نسأله ؟ فقال : أرى أن نسأله القرى التي يقع فيها تل مع آثار إبراهيم . فقال تميم : أصبت ووقفت - قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم : « أُتُحِبُّ أَنْ تُخْبِرَنِي بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ أَوْ أَخْبِرَكَ ؟ » - فقال تميم : بل تُخْبِرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَزِدَادُ إِيْمَانًا - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرَدْتُمْ أَمْرًا فَأَرَادَ هَذَا غَيْرُهُ » وَنِعْمَ الرَّأْيُ رَأَى - قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بِقِطْعَةٍ جِلْدٍ مِنْ أَدَمَ ، فَكَتَبَ لَنَا فِيهَا كِتَابًا نُسَيِّمُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا [ كِتَابٌ ] <sup>(١)</sup> ذِكْرٌ [ فِيهِ ] مَا وَهَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ لِلدَّارَيْنِ إِذَا »  
« أَعْطَاهُ اللَّهُ الْأَرْضَ . وَهَبَ لَهُمْ بَيْتَ عَيْنُونَ وَحَبْرُونَ ، وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ »  
« بِمَنْ فِيهِمْ لَهُمْ أَبَدًا » .

« شَهِدَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَجَهْمُ بْنُ قَيْسٍ ، وَشَرْحَبِيلُ بْنُ »  
« حَسَنَةَ ، وَكَتَبَ » .

قال : ثم دخل بالكتاب إلى منزله فعالج في زاوية الرقعة وغشاه بشيء لا يعرف ، وعقده من خارج الرقعة بسير عقتين ، وخرج إلينا به مطويًا وهو يقول :  
﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(١) الزيادة من "السيرة الحلبية" ج ٣ ص ٢٩٦ وتاريخ ابن عساكر .

(٢) في "السيرة الحلبية" ص ٢٩٦ ج ٣ « وخزيمة بن قيس » .

(٣) بياض في الأصل بمقدار كلمة ، والتصحيح من تاريخ ابن عساكر .

ثم قال : أَنْصِرُوا حَتَّى تَسْمَعُوا بِي قَدْ هَاجَرْتُ . قال أبو هند : فأنصَرَفْنَا . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، قَدِمْنَا عليه فسألناه أَنْ يُجَدِّدَ لَنَا كِتَابًا ، فكتبَ لَنَا كِتَابًا نُسَخَّتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا مَا أَنْطَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ »  
« وَأَصْحَابِهِ ، إِنِّي أَنْطَيْتُكُمْ عَيْنُونَ وَحَبْرُونَ وَالرُّطُومَ وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بِرُمَّتِهِمْ »  
« وَجَمِيعَ مَا فِيهِمْ نَطِيَّةَ بَيْتٍ ، وَنَقَذْتُ وَسَلَّمْتُ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَأَعْقَابِهِمْ مِنْ »  
« بَعْدِهِمْ أَبَدَ الْأَبَدِ ، فَمَنْ آذَاهُمْ فِيهَا آذَاهُ اللَّهُ » .

« شَهِدَ أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي خُفَافَةَ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، »  
« وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَتَبَ » .

فلما قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلِيَ أَبُو بَكْرٌ ، وَجَّهَ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ ، فكتبَ لَنَا كِتَابًا نُسَخَّتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ إِلَى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي »  
« أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » .

« أَمَا بَعْدَ ، أَمْنَعُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْفَسَادِ »  
« فِي قُرَى الدَّارِيِّينَ ؛ وَإِنْ كَانَ أَهْلُهَا قَدْ جَلَوْا عَنْهَا وَأَرَادَ الدَّارِيُّونَ »

« أَنْ يَزْرَعُوهَا فَلْيَزْرَعُوهَا ، فَإِذَا رَجَعَ أَهْلُهَا إِلَيْهَا فَهِيَ لَهُمْ وَأَحَقُّ بِهِمْ »  
« وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ » .

وروى بسنده أيضا إلى الزُّهْرِيِّ وَثُورِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَا : قَامَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ وَهُوَ تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ ، رَجُلٍ مِنْ نَحْمٍ ، فَقَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي جِيزَةً مِنَ الرُّومِ بِفِلَسْطِينَ لَهُمْ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا حَبْرَى ، وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا بَيْتُ عَيْنُونِ : فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ الشَّامَ فَهَبْهُمَا لِي ، قَالَ : هُمَا لَكَ ، قَالَ : فَأَكْتُبْ لِي بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ لَهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ ، إِنَّ لَهُ قَرْيَةَ حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونِ قَرَّتَيْهَا كُلُّهَا سَهْلُهَا وَجَبَلُهَا »  
« وَمَاءُهَا وَحَرَّتُهَا وَأَنْبَاطُهَا وَبَقَرُهَا وَلَعِقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ لَا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ »  
« وَلَا يُلْجِئُهُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بِظُلْمٍ . فَمَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ أَخَذَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا »  
« فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » وَكَتَبَ عَلَى .

فَلَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ كَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا نُسَخْتَهُ :

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي »  
« أَسْتُخْلِفُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُ ، كَتَبَهُ لِلدَّارِيِّينَ أَنْ لَا تُفْسَدَ عَلَيْهِمْ مَا تُرْتَبِعُهُمْ »  
« قَرْيَةُ حَبْرَى وَبَيْتُ عَيْنُونِ ، فَمَنْ كَانَ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ فَلَا يُفْسِدُ مِنْهَا شَيْئًا »  
« وَلِيَقِمَّ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَيْهِمَا فَلْيَمْنَعَهُمَا مِنَ الْمُفْسِدِينَ » .

وروى ابن منده بسنده إلى عمرو بن حزم رضى الله عنه أنه قال : أقطع النبي صلى الله عليه وسلم تميماً الداريّ، وكتب :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«هذا كتاب من محمد رسول الله لتمييم بن أوس الداريّ، إنَّ له صهيون»  
«قريتها كلها سهلها وجبلها وماءها وكرومها وأنباطها وورقها، ولعقبه من»  
«بعده لا يحاقه فيها أحد، ولا يدخل عليه بظلم؛ فمن أراد ظلمهم»  
«أو أخذ منهم فإنَّ عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» .

قلت : وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدي التميميين خدام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن، وكلما نازعهم أحد أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليوقف عايبا ويكف عنهم من يظلمهم . وقد أخبرني برؤيتها غير واحد، والأديم التي هي فيه قد خالق لطول الأمد .

## الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة السابعة

( فى صورة ما يُكْتَب فى الإقطاعات ، وفيه طرفان )

### الطرف الأول

( فيما كان يُكْتَب من ذلك فى الزّمن القديم )

وكانت الإقطاعات فى الزّمن الأول قليلةً ، إنّما كانت تُجْبى الأموال إلى بيت المال ثم يُنْفَق منه على الجُند على ما تقدّم ذكره ، ورُبّما أقطَعُوا القرية ونحوها وقرّروا على مُقْطَعِها شيئاً يقوم به لبيت المال فى كل سنة ، ويسمّون ذلك المقاطعة .

ثم ما كان يُكْتَب فى ذلك على ضربين ، كلاهما مفتتح بلفظ « هذا » :

### الضرب الأول

( ما كان يُكْتَب عن الخلفاء ، ولهم فيه طريقتان )

#### الطريقة الأولى

( طريقة كُتِب الخلفاء العبّاسيّين ببغداد )

وكان طريقتهم فيها أن يُكْتَب « هذا كتاب من فلان ( بلقب الخليفة ) إنك ذكرت من أمر ضيعتك الفلانية كذا وكذا ، وسألت أمير المؤمنين فى كذا وكذا ، وقد أجابك أمير المؤمنين إلى سؤالك فى ذلك ونحوه » .

وهذه نسخة مُقاطعة ، كُتِب بها عن المُطيع لله الخليفة العبّاسى ، من إنشاء

أبى إسحاق الصابى ، وهى :

هذا كتاب من عبد الله الفضل، الإمام المطيع لله أمير المؤمنين، لفلان بن فلان.  
 إنك رفعت قصصك تذكر حال ضيقتك المعروفة بكذا وكذا، من رستاق كذا وكذا،  
 من طسوج كذا وكذا، وأنها أرض رقيقة قد توالى عليها الخراب، وأنغلق أكثرها  
 بالسد والدغل، وأن مثلها لا تتسع يد الليالى للإففاق عليه، وقلب بالاسله (?) وأستخرج  
 سدوده وقفل أرضه، ولا يرغب الأكرة في أزدراعه والمعاملة فيه. وإن أمير المؤمنين  
 مقاطعك عن هذه الضيعة على كذا وكذا من الورق المرسل في كل سنة، على استقبال  
 سنة كذا وكذا الخراجية، مقاطعة مؤبدة، ماضية مقررة نافذة، يُستخرج مالها  
 في أول المحرم من كل سنة، ولا تتبع بنقض ولا يتأول فيها متأول، ولا تعرض  
 في مستأنف الأيام، [إن] أجهدت في عمارتها، وتكلفت الإففاق عليها وأستخرج  
 سدودها، وقفل أراضيها واحتفار سواقيها، وأجتلاب الأكرة إليها، وإطلاق البدور  
 والتقوى فيها، وإرغاب المزارعين بتخفيف طسوتها بحق الرقبة ومقاسماتها، وكان  
 في ذلك توفير لحق بيت المال وصالح ظاهر لا يختل.

وسألت أمير المؤمنين الأمر بذلك والتقدم به والإسجال لك به، وإثباته في ديوان  
 السواد ودواوين الحضرة وديوان الناحية، وتصميمه ماضياً لك ولعقبك وأعقابهم،  
 ومن لعل هذه الضيعة أو شيئاً منها ينتقل إليه ببيع أو ميراث أو صدقة أو غير ذلك  
 من ضروب الانتقال.

وإن أمير المؤمنين بإيثاره الصلاح، واعتماده أسبابه، ورغبته فيما عاد بالتوفير على  
 بيت المال، والعمارة والترفيه للرعية، أمرنا بالنظر فيما ذكرته، واستقصاء البحث عنه،  
 ومعرفة وجه التدبير، وسبيل الحظ فيه، والعمل بما يوافق الرشد في جميعه. فرجع  
 إلى الديوان في تعرف ما حكيته من أحوال هذه الضيعة، فأفخذ منه رجل مختار ثقة



مأمونٌ، من أهل الخبرة بأمور السَّواد وأعمال الخراج: قد عَرَفَ أمير المؤمنين أمانته وعِلْمه ومعرفته، وأمر بالمصير إلى هذه الناحية، وجمع أهلها: من الأدلاء والأكرَّة والمزارعين، وثقات الأمناء والمجاورين، والوقوف على هذه الأقرحة، وإيقاع المساحة عليها، وكشف أحوال عامرها وغامرها، والمسير على حدودها، وأخذ أقوالهم وآرائهم في وجه صلاح وعمارة قراج قراج منها، وما يوجبُه صواب التدبير فيما آلمسته من المقاطعة بالمبلغ الذي بذلته. وذكرت أنه زائدٌ على الارتفاع، والكتاب بجميع ذلك إلى الديوان، ليوقف عليه وينهى إلى أمير المؤمنين فينظر فيه: فما صحَّ عنده منه أمضاه، وما رأى الاستظهار على نظر الناظر فيه آستظهر فيما يرى منه، حتى يقف على حقيقته، ويرسم ما يعمل عليه.

فذكر ذلك الناظر أنه وقف على هذه الضيعة، وعلى سائر أقرحتها وحدودها ونطاقها، بمشهد من أهل الخبرة بأحوالها: من ثقات الأدلاء والمجاورين، والأكرَّة والمزارعين، والأمناء الذين يرجع إلى أقوالهم، ويعمل عليها، فوجد من حاجة بطون الأقرحة المزدرعة من جميعها، دون سواقيها وبرورها وتلاها وجنائها ومستنقعاتها، وما لا يعتمد من أرضها، بالجريب الهاشمي الذي تُمسح به الأرض في هذه الناحية كذا وكذا جريباً: منها جميع القراج المعروف بكذا وكذا، ومنها قراج كذا وكذا، ومنها الحصن والبيوت، والساحات، وأقراحات، والخزانات، ووجد حالها في الخراب والأنسداد، وتعذر العبارة، والحاجة إلى عظيم المؤونة وفرط النفقة على ما حكته وشكوته، ونظر في مقدار أصل هذه الخزانات من هذه الضيعة، وما يجب عليها، وكشف الحال في ذلك..

وَنَظَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا رَفَعَهُ هَذَا الْمُؤْتَمَنُ الْمُنْفَذُ مِنَ الدِّيْوَانِ ، وَاسْتَظْهَرَ فِيهِ بِمَا رَأَاهُ مِنَ الْأَسْتَظْهَارِ ، وَوَجَبَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَحْتِيَاظِ ، فَوَجَدَ مَارْفَعَهُ صَحِيحًا صَحَّةً عَرَفَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَعَالِمُهَا ، وَقَامَتْ فِي نَفْسِهِ ، وَثَبَتَتْ عِنْدَهُ ، وَرَأَى إِيْقَاعَ الْمُقَاطَعَةِ الَّتِي أَلْتَمَسَتْهَا عَلَى حَقِّ بَيْتِ الْمَالِ فِي هَذِهِ الضَّيْعَةِ ، فَقَاطَعَكَ عَنْهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ هَلَالِيَّةً ، عَلَى اسْتِقْبَالِ سَنَةِ كَذَا وَكَذَا الْخَرَجِيَّةِ ، عَلَى كَذَا وَكَذَا : دِرْهَمًا صَحَاحًا مُرْسَلَةً بِغَيْرِ كَسْرِ وَلَا كَعَاهِ (?) وَلَا حَقَّ حَرْبٍ وَلَا جَهْدَةٍ ، وَلَا مُحَاسَبَةٍ وَلَا زِيَادَةٍ ، وَلَا شَيْءٍ مِنْ جَمِيعِ الْمُؤْنِ وَسَابِقِ التَّوَاقِيعِ وَالرُّسُومِ . تَوَدَّى فِي أَوَّلِ الْحَرَمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ ، حَسَبَ مَا تُؤَدَّى الْمُقَاطَعَةُ ، مُقَاطَعَةً مَاضِيَةً مُؤَبَّدَةً ، نَافِذَةً ثَابِتَةً ، عَلَى مُضِيِّ الْأَيَّامِ ، وَلِزُومِ الْأَعْوَامِ ، لَا تُنْقَضُ وَلَا تُفْسَخُ ، وَلَا تُشْعَ ، وَلَا يُتَأَوَّلُ فِيهَا ، وَلَا تُغَيَّرُ . عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَالُ : وَهُوَ مِنَ الْوَرَقِ الْمُرْسَلِ كَذَا وَكَذَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مُؤَدَّى فِي بَيْتِ الْمَالِ ، وَمَصْحُوحًا عِنْدَ مَنْ تُورَدُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ أَمْوَالُ خَرَاجِهِمْ وَمُقَاطَعَاتِهِمْ وَجَبَايَاتِهِمْ ، لَا يُعْتَلُّ فِيهَا بِأَفَةِ تَلَحُّقِ الْغَلَّاتِ ، سَمَاوِيَّةٍ وَلَا أَرْضِيَّةٍ ، وَلَا بَتْعَطُلِ أَرْضٍ ، وَلَا بِقُصُورِ عِمَارَةٍ ، وَلَا نُقْصَانِ رَيْعٍ ، وَلَا بِانْحِطَاطِ سَعْرِ ، وَلَا بِتَأْخُرِ قَطْرِ ، وَلَا بِشُرْبِ غَلَّةٍ ، وَلَا حَرَقٍ وَلَا شَرَقٍ ، وَلَا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآفَاتِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَلَا بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، وَلَا يَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ بِحُجَّةٍ يَحْتَاجُ بِهَا التَّنَاقُضُ (?) ، وَالْمُزَارَعُونَ ، وَأَرْبَابُ الْخَرَاجِ فِي الْإِلْتِمَاءِ بِمَا عَلَيْهِمْ ، وَعَلَى أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ الْمُقَاطَعَةِ يَدٌ مَاسِحَةٍ وَلَا مُخَنِّ ، وَلَا حَازِرٍ ، وَلَا مُقَدِّمٍ ، وَلَا أَمِينٍ ، وَلَا حَاضِرٍ ، وَلَا نَاضِرٍ ، وَلَا مُتَّبِعٍ ، وَلَا مُتَعَرِّفٍ لِحَالِ زِرَاعَةٍ وَعِمَارَةٍ ، وَلَا كَاشِفٍ لِأَمْرِ زَرْعٍ وَغَلَّةٍ ، مَاضِيًا ذَلِكَ لَكَ وَلَعَقِبِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، وَأَعْقَابِهِمْ ، وَوَرَثَتِكَ وَوَرَثَتِهِمْ ، أَبَدًا مَا تَنَاسَلُوا ، وَلَنْ عَسَى أَنْ تَنْقِلَ هَذِهِ الْأَقْرَحَةُ أَوْ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَيْهِ بِإِرْثٍ ، أَوْ بَيْعٍ ، أَوْ هَبَةٍ ، أَوْ نَحْلٍ ، أَوْ صَدَقَةٍ ، أَوْ وَقْفٍ ، أَوْ مُنَاقَلَةٍ ، أَوْ إِجَارَةٍ ، أَوْ مُهَيَّاةٍ ، أَوْ تَمْلِكٍ ، أَوْ إِقْرَارٍ ، أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَنْتَقِلُ بِهَا

الأملاك من يدٍ إلى يدٍ، ولا يُنقضُ ذلك ولا شيءٌ منه، ولا يغير ولا يفسخ، ولا يُزال ولا يبدل، ولا يعقب، ولا يعترض فيه بسبب زيادة عمارة، ولا ارتفاع سعر ولا وفور غلة، ولا زكاء ريع، ولا إحياء موات، ولا اعتمال معطل، ولا عمارة خراب، ولا استخراج غامر، ولا صلاح شرب، ولا استحداث غلات لم يجز الرسم باستحداثها وزراعتها، ولا يعد ولا يمسح ما عسى أن يغرّس بهذه الأفرحة : من النخل وأصناف الشجر المعدود والكرم، ولا يتأول عليك فيما لعل أصل المساحة أن تزيد به فيما تعمّره وتستخرجه من الجباين والمستنقعات، ومواضع المشارب المستغنى عنها، إذ كان أمير المؤمنين قد عرف جميع ذلك، وجعل ما يجب على شيءٍ منه عند وجوبه داخلًا في هذه المقاطعة، وجاريا معها .

على أنك إن فصّلت شيئًا من مال هذه المقاطعة على بعض هذه الأفرحة من جميع الضيعة، وأفردت باقى مال المقاطعة بباقيها عند ملك ينتقل منها عن بدل، أو فعل ذلك غيرك ممن جعل له في هذه المقاطعة ما جعل لك من ورثتك وورثتهم، وعقبك وأعقابهم، ومن لعل هذه الضيعة أو شيئًا من هذه الأفرحة ينتقل إليه بضرب من ضروب الانتقال، قيل ذلك التفصيل منكم عند الرضا والاعتراف ممن تفصلون باسمه، ويحيلون عليه، وعوملتم على ذلك، ولم يتأول عليكم في شيءٍ منه .

وعلى أنك إن ألتست أو ألتست من يقوم مقامك ضرب منارٍ على هذه الضيعة، تعرف به حدودها ورسومها وطرقها، ضرب ذلك المنار أى وقت ألتسوه، ولم يمنعوا منه، وإن تأخر ضرب المنار لم يتأول عليكم به، ولم يجعل علة في هذه المقاطعة، إذ كانت شهرة هذه الضيعة وأقربتها في أماكنها، ومعرفة مجاورها بما ذكر من تسميتها ومساحتها، تُغنى عن تحديدها أو تحديد شيءٍ منها، وتقوم مقام المنار

في إيضاح معالمها ، والدلالة على حدودها وحقوقها ورسومها . وقد سَوَّغَكَ يَا فُلَانُ  
أَبْنَ فُلَانٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَقِبَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَعْقَابَهُمْ ، وَوَرَثَتَكَ وَوَرَثَتَهُمْ أَبَدًا  
مَاتَنَاسَلُوا ، وَمَنْ تَنَقَّلَ هَذِهِ الْأَقْرَحَةُ أَوْ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَيْهِ - جَمِيعَ الْفَضْلِ بَيْنَ مَا كَانَ يَلْزَمُ  
هَذِهِ الضَّيْعَةَ وَأَقْرَحَتَهَا مِنْ حَقِّ بَيْتِ الْمَالِ وَتَوَابِعِهِ ، عَلَى الْوَضِيعَةِ التَّامَةِ ، وَعَلَى  
الشَّرْوَطِ الْقَدِيمَةِ ، وَبَيْنَ مَا يَلْزَمُهَا عَلَى هَذِهِ الْمَقَاطَعَةِ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ خَارِجًا عَنْ حَاصِلِ  
طَسُوجٍ كَذَا وَكَذَا ، وَعَمَّا يَرْفَعُهُ الْمُؤْتَمِنُونَ ، وَيُؤَافِقُ عَلَيْهِ الْمُتَضَمِّنُونَ ، عَلَى غَايِرِ الدَّهْرِ  
وَمَرِّ السِّنِينَ ، وَتَعَاقِبِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ .

فَلَا تُقْبَلُ فِي ذَلِكَ سَعَايَةُ سَاعٍ ، وَلَا قَدْحُ قَادِحٍ ، وَلَا قَرْفُ قَارِفٍ ، وَلَا إِغْرَاءُ مُغْرٍ ،  
وَلَا قَوْلُ مَعْنَفٍ ، وَلَا يُرْجَعُ عَلَيْكَ فِيمَا سَوَّغْتَهُ وَنَظَرَ لَكَ بِهِ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ،  
وَلَا يُرْجَعُ فِي التَّقْرِيرَاتِ ، وَلَا تَنْقُضَ بِالْمَعَامَلَاتِ وَرَدَّهَا إِلَى قِوَامِ أَصُولِهَا ، وَلَا ضَرْبَ  
مِنْ ضُرُوبِ الْجُحْجَجِ وَالتَّأْوِيلَاتِ ، الَّتِي يَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْعَدْلِ عَلَى سَبِيلِ الْحُكْمِ وَالنَّظَرِ ،  
وَأَهْلُ الْجَوْرِ عَلَى سَبِيلِ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ . وَلَا تَكَلِّفُ يَا فُلَانُ بَنَ فُلَانٍ ، وَلَا عَقِبَكَ مِنْ  
بَعْدِكَ ، وَلَا وَرَثَتَكَ ، وَلَا أَعْقَابَهُمْ ، وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ تَخْرُجُ هَذِهِ الضَّيْعَةُ أَوْ هَذِهِ الْأَقْرَحَةُ  
أَوْ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَيْهِ ، عَلَى الْوُجُودِ وَالْأَسْبَابِ كُلِّهَا - إِخْرَاجَ تَوْقِيعٍ ، وَلَا كِتَابَ مَجْدَدٍ ،  
وَلَا مَنْشُورٍ بِإِنْفَازِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا إِحْضَارَ سَجِلٍّ بِهِ ، وَلَا إِقَامَةَ حُجَّةٍ فِيهِ فِي وَقْتٍ  
مِنَ الْأَوْقَاتِ .

وَعَلَى أَنْ لَا يَلْزَمَكَ وَلَا أَحَدًا مِمَّنْ يَقُومُ مَقَامَكَ فِي هَذِهِ الْمَقَاطَعَةِ مَعُونَةً ، وَلَا كُلْفَةً ،  
وَلَا ضَرِيْبَةً ، وَلَا زِيَادَةً ، وَلَا تَقْسِيْطَ كِرَاءٍ مِنْهُ ، وَلَا مَصْلَحَةً ، وَلَا عَامِلُ بَرِيدٍ ،  
وَلَا نَفَقَةً ، وَلَا مَعُونَةَ جَمَاعَةٍ ، وَلَا خِفَارَةً ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ . وَلَا يَلْزَمُ بَوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُودِ  
فِي هَذِهِ الْمَقَاطَعَةِ زِيَادَةٌ عَلَى الْمَبْلَغِ الْمَذْكُورِ الْمُؤَدَّى فِي بَيْتِ الْمَالِ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَجْرَاجِيَّةٍ ،

وهو من الورق المرسل كذا وكذا، ولا تمنع من رَوْز جهيد أو حجة كاتب أو عامل بما لهذه المقاطعة إذا أدتته أو أدت شيئا منه أولا أولا، حتى يتكمل الأداء، وتحصل في يدك البراءة في كل سنة بالوفاء بجميع المال بهذه المقاطعة .

وعلى أن تعاونوا على أحوال العارة ، وصلاح الشرب ، وتوفر عليكم الضيافة والحماية ، والذب والرعاية .

ولا يتعقب ما أمر به أمير المؤمنين أحد من ولاية العهود والأمراء والوزراء وأصحاب الدواوين ، والكُتاب والعمال والمُشرفين ، والضُمَناء والمؤتمنين ، وأصحاب الخراج والمعاونين ، وجميع طبقات المعاملين ، وسائر صنوف المتصرفين - يُبطله أو يزيله عن جهته ، أو ينقضه ، أو يفسخه ، أو يغيره ، أو يبدله ، أو يوجب عليك أو على عقبك من بعدك وأعقابهم وورثتهم أبدا ما تناسلوا ومن تخرج هذه الضيعة أو شيء منها [إليه] حجة على سائر طرق التأويلات ؛ ولا يلزمك شيئا فيه ، ولا يكلفكم عوضا عن إرضائه ؛ ولا ينظر في ذلك أحد منهم نظر تتبع ولا كشف ، ولا بحث ، ولا فحص . فإن خالف أحد منهم ما أمر به أمير المؤمنين ، أو تعرض لكشف هذه المقاطعة أو مساحتها أو تخمينها أو اعتبارها والزيادة في مبلغ مالها ، أو ثبت في الدواوين في وقت من الأوقات شيء يخالف ما رسمه أمير المؤمنين فيها : إما على طريق السهو والغلط ، أو العدوان والظلم والعناد والقصد ، فذلك كله مردود ، وباطل ، ومنفسخ ، وغير جائز ، ولا سائغ ، ولا قايح في صحة هذه المقاطعة وثبوتها ووجوبها ، ولا معطل لها ، ولا مانع من تلافى السهو واستدراك الغلط في ذلك ، ولا مغير لشيء من شرائط هذه المقاطعة . ولا حجة تقوم عليك يا فلان بن فلان ، ولا على من يقوم في هذه المقاطعة بشيء من ذلك : إذ كان ما أمر به أمير المؤمنين

من ذلك على وجه من وجوه الصلاح، وسبيل من سبله رآهما وأمضاهما، وقطع بهما كل اعتراض ودعوى، واحتجاج وقذف، وأزال معهما كل بحث وخص، وتبعية وعلاقة، وإن كان من الشرائط فيما سلف من السنين وخلا من الأزمان ما هو أوكد وأتم وأحكم وأحوط لك، ولعقبك وورثتك، وأعقابهم وورثتهم؛ ومن تنقل هذه الأفرحة أو شيء منها إليه مما شُرط في هذا الكتاب بحال، أوجبها لك الاحتياط على اختلاف مذاهب الفقهاء والكتّاب وغيرهم مما للخلفاء أن يفعلوه وتنفذ فيه أمورهم، وحُبات وحملوا عليه، وهو مضاف إلى شروط هذا الكتاب التي قد أتى عليها الذكر، ودخلت تحت الحصر، ولم يكاف أحد منكم إخراج أمر به .

• وإن ألتمت [ أنت ] أو أحد من ورثتك وأعقابك، ومن عسى أن تنقل هذه الضيعة والأفرحة أو شيء منها إليه في وقت من الأوقات تجديد كتاب بذلك، ومكاتبه عامل أو مشرف، أو إخراج توقيع ومذشور إلى الديوان بمثل ما تضمنه هذا الكتاب، أجبتم إليه ولم تمنعوا منه .

وأمر أمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب في الدواوين، وإقراره في يدك، حجة لك ولعقبك من بعدك وأعقابهم، وورثتك وورثتهم، ووثيقة في أيديكم، وفي يد من عسى أن تنقل هذه الضيعة أو الأفرحة أو شيء منها إليه، بضرب من ضروب الانتقال التي ذكرت في هذا الكتاب والتي لم تذكر فيه، وأن لا تكلفوا إيراد [ حجة ] من بعده، ولا يتأول عليكم متأول فيه .

فمن وقف على هذا الكتاب وقرأه أو قرئ عليه : من جميع الأمراء، وولاة العهود والوزراء، والعُمال، والمشرفين، والمتصرفين، والناظرين في أمور الخراج، وأصحاب السيوف على اختلاف طبقاتهم، وتباين منازلهم وأعمالهم . فليمتثل ما أمر به أمير

(١) متعلق بأوكد وما بعده .

المؤمنين ولينفذ فلان بن فلان وورثته وورثتهم، وعقبه وأعقابهم، ولمن تنتقل هذه الأفرحة أو شيء منها إليه - هذه المقاطعة، من غير مراجعة فيها، ولا استئثار عليها، ولا تكليف [ له ] ولا لأحد ممن يقوم بأمرها إيراد حجة بعد هذا الكتاب بها. وليعمل بمثل ذلك من وقف على نسخة من نسخ هذا الكتاب في ديوان من دواوين الحضرة، وأعمالها أو الناحية، وليقرر في يد فلان بن فلان أو يد من يورده ويحتج به ممن يقوم مقامه؛ إن شاء الله تعالى.

### الطريقة الثانية

( ما كان يُكتب في الإقطاعات عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية )

وهو على نحو مما كان يُكتب عن خلفاء بني العباس.

قال في "مواد البيان": والرسم فيها أن يُكتب:

أمير المؤمنين بما وهبه الله تعالى: من شرف الأعراق، وكرم الأخلاق، ومنحه من علو الشأن، وارتفاع السلطان؛ يمتدئ بإذن الله سبحانه في إفاضة إنعامه وبره، على الناهضين بحقوق شكره؛ ويوقع أياديه عند من يقوم بحققها، ويتألفها بحمدها، وشكرها، ولا ينفرها ويوحشها بكفرها؛ ويحدها؛ ويتحرى بعوارفه المغارس التي تُنجب شجرتها، وتحلولي ثمرتها؛ والله تعالى نسأله أن يوفقه في مقاصده، ويريه مخايل الخير في مصادره وموارده؛ ويعينه على إحسان يفيضه ويسبغه، وأمتنان يضيفه ويفرغه.

ولما كان فلان بن فلان من غرس أمير المؤمنين [إحسانه] لديه فأثمر، وأولاه طوله فشكر؛ وراه مستقيلاً بالصنيعه، حافظاً للوديعه، مقابلاً العارفة بالإخلاص في الطاعة، مستندراً بالانقياد والتباعه، أخلاف الفضل والنعمه (ويوصف الرجل

المقّطع بما تقتضيه منزلته) ثم يقال : رأى أمير المؤمنين مضاعفة أيديه لديه ، ومواصلته إناعامه إليه ، وإجابة سؤاله ، وإنالته أقاصي آماله ، وتويله ما نحت إليه أمانته ، وطمحت نحوه راحته ، وإسعافه بما رغب فيه من إقطاعه الناحية الفلانية ، أو الدار أو الأرض ، أو تسويغ ما يجب عليه من نجاج ملكه ، وما يجري هذا المجرى . ثم يقال : ثقة بأن الإحسان مغروس منه في أكرم مغرس وأزكاه ، وأحقّ منزّل بالتنويل وأولاه . وخرج أمره بإنشاء هذا المنشور بأنه قد أقطعه الناحية الفلانية ، لاستقبال سنة كذا بحقوقها وحدودها ، وأرضها العامرة ووجوه جباياتها ، وينص على كلّ حق من حقوقها ، وحد من حدودها ( فإذا استوفى القول عليه ، قال : إناعاماً عليه ، وبسطة لأمله ، وإبانة عن خطره .

فليعلم ذلك كافة الولاة والنظار والمستخدمين من أمير المؤمنين ورسمه ، ليعملوا عليه وبحسبه ، وليحذروا من تجاوزه وتعديه ، وليقرّ بيده بعد العمل بما نص فيه ، إن شاء الله تعالى .

قلت : والتحقيق أنّ لهم في ذلك أساليب : منها ما يفتتح بلفظ « هذا » والمعروف أنه كان يسمى ما يكتب في الاقطاعات عندهم سبيلات كالذي يكتب في الولايات .

\* \*

وهذه نسخة منشور من مناشيرهم ، من إنشاء القاضي الفاضل لولد من أولاد الخليفة اسمه حسن ولقبه حسام الدين مفتتح بلفظ « هذا » وهي :

هذا كتاب من أمير المؤمنين لولده الذي جلّ قدراً أن يسامى ، وقتر في ناظر الإيمان نورا وسلته يد الله حساماً ، وحسن به الزمان فكان وجوده في عطفه



حليّة والغُزّة آبتساما، وأضاءت وجوه السعادة لمنحها بكرم اسمه آتساما، وتبيّات  
الأقدار لأن تُجرى على نقش خاتم إرادته أمثالا وأرتساما - الأمير فلان، جريا على عادة  
أمير المؤمنين التي أوضح الله فيها إشراق العوائد، وأتباعا لسنة آبائه التي هي سنن المكارم  
والمراشد، وأرتقادا مع أرتياح [إلى موارد] كرمه التي هي موارد لا يُحلا عنها وارد،  
وأختصاصا بفضله لمن كفاه من الشرف أنه له والد، وعموما بما يسوقه الله على يده  
من أرزاق العباد، وإنعاما جعل نجله طريقه إلى أن يفيض على كل حاضر وباد .  
وأمر المؤمنين بحرّ ينتشئ من آله السحاب المنزل، ويمدّهم جواد العطاء الأجل .  
أمر بكتبه لما عرّضت لمقامه رُقعة بكذا وكذا، وخرج أمر أمير المؤمنين إلى وليه  
وناصره، وأمينه على ما استأمنه الله عليه وموازيره؛ السيد الأجل الذي لم تزل آراؤه  
ضوامن للمصالح كوافل، وشهب تدبيره من سماء التوفيق غير غاربة ولا أوافل، وخدمه  
لأمير المؤمنين لا تقف عند الفرائض حتى تخطى إلى النوافل، وجاد فأخلاف النعم  
به حوافل، وأقبل فأحزاب الخلاف به جوافل، وأيقظ عيوننا من التدبير على الأيام  
لا تدعى الأيام أنها غوافل، بأن يُوعز إلى ديوان الإنشاء بإقطاع ناحية كذا بجدها،  
والمعتاد من وصفها المعاد، وما يدل عليه الديوان من عبرتها، ويتحصّل له من عيناها  
وغلتها، إلى الديوان الفلاني: إقطاعا لا ينقطع حكمه، وإحسانا لا يعفو رسمه، وتسوية  
لا يطيش سهمه، وتكميلا لا يُحى اسمه، وتخويلا لا يُثنى عزمه، يتصرف فيه  
هذا الديوان ويستبدّ به مالكا، ويُفاوض فيه مشاركا، ويزرعه متعملا ومضمنا،  
ويستثمره عادلا في أهله محسنا، لا تنتعبه الدواوين بتأويل ما، ولا الأحوال بتحوّل ما،  
ولا الأيام بتقلّبها، ولا الأغراض بتعقّبها، ولا اختلاف الأيدي بتقلّبها، ولا تعترضه  
الأحكام بتأولها .

(١) في الأصول هكذا «سمحا» باهمال نقط الكلمة بتمامها .

وقد أوجب أمير المؤمنين على كلِّ والٍ أن يتحاشى هذه الناحية بضرره، ويقصدها  
بجميل أثره، ويحيطها بحسن نظره، ويتقن فيها ركوب عواقب غرره، ويحتنب فيها  
مطالب ورده وصدره، ونزول مستقره؛ ولا يمتكن منها مستخدما، ولا يكلف أهلها  
مغرمًا، ويحرىها مجرى ما هو من الباطل حمى؛ ما لم يقل فيها بميل، أو يخف من سبيلها  
سبيل، وله أن يتطلب الجاني بعينه، ويقتضيه بأداء ما استوجب من دينه، وأخذه  
مسوقا بجرائم ذنبه إلى موقف حينه، فمن قرأه فليعمل به .



وهذه نسخة سجل بإقطاع، عن العاصد آخر خلفاء الفاطميين أيضا لبعض أمراء  
الدولة، من إنشاء القاضي الفاضل أيضا، وهى :

أمير المؤمنين - وإن عمَّ جوده كما عمَّ فضل وجوده، وسار كثير إحسانه وبره  
في سهول المعمور ونجوده، ورحم الله الخلق بما استأثره دون الخلائق من قرب  
في سجوده - فإنه يخص بنى القربى من جدّه، والضاربين معه في أنصباؤه مجده؛ من  
سلالته الزكية، وطينته المسكية؛ وأعراقه الشريفة، وأنسابه المنيفة؛ فكل غراء  
لا تخفى أوضاعها، إلا إذا فاضت أنوارهم، وكل عدراء لا يُعهد إسماعها، إلا إذا  
راضت أخطارهم .

ولما عرضت بحضرته ورقة من ولده الأمير فلان الذى أذن الله به عين الإسلام،  
وأنجز به دين الأيام، وأطلعه بدرًا في سماء الحسب، وجلا بأنواره ظلام النوب،  
وأمتاح من منبع النبوة وأرتوى، وأستولى على خصائص الفضل الجلى وأحتوى،

وأعدَّ الله لسعد الأئمة ذا مِرَّةٍ شديدة القُوَى ، وأدنى الاستحقاق من الغايات حتى تأهب لأن يكون بالوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ؛ وأضحت كافَّةُ المؤمنين مؤمِّنين على مكارمه ، وأمست كافَّةُ الحائفين خائفين من سَيْلِ أنفُسِهِمْ على صَوَارِمِهِ ؛ وآراؤه أعلى أن يُضَاهِيَهَا [ رَأْيٌ ] وإن جَلَّ خَطَرُهُ ، وأعطيته أرقى أن يُدَانِيَهَا عَطَاءً وإن حَسُنَ في الأحوال أثره ؛ وإنما يُنْبَعُ بِمُلْكِهِ منها ما راق بعَيْنِ آخِتْيَارِهِ وإِيثَارِهِ ، وسَعِدَ بالانتظام في سِلْكِ جُودِهِ الذى يعرِّضُهُ أَبَدًا لَأَنْتِثَارِهِ ، وتضمَّنت هذه الرُّقْمَةُ الرُّغْبَةَ في كذا وكذا ، وذكر الديوان كذا .

نَحْرَجُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى قَتَاهِ وَنَاصِرِهِ ، وَوَزِيرِهِ وَمُظَاهِرِهِ ؛ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الذى انتصر الله به لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَحَسَمَ بِحُسَامِهِ مَا أَعْضَلَ مِنْ عَارِضِ الْخَطْبِ وَدَائِهِ ، وَنَطَقَتْ بِفَضْلِهِ أَلْسُنُ حُسَّادِهِ فَضْلًا عَنِ السِّنَةِ أَوْدَائِهِ ، وَسَخَتْ الْمُلُوكُ بِأَنْفُسِهَا أَنْ تَكُونَ فِدَاءً لَهُ إِذَا حَوَّزَهَا الْمَجْدُ فِي فِدَائِهِ ؛ الذى ذخره الله لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ آدَمَ ذَخِيرِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ فِي طَاعَتِهِ بَيْنَ إِيقَاطِ الْبَصِيرَةِ وَإِخْلَاصِ السَّرِيرَةِ ، وَفَضَّاتِ أَيَّامِهِ عَلَى أَيَّامِ أَوْلِيَائِهِ بِمَا حَلَّاهَا مِنْ جَمِيلِ الْأُحْدُوْثَةِ وَحُسْنِ السَّيْرِ ؛ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ التَّتَوُّىَ فِي الْمَنَافِعِ وَالْعُكُوفَ عَلَى الْمَصَالِحِ ، وَأَجْنَى مِنْ أَقْلَامِهِ وَرِمَاحِهِ ثَمَرَاتِ النَّصَائِحِ ، وَفَازَ بِمَا حَازَ مِنْ ذَخَائِرِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِالْمَتَجَرِّ الرَّائِحِ ؛ وَأَهْلَمَهُ مِنْ حِرَاسَةِ قَانُونِ الْمُلْكِ مَا قَضَى بِحِفْظِ نِظَامِهِ ، وَلَمْ يَنْصَرِفْ لَهُ عَزْمٌ إِلَّا إِلَى مَا صُرِفَ إِلَيْهِ رِضًا رَبِّهِ وَرِضًا إِمَامِهِ .

وَنَفَذْتُ أَوَامِرَهُ بِأَنْ يُوعَزَ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجْلِ إِلَى الدِّيْوَانِ الْفُلَانِيِّ بِإِقْطَاعِهِ النَّاحِيَةَ وَمَا مَعَهَا مِنْسُوبًا إِلَيْهَا وَدَاخِلًا فِيهَا لِاسْتِقْبَالِ [سنة] كَذَا ، مُنَحَّةً سَائِغَهُ ، لَا يَعْتَرِضُهَا التَّكْدِيرُ ، وَنِعْمَةً سَابِغَهُ ، لَا يَنْقُضُهَا التَّغْيِيرُ ؛ وَحِبَاءً مُوَصُولَ

الأسباب، وعطاءً بغير منٍّ ولا حساب؛ يتحكَّم فيه على قضايا الاختيار، وتتقدُّ فيه أوامره الميمونة الإيراد والإصدار.

ومنها - أن يفتح السَّجَل بلفظ: «إنَّ أمير المؤمنين» ويذكر من وصفه ما سَنَح له، ثم يذكر حكم الإقطاع، وكيفية خروجه.

وهذه نسخة سَجَل من ذلك كُتِب به لبعض وزرائهم، من إنشاء القاضي الفاضل، وهي:

إنَّ أمير المؤمنين لما أطلق الله يدَ يَرِّه من أميالٍ تبدُّو على الأحوال شواهد آثارها، وترويض الآمال سحائب مِدرارها، وتنتزه مواعِدُها عن إنظارها، ومواردُها عن أن يُؤتَى بأنظارها، ويقوم بناصِرِها فيكون أقوى أعوانها على الشكر وأنصارها، وألهمه من مواصلة المنن التي لا تتقطع روايتها ولا تنتهي مراتبها، وموالاته المنح التي تهبُّ على جناب الخير شمائلها وجنائبها، وتلتقي في مسارح المدائح غرائبها ورغائبها، وحبيبه إليه من آتِهاز فُرص المكارم في الأكرام، وأبتداء المعروف وأبتدار مغامره التي لا تعقبها مغارم - يولي آلاءه من يحزى عن حسنتها عشراً، ويعقل عقائلها عند من يسوق إليها من استحقاقها مهراً، ويقابل بالإحسان إحسان أجل أوليائه قدراً، ويضعف الأمتنان عند من لم يضعف في موازرتيه أزرًا، ويودع ودائع جوده في المغارس الجيدة بالزكاء والنماء، ويُنزكي أصول معروفه لمن يفتخر بالانضواء إلى موالاته والإلتناء، ويستكرم مستقر مننه وآلائه، ويحسن إلى الإحسان ثم ينتهج بموالاته لديه وإيلائه.

ولما كان السيد الأجلُّ أمير الجيوش آية نصر أمير المؤمنين التي أنبرت فما تُبارى، ونعمة الله التي أشرقت أنوارها وأورت فما نتواری، وسيف حقه الذي

لا تَكِلْ مَقَاطِعَهُ ، وَبِحَرَ جُودِهِ الذی لَا تُكَدَّرُ مَشَارِعُهُ ؛ وَالْمُسْتَقْلَّ مِنَ الدَّفَاعِ عَنْ حَوَازَتِهِ بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ الْأُمَمُ ، وَالْعَلَى عَلَى مِقْدَارِ الْأَقْدَارِ إِذَا تَفَاوَتَتْ قِيَمُ الْهِمَمِ ، وَالكَاشِفَ الْجُلَى عَنْ دَوْلَتِهِ وَقَدْ عَظُمَتْ مَظَالِمُ الظُّلْمِ ، وَالْجَامِعَ عَلَى الْمُمَارَاةِ وَالْمُورَاةِ قَلْبَ الْمُؤَالَفِ وَالْمُخَالَفِ وَلِسَانَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ؛ وَالْمُتَبَوِّئَ مِنَ الْمُلْكِ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَالْمُتَوَقِّلَ مِنَ الْفَخْرِ مُحَلًّا لَا يَطْمَعُ النَّجْمُ فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَالْمُغِيرَ عَلَى الْحَرْبِ الْعَوَانَ بِقَبْلِيَّةِ الْبُكَرِ ، وَالْمُنْفِذَ بِمَبْدَعِ الْعَزَمَاتِ مَا لَوْلَا وَقُوعُهُ لَمَّا وَقَعَ [فِي] الْفِكَرِ ؛ وَالْقَاضِيَ لِلدِّينِ بِحَدِّ سَيْوِفِهِ مَطْلُولَ حَقِّهِ وَمَمْطُولَ دِينِهِ ، وَالْقَائِمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَامًا قَامَ بِهِ أَبُوهُ فِي نُصْرَةِ جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا يَوْمَ بَدْرِهِ وَيَوْمَ حُنَيْنِهِ .

وَلَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ آيَاتِ نَصَارَةِ نَظَرِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَتْ زُخْرُفَهَا وَأَزَيْنَتْ ، وَأَبْتَدَتْ أَيْدِيهِ الْجَنَى فَتَظَاهَرَتْ أَدْلَتُهَا عَلَى دَوْلَتِهِ وَتَبَيَّنَتْ ؛ وَأَسْتَلَّامَتِ الْمَمْلَكَةُ مِنْ تَدْبِيرِهِ بِجَنَّةِ تَحَامَاهَا الْأَقْدَارُ وَهِيَ سِهَامٌ ، وَوَثِقَتْ مِنْ عَنَائِيهِ إِلَى هَجْرِ الْخُطُوبِ بِمَا يُعِيدُ نَارَهَا وَهِيَ بَرْدٌ وَسَلَامٌ ؛ وَمَا ضَرَّهَا مَعَ تَيَقُّظِ جَفْنِهِ أَنْ يَهْجَعَ فِي جَفْنِهِ طَرْفُ الْحُسَامِ ، وَلَا أَحْتَاجَتْ وَقْلُبُهُ يُسَاوِرُ جَسِيمَ أُمُورِهَا أَنْ تَتَعَبَ فِي وَاْدِهَا الْأَجْسَامُ ؛ فَأَيُّ خَيْرٍ يُؤَلَّى - وَإِنْ عَظُمَ - يَنَاهِضُ أَسْتَحْقَاقَهُ ؟ وَأَيُّ غَايَةٍ وَإِنْ جَلَّتْ تَرُومُ نَيْلِ مَدَى مَسْعَاهِ وَلَحَاقِهِ ؟ ؛ وَأَيُّ لَأَعْرَاضِ الدُّنْيَا أَنْ تُهْدِيَ لِحَوْهَرِهِ عَرْضًا ، وَلَا تَبْلُغُ مَبَالِغُ النِّعَمِ الْجَلَائِلِ أَنْ تَعْتَدَّ الْيَوْمَ مِنْ مَسَاعِيهِ عَوْضًا ؟ ؛ وَهَلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْمَالٌ فِي مُجَازَاتِهِ عَنْ قِيَامِهِ بِغَمْدِ رَأْيِهِ وَمَجَرَّدِ عَضْبِهِ ، وَدِفَاعِهِ عَنْ حَوَازَةِ عُدَّتِهِ وَذَبِّهِ ، وَكَرِّهِ فِي مَوَاقِفِ كَرْبِهِ ، وَكِفَايَتِهِ لِلأُمَّةِ فِي سِلْمِهِ وَحَرْبِهِ ، وَإِيَالَتِهِ الَّتِي خَصَّ الْأَرْضَ مِنْهَا فَضْلَ خِصْبِهِ ، إِلَّا أَنْ يَذْكُرَهُ بِقَلْبِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَنْ يَرْفَعَ الْحُجْبَ عِنْدَ كُلِّ سُؤَالٍ كَمَا يَرْفَعُ اللَّهُ عِنْدَ دَعَائِهِ مُسَدِّلَ حُجْبِهِ ؟ .

وَعُرِضَتْ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَطَالَعَةً مِنْهُ عَنْ خَبَرٍ بِاسْمِهِ الْكَرِيمِ مَقْصُورٍ عَلَى  
الرَّغْبَةِ فِي خُرُوجِ الْأَمْرِ بِتَمْلِيكِ جِهَتِهِ الَّتِي تَقُومُ عِدَّتُهَا عِدَّةُ أَلْفٍ ، مُسْتَخْرِجًا بِهَا الْخَطَّ  
الشَّرِيفَ بِإِمضَاءِ التَّمْلِيكِ وَإِجَازَتِهِ ، وَتَسْلِيمِ الْمَلِكِ وَحِيَازَتِهِ .

فَتَلَقَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الرِّغْبَةَ بِإِفْرَازٍ جَرَى فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ عَلَى أَفْضَلِ سَنَنِ ،  
(١)  
وَتَقَبَّأَهَا مِنْهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ ، وَتَهَلَّاتَ عَلَيْهِ لِسْؤَالُهُ مَصَابِيحُ الطَّلَاقَةِ وَالْيَشْرِ ، وَنَفَذَتْ  
مَوَاقِعُ تَوْقِيعِهِ مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ . وَشَمِلَهُ خَطُّهُ الشَّرِيفُ بِمَا  
نُسَخَتْهُ : خَرَجَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ بِأَنْ يُوعَزَ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ بِتَمْلِيكِ  
الْجِهَةِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهَا بِجَمِيعِ حُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا ، وَظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا ، وَأَعَالِيهَا وَأَسَافِلِهَا ،  
وَكُلِّ حَقٍّ لَهَا ، دَاخِلٍ فِيهَا وَخَارِجٍ عَنْهَا ، وَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ بِهَا وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهَا ، تَمْلِيكًا  
مُخَلَّدًا ، وَإِنْعَامًا مُؤَبَّدًا ، وَحَقًّا مُؤَكَّدًا ، يَجْرِي عَلَى الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ ، وَيُحْكَمُ أَحْكَامُ  
الْكَرَمِ وَالشَّرْعِ ، مَاضِيًّا لَا تُتَعَقَّبُ حُدُودُهُ بِفَسْخٍ ، جَائِزًا لَا تُتَجَاوَزُ عَقُودُهُ بِنَسْخٍ ،  
مَوْصُولَةٌ أَسْبَابُهُ فَلَا تَنْتَطَرُقُ أَسْبَابُ التَّغْيِيرِ إِلَيْهَا ، مَوْرُوثًا حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ  
وَمَنْ عَلَيْهَا .

فَلْيَعْتَمِدْ كَافَّةُ وُلاَةِ الدَّوَاوِينِ ، وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ ، حَمَلَ الْأَمْرِ عَلَى مُوجِبِهِ ،  
وَالْحَذَرَ مِنْ تَعَدِّيهِ وَتَعَقُّبِهِ ، وَأَمْتِثَالَ مَارِسِمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَدِّهِ ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ أَمْرِهِ  
الَّذِي عَدِمَ مَنْ مَالَ فَرَدَّهُ ، وَلِيَقَرَّ فِي يَدِ الدِّيْوَانِ حُجَّةٌ لِمُودَعِهِ بَعْدَ نَسْخِهِ فِي الدَّوَاوِينِ  
بِالْحَضْرَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) لعله « وبلغت مواقع » الخ .

## الضرب الثاني

(مما كان يُكتب في الإقطاعات في الزمن المتقدم ما كان يُكتب

عن ملوك الشرق القائمين على خلفاء بني العباس)

وطريقتهم فيه أن يُكتب في الابتداء : « هذا كتاب » ونحو ذلك ، كما كان يُكتب عن خلفاء بني العباس في ذلك ، ثم يُذكر عرض أمره على الخليفة ، وأستكشف خبر ما تقع عليه المقاطعة من الدواوين ، وموافقة قولهم بما ذكره في رُقعته ، ويذكر أن أمير المؤمنين وذلك السلطان أمضيا أمر تلك المقاطعة وقرراه . ثم ربما وقع تسويغ ما وجب لبيت المال لصاحب المقاطعة زيادة عليها ليكون في المعنى أنه بأمرها .

وهذه نسخة مقاطعة بضیعة كُتِب بها عن صمصام الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وهي :

هذا كتاب من صمصام الدولة ، وشمس الملة ، أبي كالجار ، بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ، بن ركن الدولة أبي علي مؤلى أمير المؤمنين ، لمحمد بن عبد الله ابن شهرام .

إنك ذكرت حال ضياعك المعروفة برسدولا والبدرية من طسوج نهر الملك ، والخطائر والحصّة بنهر قلا من طسوج قُطربل ، وما لحقها : من اختلال الحال ونقصان الارتفاع ، وأندواب المشارب ، وأستنجام المزارع ، وطمع المجاورين ، وضعف الأكرّة والمزارعين ، وظلم العمال والمتصرفين ، لتطاول غيبتك عنها ، وأتقطاعك بالأسفار المتصلة عن استيفاء حقوقها ، وإقامة عماراتها ، والإنفاق على

(١) كذا بالأصل ، ولا معنى لها ولعلها : « واندثار المشارب » .

مصالحها، والإِتِّصافِ من المجاورين لها والمُعَامِلِينَ فيها، ووصفت ما تحتاج إلى تكلفه من الجملة الوافرة: لِاحْتِفَارِ أَنْهَارِهَا، وَإِحْيَاءِ مَوَاتِهَا، وَأَعْتِمَالِ مُتَعَطِّلِهَا، وَإِعَادَةِ رُسُومِهَا، وَإِطْلَاقِ الْبُذُورِ فِيهَا، وَابْتِیَاعِ الْعَوَامِلِ لَهَا، وَاخْتِلَافِ الْأَكْرَةِ إِلَيْهَا.

وسألت أن تُقَاطَعَ عَنْ حَقِّ بَيْتِ الْمَالِ فِيهَا وَجَمِيعِ تَوَابِعِهِ، وَسَائِرِ لَزُومِهِ، عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، مَعُونَةً لَكَ عَلَى عِمَارَتِهَا، وَتَمَكِينًا مِنْ إِعَادَتِهَا إِلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهَا، وَتَوْسِعَةً عَلَيْكَ فِي الْمَعِيشَةِ مِنْهَا.

فأنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله، وأفضنا بحضرته فيما أنت عليه من الخلائق الحميدة، والطرائق الرشيدة، وما لك من الخدومات القديمة والحديثة، الموجبة لأن تُلْحَقَ بِنِظَرَائِكَ مِنَ الْخَدَمِ الْمُخْتَصِّينَ، وَالْحَوَاشِيِ الْمُسْتَخْلَصِينَ، بِإِجَابَتِكَ إِلَى مَا سَأَلْتَ، وَإِسْعَافِكَ بِمَا أَلْتَمَسْتَ. نَخْرِجُ الْأَمْرَ - لَا زَالَ عَالِيَا - بِالرَّجُوعِ فِي ذَلِكَ إِلَى كِتَابِ الدَّوَاوِينِ، وَعُمَمَالِ هَذِهِ النَّوَاحِي، وَتَعَرَّفَ مَا عِنْدَهُمْ فِيهِ مِمَّا يَعُودُ بِالصَّلَاحِ، وَيَدْعُو إِلَى الْإِحْتِيَاطِ. فَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فِيمَا ذَكَرْتَهُ وَحِكْمِيَّتَهُ، فَصَدِّقُوكَ فِي جَمِيعِهِ، وَشَهِدُوا لَكَ بِصِحَّتِهِ، وَتَرَدَّدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ خِطَابٌ فِي الْإِرْتِفَاعِ الْوَافِرِ الْقَدِيمِ، وَمَا تُوجِبُهُ الْعِبَرُ لَعَدَّةِ سِنِينَ، إِلَى أَنْ أَسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنْ تَوْقَعْتُ عَلَى هَذِهِ الضِّيَاعِ الْمَسْمُومَةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَرِقًّا مَرْسَلًا بِغَيْرِ كَسَرٍ، وَلَا كَفَايَةٍ، وَلَا حَقِّ خَزَنٍ، وَلَا جَهْدَةٍ وَلَا مُحَاسَبَةٍ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُؤَنِّ كُلِّهَا.

ثم أنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله، فأمر - زاد الله أمره علوًا - بِإِمضاء ذلك، عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَالُ، وَهُوَ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ مُؤَدَّى فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُفْتَحُ فِيهِ الْمُقَاطَعَاتُ: وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الْحَرَمِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، عَلَى اسْتِقْبَالِ السَّنَةِ الْجَارِيَةِ، سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ الْخَرَاجِيَّةَ، عَنِ الْخَرَاجِ فِي الْغَلَّاتِ الشَّتْوِيَّةِ



والصيفية، والمحدث والمبكرة الحاررية على المساحة، والحاصل من الغلات الحاررية على المقاسمة والحوالى، والمرأى، والأرحاء، وسائر أبواب المال، ووجوه الجبايات، وتقسيم المصالح، والحماية، مع ما يلزم ذلك من التوابع كلها: قليلها وكثيرها، والرسوم الثابتة فى الدواوين بأسرها، وعن كل ما أحدث ويحدث بعدها على زيادة الارتفاع ونقصانه، وتصرف جميع حالاته: مقاطعة مقررة مؤبده، ممضاة مخلده، على مرور الليالى والأيام، وتعاقب السنين والأعوام. لك ولولدك، وعقبك من بعدك، ومن عسى أن تنتقل هذه الضياع إليه بميراث، أو بيع، أو هبة، أو تملك، أو مناقلة، أو وقف، أو إجارة، أو مبادرة، أو مزارة أو غير ذلك من جميع الوجوه التى تنتقل الأملاك عليها، وتجرى بين الناس المعاملات فيها، لا يفسخ ذلك ولا يغير، ولا ينقض ولا يبدل، ولا يزال عن سبيله، ولا يحال عن جهته، ولا يعترض عليك ولا على أحد من الناس فيه ولا فى شىء منه، ولا يتأول عليك ولا على غيرك فيه، بزيادة عمارة، ولا زكاة ربيع، ولا غلوسعر، ولا إصلاح شرب، ولا أعتال خراب، ولا إحياء موات، ولا بغير ذلك من سائر أسباب وفور الارتفاع ودرور الاستغلال.

وحظر مولانا أمير المؤمنين الطائع لله، وحظرنا بحظه على كتاب الدواوين: أصولها وأزمته، وعممال النواحي، والمشرفين عليها، وجميع المتصرفين على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم، الاعتراض عليك فى هذه المقاطعة، أو إيقاع ثمن أو مساحة على ما كان منها جارياً على الخراج، أو تقرير أو حرر، أو قسمة على ما كان منها جارياً على المقاسمة، أو أن تدخلها يد مع يدك لناظر أو حاطر أو مستظهر أو معتبر أو متصفح، إذ كان ما يظهر منها من الفضل على مرور السنين مسوغاً لك، لا تطالب به، ولا بمرفق عنه، ولا على ما ظهر عليه وعلى شىء منه، ولا يلتمس منك تجديد كتاب،

ولا إحضار حجة، ولا توقيع به ولا منشور بعد هذا الكتاب : إذ قد صار ذلك لك وفي يدك بهذه المقاطعة، وصار ما يجب من الفضل بين ما توجب المسامحة والمقاسمات وسائر وجوه الجبايات، وبين مال هذه المقاطعة المحدودة المذكورة في هذا الكتاب خارجاً عما عليه العمال، ويرفعه منهم المؤتمنون، ويوافق عليه المتضمنون ؛ على مرور الأيام والشهور، وتعاقب السنين والدهور؛ فلا تقبل في ذلك نصيحة ناصح، ولا توفير موفر، ولا سعاية ساع، ولا قذف قاذف، ولا طعن طاعين .

ولا يلزم عن إمضاء هذه المقاطعة مئونة، ولا كلفة، ولا مصانعة، ولا مصالحة، ولا ضريبة، ولا تقسيط، ولا عمل بريد، ولا مصالحة من المصالح السلطانية، ولا حق حماية، ولا خفارة، ولا غير ذلك من جميع الأسباب التي يتطرق بها عليك، ولا [على من] بعدك، لزيادة على مالها المحصور المذكور في هذا الكتاب، ولا حق خزن ولا جهدة، ولا محاسبة ولا مئونة ولا زيادة . ومتى استخرج منك شيء أو من أحد من أنسابك، أو ممن عسى أن تنتقل إليه هذه المقاطعة بشيء زائد عليها على سبيل الظلم والتأول والتعنت لم يكن ذلك فاسخاً لعقدها، ولا مزيلاً لأمرها، ولا قادحاً في صحتها، وكان لك أن تطالب برد المأخوذ زائداً على مالها، وكان على من ينظر في الأمور إنصافك في ذلك وردّه عليك، وكانت المقاطعة المذكورة ممضاة على تصرف الأحوال كلها .

ثم إننا رأينا بعد ما أمضاه مولانا أمير المؤمنين، وأمضيته لك من ذلك وتمايه وإحكامه ووجوبه وثبوته، أن سوغناك هذه الخمسة آلاف درهم المؤداة عن هذه المقاطعة على استقبال سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة الحراجية، تسويغاً مؤبداً، ماضياً على مر السنين : ليكون في ذلك بعض العوض عن باقي أملاكك وضياعك التي

قُبِضَتْ عَنْكَ ، وَبَعْضُ الْمَعُونَةِ فِيمَا أَنْتَ مَتَصَرِّفٌ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَتِنَا ، وَمُتَرَدِّدٌ فِيهِ مِنْ مِهْمَاتِ أُمُورِنَا ؛ وَأَوْجَبْنَا لَكَ فِي هَذَا التَّسْوِيعِ جَمِيعَ الشَّرُوطِ الَّتِي تُشْتَرِطُ فِي مِثْلِهِ ؛ مِمَّا ثَبَتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَمِمَّا لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ : لِيَنْحَسِمَ عَنْكَ نَتَبُّعُ الْمُتَتَبِّعِينَ ، وَتَعَقُّبُ الْمُتَعَقِّبِينَ ، وَتَأْوُلُ الْمُتَأْوِلِينَ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَسْبَابِ .

وَأَمَرْنَا - مَتَى وَقَعَ عَلَى مَالِ هَذَا التَّسْوِيعِ (وَهُوَ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ) أَنْ تَجَاعُ ، بِحَدَثٍ يَحْدُثُ عَلَيْكَ ، أَوْ بِتَعْوِيزِ تَعَوِّضَ عَنْهُ ، أَوْ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تُوجِبُ ارْتِجَاعَهُ - أَنْ يَكُونَ أَصْلُ الْمُقَاطَعَةِ مَمْضًى لَكَ ، وَرِسْمُهَا بَاقِيًا عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ تَنْتَقِلُ هَذِهِ الضِّيَاعُ إِلَيْهِ بَعْدَكَ ، عَلَى مَا خَرَجَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ نَقْضٍ وَلَا تَأْوُلٍ فِيهِ ، وَلَا تَغْيِيرٍ لِرِسْمٍ مِنْ رِسْمِهِ ، وَلَا تَجَاوُزٍ لِحَدٍّ مِنْ حُدُودِهِ ، عَلَى كُلِّ وَجْهِ وَسَبَبٍ .

فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ مَنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعَ لِلَّهِ وَأَمْرِهِ ، وَمَنْ أَمْتَثَلِنَا وَإِمَضَانَا ، وَلْيَعْمَلْ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مَنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ : مِنْ طَبَقَاتِ الْكُتَّابِ ، وَالْعَمَّالِ ، وَالْمُشْرِفِينَ ، وَالْمَتَصَرِّفِينَ فِي أَعْمَالِ الْخَرَاجِ وَالْحِمَايَةِ وَالْمَصَالِحِ ، وَغَيْرِهِمْ . وَلْيَحْذَرُوا مِنْ مُخَالَفَتِهِ ، وَلْيَمْنُضُوا بِأَسْرِهِمْ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهْرَامٍ وَمَنْ بَعْدَهُ جَمِيعَهُ ، وَلْيَحْمِلُوهُ عَلَى مَا يُوجِبُهُ . وَلْيَقَرَّ هَذَا الْكِتَابُ فِي يَدِهِ وَأَيْدِيهِمْ بَعْدَهُ حِجَّةً لَهُ وَلَهُمْ ، وَلْيُنْسَخْ فِي جَمِيعِ الدَّوَاوِينِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الطريقة الثانية

( مما كان يُكتب في الإقطاعات في الزمن المتقدم - ما كان يُكتب

عن الملوك الأيوبيّة بالديار المصرية )

وكانوا يُسمّون ما يكتب فيها توقيع ، ولهم فيه أساليب :

### الأسلوب الأول

( أن يُفتح التوقيع المكتتب بالإقطاع بخطبة مفتوحة بـ «الحمد لله» )

وكان من عادة خطّهم أن يُؤتى فيها بعد التحميد بالصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم يُؤتى ببعدية ، ثم يُذكر ماسنح من حال السلطان ، ثم يُوصف صاحب الإقطاع بما تقتضيه حاله من صفات المدح ، ويُرتب على ذلك استحقاقه للإقطاع . وقد كان من عادتهم أنهم يأتون بوصية على ذلك في آخره .

وهذه نسخة توقيع على هذا الأسلوب ، كتبت به عن السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» رحمه الله ، لأخيه العادل «أبي بكر» بإقطاع بالديار المصرية ، وبلاد الشام ، وبلاد الجزيرة ، وديار بكر ، في سنة ثمانين وخمسمائة ، بعد الانفصال من حرب الكفار بركاً وعقد الهدنة معهم ، وهى :

الحمد لله الذى جعل أيا منا حسانا ، وأعلى لنا يداً ولسانا ، وأطاب ممثداً وأوراقاً وأغصانا ، ورفع لمجدنا لواءً ولجداً برهاناً ، وحقق فينا قوله : ﴿ سَأَشُدُّ عَضْداً بِأَخِيكَ وَجَعَلَ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾ .

نحمده على سبوغ نعمته ، ونسأله أن يجعلنا من الداخلين فى رحمته .

ثم نُصلى على رسوله محمد الذى أيدته بحكمته ، وعصمته من الناس بعصمته ، وأخرج به كل قلب من ظلمته ، وعلى آله وأصحابه الذين خالفوه فأحسنوا الخلافة فى أمته .

أما بعد ، فإن فروع الشجرة يأوى بعضها إلى بمض لمكان قُربه ، ويُؤثر بعضها  
بعضاً من فضل شربه ، ونحن أهل بيت عُرف منا وفاق القلوب ودا ، وإيثار  
الأيدى رِفاً ، وذلك وإن كان من الحسنات التي يكثر فيها إثبات الأعلام ، فإنه من  
مصالح الملك التي دلت عليها تجارب الأيام ، وكلا هذين الأمرين مشكورة مذهباً ،  
محمودة عواقبه ، مرفوعة على رؤوس الأشهاد مناقبه ، وما من أحد من أدانينا  
إلا وقد وسمناه بعوارف يختال في ملابسه ، ويُسر في كل حين بزفاف عرائسها ،  
ولم نرض في بلل أرحامهم بمواصلة سلامها دون مواصلة برها وإدناء مجالسها ،  
ولإخوتنا من ذلك أوفر الأقسام ، كما أن لهم منّا رجماً هو أقرب الأرحام ، وقد أمرنا  
بتجديد العارفة لأخينا الملك العادل ، الأجل ، السيد ، الكبير ، سيف الدين ،  
ناصر الإسلام « أبي بكر » أبقاه الله . ولولم نفعل ذلك قضاءً لحق إخوانه الذي ترف  
عليه حواني الأضالع ، لفعلناه جزاءً لذائع خدمه التي هي نعم الذرائع ، فهو في لزوم  
آداب الخدمة بعيد وقف منها على قدم الاجتهاد ، وفي لمة شوايك النسب قريب  
وصل حرمة نسيه بحرمة الوداد ، وعنده من الغناء ما يحكم لآماله ببسطة الخيار ،  
ويرفع مكانته عن مكانة الأشباه والأنظار ، ويجعله شريكاً في الملك والشريك  
مساوياً في النقض والإمرار ، فكم من موقف وقفه في خدمتنا بفعل وعمره سهلاً ،  
وفاز فيه براضائنا وبفضيلة التقدم نانقلب بالمحبدين إرضاءً وفضلاً ، ويكفي من  
ذلك ما أبلاه في لقاء العدو الكافر الذي استشرى في هياجه ، وتمادى في لجأجه ،  
ونزل على ساحل البحر فأطل عليه بمثل أمواجه ، وقال : لا براح ، دون استفتاح ،  
الأمر الذي عسرت معالجة رتاجه ، وتلك وقائع استضأنا فيها برأيه الذي ينوب  
مناب الكمين في مضمرة ، وسيفه الذي ينسب من الاسم إلى أبيضه ومن اللون إلى  
أخضره ، ولقد استغنينا عنهما بنصرة لقيه الذي تولت يد الله طبع فضله ، وعنت يد

السَّيَادَةُ بَرَوْنَقَ صَقْلَهُ ، فَهُوَ يَفْرِى قُلُوبَ الْأَعْدَاءِ قَبْلَ الْأَجْسَادِ ، وَيَسْرِى إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ حَامِلٍ لِمَنَاطِ النَّجَادِ ، وَيَسْتَقْصِي فِي أَسْتِلَابِهِمْ حَتَّى يَنْتَرِعَ مِنْ عِيُونِهِمْ لَذَّةَ الرُّقَادِ ، وَلَيْسَ لِلْحَدِيدِ جَوْهَرٌ مَعْدِنُهُ الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ زَكَاءِ الْحَسَبِ ، وَإِذَا أَسْتُنْجِدَ قِيلَ لَهُ : يَا ذَا الْمَعَالِي ! كَمَا يُقَالُ لِسَمِيَّةٍ : يَا ذَا الشُّطْبِ ، وَلَوْ أَخَذْنَا فِي شَرْحِ مَنَاقِبِهِ لَظَلَّ الْقَلَمُ وَاقِفًا عَلَى أَعْوَادِ مَنَبَرِهِ ، وَآمَتَدَ شَأْوُ الْقَوْلِ فِيهِ فَلَمْ يَنْتَهَ مَوْرِدُهُ إِلَى مَصْدَرِهِ ، فَفَهَمَا خَوْلَانَاهُ مِنَ الْعَطَايَا فَإِنَّهُ يَسِيرُ فِي جَنْبِ غَنَائِهِ ، وَمَهْمَا أَثْنَيْنَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ سَطُرُ فِي كِتَابِ ثَنَائِهِ .

وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ مِنَ الْبِلَادِ مَا هُوَ مُقْتَسَمٌ مِنَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ ، وَبِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَدِيَارِ بَكْرٍ : لِيَكُونَ لَهُ مِنْ كُلِّ مِنْهَا حِظٌّ تُفِيضُ يَدُهُ فِي أَمْوَالِهِ ، وَيَرْكَبُ فِي حَشْدٍ مِنْ رِجَالِهِ ، وَيُصْبِحُ وَهُوَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ مُلْكِنَا كَالطَّلِيْعَةِ فِي تَقَدُّمِ مَكَانِهَا ، وَكَالْرَبِيْئَةِ فِي إِسْهَارِ أَجْفَانِهَا .

فَلْيَتَسَلَّمْ ذَلِكَ بِيَدِ مَعْظَمِ قَدَرَاءِ ، وَلَا يَسْتَكْثِرْ كَثْرًا ، وَيَحْمِلْ مِنْهَا رِفْدَهَا غِيثًا أَوْ بَحْرًا ، وَكَذَلِكَ فَلْيُعَدِلْ فِي الرِّعْيَةِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَهُ وَدَائِعُ ، وَلْيَجَاوِزْ بِهِمْ دَرَجَةَ الْعَدْلِ إِلَى إِحْسَانِ الصَّنَائِعِ ، فَإِذَا أَسْنَدَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى وُلَاتِهِ فَلْيُكُونُوا تُقَاةً لَا يَجِدُ الْهَوَى عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ، وَلَا يَحْمَدُ الشَّيْطَانُ عِنْدَهُمْ مَقِيلًا ، وَإِذَا حُمِّلُوا ثِقَلًا لَا يَجِدُونَ حِمْلَهُ ثَقِيلًا .

وَقَدْ فَشَا فِي هَذَا الزَّمَنِ اخْتِدَ الرِّشْوَةِ وَهِيَ سُخْتٌ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَبْذِهِ ، وَنَهَى عَنْ أَخْذِهِ ، وَعَنِ الرِّغْبَةِ فِي تَدَاوُلِهِ ، وَهُوَ كَأَخْذِ الرَّبَا الَّذِي قُرِئَتِ اللَّعْنَةُ بِمُؤْكَلِهِ وَأَكَلِهِ .

وَأَمَّا الْقَضَاةُ الَّذِينَ هُمْ لِلشَّرِيعَةِ أَوْتَادُ ، وَلِإِمْضَاءِ أَحْكَامِهَا أَجْنَادُ ، وَلِحِفْظِ عُلُومِهَا كَنْوَزٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا النِّفَادُ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُعَوَّلَ فِيهِمْ عَلَى الْوَاحِدِ دُونَ الْآخَرِينَ ، وَأَنْ يُسْتَعَانَ مِنْهُمْ فِي الْفَصْلِ بِذِي الْأَيْدِي وَفِي الْيَقْظَةِ بِذِي الْيَدَيْنِ ، وَمَنْ رَامَ هَذَا

المنصب سائلا فليعلمه وليغليظ القول في تجرّيع ملامه ، وليعرف أنه ممن رام  
أمرا فأخطأ الطريق في استجلاب مرامه ، وأمر الحكام لا يتولاه من سأل ، وإنما  
يتولاه من غفل عنه وأغفله .

وإذا قضينا حق الله في هذه الوصايا فلنعطفها على ما يكون لها تابعا ، ولقواعد  
الملك رافعا ، وذلك أن البلاد التي أضفناها إليك : فيها مدن ذات أعمال واسعة ،  
ومعاقل ذات حصانة مانعة ، وكلها يفتقر إلى استخدام الفكر في تدبيره ، وتصريف  
الزمان في تعميره ، فوّل وجهك إليها غير وإن في تكثير قليلها ، وترويض مخيلها ،  
وبث الأمانة على أوساطها ، وإهداء الغبطة إلى أفئدة أهلها حتى تسمع باغباطها ،  
وعند ذلك يتحدث كل منهم بلسان الشكور ، ويتمثل بقوله تعالى : ﴿ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ  
وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ .

وأعلم أنه قد يجاورك في بعضها جيران ذو بلاد وعساكر ، وأسرة ومناير ، وأوائل  
للجد وأواخر ، وما منهم إلا من يتمسك منا بؤد سليم ، وعهد قديم ، وله مساعدة  
نعرف له حقها ( والحق يعرفه الكريم ) .

فكن لهؤلاء جارا يؤدون جواره ، ويحمدون آثاره ، وإن سألك عهدا نابذله لهم  
بذل وفي واقف على السنن ، مساوين السر والعلن ، ولا يكن وفاؤك لخوف تنقي  
مراصده ، ولا لرجاء ترقب فوائده ، فالله قد أغناك أن تكون إلى المعاهدة لاجيا ،  
وجعلك بنا مخوفا ومرجوا لا خائفا ولا راجيا ، وقد زدناك فضلا في محلك تكون بها  
على غيرك مفضلا ، وقد كنت من قبلها أغر فأوفت بك أغر محجلا ، وذلك أنا  
جعلناك على آية الخيل تقودها إلى خوض الغار ، ونصرفها في منازل الأسفار ، وترتب  
قلوبها وأجنحتها على اختلاف مراتب الأطوار ، فنحن لائق عدوا ولا ننهد إلى

بلدٍ إلا وأنت كوكبنا الذي نهتدي بمطّله، ومفتاحنا الذي نستفتح المُغلق بِئمن موقعه، ونوقن بالنصر في ذهابه وبالغنيمة في مرجعه؛ والله يشرح لك صدرا، ويُسرّ لك منّا أمرا، ويشدّ أزرنا بك كما شدّ لموسى بأخيه أزرًا، والسلام .

## الأسلوب الثاني

( أن يُفتَحَ التوقيع بالإقطاع بلفظ : « أما بعد فإنّ كذا » )

ويذكر ما سَنَحَ له من أمر السلطان أو الإقطاع أو صاحبه، ثم يتعرّض إلى أمر الإقطاع، وهو دون الأسلوب الذي قبله في الرتبة .

وهذه نسخة توقيع بإقطاع من هذا الأسلوب، كتب بها لأمير قدم على الدولة فاستخدمته، وهي :

أما بعد، فإنّ لكلّ وسيلةٍ جزاءً على نسبةٍ مكانها، وهي تتفاوت في أوقات وجوبها ومثاقيل ميزانها؛ ومن أوجبها حقًا وسيلةُ الهجرة التي طوى لها الأمل من شقته ما طوى، وبعث بها على صدق النية «ولكلّ أمرٍ ما نوى»؛ فالأوطان إليها مودعه، والخطوات موسّعه، والوجوه من برد الليل وحرّ النهار مُلقّعه؛ وقد توخّاها قوم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطّوا في الدنيا باعتلاء المنار، وفي الآخرة بعقب الدار، وقَدّموا على مَنْ آوى ونَصَرَ فقال تعالى : ﴿ والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ من المهاجرين والأنصار . ثم صارت هذه سنةً فيمن هاجر من أقوام إلى أقوام، واستبدل بأنام عن أنام؛ وكذلك فعلت أيها الأمير فلان - وفقك الله - وقد تَلَقَّيتَ هجرتك هذه بالكرامة، وزُحِرَتْ لها دارُ الإقامة؛ فما أبتغيت بها بُغْيَةً إلا سَمَّيتَ لك بِحَاجِهَا، أو عاج عليك معاجها، وحَمِدَ لَدَيْكَ تَأْوِيلُهَا وإِدْلَاجُهَا؛ وأصبحت



وقد وجدتَ خَفْضًا غَبَّ السُّرى ، وَخِيطُ مَنْكَ الْجُفُونُ عَلَى أَمْنِ الكَرَى ، وَتَبَوَّاتَ  
كَنَفَ الدَّوْلَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الدُّوَلِ إِذْ صِرْتَ إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْقُرَى . وَنَحْنُ قَدْ  
أَذْنَيْنَاكَ مِنَّا إِدْنَاءَ الْخَلِيطِ وَالْعَشِيرِ ، وَرَفَعْنَاكَ إِلَى مَحَلِّ الْأَخْتِصَاصِ الَّذِي هُوَ الْمَحَلُّ  
الْأَثِيرِ ، وَآخَيْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَطَايَانَا كَمَا وَوَحَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ النَّبَوِيَّةِ يَوْمَ الْغَدِيرِ .

هَذَا وَلَكَ وَسِيلَةٌ أُخْرَى تُعَدُّ مِنْ حِسَانِ الْمَنَاقِبِ ، وَتُوصَفُ بِالصِّفَاتِ الْأَطْيَابِ ،  
وَمَا يُقَالُ إِلَّا أَنَّهَا مِنَ الْأَطْوَادِ الرَّوَاسِ ، وَأَنَّهَا تَبْرُزُ فِي اللَّبَاسِ الْأَحْمَرِ وَغَيْرِهَا لَا يَبْرُزُ  
فِي ذَلِكَ اللَّبَاسِ ، وَهِيَ الَّتِي تَجْعَلُكَ بِوَحْدَتِهَا فِي كَثْرَةِ ، وَتَتَأَمَّرُ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ ،  
وَطَالَمَا أَطَالَتْ يَدُكَ بِمَنَاطِ الْبَيْضِ الْحِدَادِ ، وَفَرَّجَتْ لَكَ ضَيْقَ الْكُرِّ وَقَدْ غَصَّ  
بِهَوَادِي الْحِيَادِ ، وَحَسَّنَتْكَ الْعُيُونُ وَقَدْ رُمِيتْ مِنْكَ بِشَرْقِ الْقَذَا وَنَبْوَ السَّهَادِ ،  
وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْ الْعَدُوَّ يُحِبُّ الْعَدُوَّ مِنْ أَجْلِهِ ، وَيَضْطَرُّهُ إِلَى أَنْ يَقَرَّ بِفَضْلِهِ ،  
وَمَذْ وَصَلَتْ إِلَيْنَا وَصَلْنَاكَ بِأَمْرَانَا الَّذِينَ سَلَفَتْ أَيَّامُهُمْ ، وَثَبَّتْ فِي مَقَامَاتِ الْغَنَاءِ  
أَقْدَامُهُمْ ، وَتَوَسَّمْنَا أَنَّكَ الرَّجُلُ الَّذِي يَزُكُّ لَدَيْكَ الصَّنِيعُ ، وَأَنَّكَ سَتَشْفَعُهُ بِحَقِّهِ  
خِدْمَتِكَ الَّتِي هِيَ نِعَمُ الشَّفِيعِ .

وَقَدْ تَحَجَّلْنَا لَكَ مِنَ الْإِقْطَاعِ مَا لَا نَرْضَى أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ شَاكِراً ، وَجَعَلْنَاهُ لَكَ أَوَّلًا  
وَأِنْ كَانَ لَغَيْرِكَ آخِراً ، وَهُوَ مُثَبَّتٌ فِي هَذَا التَّوْقِيعِ بِقَلَمِ الدِّيَوَانِ الَّذِي أُقِيمَ لِفَرْضِ  
الْجُنْدِ كِتَاباً ، وَلِمَعْرِفَةِ أَرْزَاقِهِمْ حِسَاباً ، وَهُوَ كَذَا وَكَذَا .

فَتَنَاوَلْ هَذَا التَّخْوِيلَ الَّذِي خُوِّلَتْهُ بِالْيَمِينِ ، وَاسْتَمْسِكْ بِهِ اسْتِمْسَاكَ الضَّيْنِ .  
وَأَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ الْحَوَاسِدُ لِمَا مَدَدْنَاهُ مِنْ صُنْعِكَ ، وَبَسَطْنَاهُ مِنْ ذَرْعِكَ ،  
فَأَشْجَحُ حُلُوقَهُمْ بِالسَّعْيِ لِاسْتِحْقَاقِ الْمَزِيدِ ، وَأَرْقُ فِي دَرَجَاتِ الصُّعُودِ وَالزُّمُومِ صَفْحَةَ  
الصَّعِيدِ .

والذى تأمرك به أن [تُعدّ] نفسك للخدمة التى جعلت لها قرنا وأنت بها أغنى ،  
 وأن تنتهى فيها إلى الأمد الأقصى 'دون الأذن' ؛ فلا تَضُمُّ جناحك إلا على قوادِمَ  
 من الرجال لا على خَوَاف ، وإذا استنفرت فأنفِرْ بِثِقَالٍ من الخيل وخِفَافٍ ؛ وكن  
 مدخورا لواحدةٍ يقال فيها : يا عِزائِمُ اغْضِي ، ويا خَيْلَ النَّصْرِ ارْكَبِي ؛ وتلك هى التى  
 نتظلم بها الجماجم من الضراب ، وتلاقى فيها عَصَبُ الغُرَبانِ والذُّباب ؛ ولا تحتاجُ مع  
 هذه إلى مَنَقِبَةٍ تَجَمَّلُ بتفوييفها ، وتكثر بتعريفها ، وتنتمى إلى تليدها باستحداث  
 طريقها .

والله تعالى يَشُدُّ بك أزرًا ، ويملأ بك عينا وصدرا ، ويعمل الفلج مقرونا  
 برأيك ورايتك حتى يقال : « ومكروا مكرا » وجرّدنا بيضا وسمرا ، والسلام  
 إن شاء الله تعالى .

### الأسلوب الثالث

( أن يفتتح التوقيع المكتتب بالإقطاع بما فيه معنى الشجاعة والقتال  
 وما فى معنى ذلك ، وهو أدنى من الذى قبله رتبة )

وهذه نسخة توقيع بإقطاع من هذا النمط ، كتبت به لبعض الأمراء الصغار ،  
 وهى :

القلم والرمح قلمان كلاهما أسمر ، وكما تشابهًا فى المنظر فكذلك تشابهًا فى المخبر ،  
 غير أن هذا يركب فى عسكر من القول وهذا يحمل فى عسكر ؛ وقد نطق أحدهما  
 بالثناء على أخيه فأحسن فى نطقه ، وأقرله بالفضيلة ومن الإنصاف أن يُقرَّ  
 لذى الحق بحقه ، غير أن هذه الفضيلة تغزى إلى من يُقيم أود الساعى بتقويم

أوده، ولا يرى لها سبيلاً قَصِداً إلا بالوطء على قَصده، وهو أنت أيها الأمير فلان  
أيّدك الله ! .

وقد آخترناك لخدمتنا على بصيره، وأجربناك من آعتنائنا على أكرم وتيره، ورفعنا  
درجتك فوق درجة المعلّى لمن سبقك وإنها لكبيره .

ولم يكن هذا الاختيار إلا بعد اختبار لا يحتاج معه إلى شهادة ، ولو كشف  
الغطاء لم يجد اليقين من زياده ؛ فطالما عجمت نبعتك ، وتيمنت طلعتك ، ولم تعرض  
سلعة الغناء إلا نفقت سلعتك ؛ ومثلك من تباهى الرجال بمكانه ، وتخلّى له فضلة  
عنانه ، ويتسع ميدان القول في وصفه إذا ضاق بغيره سعة ميدانه ؛ وما يقال إلا  
أنك الرجل الذى تقذف الجانب المهّم بعزمك ، وترمى برأيك قبل رماء سهمك ؛  
وبك يحسر دجى الحرب الذى أعوزه الصّباح ، ويئجى عقابها أن يخصّ له جناح ؛  
فأسباب الاعتضاد بك إذن كثيرة الأعداد ، وأنت الواحد المشار إليه ولا تكثر  
إلا مناقب الآحاد .

وقد بدأنك من العطاء بما يكون بيسم الله فى صدر الكتاب ، وجعلناه كالغامة  
التي تأتي أولاً بالقطار ثم تأخذ فى الأنسكاب ؛ وخير العطاء ما ربّ بعد ميلاده ،  
وأنيع ثمره بعد جدّاده ؛ وإن صادف ذلك وسائل خدّم مستأنفة كان لها قرانا ،  
وصادف الإحسان منه إحسانا ؛ وقد ضمن الله تعالى للشّاكر من عباده مزيدا ،  
ولم يرض له بأن يكون مبدئاً حتى يكون معيذا ؛ وكذلك دأبه فيمن عرف مواقع  
نعمه ، وعلم أن صحتها لا تفارقه مالم يُعدها بسقمه .

ونحن أولى من أخذ بهذا الأدب الكريم ، وألزم نفسه أن نتحلّى بحُلّقه وإنه  
للخلق العظيم ؛ وعطاؤنا المنعم به عليك لم يذكر فى هذا التوقيع على حكم الامتنان ،

بل إثباتاً لحساب الجُند الذين هم أعوانُ الدولة ولا بد من إحصاءِ الأعوان ؛  
وهو كذا وكذا .

فأمْدُدْ له يدًا تجمع من الشُّكرِ مواظبه ، ومن الطَّاعة مُراقبه ؛ وكنْ في التَّأهَّبِ  
لِلخدمة كالسَّهمِ الموضوعِ في وتره ، وأصِحْ بِسَمْعِكَ وبصِرِّكَ إلى ما تُؤمَرُ به فلا اتِّمَارَ  
لمن لم يُصْخَرْ بِسَمْعِهِ وبَصَرِهِ .

ومِلاكُ ذلك كله أن نتكثّر من فُرسانِ الغِوَارِ ، وحُماةِ الدِّمارِ ، والذين هم زينةُ سِلْمٍ  
ومَفْرَعُ حَدَارٍ ، ومثلُ هؤلاء لا يَضُمُّهم جيشٌ إلا تقدّمه جيشٌ من الرُّعبِ ، ودَارَتْ  
منه الحربُ على قُطبها ولا تدور رحى إلا على قُطب ؛ وإذا ساروا خلفَ رايَتِكَ  
نُشِرت ذوائبُها على غايَةٍ من الآساد ، وخفقت على بحرٍ من الحديد يسيرُ به طودُ  
من الحِياد .

ومن أهمِّ الوصايا إليك أن تُضيف إلى غنائهم غنيَّ يبرزهم في زهرة من اللباس ،  
ويعينهم على إعداد القوة ليومِ الباس ، ويُقَصِّر لديهم شُقَّةَ الأسفار التي تذهب بترقات  
الشماس ، وينقطع دونَ قطعها طولُ الأنفاس ؛ وأى فائدة في عسكِرٍ يأخذ بعد المسرى  
في حوره ، ولا يزيد صبره بزيادة سفره ، ويكون حافره وخفه سواء في انتساب كلِّ  
منهما إلى شدة حَجَره .

فانظر إلى هذه الوصية نظرَ من طال على صحبه بالكفِّ الأوسع ، وعلم ما يضرُّ  
فيهم وما ينفع ؛ والله يمنحك من لدنه توفيقاً ، ويسئلك بك إلى الحُسنى طريقاً ،  
ويجعلك خليقاً بما يُصلحك وليس كلُّ أحدٍ بصلاحه خليقاً ، والسلام .

(١) لعله «مع» بدل «من» في الموضعين .

## الطرف الثاني

(ما يُكْتَبُ في الإقطاعات في زماننا)

وهو على ضربين :

### الضرب الأول

( ما يُكْتَبُ قبل أن يُنْقَلَ إلى ديوان الإنشاء )

وفيه جملتان :

الجملة الأولى — في ابتداء ما يُكْتَبُ في ذلك من ديوان الجيش .

إعلم أنَّ مِظَنَّةَ الإقطاعات هو ديوان الجيش دُونَ ديوان الإنشاء ، وما يُكْتَبُ فيه من ديوان الإنشاء هو قَرَع ما يُكْتَبُ من ديوان الجيش .  
ثم أول ما يُكْتَبُ من ديوان الجيش في أمر الإقطاع إما مِثَالٌ ، وإما قِصَّةٌ ، وإما نزول <sup>(١)</sup> .

فأما المِثَالُ ، فإنه يُكْتَبُ ناظرُ الجيش في نِصْفِ قائمةٍ شامٍ ، بعد ترك الثلثين من أعلاها بياضا ، في الجدول الأيمن من القائمة ما صورته :

« خُبِرَ فلان المتوفى إلى رحمة الله تعالى » أو « المرسوم أرجاعه » أو « المنتقل لغيره » ونحو ذلك . ويكون « خُبِرَ » سطرا ، وباقي الكلام تحته سطرا . وتحت ذلك ما صورته :  
« عبرة كذا وكذا ديناراً » بالقلم القبطي . وفي الجدول الأيسر ما صورته :

« بِأَسْمِ فلان الفلاني » وإن كان زيادة عَيْنٍ ، ثم يَسْمَلُهُ الخط الشريف السلطاني بما مثاله : « يُكْتَبُ » ثم يُكْتَبُ تحته ناظرُ الجيش ما مثاله : « يُمَثَّلُ المرسوم »

(١) أى إسهاد بنزول كما يؤخذ من التفصيل الآتى .

الشریف» وُيعَيَّنْهُ عَلَى مَنْ يَخْتَارُهُ مِنْ كُتَّابِ الْجَيْشِ، ثُمَّ يُتْرَكُ بَعْدَ ذَلِكَ بِدِيَوَانِ النَّظَرِ، وَيُكْتَبُ تَارِيخُهُ بِخَطِّ كَاتِبِ نَاضِرِ الْجَيْشِ بِذَيْلِ الْمِثَالِ، وَيُخَلَّدُ الْكَاتِبُ الْمَعَيَّنُ عَلَيْهِ، وَيُكْتَبُ بِذَلِكَ مَرَبَّعَةً، عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ.

وَأَمَّا الْقِصَصُ فَتُخْتَلَفُ بِحَسَبِ الْحَالِ : فَتَارَةً يُنْهَى فِيهَا وَفَاءً مِنْ كَانَ بِيَدِهِ الْإِقْطَاعُ، وَتَارَةً أُنْتَقَلَّ عَنْهُ، وَتَارَةً أُرْتِجَاعُهُ، وَتَارَةً طُلِبَ إِعَادَةُ مَا خَرَجَ عَنْهُ، وَتَارَةً طُلِبَ تَجْدِيدُهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَيُكْتَبُ نَاضِرُ الْجَيْشِ عَلَى حَاشِيَتِهَا بِالْكَشْفِ. وَيُكْتَبُ الْكَشْفُ بِذَيْلِ ظَاهِرِهَا مِنْ دِيَوَانِ الْجَيْشِ بِمَا مِثَالُهُ :

« رَافِعُهَا فَلَانُ أَنْهَى مَا هُوَ كَذَا وَكَذَا، وَسَأَلَ كَذَا وَكَذَا » وَيَذْكُرُ حَالِ الْإِقْطَاعِ. ثُمَّ يَشْمَلُهَا الْخَطُّ الشَّرِيفُ السَّاطِنُ بِمَا مِثَالُهُ : « يَكْتَبُ » وَبَاقِي الْأَمْرِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِ الْمِثَالِ.

وَأَمَّا الْإِشْهَادَاتُ فَتَكُونُ تَارَةً بِالنُّزُولِ، وَتَارَةً بِالْمُقَابِضَةِ، وَرَبَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ بِالشَّرْكَاءِ، ثُمَّ يُكْتَبُ نَاضِرُ الْجَيْشِ عَلَى ظَاهِرِ الْإِشْهَادِ بِالْكَشْفِ، وَيُعْمَلُ فِيهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْقِصَّةِ.

الجملة الثانية — فِي صُورَةِ مَا يَكْتَبُ فِي الْمَرَبَّعَةِ الْجَيْشِيَّةِ.

قَدْ جَرَتْ عَادَةُ دِيَوَانِ الْجَيْشِ أَنَّهُ إِذَا عَيَّنَ نَاضِرُ الْجَيْشِ الْمِثَالَ أَوِ الْقِصَّةَ أَوِ الْإِشْهَادَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ كُتَّابِ دِيَوَانِ الْجَيْشِ، يَخَلَّدُ الْكَاتِبُ ذَلِكَ عِنْدَهُ، ثُمَّ تُكْتَبُ بِهِ مَرَبَّعَةً مِنْ دِيَوَانِ الْجَيْشِ وَتَكْمَلُ بِالْخُطُوطِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَتُجَهَّزُ إِلَى دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ، فَيُعَيِّنُهَا كَاتِبُ السَّرِّ عَلَى مَنْ يَكْتَبُ بِهَا مَنْشُورًا عَلَى مَا سَيَأْتِي.

وصورة المربعة أن يَكْتُبَ في ورقة مربعة، يجعلُ أعلى ظاهر الورقة الأولى منها بياضا، ويَكْتُبُ في ذيلها معترضا: آخذا من جهة أسفل المربعة إلى أعلاها أسطرا قصيرة على قدر عرض ثلاثة أصابع ما صورته :

«مثال شريف — شرفه الله تعالى وعظمه — بما رُسم به الآن : من الإقطاع»  
باسم من عين فيه من الأمراء أو من الممالك السلطانية بالديار المصرية ،  
أو بالملكة الفلانية ، أو من الحلقة المصرية أو الشامية ، أو نحو ذلك «على ما شرح فيه حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه» .

وتحت ذلك كله ما صورته :

(١) «يحتاج الشريف أعلاه الله تعالى» .

ثم يَكْتُبُ داخل تلك الورقة بعد إخلاء هامش عرض إصبعين البسملة ،  
وتحتها في سطر ملاصق لها : «المرسوم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى»  
ثم ينزل إلى قدر ثلثي الصفحة ، ويكتب في السطر الثانى بعد البياض الذى تركه على  
مسامطة السطر الأول : «الملكى الفلانى الفلانى» بقلب السلطنة : كالناصرى ، ولقب  
السلطان الخاص كالزنى «أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه ، أن يُقطع من  
يذكر : من رجال الحلقة بالديار المصرية أو بالملكة الشامية أو نحو ذلك ، ما رسم له به  
الآن في الإقطاع ، حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه» .

ثم يَكْتُبُ في الصفحة الثانية مقابل البسملة : «فلان الدين فلان الفلانى ، المرسوم  
إثباته في جملة رجال الحلقة المنصورة بالديار المصرية أو الشامية ، بتمتضى المثال

(١) بياض في الأصل ولعله «إلى الخط الشريف» .

الشَّريف أو المربَّعة الشريفة المشمولة بالخط الشريف» . ثم يكتب تحت السَّطر الأخير في الوسط ما صورته : « في السنة كربستا » إن كان جميع البلد أو البلاد المقطعة لا يُستثنى منها شيء ، أو يكتب : « خارجاً عن الملك والوقف » أو نحو ذلك « على ما يقتضيه الحق » .

ثم يكتب تحت ذلك على حِمال السُّطور ممتداً من أوَّل السَّطر إلى آخره :  
« خبر » .

ثم يكتب تحته : « فلان بن فلان الفلاني ، بحكم وفاته ، أو بحكم نزوله برضاه » ونحو ذلك على عادته - ناحية كذا . ناحية كذا . ناحية كذا .

وإن كان فيه نقد ونحوه ذكره ، ويستوفي ذلك إلى آخر : « بعد الخط الشريف - شرفه الله تعالى - إن شاء الله تعالى » .

ثم يُؤرَّخ في سَطْرين قصيرين ويُحضَّر إلى صاحب ديوان الإنشاء ، فيعيَّنه على مَنْ يكتبه من كُتَّاب الإنشاء ، على ماسياتي بيانه .



## الضرب الثاني

( فيما يكتب في الإقطاعات من ديوان الإنشاء ، وفيه خمس جمل )

## الجملة الأولى

( في ذكر أسم ما يكتب في الإقطاعات من ديوان الإنشاء )

قد اصطلح كُتَّاب الزمان على تسمية جميع ما يكتب في الإقطاعات : من عاليها ودانيتها ، للأمرء والجنود والعربان والترُكَّان وغيرهم - مناشير ، جمع منشور . والمنشور في أصل اللغة خلاف المطوى . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ .

وأعلم أن تخصيص ما يكتب في الإقطاعات باسم المناشير مما حدث الاصطلاح عليه في الدولة التركية .

أما في الزمن المتقدم فقد كانوا يطلقون أسم المناشير على ما هو أعم من ذلك : مما لا يحتاج إلى ختم : كالكتوب بالإقطاع على ما تقدم ، والمكتوب بالولاية ، والمكتوب بالحماية ، وما يجري مجرى ذلك . وربما سمي ما يكتب في الإقطاع مقاطعة ، وربما سمي سبجلاً وغير ذلك .

أما الآن فإذا أُطلقت المناشير لا يفهم منها إلا ما يكتب في الاقطاعات خاصة ، وخصوا كل واحد مما عداها باسمه ، على ما هو مذکور في مواضعه دون ما عداها ، ولا مشاحة في الاصطلاح بعد فهم المعنى .

قلت : ومن خاصة المناشير أنها لا تكتب إلا عن السلطان مشمولاً بخطه ، وليس لغيره الآن فيها تصرف ، إلا ما يكتب فيه النائب الكافل ابتداءً .

## الجملة الثانية

( في بيان أصناف المناشير، وما يخص كل صنف منها : من مقادير قطع الورق ،

وما يختص بكل صنف منها من طبقات الأمراء والجند )

إعلم أن المناشير المصطاح عليها في زماننا على أربعة أصناف : يختص بكل صنف منها مقدار من مقادير قطع الورق .

الصنف الأول — ما يكتب في قطع الثلثين وهو لأعلى المراتب من الأمراء .

قال في "التعريف" : ومن كان مؤهلاً لأن يكتب له تقليد كان منشوره من نوعه ومن دون ذلك إلى أدنى الرتب .

قال في "التثقيف" : وفي قطع الثلثين يكتب لمقدمي الألف بالديار المصرية ، سواء كان من أولاد السلطان أو الخاصكية أو غيرهم ، وكذلك جميع النواب الأكابر بالممالك الإسلامية ، والمقدمون بدمشق . وكل من له تقليد في قطع الثلثين يكون منشوره في قطع الثلثين .

الصنف الثاني — ما يكتب في قطع النصف .

قال في "التثقيف" : وفيه يكتب للأمراء الطبائخانات بمصر والشام ، سواء في ذلك الخاصكية وغيرهم . وكذلك الأمراء المقدمون من نواب القلاع الشامية . وفي معنائهم المقدمون بحلب وغيرها : من نواب القلاع وغيرهم .

الصنف الثالث — ما يكتب في قطع الثلث .

قال في "التثقيف" : وفيه يكتب للأمراء العشرات مطلقاً بسائر الممالك ، يعني مصر والممالك الشامية بجملة . قال : وكذلك الطبائخانات من التركمان والأكراد بالممالك الإسلامية .

الصنف الرابع — ما يكتب في قطع العادة المنصورية .

قال في "التتقيف" : وفيه يكتب للممالك السلطانية، ومقدمي الحلقة، ورجال الحلقة . إلا أنه يختلف الحال بين الممالك السلطانية، ومقدمي الحلقة، وبين رجال الحلقة بزيادة أوصال الطرة، والإتيان بالدعاء المناسب : يعني أنه يُترك في طرة مناشير الممالك السلطانية ثلاثة أوصال بياضاً، وفي مناشير رجال الحلقة وصلان . قلت : ولا فرق في ذلك بين حلقة مصر وغيرها من الممالك الشامية .

### الجملة الثالثة

( في بيان صورة ما يكتب في المناشير في الطرة والمثن )

قال في "التتقيف" : إن كان المنشور في قطع الثلثين، كُتب في طرته من يمين الورق بغير هامش ما صورته :

«منشور شريف بأن يجرى في إقطاعات المقر الكريم» أو «الجناب الكريم العالي الأميري الكبير» وإن كان نائباً زيد بعدها : «الكافلي الفلاني» يعني بلقبه الخاص «فلان الفلاني» بلقب الإضافة إلى لقب السلطان : كالناصرى ونحوه . ثم الدعاء بما جرت به عادته دعوة واحدة « ما رسم له به الآن من الإقطاع » ويشرح ما تضمنته المربعة إلى آخره، فمن ذلك جميعه سطران بقلم الثلث .

قال : والأحسن أن يكون آخر السطر الثاني الدعاء والتمنة بالقلم الرقاع أسطراً قصاراً بهامش من الجانبين، ثم يكتب في الوسط سطرًا واحدًا بالقلم الغليظ : «والعدة» وتحتة بالقلم الدقيق «خاصته، ومائة طواشي أو تسعون طواشيًا أو ثمانون طواشيًا أو سبعون طواشيًا» حسب ما يكون في المربعة . ويترك ثلاثة أوصال بياضاً بما فيه من وصل الطرة، ثم تكتب البسملة في أول الوصل الرابع، وبعدها

خُطبة مفتتحة بالحمد، ويكَلِّ بِمَا يَناسبه ، ثم يقال : « أما بعد » ويذَكُر ما ينبغي ذكره على نحو ما تقدّم في التقاليد .

قال في "التعريف" : إلا أن المناشير أخصر ، ولا وصايا فيها .

قال في "التثقيف" : ثم يذَكُر بعد ذلك اسمه بأن يقول : « ولما كان الجنب » وبقية الألقاب والنعوت والدعاء - ولا يُزاد على دَعْوَة واحدة « هو المراد بهذه المدح ، والمختصّ بهذه المنح » أو نحو ذلك - « آقتضى حسنُ الرأى الشريف أن نُحوّله بمزيد النعم » .

وإن كان المنشور في قطع النصف كُتِبَ على ما تقدّم ، إلا أنه لا يقال : « أن يُجرى في إقطاعات » . بل إن كان مقدّماً بحَبّ أو غيرها أو طبليخانه خاصيكاً ، أو كان من أولاد السلطان ، كُتِبَ : « أن يجرى في إقطاع المجلس العالي أو السامى » . وإن كان طبليخانه ممّن عدا هؤلاء ، كُتِبَ « منشورٌ شريفٌ بما رُسم به من الإقطاع للمجلس السامى » والتّيمّة على حكم ما تقدّم من غير فرق .

وأما ما يُكتب في قطع الثلث فيُكتب : « منشورٌ شريفٌ بما رُسم به من الإقطاع لمجلس الأمير » .

وأما التجديدات فيُكتب في طرّتها : « منشورٌ شريفٌ رُسم بتجديده بأسم فلان بن فلان الفلانى ، بما هو مُستقرّ بيده من الإقطاع الشاهد به الديوانُ المعمورُ إلى آخر وقت » ويُشرح حسب ما تضمنته المربعة ، ثم يقال : « على ما شُرح فيه » .

وأما الزيادات والتعويضات ، فقال في "التعريف" : إذا رُسم للأمير بزيادة أو تعويض : فإن كان من ذوى الألوف : كالنّواب الأكابر ، ومقدّمى الألوف بمصر والشام ، كُتِبَ له في قطع الثلث الطّوّة على العادة ، وبعد البسملة : « نخرج الأمر

الشریف العالی، المولوی، السلطانی، المَلِکی، الفلانی، الفلانی، ویُدعی له بما یناسبُ الحال «أن یُجرى فی إقطاعات المقر الفلانی أو الجنب الفلانی». . وفي التَّیمَّة نظیرُ ما تقدَّم فی المناشیر المفتحة بالخطبة، علی ما تقدَّم بیانه .

والذی ذکره فی " التعریف " : أنه یُکتب فی ذلك لمقدمی الاُیوف أو من قاربهم : «أما بعد حمد الله» .

وإن کان من أمراء الطبائخاناه الصغار فمن دُونهم حتی جُند الحلقة ، کتب له فی قطع العادة : «خرج الأمر الشریف» .

قال فی " التثقیف " : وكذلك الزيادات والتعاریض ، سواء فی ذلك کبیرهم وصغیرهم . قال : ویمکن أن یمیز أمير آل فضل فیکتب له ذلك فی قطع الثالث . قال فی " التعریف " : أما إذا انتقل الأمير من إقطاع إلى غیره ، فإنه یُکتب له كأنه مبتدأ علی ما تقدَّم أولاً .

وَأعلم أنه لم تجرِ العادة بأن تُکتب فی أعلى الطرة إشارة إلى العلامة السلطانية ، كما یُکتب فی الولايات الأسمُ الشریف فی أعلى الطرة . قال فی " التثقیف " : والسببُ فیهِ أنَّ العلامة لا تخرج عن أحد ثلاثة أمور : إما الأسمُ الشریف مفرداً ، كما فی الأمثلة السلطانية إلى من جرت العادة أن تكون العلامة له الأسمُ الشریف ، وما یتعلق بالتقالید والتواقیع والمراسیم الشریفة ، وأوراق الطريق . أو یضاف إلى الأسمُ الشریف والدُّه ، أو أخوه ، وذلك ممَّا یتعلق بالأمثلة الشریفة خاصة إلى من جرت عادته بأن تكون العلامة إليه كذلك . وذلك بخلاف المناشیر فإنَّ العلامة فیها علی ما جرت به العوائد، أن یُکتب السلطانُ : «الله أملي» أو «الله وليي» أو «الله حسبي» أو «الملک لله» أو «المنة لله وحده» لا یختلف فی ذلك أعلی

(١) لعله « وذلك مما یتعلق » الخ .

ولا أدنى، فلا يحتاج إلى إشارة بسببها يُنبه عليها، لأن ترك الإشارة إليها دليلٌ عليها، وإشارةٌ إليها، كما ذكر النحاة علامات الأسم والفعل ولم يذكروا للحرف علامة، فصار ترك العلامة إليها علامة، بخلاف الأمثلة : فإنها تختلف : فتكون العلامة فيها تارة الأسم، وتارة أخوه، وتارة والده .

### الجملة الرابعة

(١) في الطغرى التي تكون بين الطرة المكتبة في أعلى المنشور وبين البسملة

قال في "التعريف" : قد جرت العادة أن تكتب للمناشير الجبار كمقدمي الألوف والطبلخانات طغرى بالألقاب السلطانية، ولها رجل مفرد بعملها وتحصيلها بالديوان . فإذا كتب الكاتب منشوراً أخذ من تلك الطغراوات واحدة، وألصقها فيما كتب به . قال في "التعريف" : وتكون فوق وصل بياض فوق البسملة . قال في "التثقيف" : فبعد وصلين أو ثلاثة من الطرة .

قلت : ولم تزل هذه الطغرى مستعملة في المناشير إلى آخر الدولة الأشرفية «شعبان بن حسين» ثم تركت بعد ذلك ورُفِضَ استعمالها وأُهْمِلَتْ . ولا يخفى أنه يرد عليها السؤال الوارد على الطغرى المكتبة في أول المكاتبات إلى سائر ملوك الكفر من تقديم أسم السلطان على البسملة، على ما تقدم بيانه في موضعه .

وقد تقدم الاحتجاج لذلك بقوله تعالى في قصة بلقيس : ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ . وأنه يحتمل أن يكون قوله :

(١) نص في التاج على أن الطغرى بضم الطاء وسكون الغين وفتح الراء مقصورة كلمة أجمية استعملتها العرب .

﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ ﴾ حكاية عن قول بلقيس ، ويكون ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ هو أول الكتاب ، فلا يكون في ذلك حجة على تقدم الاسم على البسملة . وأنه إنما يتجه الاحتجاج بذلك على القول بأن قوله : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ ﴾ من كلام سليمان عليه السلام . وأنه إنما قدم اسمه على البسملة وقاية لاسم الله تعالى ، من حيث إنه كان عادة ملوك الكفر أنهم إذا لم يرضوا كتاباً مزقوه أو تفألوا فيه ، بفعل اسمه حالاً محل الوقاية . ولا شك أن مثل ذلك لا يجيء هنا ، لأن المحذور فيه مفقود ، من حيث إن هذه المناشير إنما تُلقى إلى المسلمين القائمين بتعظيم البسملة والمؤمنين لها حقها . وحينئذ فيكون لترك استعمالها وجه ظاهر من جهة الشرع ، بخلاف ما في المكاتبات إلى ملوك الكفر .

وأعلم أن هذه الطغراوات تختلف تركيباتها باعتبار كثرة متصباتها من الحروف وقلة ، باعتبار كثرة آباء ذلك السلطان وقتنهم ، ويحتاج واضعها إلى مراعاة ذلك باعتبار قلة متصبات الكلام وكثرتها . فإن كانت قليلة أتت بالمتصبات كما سيأتي بيانه بقلم جليل مبسوط ، كمختصر الطومار ونحوه ، لتبدأ على قلة فضاء الورق من قطع الثلثين أو النصف . وإن كانت كثيرة أتت بالمتصبات بقلم أدق من ذلك ، تحليل الثلث ونحوه آكتفاء بكثرة المتصبات عن بسطها .

ثم تختلف الحال في طول المتصبات وقصرها باعتبار قطع الورق : فتكون متصباتها في قطع النصف دون متصباتها في قطع الثلثين .

ثم قد أصطلح واضعوها على أن يجعلوا لها هامشاً أبيض من كل من الجانبين بتدر إصبعين مطبوقين ، وطرة من أعلى الوصل قدر ثلاثة أصابع مطبوقة .

ثم إن كانت في قَطْع النصف جُعِلَتْ مُتَصِيبَاتُهَا مع تصوير الحروف بأسفلها  
في الطول بقدر <sup>(١)</sup> ذراع، وفي العَرْض بقدر <sup>(١)</sup> ذراع .

وإن كانت في قطع الثلثين جُعِلَ طُولُهَا مقدار <sup>(١)</sup> ذراع، وعرضها  
مقدار <sup>(١)</sup> ذراع . ثم تارة تكون مُتَصِيبَاتٌ مُحْضَةٌ يقتصَرُ فيها من اسم السلطان  
على ما هو مذكور من اسمه واسم أبيه، وتارة يجعل اسم السلطان واسم أبيه بأعلى  
المتصيبات في الوسط بقلم الطومار قاطعاً ومقطوعاً، بحيث يكون ما بين أعلى الاسم  
وآخر أعلى المتصيبات قدر أربعة أصابع أو خمسة أصابع مطبوقة . ثم إذا ألصق  
الكتاب الطغرى، كتب بأسفلها في بقية وصلها في الوسط، بعد إخلاء قدر إبهام  
بياضاً ماصورتُه : « خَلَّدَ اللهُ سُلْطَانَهُ » .

وهذه صورة طغرى منشور بالقباب السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون »  
مضمونها .

« السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، محمد ابن السلطان الشهيد الملك  
المنصور، سيف الدين قلاوون » .

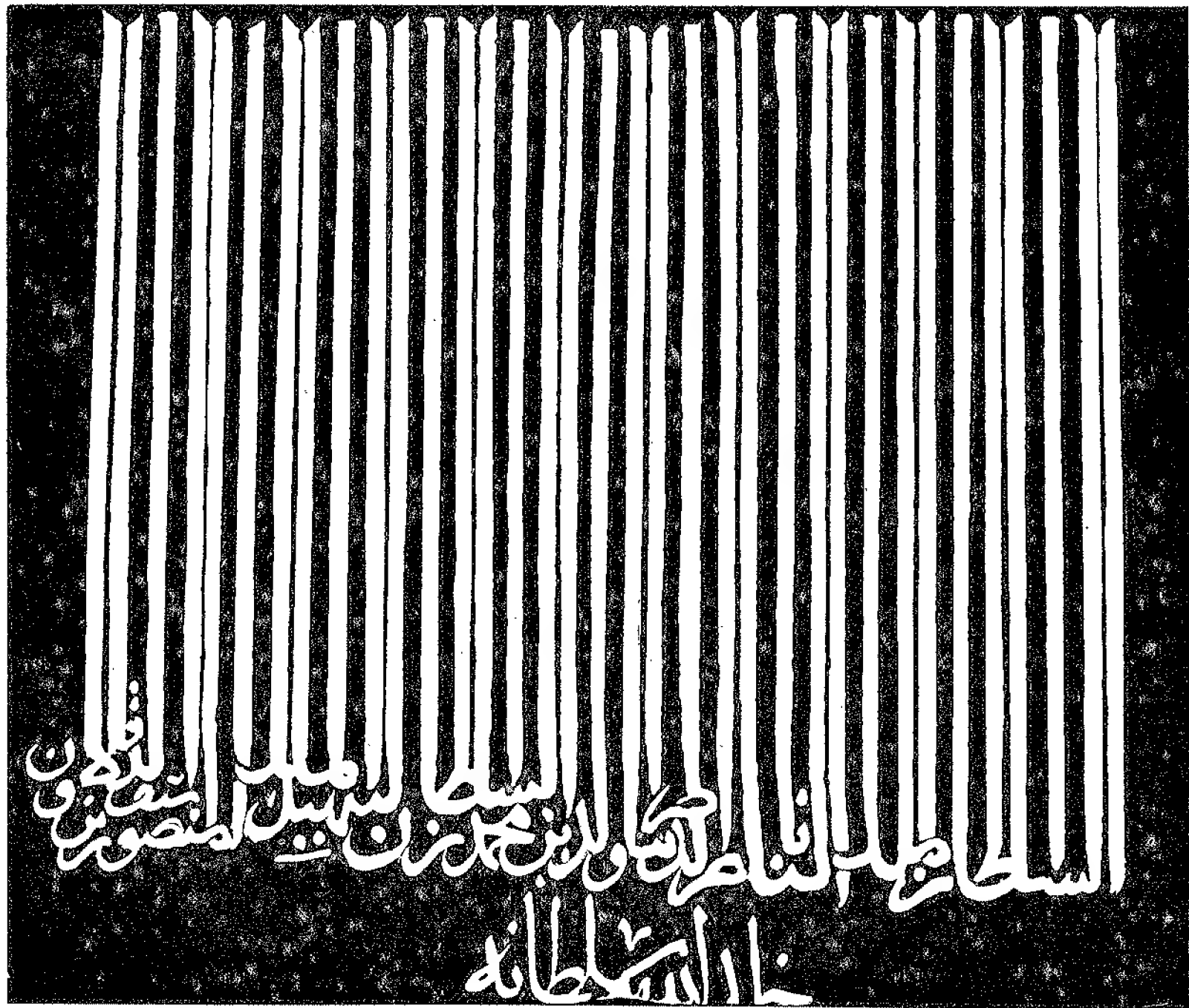
وعدد متصيباتها من الألف وما في معناها خمسة وثلاثون متصيباً بقلم النصف،  
وهو بقدر قلم الثالث الثقيل وقدر نصفه .

وترتيب متصيباتها [متصيبان] متقاربان بينهما بياض لطيف بقدر مرود دقيق،  
ثم متصيب يحفه بياضان، كل منهما أعرض من المتصيب الأسود يسير . وبعد  
ذلك متصيبان متقاربان بينهما على ما تقدم . وكذلك إلى آخر المتصيبات، فتختتم

(١) بياض في الأصل في هذه المواضع .



بمئة صبين مُزدَجِين ، كما أفتتحت بمئة صبين مُزدَجِين ، على ما آقتضاه تحريرُ التقسيم ،  
وهي في طول نصف ذراع بذراع القماش القاهريّ مع زيادة نحو نصف قيراط ،  
وعرض مثل ذلك . وتحتها في الوسط بقلم الثلث الجليل بعد خَوْعَرَضٍ إصبع  
بياضاً ما صورته : « خلد الله سلطانه » وهي هذه :

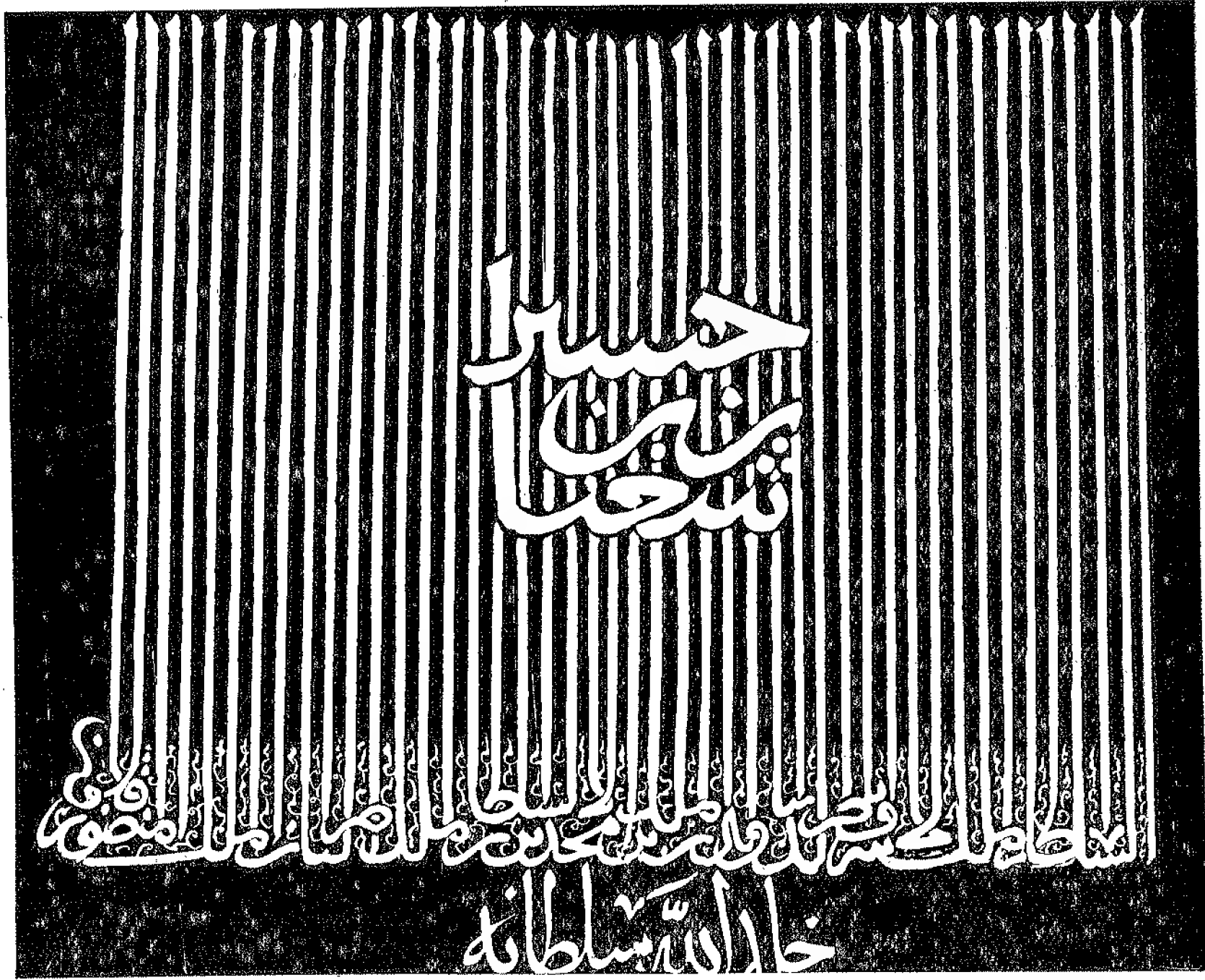


وهذه نسخة طُغرى منشور أيضاً بألقاب السلطان الملك الأشرف  
شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ، مضمونها .

« السلطان الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين آبن الملك الأمجد آبن السلطان  
الملك الناصر آبن الملك المنصور قلاوون » .

وعدد منتصباتها من الألفات وما في معناها خمسة وأربعون منتصبًا، بقلم جليل  
الثلث، بين كل مُنتصبين قدرُ منتصبٍ مرتين بياضًا، وطولها ثلث ذراع وربع  
ذراع بالذراع المقدم ذكره، وعرضها كذلك، وأسمُ السلطان بأعلىها بقلم الطومار  
بالخبر قاطع ومقطوع كما أشار إليه في التعريف .

مثاله : شعبان بن حسين - الشين والعين والباء والألف سطر، والنون  
من شعبان وابن سطر مركب فوق الشين والعين، وحسين سطر مركب فوق ذلك،  
وطول ألف شعبان تقدير سدس ذراع، وقد قطعت النون الألف وخرجت عنها  
بقدر يسير، وأول الأسم بعد المنتصب السادس عشر من المنتصبات، وآخر النون  
من حسين البارزة عن ألف شعبان إلى جهة اليسار بعدها أحد عشر منتصبًا من  
جهة اليسار، وهي هكذا :



## الجملة الخامسة

( في ذكر طرف من نسخ المناشير التي تكتب في الإقطاعات في زماننا )

قد تقدم الكلام في الجملة الثالثة على صورة ما يكتب في المناشير وما تفتح [ به ]  
وذكر ترتيبها ، واختلاف حالها باختلاف حال مراتب أصحابها صوباً وهبوطاً ،  
فأغنى عن ذكر إعادته هنا .

وأعلم أن الأحسن بالمناشير أن تكون مبتكرة الإنشاء ، أيراعى فيها حال المكتوب  
له في براعة الاستهلال وغيرها من المناسبات والمطابقات . فإن تعدد ذلك فالأحسن  
أن تكون براعة الاستهلال منقولة في الأسم والكُنية واللقب ونحوها ليكون ذلك  
أقرب إلى الغرض المطلوب . فإن تعدد ذلك فينبغي أن تكون براعة الاستهلال  
قاصرة على معنى الإقطاع وما ينجز إليه من ذكر كرم السلطان ومنه وإحسانه إلى  
أخصائه ، وما ينخرط في هذا السلك .

ثم نسخ المناشير على ثلاثة أنواع :

## النوع الأول

( ما يفتح به «الحمد لله» ، وهو على ثلاثة أضرب )

## الضرب الأول

( مناشير أولاد الملوك )

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نسخة منشور، كتب به عن الملك المنصور قلاوون لابنه الناصر محمد في سلطنة  
أبيه المذكور، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وهي :

الحمد لله الذي زين سماء الملك بأنور كوكب بزغ، وأعز ملك نبغ، وأشرف سلطان بلغ إلى ما بلغ ذوو الأكتفال من اختيار شرف الحلال وما بلغ .

نحمده حمداً تزيد به النعماء وتنمي، وتهمل به الآلاء وتهمي، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة من كل ريب، واقصة كل عيب، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله تعالى بمكارم الأخلاق، ومُعَاداة ذوى النفاق، وسأوى بين الصغير والكبير من أولى الاستحقاق، فى الإرفاد والإرفاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مارق نسيم وراق، وما خُصِفَتْ أوراق .

وبعد، فإن الهوائف أين ما تشدو، إذا حَفَّت الرياض بها من كل جانب، والسماء أحسن ما تبدو، إذا ترينت بالكواكب السيارة والشهب الثواقب، والسعادة أحمد ما تحدو، إذا خُصِصت بمن إليه، وإلا ما تشد الركائب، وعليه، وإلا ما تُثني الحقائق والحقائب، ومن هو للملك فليدة كبد، ونور مقلته وساعد يده، ومن نتمن السلطنة بملاحظة جبينه الوضى، وتستنير بالأ نور المضى، ومن تغضب الدنيا لغضبه وتزهى إذا رضى، ومن نشأ فى روض الملك من خير أصل زكى، وفاحت أزاهره بأعطر أرج وأطيب نشر ذكى، وطلع فى سماء السلطنة نجماً ما لليرين ماله من الإضاءة، ويزيد عليهما بحسن الوضاء، ومن تشوف النصر له من مهده، وتشوق الظفر إلى أنه يكون من جنده، وأستبشرت السلطنة بأن صار لها منه فرع باسق، وعقد متناسق، وزند وار وجناح وارف، ونخار تليد وعز طارف، وطرفان معلمان تُشرفيهما المطارف .

ولهذه المحاسن التى تشرب إلى قصدها آمال الخلائق المنتجة - أقتضى حسن البر الوصول، وشرف الإقبال والقبول، أن خرج الأمر العالى - لابرحت مرأسه

مترينة زينة السماء بكوا كبها ، ومزاجحة ستمك السماء بمنأ كبها - أن يجرى في ديوان  
الجناب العالى المرلوى ، الملىكى ، الناصرى ... ..

قلت : كما أن هذا المنشور منشور سلطان فهو فى البلاغة لحسن إنشاءه سلطان  
المناشير .

### الضرب الثانى

( من نسخ المناشير المفتحة بالحمد مناشير الأمراء مقدّمى الألوف )

وهذه نسخ مناشير منها .

نسخة منشور ، كتب به للأمير بدر الدين بيدرا استادار الملك المنصور قلاوون ،  
من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله ، وهى :

الحمد لله الذى جعل بدر الدين تمامًا على الذى أحسن ، وإمامًا تقتدى النجوم  
منه بالضياء الأبين والنور الأزين ، ونظامًا يجمع من شمل الذرى ما يغدو به حماه  
الأحمى وجنابه الأصون .

نحمده حمد من أعلى صوته وصيته أعلن ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك  
له شهادة تغدو وتبدو عند الذب وفى القلب مكانها الأمكن ؛ ونشهد أن محمدا عبده  
ورسوله ونبيه الذى أوهى الله به بناء الشرك وأوهن . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
ورضى عمن آمن به وعمن آمن .

وبعد ، فإن خير النعماء ما أتى به على التدريج ، وأتى كما يأتى الغيث بالقطر والقطر  
لإنبات كل زوج بهيج ، وأقبل كما تقبل الزيادة بعد الزيادة فينا يقال : هذا خليج

يُمَدُّه الْبَحْرُ إِذْ يُقَالُ : هَذَا بِحْرٌ يُسْتَمَدُّ مِنْهُ كُلُّ خَالِيجٍ ، وَبَيْنَا يُقَالُ : هَذَا الْأَمِيرُ ، إِذْ يُقَالُ : هَذَا الْمُحِيرُ ، وَبَيْنَا يُقَالُ : هَذَا الْهَلَالُ ، إِذْ يُقَالُ : هَذَا هُوَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِوَضْعِ الْغُرَّةِ مِنَ الْحَبِيبِينَ ، وَمَكَانِ الرَّاحَةِ مِنَ الْيَمِينِ ، وَلَهُ سَوَابِقُ خِدْمَةٍ لَا يَزَاحِمُهُ أَحَدٌ فِي طُرُقِ طُرُوقِهَا ، وَلَا تُسْتَكْتَرَلُهُ زِيَادَةٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مُوجِبَاتِ حَقُوقِهَا ، وَهُوَ مِنَ التَّقْوَى بِالْمَحَلِّ الْأُسْمَى ، عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الطَّرَاقِ ، وَالْمَكَانِ الْأَحْمَى ، الَّذِي مَكَانُهُ مِنْهُ - وَإِنْ كَانَ أَمِيرَ مَجْلِسٍ - صَدْرُ الرُّوَاقِ ، وَلَهُ الْكَرَامَاتُ الَّتِي تُرَى الْخُدُودُ لَهَا صُعُرٌ ، وَكَمْ سَقَتْ مِنْ سُمِّ الْعُدَاةِ دَافَّةَ الدُّعْرِ ، وَكَمْ قَابَلَ نُورُهُ نَارًا فَصَارَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَكَمْ تَكَلَّمَ عَلَى خَاطِرٍ فَشَاهَدَ النَّاسُ مِنْهُ شَيْخًا مِنْ حَيْثُ الشَّبِيهَةِ أَجَلَ اللَّهُ قُدْرَهُ غَلَامًا ، فَهُوَ الْمَجَاهِدُ لِلْكَفَّارِ ، وَهُوَ الْمُتَجَبِّدُ فِي الْأَشْحَارِ ، وَهُوَ حَاكِمُ الْفُقَرَاءِ وَإِنْ كَانَ سُلْطَانُهُ جَعَلَهُ أَسْتَاذَ الدَّارِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْعَصَا الَّتِي أَصْبَحَ بِحَمَاهَا مَضَافَةً إِلَى السَّيْفِ يَتَشَرَّفُ ، وَمُعْجَزَهَا لَا يُسْتَكْتَرَلُهُ أَنَّهَا لِكُلِّ حَيَّةٍ تَتَلَقَّفُ ، وَهُوَ الَّذِي تَحْمَدُ الْكُشُوفُ وَالسَّيُوفُ فُتُوحَهُ وَفَتْحَهُ ، وَالَّذِي يُشْكِرُ يَدَهُ عِنَانُ كُلِّ سَائِحٍ وَزِمَامُ كُلِّ سُبْحَةٍ ، وَكَمْ أَسَالُ بِيَدَيْهِ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ مَاءً جَرَى ، وَعَمِلَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ مَا جَرَى ، وَكَمْ وَلَّى اللَّهُ خَفِيَّ شَخْصِهِ فَأَظْهَرَ مُحَضَّصَهُ فَقَالَ الْوَلِيُّ : وَمَا أَدْرَى دَرًا لَوْلَا بَيْدَرَا - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ يَحْمَلَ إِحْسَانُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ لَهُ عَمَلًا ، وَأَنْ يُحْسِنَ لَهُ عِلًّا وَهَمَلًا ، وَأَنْ يَخْتَارَ لَهُ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْعَصَا كَمَا آخَتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا .

وَنُحْرِجُ الْأَمْرَ الْعَالِي - لَا زَالَ ظُلُّهُ ظَلِيلًا ، بِامْتِدَادِ الْفَيْءِ بَعْدَ الْفَيْءِ ، وَعِطَاؤُهُ جَزِيلًا ، بِتَنْوِيلِ الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ - وَهُوَ ذُو الْكَرَمِ وَالْكَرَامَاتِ ، وَصَاحِبُ الْعَصَا بِالْأَسْتَادَارِيَّةِ وَلَا يُسْتَكْتَرَلُ لِمُصَاحِبِهَا سِحْرُ الْحَيَاتِ .



وهذه نسخة منشور من ذلك لمن لقبه سيف الدين ، من إنشاء المقتدر الشهابي بن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي جرد في دولتنا القاهرة سيفاً ماضياً ، ووفق من جعل فعله لمزيد النعم متقاضياً ، وأسعد بإقبالنا الشريف من أصبح به سلطاناً مرضياً وعيشه راضياً .

نحمده على نعمه التي تسرُّ موالياً وتسوءُ معادياً ، وتقدم من أوليائنا من يقوم مقامنا إذا سمع منادياً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كم أروت في موارد الوريد من الرماح صادياً ، وأورت هادياً ، ورفعت من أعيان الأعلام هادياً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل القرآن بصفاته حالياً ، وأحلنا ببركة المشاركة في اسمه المحمدي مكاناً عالياً . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يبرح كل لسان لها تالياً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن صدقاتنا الشريفة لم تزل تُجدد إنعاماً ، وتزيد إكراماً ، وتضاعف لكل من أضحى ناصرنا بحقيقة ولائه إجلالاً وإعظاماً ، ليترقى إلى أعلى الدرج ، ويعلم أنه قد ورد البحر فيحدث عن كرمه ولا حرج ، ومن رأى التقرب إلى الله تعالى بمراضينا الشريفة فتقرب إليها ، وأقبل بقلبٍ مُخلص عليها ، وأشبهه البدور في مواقفه توسماً ، وحكى السيف بارق ثغره لمّا أومض في حومة الحرب متقسماً ، وأقدم حين لم يجد بداً أن يكون مقدماً ، ووصفت الطعنات التي أطلعت أسننتها الكواكب بها درية ، والحملاّت التي تقرّ العدا لفعلاتها أنها بهادريه ، كم له من محاسن ، وكم عرفت له من مكامن ، وكم له من صفات كالعقود يصدق بها من قال : الرجال معادن ،

كم له من همة تترقى به إلى المعالي ، كم له من عزيمة يروى حديثها المسند عن العوالي ؛  
كم به أمور تنشط ، وكم جمهور يحاط ؛ كم له من احتفاء واحتفال ، وكم له من  
قبول وإقبال ، وكم له من وثبات وثبات ، وكم له من صفات وصفات ، وكم له  
إماتة حكاية ؛ كم له من مناقب تصبح ونمسي ، وكم له من معارف لما علم بها ملكه  
- خلد الله ملكه - قال الملك : آتوني به أستخلصه لنفسي .

فلذلك لا تزال آراؤنا العالية تعقد له في كل وقت رايه ، وتسعى به إلى أبعد غاية ،  
وتتبع له عناية بعد عنايه ، حتى لا تخلو دولتنا الشريفة من سيف مشهور ، وعلم  
منشور ، وبطل لا يرد عن الصميم تصميم ، ولا تعد أكارب الأمراء إلا ويكون على  
العساكر مقدما وعلى الجيوش زعيما : ليعلم كل مأمور وأمير ، وكل مُمائل ونظير ،  
أن حسن نظرنا الشريف يضاعف لمن تقرب إلينا بالطاعة إحسانا ، ويوجب على  
من وجد الميسور بهذا المنشور امتنانا : ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ  
آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ .

ولما كان فلان هو المعنى بهذه المقاصد ، والمخصوص بهذه المبادئ والمحامد ،  
والواحد الذي ما قدم على الألف إلا وكلا ألف ذلك الواحد .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زالت أيامه موصولة الخلود ، موسومة بمزايا  
الجلود - أن يجري في إقطاعه ... .. .



وهذه نسخة منشور من ذلك لمن لقبه «شمس الدين» كتب به في الدولة الناصرية  
«محمد بن قلاوون» وهي :



الحمد لله الذى جعل دولتنا القاهرة مَطْلَعَ كُلِّ قَمَرٍ مُنِيرٍ ، ومَجْمَعَ كُلِّ مَأْمُورٍ  
وأَمِيرٍ ، ومَوْقِعَ كُلِّ سَحَابٍ يُظْهِرُ به البرقُ فى وجه السَّحابِ المَطِيرِ ، الذى شَرَّفَ بنا  
الأقْدَارَ ، وزاد الأَقْتِدَارَ ، وجعل ممالكنا الشريفة سماءً تُشْرِقُ فيها الشُّمُوسُ  
والأَقْمارُ .

نحمدُه على نِعَمِهِ التى تَخْتَالُ أوليائُنا بها فى مَلابِسِها ، وتَخْتَصُّ بنفائِسِها ، ونشهدُ أن  
لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةً نَجَرْدُ سيفَ الدِّينِ لإقامتها ، ونُحَافِظُ بوقائمه  
فى الحربِ على إدامتها ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله الذى خَصَّه بمزية التقريب ،  
وشرفه على الأنبياء بالمكان القريب ، صَلَّى الله عليه وعلى آله الذين عَظَّمَهُم بِقُرْبِهِ ،  
وَكَرَّمَهُم بِجَبِّهِ ، وقَدَّمَهُم فى السَّلفِ الصَّالحِ إذا جاء كُلُّ مَلِكٍ بِأُتْبَاعِهِ وَكُلُّ مَلِكٍ  
بِصَحْبِهِ ، وسلم .

وبعد ، فإنَّ أولى الأولياء أن تَشْمَلَهُ صدقاتنا الشريفة بحسن نظرنا الشريف ،  
وبرفعة قدره المُنِيف ، لِيَتِمَّ له إحسانها ، وَيَزِيدَ إمكانها ، حتَّى يَنْتَقِلَ هلاله إلى أكل  
مراتب البدور ، ويمتدَّ بِحُصْنِهِ المستَظِلِّ به كثيرٌ من الجمهور ، ويتقدَّم فى أَيْامنا  
الشريفة إلى الغاية التى يَرْجُوها ، ويقَدِّمُ قَدَمَهُ إلى مكانة أمثاله الى حلَّوها ، ونَتَكَلَّلُ  
بنا نعمة الله : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ - الناصرى بحقيقة ولائه ، البهادرى  
شجاعة فى لقائه ، مَنْ تَكَفَّلَتْ صدقاتنا العظيمة له بما لم يَكُنْ فى أَمَلِهِ ، وَجَلَّتْ  
حمايتنا الشريفة معاطفه بأبهى مما يَنْسِجُه الربيع من حُلِّله ، وتوسَّمتنا فيه من معرفة  
تُقَرِّبُ إلى مراضينا الشريفة بها دريًّا ، وهمَّةٍ جَرَّدنا بها منه سيفًا بها دريًّا ، وطلعةٍ  
أُطْلَعَتْ منه بالبهاء كوكبًا دريًّا ، مع ماتحوِّل فيه من نِعَمنا الشريفة ، وقام به فى أبوابنا  
العالية من أحسن القيام فى كُلِّ وَظِيفَةٍ .

ولما كان فلان هو الذى أشرنا إليه ، ونبهنا مقل النجوم عليه . فاقتضت آراؤنا الشريفة أن نبغّه أقصى رتب السعادة ، ونعجل له بحظّ الذين أحسنوا الحسنى وزيادته ؛ ليعدّ فى أكابر أمراء دولتنا الشريفة إذا ذكرُوا ، والمُقَدِّمين على جيوشنا المنصورة إذا بادروا إلى مُهمّ شريف أو ابتَدَرُوا ؛ ليعلم كلُّ أحدٍ كيف يُجَازى كلُّ شُكُور ، وكيف يتحلّى بنعمنا الشريفة كلُّ سَيِّفٍ مشهور ، وكيف نذكرُ واحدا منهم فيغدو فى زعماء العساكر المؤيَّدة وهو مدكور ؛ ليلبِّدُوا فى خدمة أبوابنا الشريفة جُهدَهم ، ويتوَكَّلُوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العميمة التى تُحقِّق قصدهم .

فلذلك خرج الأمرُ الشريف ... ..



وهذه نسخة منشور من ذلك ، كُتِبَ به فى الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » لمن لقبه « بدر الدين » وهى :

الحمد لله الذى زين أفق هذه الدولة القاهرة ببدرها ، وسيره فى درج أوجها ونصرها ، ونقله فى بروج إشراقها ومنازل نحرها .

نحمده على نعمه المنهلة ببرها ، المتلهلة ببشرها ، المتريدة كلبا زينا فى حمدها وشكرها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق بها القلوب فى سرها وجهرها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى الأمم بأسرها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تملأ الوجود بأجرها ، وتضمن لأمتها النجاة يوم حشرها .

وبعد ، فإن أولى من تنعمت النعمى بتواليها عليه ومررها ، وخير من استقرت الخيرات عنده فى مستقرها ، وأعلى من عممته السنة الأقاليم ببدايع نظمها ونثرها ،

وخصّصته بمحامد تتأرجح المناشير بنشرها - من كان للدولة القاهرة يشرح صدرها ،  
بتيسير أمرها ، ويثبّد أزرها ، بحمل وزرها ، ويتكفل بأداء فرائض إتمامها  
ونصرها ، ويوصل حمل ما يفتح من الحصون الضيقة إلى مضرها .

ولما كان فلان هو بدر هذه السماء ومُنير زهرها ، ونير نجوم هذه المقاصد ومبتدأ  
نفرها ، وفريضة عقد هذه القلائد وقيمة درّها ، وصاحب هذه الألغاز ومفتاح  
سرّها - أقتضت الآراء الشريفة أن تُرفّ إليه عرائس العوارف ، ما بين عوانها  
وبكرها ، وترّف عليه نفائس اللطائف ، ما بين شفعها ووترها ، وتهادى إليه الهدايا  
ما بين صفرها وحرّها ، وتتوالى عليه الآلاء ما بين ثمرها وزهرها ، وأن تزداد عدته  
المباركة في كمّيتها وقدرها ، وأن تُكمل عشراته التسع بعشرها ، ليعلم أنه لا يبرح  
في خلدها وسرّها ، وأنها لا تُخلّيه ساعة من سعيد فكرها .

فلذلك خرج الأمر العالى - لا زالت الأقدار تحضّ دولته القاهرة بإطابة ذكرها ،  
وإطالة عمرها ، ولا برح الأمل كقيلة بنصرها ، بمضاء بيضها وإعمال سمرها -  
أن يجرى ....



وهذه نسخة منشور من ذلك كُتب به في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون »  
لمن لقبه « صلاح الدين » وهى :

الحمد لله الذى أتحف الممالك الشريفة من سعيد تدبيرنا ، بصلاحها ، وصرف  
حميد تأثيرنا ، بإنجاب الأولياء وإنجاحها ، وأسعف طراح أمانهم : من اقتربهم من  
خواطرننا الشريفة فى بعمد وتدانيهم باجابة سُؤالها وإصابة اقتراحها .

نحمده على أن جعل نصر دولتنا الشريفة قريبا من نصّاحها ، ونشكره على أن  
وصل أراجيهم بإرباحها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تحسن

المآل والعاقبة لذوى الإخلاص كما أحسنت في ابتدائها وأفتتحها، ويؤذن بحسن  
اعتنائها لأحوال أولى الاختصاص بإصلاحها، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله  
الذى عمت مواهبه، بآفاق سمائها وإغداق سماتها، وسمت مناقبه، بأثلاق غررها  
وإشراق أوضاعها، وأمت مواكبه، ديار العدا فشدت عليهم مشهور قراعتها ومنصور  
كفاحها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصابت أكرهم في السلم بمسغفات  
أقلامها وصالت أيديهم في الحرب بمرفقات رماحها، ماجرت الأقدار بمتاحها،  
وسرت المبارز لمتاحها، وظهرت آثار الإقبال التام على من له بخدمة أمتنا أهتيا وأحتفال  
فلاح على مقاصده معهود فلاحها . وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من لمح نظرنا الشريف حيث كان، ورجحه فكرنا الحسنة  
الجميل فمنحه الإجمال والإحسان، من لم يزل شكره أرجا بكل مكان، وذكره بهيجا  
تسرى به الركائب وتسير به الركبان، وصدره الرحيب مستودع الأسرار فلا تصاب  
إذ كانت فيه تصان، وقدره عندنا المحفوظ المكنة، فإن بعد فهو قريب دان، وأمره  
منا الملحوظ بالإعانة، فلا نزال نؤليه البر ونؤلى له الشان .

ولما كان فلان ... ..



وهذه نسخة منشورة، كُتِبَ به للأير سعد الدين مسعود بن الخطايرى، من إنشاء  
الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء، وهو :

الحمد لله على نعمه التي زادت مسعودا، وضاعفت مسعودا، وكرمت في أيامنا من  
لا حاجب له عن أن تمنحه من إنا مننا مزيدا، وقدّمت بين أيدينا الشريفة من  
أولائنا من غدا قدره عندنا خطيرا وحظه لدينا مسعودا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَنْجَزَ لِأَصْفِيائِنَا مِنْ وَفَائِنَا وَعُودَا، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَحْمَدُ الْمُخْلِصَ صُدُورًا وَوُجُوهًا، وَتَلْقَى مُؤْمِنَهَا بِالْبَشَرِ إِذَا جُمِعَ الْمَوْقِفُ وَفُودَا، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَّفَ بِإِنْجَادِهِ مَطْرُودًا، وَأُرْدَفَ بِالْمَلَائِكَةِ جُنُودًا، وَأَوْصَلَ بِهِ حُقُوقًا وَأَقَامَ حُدُودًا، وَحَجَّبَ بِبَرَكَاتِهِ وَفَتْكَاتِهِ الْأَسْوَءَ فَغَدَا الْعَدْلُ مَوْجُودًا، وَأَضْحَى الْحُكْمُ مَقْصُودًا . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا وَعَلَى الْمَشْرِكِينَ شَدِيدًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَنِعْمَنَا إِذَا أَوَّلَتْ وَلِيًّا ، مَنَحَهَا وَالْتَ ، وَإِذَا قَدَّمَتْ صَفِيًّا ، وَهَبَتْهُ مَزِيدَهَا وَأَنَالَتْ ، وَإِذَا أَقْبَلَتْ بَوَاجِهُ إِقْبَالَهَا عَلَى مُخْلِصٍ تَتَابَعَتْ إِلَيْهِ الْمَسَرَّاتِ وَأَنَثَالَتْ ، لَا سِيَّيَا مِنْ أَطَابَتِ الْأَلْسِنَةُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَأَطَالَتْ ، وَجُبِلَتْ سَجَايَاهُ عَلَى الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ فَمَا حَافَتْ وَلَا مَالَتْ ، وَأَوْصَلَتْ رَأْفَتَهُ مِنَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ وَعَلَى الْمَجْرُمِينَ سَطَوَتُهُ صَالَتْ ، فَيُؤْمِنُ مَقَاصِدِهِ هَانَتْ الْخَطُوبُ وَإِنْ كَانَتْ فَتَكَاتُهُ فِي الْحُرُوبِ كَمْ هَالَتْ ، وَهَمُّهُ فِي السَّلَامِ قَدْ جَلَّتْ وَيَوْمَ الرَّوْعِ كَمْ جَالَتْ ، وَعِزَّائِمُهُ كَمْ غَارَتْ فَأَغَارَتْ وَلِلْعَتِيدِينَ كَمْ غَالَتْ ، وَكَمْ سَبَقَ إِلَى خِدْمَتِنَا صَاحِبُ الشَّمْسِ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الْبَدْرُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَزُلْ وَإِنْ هِيَ زَالَتْ .

وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي نَقَلْنَاهُ فِي دَرَجَاتِ التَّقْدِيمِ حَتَّى كَمَلَ بَدْرُهُ ، وَوَقَّلْنَاهُ فِي مَرَاتِبِ التَّكْرِيمِ حَتَّى أَصْبَحَ وَهُوَ الْمُسْعُودُ حِظَّهُ الْمَحْمُودُ ذِكْرُهُ ، وَخَوَّلْنَاهُ مَوَاهِبَ جُودِنَا الْعَمِيمَةِ فَاسْتَدَّ بَاعَهُ وَأَشْتَدَّ أَزْرُهُ .

فَلِذَلِكَ نَخْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفُ - لَا بَرَحَ إِنْعَامُهُ يَجِلُّ عَنِ الْحَضَرِ ، وَدَوْلَتُهُ يُخْدِمُهَا الْعِزُّ وَالنَّصْرُ ، وَإِكْرَامُهُ يَقْضِي بِمَسَرَّاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِالْجَمْعِ وَيُفْضِي إِلَى أَعْمَارِ الْأَعْدَاءِ بِالْقَضَرِ - ... .. .



وهذه نسخة منشور، كُتِبَ به لعلاء الدين إيدغمش أمير اخور الناصري [كُتِبَ به في الدولة الناصرية] محمد بن قلاوون، من إنشاء الشريف، وهو :

الحمد لله الذي زاد علاء دولتنا الشريفه ، وأفاد النعماء التامة من قام بين أيدينا أتم قيام في أتم وظيفه ، وأجاد الآلاء المتواليه بمن أعنة الجياد بإشارته مصرفة ومنة الجود بسفارته مصروفة ، وأراد الأصطفاء لأعز همام : في قلوب الأولياء له محبة وفي قلوب الأعداء منه خيفة ، وأباد أولى العناد بفتكاته التي بها الغوائل مكفية والطوائل مكفوفة ، وشاد الملك الأعز بإرفاد ولي له الشجاعة المشكورة والطاعة المعروفة .

نحمده على أن جعل اختيارنا بالتسديد محفوظة وبالتأييد محفوفة ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة السرائر لإخلاصها ألوفه ، والضماير على اختصاصها معطوفه ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي نسله من النبعة المنيفة ، وأرسله بالشرعة الحنيفة ، وفصله بالرفعة على ظهر البراق إلى السبع الطباق وجنود الأملاك به مطيفه ، صلى الله عليه وعلى آله ذوى الهمم العالية والشيم العفيفة ، ورضى الله عن أصحابه الذين لو أنفق أحد مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، صلاة تبيض بالأجور الصعيفه ، وتعوض بالوفور من مبراتنا الجليلة بفكرتنا الجميلة اللطيفة ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فكرمنا يسبع المواهب والمنائح ، ونعمنا تبلى المآرب والمنابع ؛ فلا نبرح ننقل في درجات الصعود من هو في خدمتنا لا يبارح ، ويتكفل صالح نظرنا الشريف صلاح حال من أجمل النصائح وأثل المصالح ؛ فكم راض لنا من جامع ، وخاض بحر الوغى على ظهر سايح ، وحمى رواق الإسلام من رعبه بذب ورمى

أعناق الكفار من غضبه بذابح ، وأصمى المقاتل بكل نابل يستجن في الجوانح ،  
وأنتمى إلى سعادة سلطاننا الناصر الفاتح ، وسمّا عزّم إعلانه بتقريبه وإدناؤه إلى  
السمّاء الراح . طالما مسّ الكفار الضر إذ مسّاهم بالعاديّات الضوايح ، وأحسّ كلّ  
منهم بالدمار لما ظنّ أنه لحربه يكابد ولحزبه يكافح ، وصبّحهم بإغاراته على الموريات  
قدحاً فأغرى بهم الخطوب الفوايح ، وطرحهم بالفتكات إلى الهلكات فصاحت  
[رقابهم] رقاب الصفائح ، وأخلى من أهل الشرك المسارب والمسارح ، وأجلى أهل  
الإنك عن المطارد والمطارح .

ولما كان فلان هو الذى استشار إليه شأن هذه المدائح ، وسار به ذكره وشكره كلّ  
غادٍ ورائح .

خرج الأمر الشريف - لا برح سبيل هداه الواضح ، وجزيل نداءه يغدو كالغواذى  
بالعائد والبادى من فضله وهو الناصح ، ... .. .



وهذه نسخة منشورة ، كتبت به للأمير شمس الدين سنقر البكنوقى الشهير  
بالمسّاح ، وهى :

الحمد لله الذى أبزّل المواهب ، وجدّد من النعم ما لا تزال الألسنة تتحدّث  
عن بحرّها بالعجائب ، وأطلّع فى أفق الدولة الشريفة شمساً تستمدّ من أنوارها  
الكواكب .

نحمده على نعم يتوالى درّها توالى السحاب ، ويغالى درّها عن أن تطوّق به الأذنان<sup>(١)</sup>  
والترائب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تختصّ قائلها من

(١) المراد بالتطويق هنا مطلق التحلية وكان الأولى «أن تقرط به الأذنان وتطوق به الأعناق وتحلى به الترائب» .

درجات القبول والإقبال بأسمى الدرجات وأسمى المراتب ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أصطفاه من لؤى بن غالب ، وصان بيعته الشريفة رداء النُّسك عن كل جاذب ، وخصه بأشرف المواهب ، وصير الإيمان بنور هدايته واضح السبل والمداهب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يمضي جزء من الدهر إلا ووجودها فيه وجود الفرض الراتب ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أحق من حلّ من النعماء بأفضل العقود ، وخص بأضفى ملائس الإقبال وأضفى مناهل الإفضال : فاستعذب من هذه الورود ، واختال من هذه في أجمل البرود ، ومنح من الإقبال بكل غادية تُجبل السحاب إذ يجود ، وإن رقت بها الأقلام سطورا في طروس أزلت بالزهر اليناع والروض المجود ، ونقل قدره من منزل عزّ إلى منزل أعزّ فكان كالشمس تنتقل في منازل الشرف والسعود - من ظهرت مكارم سماته ، واشتهرت محاسن صفاته ، وطلعت في سماء العجاج نجوم حرصانه ولمعت في دجى النقع بروق طباته ، وقدم على الجيوش والجحافل فظهرت نتائج التأييد والتسديد من تقدمه وتقدماته ، وهزم جيوش الأعداء ، في مواقف الهيحاء ، بثبات أقدامه في إقدامه ووثباته ، وتجرد في المهمات والمهمات تجرد الماضيين : من سيوفه وعزماته .

ولما كان فلان هو الموصوف بهذه الأوصاف الجميلة ، والمنعوت بهذه المحاسن الجميلة ، والمشار إليه بهذه المحامد والمآدح التي ترهق على زهر الكواكب ، وتسمو بما له من جميل المآثر والمناقب - أوجب له الاختيار المزيد ، وقضى له الأمتنان بتخويله نعماً وتوويله منناً : تضحى هذه عقداً في كل جيد ، وتسمى هذه مقربةً له من



الآمال كل بعيد — وأقتضى حسنُ الرأي الشريف أن يُمنَح بهذا المنشور : ليُخصَّ  
من الأولياء بالسعد الجديد والحد السعيد .  
فلذلك خرج الأمر الشريف ... ..



وهذه نسخة منشورة، كُتِبَ به للأمير خاص ترك في الروك الناصري، وهي :  
الحمد لله على نِعَمِهِ التي سَرَتْ إلى الأولياء ركايبها ، وَهَمَّتْ على رياض الأصفياء  
سجائبها ، وتوالت إلى مَنْ أخلص في الطاعة بغرائب الاحسان رغائبها ، وتكفلت لمن  
خُصَّ بأُسْنَى رُتَب البر الحسان مكارمها العميمة ومواهبها ، وغمرت بحار كرمها الزاهرة  
من يُحدث عن شجاعته ولا حرج كما يُحدث عن البحور التي لا تَفْنَى عجائبها .

نحمده على نِعَمِهِ التي إذا أغبَتنا سحائب الندى أعقبت سحائب ، وَخَصَّتْ الخواصَّ  
من درج الأمتان بمراتب تَزَاحُم الكواكب على نهر المجرة بالمنالك ، ونشهد أن  
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال الجهاد يرفع ألويتها ، والجلاد يعمر  
بوفود الإخلاص أنديتها ، والإيمان يُشيد في الآفاق أركانها الموطدة وأبنتها ، ونشهد  
أن محمدا عبده ورسوله الذي أيده الله بنصره ، وَخَصَّه بمزية التَّقدُّم على الأنبياء مع  
تأخر عصره ، وآتاه من المعجزات ما تَكِلُ ألسنة الأفلام عن إحصائه وحضره .  
صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حاطوا دينه بالمحافظه على جهاد أعدائه ، وأيدوا  
ملته بإعادة حكم الجلال في سبيل الله وإبدائه ، صلاة لا يزال الإيمان يُقيم فرضها ،  
والإيقان يملأ بها طول البسيطة وعرضها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من ضوعفت له النعم ، ووُطِّدت له الرتب التي لا تُدرَك غاياتها  
إلا بسوايق الخدم ، وأشرقَتْ به مطالعُ السعود ، وَحَقَّقَتْ له مطالبُ الاعتلاء

والصُّعُودُ ؛ وَرَفَعَتْهُ مَوَاقِعُ الْإِحْسَانِ إِلَى أَسْنَى الْمَرَاتِبِ الَّتِي هُوَ مَلِيٌّ بِارْتِقَائِهَا ، وَتَوَلَّتْ لَهُ  
 هَوَامِيعُ الْبِرِّ وَالْأَمْتِنَانِ آتَتْقَاءَ فَرَائِدِ النَّعْمِ الَّتِي هُوَ حَقِيقٌ بِاخْتِيَارِهَا وَآتَتْقَاءِهَا ؛ وَبَلَغَتْهُ  
 الْعِنَايَةُ بِأَجَلٍ مِمَّا مَضَى قَدْرًا ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ الرِّعَايَةُ مِنْ أَفْقِ الْإِقْبَالِ بِمَا إِذَا حَقَّقَ التَّأَمُّلُ  
 وَجَدَ هَلَالَهُ بَدْرًا - مَنْ رَبِّي فِي ظِلِّ خِدْمَتِنَا الَّتِي هِيَ مَنْشَأُ الْآسَادِ ، وَمَرْبَى فُرْسَانِ  
 الْجِهَادِ ، وَغَرِينُ لُيُوثِ الْوَعْيِ الَّتِي آجَامُهَا عَوَالِي الصَّعَادِ ؛ وَبَرَائِنُهَا مَوَاضِي السُّيُوفِ  
 الْحِدَادِ ، وَفَرَائِسُهَا نُجُومُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَحُمَاةُ أَرْبَابِ الْعِنَادِ ؛ فَكَمْ لَهُ فِي الْجِهَادِ مِنْ  
 مَوَاقِفٍ أَعَزَّتِ الدِّينَ ، وَأَذَلَّتِ الْمُعْتَدِينَ ؛ وَزَلَزَتْ أَقْدَامَ الْأَبْطَالِ ، وَزَحَزَحَتْ ذَوِي  
 الْإِقْدَامِ عَنْ مَوَاقِفِ الْمَجَالِ ؛ وَحَكَّمَتْ صَفَاتِهِ فِي الْقِمَمِ ، وَأَنْبَتَتْ صِفَاحَهُ فِي مَنَابِتِ  
 الْهِمَمِ ؛ وَفَرَّقَتْ مَا لِأَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ صُفُوفٍ ، وَأَرَتَهُمْ كَيْفَ تُعَدُّ الْأُفُوفُ بِالْأَحَادِ  
 وَآحَادُهَا بِالْأُفُوفِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى مَنَاقِبِهِ ، وَنَبَّهَ عَلَى شَهْرَةِ إِقْدَامِهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ  
 يَمُنُّ عَوَاقِبِهِ ، وَأَوْمِيَّ إِلَى خِصَائِصِ أَوْصَافِهِ الَّتِي مَا زَالَ النُّصْرُ يَلْحَظُهَا فِي مَشَاهِدِ  
 الْجِهَادِ بَعِيْنٍ مُلَاحِظِهِ وَمُرَاقِبِهِ - أَقْتَضَتْ آرَاقُهَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تُجَدِّدَ أَعْتِلَاءَ مَجْدِهِ ،  
 وَتَزِيدَ فِي أَفْقِ الْارْتِقَاءِ إِضَاءَةَ إِقْبَالِهِ وَإِنَارَةَ سَعْدِهِ .

فلذلك نخرج الأمر الشريف لا زال ... .. :



وهذه نسخة منشور كُتِبَ به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون لجمال الدين  
 أقوش الأشرقي، المعروف بنائب الكرك عند خروجه من الحبِّ ، وهي :

الحمد لله مفرّج القلوب، ومفرّج الكرب، ومبرّج النفوس بذهاب غيابه  
الخطوب، ومبلغ من تقادم عهده في حفظ ولائنا نهاية المرغوب، وغاية المطلوب،  
الذى أعاد إلى الخالصين في طاعتنا النعمة بعد شرودها، وعوضهم عن تقطيب الأيام  
بابتسامها وعن نحوها بسعودها، وألقى على الأول منهم جمالا لا يسع الأذهان أن  
تتصف بإنكار حقوقه وبحجودها .

نحمده على ما وهبنا من الأناة والحلم، وخصّ به دولتنا من المهابة التي تُخشى يوم  
الحرب والمواهب التي تُرجى يوم السلم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
شهادة تكفّلت بالنجاة لقائليها، وأغنت من حافظ عليها عن ضراعات النفوس  
ووسائلها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث برعاية الذمم، والمنعوت بحسن  
الرافة التي هي شعار أهل الوفاء والكرم، [صلى الله عليه] وعلى آله وصحبه ما تلافيت  
الأقدار نفوسا من العدم، وتوافيت الأمانى والمنائج فأظفرت من أخاص نيته الجميلة  
برد ضالة النعم، صلاة تُضفى على الأولياء حلل القبول والرضا، وتُصفى من الأكار  
مناهل سرورهم فكان الخطب أبرق وأومض فمضى، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أنتظمت بعد الشبكات عقود مساره، وأبتسمت بعد  
القطوب ثغور مباره، وأشتملت عواطفنا عليه بخلبت أسباب منافعه وسلبت جلاب  
مضاره، واحتفلت عوارفنا بالملاحظة لعهد الوثيق العرا، والمحافظة على سالف  
خدمته التي ما كان صدق ولائها حديثا يُفترى؛ وسبق له من الاختصاص  
في الإخلاص ما يرفع من خاطرنا مكانة عالية الذرا - من أضفى من السابقين  
الأولين في الطاعة، والباذلين في أداء الخدمة والنصيحة لدولتنا جهد الاستطاعة،  
والمالكين للمال ببحسن الخلة وجميل الاعتزام، والمحافظين على تشييد قواعد الملك

بَآرَائِهِ وَرَايَاتِهِ الَّتِي لَا تُسَامَى وَلَا تُسَام ، وَأَمْسَى هُوَ الْوَلِيُّ الَّذِي لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ  
فِي إِخْلَاصِ الضَّمِيرِ فِي مَوَالَاتِنَا وَصَفَاءِ النِّيَّةِ ، وَلَا يُسَاهِمُهُ وَلِيٌّ فِيمَا آسَمْتَلُ عَلَيْهِ مِنْ  
صِدْقِ التَّعَبُّدِ وَجَمِيلِ الطَّوَيَّةِ ، وَالْخُلَاصِ الَّذِي انْفَرَدَ بِخَصَائِصِ الْحُقُوقِ السَّابِقَةِ  
وَالْآفَةِ ، وَأَمْتَازَ بِمُوجِبَاتِ خِدَمِ لَا تُجْحَدُ مَحَافِظُهَا التَّالِدَةُ وَالطَّارِفَةُ ، وَطَلَعَتْ شَمْسُ  
سَعَادَتِهِ فِي سَمَاءِ مَمْلَكَتِنَا فَلَمْ يَسْبُهَا الْغُرُوبُ ، وَأَضَاءَ بَدْرُهُ فِي أَفْقِ عِزِّهِ فَكَانَ سِرَارُهُ  
مُذْهِبًا لَأَعْيُنِ الْخَطُوبِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ ..... .

الضرب الثالث — مما يفتتح بالحمد مناشيرُ أمراء الطبليخاناه .

وقد تقدّم أنها كمناشير مقدّمة الألوف في الترتيب إلا أنها أخصّص منها .

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نسخة منشور كُتِبَ به لبعض الأمراء ، وهي :

الحمد لله رافع الأقدار، ومُجْزِل المَبَارِّ، وجاعل يمينِ كرمنا مَبْسُوطَةً بِالْيَسَارِ .

نحمده على غِيْثِ فَضْلِهِ الدَّارِ، ونشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةً  
سَرَّتْ الْأَسْرَارَ ، وَأَذْهَبَ نُورُهَا مَا كَانَ لِلشَّرِكِ مِنْ سِرَّارٍ ، ونشهد أن محمدا عبده  
ورسوله الذي أنجَدَ له فِي نَصْرِ الْحَقِّ وَأَغَارَ ، وَأَرْهَفَ مِنْ سَيْفِ النَّصْرِ الْغَرَارَ .  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ ثَانِيِ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ  
سَبَقَتْ لَهُ دَعْوَةُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مِنْ سَالَفِ الْأَقْدَارِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فَكَانَ لَهُ  
مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْصَارِ .

وبعد، فإنَّ العطايا أيسرُ ما يكونُ تنوِيلُها، وأسرُّ ما يُلْفَى تحوِيلُها، إذا وَجَدْتَ مَنْ هو لرايتها متلقِّيا، وفي ذُرَا الطاعة مترقِّيا، وَمَنْ إذا صدَحَتْ حمائمُ التأييدِ كانت رِماحُه الأغصان، وألويئِه الأفنان، وَمَنْ تَرَدَّى ثيابَ الموت حُمرا فما يأتى لها الليلُ إلا وهى بالشهادة مُحَضَّرَةٌ من سُندسِ الجنان، وإذا شَهَرَ عَضْبَه، أَرْضَى رَبَّه، وإذا هَزَّ رُجْمَه، حَمَى سَرَحَه، وإذا أطلقَ سَهْمَا، قَتَلَ شَهْمَا، وإذا جَرَّدَ حُسَامَا، كَانَ حَسَامَا، وإذا سافَرَتْ عزائمُه لتَطْلُبَ نصرا، حَلَّتْ سُيُوفُه فجاءت بالأوجال جمعا وبالأجال قَصْرا .

ولما كان فلانُ هو الذى جَمَعَ هذه المناقبَ الجمَّة، وأَمْتَازَ بالصَّرامة وعُلُوِّ الهِمَّة، أَسْتَحَقُّ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهَ بِعَيْنِ العِناية، وَأَنْ يُجْعَلَ آبَتِدَاؤُه فى الإِمْرَةِ دَالًّا عَلَى أَسْعَدِ نَهْايه .

فلذلك خرج الأمرُ الشريفُ - لا زال يرفعُ الأقدارَ، ويُجْزِلُ المَبَارَّ، أَنْ يُجْرَى فى إِقْطَاعِ ... .. .



وهذه نسخة منشور لمن لَقِبَه زَيْنُ الدين، وهى :

الحمدُ لله الذى وَهَبَ هذه الدولةَ من أوليائها أَحْسَنَ زَيْنَ، وَمَنَحَهَا مِنْهُمْ مَنْ يَشْكُرُ السَيْفُ وَالْعِنانُ مِنْهُ اليَدَيْنِ، وَمَنْ يَمْلَأُ وَلَاؤُه القلبَ وَثَنًا وَهُ السَّمْعَ وَبَهْأُه العَيْنَ .

نحمده على نِعَمِهِ التى نَفَتْ عن نُورِ المُلْكِ كُلَّ شَيْءٍ من شَيْنٍ، وَأَبَقَتْ لَهُ مِنْ كُفَاتِهِ وَحِمَاتِهِ مَنْ لَا فى إِخْلاصِهِ رَيْبٌ وَلَا فى مَحَافِظَتِهِ مَيِّنٌ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُتَبَرِّئٍ مِنَ اتِّخَاذِ الْهَيْئِ اثْنَيْنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شَهَادَةً مُمْتَسِكٍ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ بِعُرْوَتَيْنِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً دَائِمَةً

ما جمع المسافرين من الصلوات بين الأختين ، وما جلس خطيب بين خطبتين ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن خير من رقى خطيبه إلى أرفع رتبة ، وأنجح في تخويل النعم على كل طلبة ورغبة ، لا بل أهديت إليه عرائس النعماء وقد ابتدأت هي بالخطبة ، وكثر له في معروف أصبح ببذله معروفا ، وأعين على جود أمسى به موصوفا ، وذلت له فطوف إحسان كم ذلل الأولياء [من أجله] في مراضى الدولة ومحابها فطوفا فطوفا - من خلف الملك أحسن الخلف ، ومن له بفعل الخير أعظم كلف ؛ ومن يشهد له بالشجاعة الخيل والليل والبيداء ، والسيف والرمح والأعداء ، فلا غزوة إلا له فيها تأثير وأثر ، ولا ندوة إلا وبها من وصفه بالذكر الجميل سمر ، نتشوف إلى ملاحظة غرته كل عين ويتبين لحياطته في الوجود كل أثر ، ما أنار وجهه في نهار سلم إلا وقيل الشمس ولا بدا في ليل خطب إلا وقيل القمر .

ولما كان فلان هو بدر هذه الهاله ، وجل هذه الجلالة ، ونور هذه المقله ، ولا يس هذه الحله - أقتضى حسن الرأي الشريف أن تكثر لديه النعم وأن يجرى بتنمية الإحسان هذا القلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برح يجود ، وبالخيرات يعود - أن يجرى في إقطاعه ... .. .



وهذه نسخة منشور من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي أيد دولتنا القاهرة بكل راية تعقد ، وأمير يؤمر وجنود مجند ، وكل بطل إذا جرد عزمه سلم إليه المهند ، وأشتبه الرمح بمعاطفه فلم يدرا أيهما تأود .

نَحْمَدُهُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يُحَمَّدَ ، وَنَمْدَحُهُ بِمَا لَا يُمَائِلُهُ الدُّرُّ الْمُنْضَدُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَفْضَلَ مَا بِهِ نَشْهَدُ ؛ وَنُصَلِّيْ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي كُلِّ مَقَالٍ يَتَجَدَّدُ ، صَلَاةً فِيهَا الْأَقْلَامُ لَا تَتَرَدَّدُ فِيهَا  
تَتَرَدَّدُ ، وَرَضَى اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ وَسَلَامٌ وَكَرَمٌ وَمَجْدٌ ، مَا غَرَبَ فَرَقْدٌ وَطَلَعَتْ شَمْسٌ  
ثُمَّ مَا غَرَبَتْ شَمْسٌ وَطَلَعَ فَرَقْدٌ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ لَارَأَيْنَا الْعَالِيَةَ الْمَزِيدَ فِي كُلِّ مَا تَقْتَضِيهِ ، وَفِي كُلِّ مَنْ تَرْضِيهِ ، مِنْ  
جَمِيعِ أَوْلِيَائِهَا ، لِجَمِيلِ آلَائِهَا ، مِمَّنْ فَاقَ أَبْنَاءَ جَنْسِهِ ، وَكَانَ فِي أَمْثَالِهِ وَحِيدًا لِأَنَّهُ  
لَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ وَهُوَ كَثِيرٌ بِنَفْسِهِ ، وَتَسَابَقَتْ الْخَيْلُ إِلَى أَرْتِقَائِهِ عَلَى صَهَوَاتِهَا ،  
وَالْتَطَمَتْ بِحَارِ الْوَغَى لِمَا أَلْقَى لَهُ كُلُّ سَاحِجٍ فِي غَمَرَاتِهَا ، وَأَفْتَحَتْ الْقِسِيَّ بِمَدِّهِ الَّذِي  
لَا تَخْرُجُ بِهِ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا ، وَالسُّيُوفُ لِأَنَّهُ إِذَا اشْتَرَكْتَ مَعَهُ فِي لَقَبٍ كَانَ أَسْمَى  
مَسْمِيَّاتِهَا ، وَالرَّمَاحُ لِأَنَّهُ كَمَّ لَهُ عَلَيْهَا مِنْ مِّنَّةٍ لِّمَا أَطْلَقَهَا فِي الْحُرُوبِ مِنْ أَعْتِقَالِ رَايَاتِهَا ؛  
وَتَجَدَّدَتْ الْأَسْنَةُ فَيَايَتُلُوهُ مِنْ سُورَاتِ الْفُرْسَانِ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ آيَاتِهَا ، وَهُوَ الَّذِي أُنْتَظِمَتْ  
بِهِ الْمَعَالِي وَالْعَوَالِي قَصْدَهَا الَّذِي بِهِ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ  
إِهَالَاتِهَا ، مَعَ مَالِهِ فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ سَوَائِقٍ لَا تُجَارَى فِي سَبِيلِ ، وَلَا يَلْحَقُ لَهَا  
شَأْوٌ أَشْهَبُ الصَّبْحِ وَلَا أَدْهَمُ اللَّيْلِ وَلَا أَشَقَرُّ الْبَرْقِ وَلَا أَصْفَرُّ الْأَصِيلِ . فَاقْتَضَتْ  
صَدَقَاتُنَا الشَّرِيفَةَ لَهُ الْإِحْسَانُ ، وَتَقَاضَتْ عَوَارِفُنَا الْحِسَانَ ، فَرَفَعَتْ لَهُ رَتَبَةً لَا يَبْلُغُهَا  
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِاللِّسَانِ ، وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي حَسُنَ وَصَفَا ، وَشَكَرَتْ مَسَاعِيهِ  
سَبْجَايَاهُ وَهُوَ أَوْفَرُ وَأَوْفَى .

فلذلك نخرج الأمر الشريف ... ..

(١) يريد من هولها ولكن السجع أضطره إلى أن يجارى العوام في لغتهم .



وهذه نسخة منشور، وهي :

الحمد لله على نعمه التي أسنت المواهب ، وأغنت الأولياء بالائها عن دَوْم الدِّيم  
وسخَّ السحاب .

نحمده على غرائب الرغائب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة  
تتكفل لقائلها ببلوغ المآرب ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أفتخرت  
باسمه المناقب ، وانتصرت بعزمه المقائب ، وقهر ببأسه كل جان وعمر بناسه كل  
جانب ، وكشف الله ببركته اللأواء ، وغلب بفتكاته الأعداء ، وكيف لا وهو سيد  
لؤي بن غالب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أذل بجهادهم المحارب ، وسلم  
تسلما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من أعذبنا نبله ، وأنجحننا أمله ، وأجزلنا [له] من هبات  
جودنا [وأغدقنا عليه من منن عطائنا ورغدنا - من نازل الأعداء يوم الوغى فراح]<sup>(١)</sup>  
إلى أعلامهم فنكسها وإلى أعناقهم فوقصها ، وحكم سيفه في أشلائهم وأرواحهم :  
فهذه آفتناها وهذه آقتنصها ، ما فوق يوم الرّوع سهمه إلا أصاب المقاتل ، ولا شهر  
سيفه إلا قهر ببأسه كل باسل ، ولا سارت عقبان راياته إلى معترك الحرب ضحى إلا  
ظلل بعقبان طير في الدماء نواهل .

ولما كان فلان هو الذي يُشير إليه بنان هذا المدح ، ويسير إليه إحسان  
هذا المنح .

(١) زدنا هذه الكلمات لاحتياج المقام إليها .

(٢) في الأصل "فتكصها" وهو لا يفيد ما يريد .



فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برحت ظلال كرمه وإرفه، وسحاب نعمه  
واكفه - أن يُجرى في إقطاعه ... .. .



وهذه نسخة منشور تصلح لمن مات أبوه، وهى :

الحمد لله الذى جعل سماء كرمنا، على الأولياء هامية السحاب، وعوارف نعمنا،  
جميلة العقبي للأعقاب، وعواطف أيماننا الشريفة تُجزل العطاء وتجبر المصاب .

نحمده على نعمه التى ما سحنت العيون إلا أقرتها، ولا آكتبت النفوس بملمة إلا  
سرتها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال ربّ الأنس بها  
معمورا، وصدع النفس بها مجبورا، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أصبح  
شعث الإيمان به ملموما، وحرب الطغيان به مهزوما، وداء البهتان بحسامه محسوما .  
صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كان [ هو ] بذر السيادة وكانوا نجوما ، صلاة  
لا يبرح ذكرها فى صحائف القبول مرقوما ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من درت أخلاف جودنا لخلفه، ورعى كرمنا خدام سلفه ،  
ونقلنا هلاله من تفريدنا إلى منازل شرفه ، وأجراه إحساننا على جميل عوائده ، وسوغه  
نوالنا أعذب موارده ، وجمع له إنعامنا بين طارفه وتالده ، من آستمسك من سبب  
إخلاصنا بأكده ، وحدّا فى ولائنا أحسن حذو ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده ،  
وأشتهر بالشهامة التى أغنت بمفردها عن الألوف ، وعُرف بالإقدام الذى طام  
فرق الجموع وأخرق الصفوف ، مادنا من الأعداء إلا دنت منهم الختوف ، ولا أظلم  
ليل النقع إلا جلت أنجم الصعاد وأهله السيوف .

ولما كان فلان هو الممدوح بجمل هذه الشيم ، والممنوح جزيل هذه النعم ، والشبيهة في موالاتنا بأبيه ومن أشبه أباه فما ظلم .

فلذلك نرج الأمر الشريف - لا برحت سحُب كرمه هاطلة الأنواء ، شاملة الآباء والأبناء - أن يُجرى في إقطاعه ... ..

### النوع الثاني

(من المناشير ما يفتتح بـ «أما بعد» ويختص بأمراء العشرات ومن في معناهم : كأمراء العشرينات ونحوهم ممن لم يبلغ شأوَ الطبائعات )

وهي على ضربين :

### الضرب الأول

( في مناشير العشرات كائنًا ذلك الأمير من كان )

وهذه نسخُ مناشير من ذلك :

نسخة منشور من ذلك ، وهي :

أما بعد حمد الله على نِعَمِهِ التي يَبْدِيهَا وَيُعِيدُهَا ، وَيُفِيئُهَا وَيُفِيدُهَا ، وَيُدِيمُهَا على مَنْ شَكَرَ وَزَيَّدُهَا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نزلت لنصره ملائكةُ السماء وجنودُها ، وأخذت على الإقرار بنبوته موافقُ الأملاك وعهودُها ، وعلى آله وصحبه الذين هم أُمْنَاءُ هذه الأمة وشهودُها - فإنَّ أحقَّ من تقلَّب في إناعمنا ، وتقدَّم في أيماننا ، وتوالَّت إليه آلاؤنا تَتَرَى ، وتكرَّرت عليه نعمائنا مرَّةً بعد أُخرى ، من ظهرت آثارُ خدمته ، وصحَّت أخبارُ نَجْدته ، وشكرت مساعيه الجليله ، وحُجِّدَتْ

دَوَاعِيهِ الْجَمِيلَةِ ، وَكَانَ لَهُ مِنْ صِفَاتِهِ الْحُسْنَى ، مَا يُنِيلُهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْأَعْلَى وَمِنَ الْمَطَالِبِ الْأَسْنَى .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ مِمَّنْ زَانَتْهُ طَاعَتُهُ ، وَقَدَّمَهُ إِقْدَامُهُ وَشَجَاعَتُهُ ، وَشَهِدَتْ لَهُ مَوَاقِفُ الْحُرُوبِ ، أَنَّهُ مُجَلِّي الْكُرُوبِ ، وَأَقْرَبُ لَهُ يَوْمَ الْوَعْدِ ، بِإِبَادَةِ مَنْ بَغَى ، وَكَانَ لَهُ مَعَ الشَّهَامَةِ الرَّأْيُ الثَّاقِبُ ، وَالسَّهْمُ الصَّائِبُ ، يُصِيبُ وَلَا يُصَابُ ، جَدَّعُ الْقَرِيحِ ، رَابِطُ الْجَأَشِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْأَذْهَانِ الصَّحِيحَةِ - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُرْفَعَ دَرَجَتُهُ ، وَتُعْلَى رَتَبَتُهُ ، وَيُنْظَمَ فِي عَقُودِ الْأَمْرَاءِ ، وَيُسَلَّكَ بِهِ جَادَّةُ الْكِبَرَاءِ ، لَتَرْقِيَهُ فِي دَرَجِ السَّعَادَةِ ، وَتَبْلُغَ بِهِ رُتَبَةَ السِّيَادَةِ .

فَلِذَلِكَ نَحْرَجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ - لَا بَرِحَتْ هَامِيَةً غَوَادِي آلَائِهِ ، سَابِغَةً مَلَابِيسُ نَعْمَائِهِ - أَنْ يُجْرَى فِي إِقْطَاعِهِ ... .. .



وهذه نسخة منشور من ذلك ، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي فَسَّحَتْ فِي كَرَمِهَا مَجَالَ الْمَطَالِبِ ، وَفَتَّحَتْ لِحَدَمِهَا أَبْوَابَ نُجْحِ الْمَارِبِ ، وَحَقَّقَتْ فِي عَوَارِفِهَا آمَالَ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهَا مِنَ الْخِدْمَةِ وَالطَّاعَةِ بِأَنْجَحِ مَا تَقَرَّبَ الرَّاعِبُ إِلَى الرَّاغِبِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي زَوَى اللَّهُ لَهُ [الْأَرْضَ] لِيَرَى مَا تَنْتَهَى إِلَيْهِ الْكَوَاكِبُ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ آسَتْهُمْ فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ الْمَصَاعِبِ ، وَرَمَى اللَّهُ مَنْ أَحْدَدَ فِي دِينِهِ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ بِعَذَابٍ وَاصِبٍ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ تَلَقَّيْتَهُ وَجُوهَ النَّعْمِ السَّوَابِرِ ، وَاسْتَقْبَلْتَهُ نِعَمَ الْعَوَارِفِ الَّتِي هِيَ مِنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ نَوَافِرِ ، وَأَنْتَهُ السُّعُودُ الْمُقْبِلَةُ ، وَوَأَنْتَهُ الْآلَاءُ الْمُقِيمَةُ وَالْمُسْتَقْبَلَةُ ، مَنْ صَحَّتْ شَجَاعَتُهُ فِي مَوَاقِفِ الْجِهَادِ الْمُدْهِمَةِ ، وَسَمَحَتْ شَهَامَتُهُ فِي الْوَعْدِ بِمَجَالِ السُّيُوفِ الْمُرْهَفَةِ







































عن أحمد . وذهب أبو حنيفة إلى أنه الحلف على الماضي من غير قصد الكذب في يمينه ، مثل أن يظن شيئا فيحلف عليه ؛ وهو الرواية الثانية عن أحمد ، وحكى عن مالك أن هذه هي اليمين الغموس .

### الطرف الثاني

( في التحذير من الوقوع في اليمين الغموس )

أما اليمين الغموس فإنها من أعظم الجائر ، وناهيك أنها تغمس صاحبها في الإثم . وقد قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ . وقال جل وعز : ﴿ وَلَا تَقْضُوا الْآيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » . وقد قيل إن التوحيد ( وهو : الذي لا إله إلا هو ) إنما أوصّل في اليمين رفقا بالخالف كي لا يهلك لوقته ، فقد روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « إذا حلف الخالف بالله الذي لا إله إلا هو ، لم يعاجل لأنه قد وحد الله تعالى » .

ويروى أن جعفر بن محمد عليه السلام : أدعى عليه مدّع عند قاض ، فأحلفه جعفر بالله ، لم يزد على ذلك ، فهلك ذلك الخالف لوقته ، فقال القاضى ومن حضر : ما هذا ؟ فقال : إن يمينه بما فيه ثناء على الله ومدح يؤخر العقوبة كرمًا منه عز وجل وتفضلاً . وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « أحلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنه برىء من حول الله وقوته ، فإنه إذا حلف بها كاذباً عوجل » .

ومن غريب ما يُحكى في ذلك أن عبد الله بن مُصعب الزبيريّ سعى بيحيى بن عبد الله بن الحسن إلى الرشيد، بعد قيام يحيى بطلب الخلافة، بجمع بينهما وتوافقاً، ونسب يحيى إلى الزبيريّ شعراً يقول منه :

قَوْمُوا بِبَيْعَتِكُمْ نَهَضَ بِطَاعَتِهَا \* إِنَّ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ يَا بَنِي حَسَنَ

فأنكر الزبيريّ الشعر، فأحلفه يحيى، فقال : قل قد برئت من حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، وَأَعْتَصَمْتُ بِحَوْلِي وَقُوَّتِي، وَتَقَلَّدْتُ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَسْتَكْبَارًا عَلَى اللَّهِ، وَأَسْتِغْنَاءً عَنْهُ، وَأَسْتِعْلَاءً عَلَيْهِ، فامتنع . فغضب الرشيد وقال : إن كان صادقاً فليحلف، وكان للفضل بن الربيع فيه هوى، فرفسه برجله، وقال : وَيْحَكَ أَحْلِفْ ! فحلف ووجهه متغير وهو يرعد، فما برح من موضعه حتى أصابه الجُدَامُ فتقطع ومات بعد ثلاثة أيام، ولما حُلِ إلى قبره ليوضع فيه أنخسف به حتى غاب عن أعين الناس، وخرجت منه غبرة عظيمة، وجعلوا كلما هالوا عليه التراب أنخسف، فسقفوه وأنصرفوا .

## الباب الثانى

### من المقالة الثامنة

( فى نسخ الأيمان الملوكة ، وفيه فصلان )

## الفصل الأول

فى نسخ الأيمان المتعلقة بالخلفاء ، وهى على نوعين

### النوع الأول

( فى الأيمان التى يحلف بها على بيعه الخليفة عند مبايعته ،

وهى الأصل فى الأيمان الملوكة بأسرها )

وأول من رتبها الحجاج بن يوسف حين أخذه البيعة لعبد الملك بن مروان على أهل العراق ، ثم زيد فيها بعد ذلك ، وتفتحت فى الدولة العباسية وتنضدت . وكان عادتهم فيها أن يجرى القول فيها بكاف الخطاب ، كما فى مكاتباتهم يومئذ ، وربما أتى فيها بلفظ المتكلم .

وهذه نسخة يمين أوردها أبو الحسين الصابى فى كتابه "غرر البلاغة" وهى :

تُبَاعِ عبد الله أمير المؤمنين فلاناً : ببيعة طوع واختيار ، وتبرع وإيثار ، وإعلان وإسرار ، وإظهار وإضمار ، وصحة من غير نغل ، وسلامة من غير دغل ، وثبات من غير تبديل ، ووفاء من غير تأويل ، واعتراف بما فيها من اجتماع الشمل ، واتصال الحبل ، وانتظام الأمور ، وصلاح الجمهور ، وحقق الدماء ، وسكون الدهماء ، وسعادة الخاصة والعامة ، وحسن العائدة على أهل الملة والذمة - على أن عبد الله فلاناً

أمير المؤمنين عبد الله الذي أصطفاه ، وأمينه الذي أرتضاه ؛ وخليفته الذي جعل طاعته جاريةً بالحق ، وموجبةً على الخلق ؛ وموردةً لهم مورد الأمن ، وعاقدةً لهم معاقدة الأيمن ؛ وولايته مؤذنةً بجمل الصنع ، ومؤديةً لهم إلى جزيل النفع ، وإمامته التي اقترن بها الخير والبركة ، والمصلحة العامة المشتركة ؛ وأمل فيها فمفع الملهد الجاحد ، ورد الجائر الحائد ، ووقم العاصي الخالع ، وعطف الغاوي المنازع . وعلى أنك ولي أوليائه ، وعدو أعدائه : من كل داخل في الجملة ، وخارج عن الملة ؛ وعائد بالحوزة ، وحائد عن الدعوة ؛ ومتمسك بما بذلته عن إخلاص من رائك ، وحقيقة من وفائك ؛ لا تنقض ولا تنكث ، ولا تخلف ولا توارى ولا تخادع ، ولا تداحى ولا تحايل ؛ علايتك مثل نيتك ، وقولك مثل طويتك . وعلى أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة وشرائطها على ممر الأيام وتطاوُلها ، وتغير الأحوال وتنقلها ، واختلاف الأوقات وتقلبها . وعلى أنك في كل ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها ، وأعوان المملكة العباسية ورعاتها ، لا يتداخل قولك موارد ولا مداهنه ، ولا يعترضه مغالطة ولا يتعقبه مخالفه ؛ ولا تحبس به أمانه ، ولا تقله خيانه ؛ حتى تلقى الله تعالى مقبياً على أمرك ، ووفياً بعهدك ؛ إذ كان مباعاً بولاية الأمر وخلفاء الله في الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ يَدِهِ فَسِيوْتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

عليك بهذه البيعة التي أعطيت بها صفقة يدك ، وأصفيت فيها سريرة قلبك ؛ والتزمت القيام بها ما طال عمرُك ، وأمتد أجلُك - عهد الله إنَّ عهد الله كان مسئولاً ، وما اخذه على أنبيائه ورسله ، وملائكته وحمله عرشه : من أيَّمان مغلظة وعهود مؤكدة ، ومواثيق مشددة ؛ على أنك تسمع وتُصغي ، وتطيع ولا تعصى ؛ وتعبد



ولا تَمِيدُ ، وَتَسْتَقِيمُ وَلَا تَمِيلُ ، وَتَفِي وَلَا تَعْدِرُ ، وَتَثْبُتُ وَلَا تَتَغَيَّرُ ، فَتَى زُلْتَ عَنْ  
هَذِهِ الْحُجَّةِ خَافِرًا لِأَمَانَتِكَ ، وَرَافِعًا لِدِيَانَتِكَ ، بِفَحْدَتِ اللَّهِ تَعَالَى رُبُوبِيَّتَهُ ، وَأَنْكَرْتَ  
وَحْدَانِيَّتَهُ ، وَقَطَعْتَ عِصْمَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ وَجَدَدْتَهَا ، وَرَمَيْتَ طَاعَتَهُ  
وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَنَبَذْتَهَا ، وَلَقِيتَ اللَّهَ يَوْمَ الْحَشْرِ إِلَيْهِ ، وَالْعَرِضَ عَلَيْهِ ، مُخَالِفًا لِأَمْرِهِ ،  
وَنَاقِضًا لِعَهْدِهِ ، وَمَقِيمًا عَلَى الْإِنْكَارِ لَهُ ، وَمُصِرًّا عَلَى الْإِشْرَاقِ بِهِ ، وَكُلُّ مَا حَلَّلَهُ اللَّهُ لَكَ  
مَحْرُمٌ عَلَيْكَ ، وَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ يَوْمَ رَجُوعِكَ عَنْ بَذْلِكَ ، وَأَرْتَجَاعِكَ مَا أَعْطَيْتَهُ فِي قَوْلِكَ :  
مِنْ مَالٍ مَوْجُودٍ وَمَذْخُورٍ ، وَمَصْنُوعٍ وَمَضْرُوبٍ ، وَسَارِجٍ وَمَرْبُوطٍ ، وَسَائِمٍ  
وَمَعْقُولٍ ، وَأَرْضٍ وَضَيْعَةٍ ، وَعَقَارٍ وَعُقْدَةٍ ، وَمَمْلُوكٍ وَأَمَةٍ ، صَدَقَةٍ عَلَى الْمَسَاكِينِ ،  
مَحْرَمَةٍ عَلَى مَرِّ السُّنَنِ ، وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ تَمْلِكُ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا ، وَأُخْرَى تَتَرَوَّجُهَا مِنْ  
بَعْدِهَا طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقُ الْحَرْجِ وَالسَّنَةِ ، لَا رَجْعَةَ فِيهَا وَلَا مَشْنُوءَةً ، وَعَلَيْكَ  
الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ دَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًا ، وَرَاجِلًا مَاشِيًا ،  
نَذْرًا لِأَزْمَا ، وَوَعْدًا صَادِقًا ، لَا يُبْرَأُكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا ، وَالْوَفَاءُ بِهَا ، وَلَا قَبِيلَ  
مِنْكَ تَوْبَةٍ وَلَا رَجْعَةٍ ، وَلَا أَقَالَكَ عَثْرَةٌ وَلَا صَرَعَةٌ ، وَخَذَلَكِ يَوْمَ الْأَسْتَنْصَارِ بِحَوْلِهِ ،  
وَأَسْلَمَكَ عِنْدَ الْأَعْتَصَامِ بِجَبَلِهِ ، وَهَذِهِ الْيَمِينُ قَوْلُكَ قَلْتَهَا قَوْلًا فَصِيحًا ، وَسَرَدْتَهَا سَرْدًا  
صَرِيحًا ، وَأَخْلَصْتَ فِيهَا سِرَّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا ، وَصَدَقْتَ بِهَا عَزْمَكَ صِدْقًا يَقِينًا ، وَالنِّيَّةُ  
فِيهَا نِيَّةُ فُلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نِيَّتِكَ ، وَالطَّوِيَّةُ دُونَ طَوِيَّتِكَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى  
نَفْسِكَ بِذَلِكَ ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيبًا .



وهذه نسخةُ يمينِ بيعةٍ أوردها ابنُ حمدونَ في "تذكيرته" وأبو الحسن بن سعد  
في "ترسله"؛ تواردت مع البيعة السابقة وأيمانها في بعض الألفاظ ، وخالفت  
في أكثرها ، وهي :

تُبَايِعَ الْإِمَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْعَةَ طَوْعٍ وَإِثَارٍ، وَرِضًا وَاخْتِيَارًا، وَاعْتِقَادًا وَإِضْمَارًا، وَإِعْلَانًا وَإِسْرَارًا، وَإِخْلَاصًا مِنْ طَوِيَّتِكَ، وَصِدْقًا مِنْ نَيْتِكَ، وَأَنْشِرَاحَ صَدْرِكَ وَصِحَّةَ عَزِيمَتِكَ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ، وَمُنْقَادًا غَيْرَ مُجْبَرٍ، مُقَرَّرًا بِفَضْلِهَا، مُدْعَيْنَا بِحَقِّهَا، مُعْتَرِفًا بِرِكَتِهَا، وَمُعْتَدًّا بِحُسْنِ عَائِدَتِهَا، وَعَالِمًا بِمَا فِيهَا وَفِي تَوْكِيدِهَا مِنْ صَلَاحِ الْكَافَّةِ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَلَمْ الشَّعْثَ، وَأَمِنْ الْعَوَاقِبِ، وَسَكُونِ الدَّهْمَاءِ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ، وَقَمْعِ الْأَعْدَاءِ - عَلَى أَنْ فَلَانًا عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، وَالْمَفْتَرَضُ عَلَيْكَ طَاعَتُهُ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ إِقَامَتُهُ وَوِلَايَتُهُ، اللَّازِمُ لَهُمُ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالْوَفَاءُ بَعْثُهُ، لَا تُشْكُ فِيهِ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ، وَلَا تُدَاهِنُ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَمِيلُ، وَأَنْتَ وَلِيُّ وَلِيِّهِ، وَعَدُوُّ عَدُوِّهِ : مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ، مُتَمَسِّكٌ فِي بَيْعَتِهِ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَذِمَّةِ الْعَقْدِ، سِرِّيَّتِكَ مِثْلَ عَلَانِيَتِكَ، وَظَاهِرِكَ فِيهِ مِثْلَ بَاطِنِكَ، وَبَاطِنِكَ فِيهِ وَفْقَ ظَاهِرِكَ . عَلَى أَنْ إِعْطَاكَ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَوْكِيدَكَ إِيَّاهَا فِي عُنُقِكَ، لِفَلَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ، وَأَسْتِقَامَةٍ مِنْ عَزْمِكَ، وَأَسْتِمْرَارٍ مِنْ هَوَاكَ وَرَأْيِكَ . عَلَى أَنْ لَا تَتَأَوَّلَ عَلَيْهِ فِيهَا، وَلَا تَسْعَى فِي نَقْضِ شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَا تَقْعُدَ عَنْ نُصْرَتِهِ فِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ، وَلَا تَدْعَ النَّصْرَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةٍ وَحَادِثَةٍ، حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى مُوَفِّيًّا بِهَا، مُؤَدِّيًّا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا إِذْ كَانَ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ وُلاَةَ الْأَمْرِ وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فِيمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .

عليك بهذه البيعة التي طَوَّقَهَا عُنُقُكَ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ، وَأَعْطَيْتَ بِهَا صَفْقَتَكَ، وَمَا شَرِطَ فِيهَا مِنْ وَفَاءٍ وَمُؤَالَاةٍ، وَنُصْحٍ وَمُشَايَعَةٍ، وَطَاعَةٍ وَمُوَافَقَةٍ، وَاجْتِهَادٍ وَمُبَالَغَةٍ - عَهْدُ اللَّهِ إِنْ عَهَدَ اللَّهُ كَانَ مَسْئُولًا، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ

السلام؛ وأخذ على عباده من وكيدات موثيقه، ومحكات عهديه؛ وعلى أن  
تتمسك بها ولا تبدل، وتستقيم ولا تميل .

وإن نكثت هذه البيعة، أو بدلت شرطاً من شروطها، أو عفتت رسماً من  
رسومها، أو غيرت حكماً من أحكامها، معلناً أو مسراً، أو محتالاً أو متأولاً، أو زغت  
عن السبيل التي يسلكها من لا يخفر الأمانه، ولا يستحل الغدر والخيانة؛ ولا يستجير  
حلّ العقود - فكل ما تملكه من عَيْنٍ أو ورقٍ أو آنية أو عقارٍ أو زرعٍ أو ضرعٍ  
أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقده، والأموال المدخرة، صدقةً على المساكين،  
محرمه عليك أن ترجع من ذلك، إلى شيء من مالك، بحيلة من الحيل، على وجه  
من الوجوه وسبب من الأسباب، أو تخرج من مخارج الأيمان؛ وكل ما تفيده  
في بقية عمرك: من مال يقل خطره أو يحل، فتلك سبيله إلى أن تتوفاك مبيتك،  
ويأتيك أجلك . وكل مملوك لك اليوم أو تملكه إلى آخر أيامك أحرار سائبون  
لوجه الله تعالى، ونسأوك يوم يلزمك الحنث، ومن تزوج بعد حن مدة بقاءك  
طوائق ثلاثاً بتاتاً، طلاق الحرج والسنة، لا مثنوية فيها ولا رجعة، وعليك المشى  
إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة حافياً حاسراً راجلاً، لا يرضى الله منك إلا  
بالوفاء بها، ولا يقبل الله منك صرفاً ولا عدلاً، وخذلك يوم تحتاج إليه، وبرأك  
الله من حوله وقوته، وأجلك إلى حولك وقوتك، والله تعالى بذلك شهيد  
﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ .

(١) أى التى أعتقدها صاحبها ملكاً، انظر القاموس .

## الضرب الثاني

( الأيمان التي يُحَلِّفُ بها الخلفاء )

وقل من تعرّض لها لِقْلَة وقوعها ، إذ الخليفة قلما يُحَلِّفُ : لعلو رتبته ، وارتفاع محله . ومدار تحليف الخلفاء بعد القسم بالله على التعليق بوقوع المحذور عليهم ، ولزومه لهم ، مثل البراءة من الخلافة والانحلاع منها ، وما يجري مجرى ذلك . ولم أقف على ذلك إلا في ترسل الصّابي ، وذلك حين كان الأمر معدّوقا بالخلفاء .

## الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الثامنة

( في نسخ الأيمان المتعلقة بالملوك ، وفيه خمسة مهاييع )

### المهييع الأول

( في بيان الأيمان التي يُحَلِّفُ بها المسلمون ، وهي على نوعين )

### النوع الأول

( من الأيمان التي يُحَلِّفُ بها المسلمون أيمان أهل السنة )

وهي اليمين العامة التي يُحَلِّفُ بها أهل الدولة : من الأمراء والوزراء والنواب ، ومن يجري مجراهم .

وهذه نسخة يمين أوردتها في "التعريف" وهي :

أقول وأنا فلان : والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله العظيم الذي لا إله إلا هو ، البارئ الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، والسر

والعلانية، وما تُخْفِي الصُّدُورُ؛ القائمُ على كُلِّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ، والمُجَازِي لها بما عَمِلَتْ . وَحَقَّ جَلَالُ اللَّهِ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ، وَعَظَمَةُ اللَّهِ، وَكِبَرِيَاءُ اللَّهِ، وَسَائِرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا إِنِّي مِنْ وَقْتِي هَذَا، وَمَا مَدَّ اللَّهُ فِي عُمْرِي، قَدْ أَخْلَصْتُ نَبِيَّتِي، وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِخْلَاصِهَا، وَأُصَفِّيتُ طَوَيْتِي، وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِصْفَائِهَا، فِي طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانِ الْفُلَانِي - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ - وَخِدْمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَأَمْتِثَالِ مَرَاسِمِهِ، وَالْعَمَلِ بِأَوَامِرِهِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ الْعَظِيمِ [حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُ، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُ، عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُ، وَلِيٌّ لِمَنْ وَالَّاهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ . وَإِنِّي وَاللَّهِ الْعَظِيمِ] لَا أُضْمِرُ<sup>(١)</sup> لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانِ سُوءًا وَلَا غَدْرًا، وَلَا خَدِيعَةً وَلَا مَكْرًا، وَلَا خِيَانَةً فِي نَفْسٍ وَلَا مَالٍ، وَلَا سُلْطَانَةٍ، وَلَا قِلَاعٍ وَلَا حُصُونٍ، [وَلَا بِلَادٍ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ] وَلَا أَسْعَى فِي تَفْرِيقِ كَلِمَةٍ أَحَدٍ مِنْ أَمْرَائِهِ، وَلَا مَمَالِيكِهِ، وَلَا عَسَاكِرِهِ، وَلَا أَجْنَادِهِ، وَلَا عُرْبَانِهِ وَلَا تُرْكُمَانِهِ وَلَا أَكْرَادِهِ، وَلَا أَسْتِمَالَةَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ لِغَيْرِهِ، وَلَا أُوَافِقُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ وَلَا نِيَّةٍ وَلَا بِمَكَاتِبَةٍ [وَلَا مَرَاسِلَةٍ]، وَلَا إِشَارَةً وَلَا رَمْزٍ، وَلَا كِتَابِيَّةٍ وَلَا تَصْرِيحٍ . وَإِنْ جَاءَنِي كِتَابٌ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ أَوْ أَهْلِ دَوْلَتِهِ لَا أَعْمَلُ بِهِ، وَلَا أَصْغِي إِلَيْهِ، وَأُحْمِلُ الْكِتَابَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ هُوَ وَمَنْ أَحْضَرَهُ إِنْ قَدَرْتُ عَلَى إِمْسَاكِهِ .

وَإِنِّي وَاللَّهِ الْعَظِيمِ أَفِي لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ بِهِذِهِ الْيَمِينِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، لَا أَنْقُضُهَا وَلَا شَيْئًا مِنْهَا، وَلَا أَسْتَثْنِي فِيهَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَا أَخَالِفُ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا؛ وَمَتَى خَالَفْتُهَا أَوْ شَيْئًا مِنْهَا، أَوْ تَقَضَّيْتُهَا أَوْ شَيْئًا مِنْهَا، أَوْ أَسْتَثْنَيْتُ فِيهَا أَوْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا طَلَبًا لِنَقْضِهَا، فَكُلُّ مَا أَمْلِكُهُ : مِنْ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ صَدَقَةٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ،

وَكُلُّ زَوْجَةٍ فِي عَقْدِ نِكَاحِهِ أَوْ يَتَزَوَّجُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ [ثَلَاثًا بَتَاتًا عَلَى سَائِرِ الْمَذَاهِبِ] <sup>(١)</sup>، وَكُلُّ عَبِيدِي وَإِمَائِي أَحْرَارٌ لَوَجْهَ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ الْحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ ، وَالْوَقُوفُ بِعَرَفَةَ ثَلَاثِينَ حَجَّةً مُتَوَالِيَاتٍ مُتَابِعَاتٍ كَوَامِلٍ ، حَافِيًا مَاشِيًا ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ إِلَّا الْمُنْهَى عَنْهُ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُفَكَّ أَلْفَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفَّارِ ، وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِنْ خَالَفتْ هَذِهِ الْيَمِينَ أَوْ شَرَطًا مِنْ شُرُوطِهَا .

وهذه اليمينُ يميني وأنا فلان ، والنِّيةُ فيها بِأَسْرِهَا نِيَّةُ مُوَلَانَا السَّلْطَانِ فُلَانٍ ، وَنِيَّةُ مُسْتَحْلِفِي لَهُ بِهَا ، لَا نِيَّةَ لِي فِي بَاطِنِي وَظَاهِرِي [سِوَاهَا] ، أَشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ بِذَلِكَ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ، وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا أَقُولُ وَكِيلٌ .

قلتُ : عَجِيبٌ مِنَ الْمُقَرَّرِ الشَّهَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ مَا أَتَىٰ بِهِ فِي نُسخَةِ هَذِهِ الْيَمِينَ ، فَإِنَّهُ أَتَىٰ بِهَا بَلْفَظِ التَّكْلِيمِ إِلَىٰ قَوْلِهِ : « وَكُلُّ زَوْجَةٍ » فَعَدَلَ عَنِ التَّكْلِيمِ إِلَىٰ الْغَيْبَةِ ، وَقَالَ فِي نِكَاحِهِ ، وَكَذَلِكَ مَا بَعْدَهُ إِلَىٰ قَوْلِهِ « مِنْ أَسْرِ الْكُفَّارِ وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ خَالَفتْ هَذِهِ الْيَمِينَ » وَأَتَىٰ بِصِيغَةِ التَّكْلِيمِ إِلَىٰ آخِرِ الْكَلَامِ . فَإِنْ كَانَ قَرَّرَ فِي قَوْلِهِ : وَكُلُّ زَوْجَةٍ فِي نِكَاحِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ فِي نِكَاحِي فَتَنَطَّلَقَ زَوْجَتُهُ هُوَ ، فَلَا وَجْهَ لَهُ : لِأَنَّ الْحَاكِي لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الطَّلَاقُ ، وَكَذَا مَا بَعْدَهُ مِنَ الْعِتْقِ وَغَيْرِهِ .

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُهُ : وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِنْ خَالَفتْ ، جَمَعَ بَيْنَ الْغَيْبَةِ وَالتَّكْلِيمِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ! ! . عَلَىٰ أَنْ مَا ذَكَرَهُ بَلْفَظِ الْغَيْبَةِ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا سَطَّرَهُ فِي النُّسخَةِ . أَمَا إِذَا كُتِبَتْ الْيَمِينُ

(١) الزيادة من "التعريف" صفحة ١٤٧ .

التي يُخَلَّفُ بها ، فإنها لا تكونُ في الجميع إلا بلفظ التكلم ، فما المعنى في أنه خاف من الوقوع في المحذور عند حكاية القول ، ولم يخف مثل ذلك فيما يكتبه في نفس أيديهم ؟ .

وقد ذكر صاحبُ "التقييف" جميع ذلك بلفظ التكلم ، مع المخالفة في بعض الألفاظ وزيادة وتقص فيها .

وهذه نسختها ، وهي :

أقول وأنا فلانُ بن فلان : والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله الذي لا إله إلا هو ، الباريُّ الرحمن الرحيم ، عالمُ الغيب والشهادة ، والسر والعلانية ، وما تُخفي الصدور ، القائمُ على كلِّ نفس بما كسبت ، والمجازي لها بما احتسبت . وحقَّ جلال الله ، وعظمة الله ، وقُدرة الله ، وكبرياء الله ، وسائر أسماء الله الحُسنى ، وصفاته العُلُيا ، وحقَّ هذا القرآن الكريم ومن أنزله ، ومن أنزل عليه - إنني من وقَّي هذا ، ومن ساعَى هذه ، وما مدَّ الله في عمري قد أخلصْتُ نيتي ، ولا أزال مجتهدًا في إخلاصها ، وأصفيتُ طَويتي ، ولا أزال مجتهدًا في إصفاها - في طاعة السُّلطان الملك الفلاني ، فلان الدنيا والدين فلان - خلد الله مُلكه - وفي خِدْمَتِهِ ومَحَبَّتِهِ ونُصْحِهِ ، وأكونُ وليًا لمن والاه ، عدوًّا لمن عاداه ، سلمًا لمن سالمه ، حربًا لمن حاربه : من سائر الناس أجمعين ؛ لا أضمرُّ له سوءًا ولا مكرًا ، ولا خديعةً ولا خيانةً في نفس ، ولا مالٍ ، ولا مُلكٍ ، ولا سلطنةٍ ، ولا عسًا كر ، ولا أجنادٍ ، ولا عُربان ، ولا تُركمان ، ولا أكراد ، ولا غير ذلك ؛ ولا أسعى في تفريق كلمة أحدٍ منهم عن طاعته الشريفة . وإني والله العظيم أبذلُ جُهدِي وطاقتي في طاعة مولانا السلطان الملك الفلاني ، فلان الدنيا والدين المشار إليه . وإن كاتبني أحدٌ من سائر الناس أجمعين بما فيه مَضَرَّةٌ على مُلكه لا أوافقُ على ذلك بقول

ولا فَعْلٍ ولا نِيَّةٍ ؛ وإن قدرتُ على إمساكِ الذي جاءني بالكتاب أمسكته ،  
وأحضرتُه لمولانا السلطان الملك الفلاني المشار إليه ، أو النائب القريب مني .  
وإنني والله العظيم أفى لمولانا السلطان المشار إليه بهذه اليمين من أولها إلى آخرها ،  
لا أستثنى فيها ولا في شيء منها ، ولا أستفتي فيها ولا في شيء منها . وإن خالفها  
أو شيئاً منها ، أو استثنيتُ منها ، أو استفتيتُ طلباً لنقضها أو نقض شيء منها ،  
فيكون كل ما أملكه من صاميتٍ وناطقٍ صدقةً على الفقراء والمساكين من المسلمين ؛  
وتكون كل زوجة في عقد نكاحي أو أتزوجها في المستقبل طالقاً ثلاثاً بتاتاً على سائر  
المذاهب ، وتكون كل أمة أو مملوك في ملكي الآن أو أملكه في المستقبل أحراراً  
لوجه الله تعالى ؛ ويلزمني ثلاثون حجة متواليات متابعات ، حافياً حاسراً ؛ وعلى  
صوم الدهر بحملته إلا الأيام المنهي عن صومها .

وهذه اليمين يميني ، وأنا فلان بن فلان ، والنية في هذه اليمين بأسرها نية مولانا  
السلطان الملك الفلاني المشار إليه ، ونية مستحلفي له بها ، لا نية لي في غيرها ،  
ولا قصد لي في باطني وظاهري سواها . أشهد الله على بذلك ، وكفى بالله شهيداً ،  
والله على ما أقول وكيل .

قلت : وربما كان للسلطان ولي عهد بالسلطنة فيقع التحليف للسلطان ولولده  
جميعاً ، وهي على نحو ما تقدم ، لا يتغير فيها إلا نقل الضمير من الأفراد إلى التثنية .



وهذه نسخة يمين حلف عليها العساكر للسلطان الملك المنصور "قلاوون" في سنة  
ثمان وسبعين وستمائة له ولولده ولي عهده الملك الصالح علاء الدين "علي" ، أوردها  
أبن المكرم في تذكرته ، وهي :



وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ ، وَبِاللّٰهِ وَبِاللّٰهِ وَبِاللّٰهِ ، وَبِاللّٰهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، الطَّالِبُ الْغَالِبُ ، الْمُدْرِكُ الْمُهِلِكُ ، الضَّارُّ النَّافِعُ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَالسِّرُّ وَالْعَلَانِيَةُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا أَحْتَقَبَتْ . وَحَقَّ جَلَالُ اللَّهِ ، وَعِزَّةُ اللَّهِ ، وَعَظَمَةُ اللَّهِ ، وَسَائِرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا - إِنِّي مِنْ وَقْتِي هَذَا ، وَمِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، وَمَا مَدَّ اللَّهُ فِي عُمْرِي قَدْ أَخْلَصْتُ النِّيَّةَ ، وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِخْلَاصِهَا ، وَأُضْفِيْتُ طَوِيَّتِي وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِصْفَائِهَا ، فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ فَلَانٍ ، وَطَاعَةِ وَلَدِهِ وَلِيِّ عَهْدِهِ فَلَانٍ ، وَخِدْمَتِهِمَا وَمُؤَالَاتِهِمَا ، وَأَمْتِنَالِ مَرَّاسِمِهِمَا ، وَالْعَمَلِ بِأَمْرِهِمَا . وَإِنِّي وَاللَّهِ الْعَظِيمِ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمَا ، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمَا ، عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمَا ، وَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُمَا . وَإِنِّي وَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَا أَسْعَى فِي أَمْرٍ فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ ، وَلَا فِي مَضَرَّةٍ وَلَدِهِ ، فِي نَفْسٍ وَلَا سُلْطَنَةٍ ، وَلَا أَسْتِمَالَةٍ لِّغَيْرِهِمَا ، وَلَا أُوَافِقُ أَحَدًا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ ، وَلَا مُكَاتَبَةٍ وَلَا مُشَافَهَةٍ ، وَلَا مُرَاسَلَةٍ ، وَلَا تَصْرِيحٍ . وَإِنِّي وَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَا أَذْخِرُ عَنِ السُّلْطَانِ وَلَا عَنْ وَلَدِهِ نَصِيحَةً فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ مُلْكَيْهِمَا الشَّرِيفِ ، وَلَا أَخْفِيهَا عَنْ أَحَدِهِمَا ، وَأَنْ أُعْلِمَهُ بِهَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ يُمْكِنُنِي الْإِعْلَامُ لَهُ بِهَا ، أَوْ أُعْلِمَ مِنْ يُعْلِمُهُ بِهَا ، وَأَنْ أَخْلُ ... (١) ... .

(١) كذا في الأصل ولعله ترك الباقي اتكالا على ما سبق في الأيمان قبله .

## النوع الثاني

( من الأيمان التي يُخَلَّف بها المسلمون أيمانُ أهل البدع .  
والذين منهم بهذه المملكة ثلاث طوائف )

## الطائفة الأولى

( الخوارج )

وهم قوم ممن كانوا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حملوه على أن رضي بالتحكيم بينه وبين معاوية ، وأشاروا بإقامة أبي موسى الأشعري حكاماً عن علي ، وإقامة عمرو بن العاص حكاماً عن معاوية ، فخدع عمرو أبا موسى : بأن اتفق معه علي أن يخلعا علياً ومعاوية جميعاً ، ويقم المسلمون لهم خليفة يختارونه ، فتقدم أبو موسى وأشهد من حضر أنه خلعهما ، فوافق عمرو علي خلعه علي ، ولم يخلع معاوية ، وبقي الأمر لمعاوية . فأنكروا ذلك حينئذ ، ورفضوا التحكيم ، ومنعوا حكمه ، وكفروا علياً ومعاوية ومن كان معهما بصفين ، وقالوا : لا حكم إلا لله ورسوله ، وخرجوا علي ، فسُموا الخوارج ، ثم فارقوه وذهبوا إلى النهروان فأقاموا هناك ، وكانوا أربعة آلاف غوغاء لا رأس لهم ، فذهب إليهم علي رضي الله عنه فقاتلهم ، فلم يفلت سوى تسعة أنفس : ذهب منهم اثنتان إلى عُمان ، واثنتان إلى كرمان ، واثنتان إلى سجستان ، واثنتان إلى الجزيرة ، وواحد إلى اليمن ، فظهرت بدعتهم بتلك البلاد وبقيت بها .

ثم من مذهبهم منع التحكيم علي ما تقدم ، وتخطئة علي وأصحابه ، ومعاوية وأصحابه بصفين في اعتمادهم إياه ، بل تكفيرهم علي ما تقدم ، ومنها امتناع ذلك عن رضا أصلاً (؟) وأنهم يمنعون التأويل في كتاب الله تعالى . ومنهم من يقول : إن سورة

يُؤَسَفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَإِنَّمَا هِيَ قِصَّةٌ مِنَ الْقِصَصِ ، وَمِنْ  
أَدْخُلِهَا فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ زَادَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ . وَيَقُولُونَ :  
إِنْ إِمَارَةُ بَنِي أُمَيَّةٍ كَانَتْ ظُلْمًا ، وَإِنْ قَضَاءُهُمُ الَّذِي رَتَّبُوهُ عَلَى التَّحْكِيمِ بَاطِلٌ .  
وَيَذْهَبُونَ إِلَى تَخْطِئَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فِيمَا أَتَّفَقَا عَلَيْهِ عِنْدَ  
تَحْكِيمِهِمَا ، وَيُسَنِّعُونَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ ، وَيَقُولُونَ : أَسْتَبَاحُوا الْفُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ  
بَغَيْرِ حَقٍّ .

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالْكَبَائِرِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ بِخِلَافِ الْكَبَائِرِ  
مِنْ غَيْرِ إِصْرَارٍ عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ . وَيَصَوِّبُونَ فِعْلَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ فِي قَتْلِهِ عَلِيًّا  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، لَا سِيَّمَا مَنْ ذَهَبَ مِنَ الشَّيْعَةِ إِلَى  
أَنْ ذَلِكَ كُفْرٌ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ :

يَا ضَرْبَةً مِنْ وَلِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا \* إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا

إِنِّي لَا أَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ \* أَوْفَى الْخَلِيقَةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا

وَكَذَلِكَ يَصَوِّبُونَ فِعْلَ عَمْرُو بْنِ بَكْرِ الْخَارِجِيِّ فِي قَتْلِ خَارِجَةِ بْنِ أَبِي حَبِيبَةَ صَاحِبِ  
شُرْطَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ بِمَضْرٍ ، حِينَ قَتَلَهُ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، لَمَّا لَمْ  
عِنْدَهُ مِنَ الْإِحْسَنِ وَالضَّغَائِنِ . وَأَنْهُمْ يَصَوِّبُونَ فِعْلَ قَطَّامِ زَوْجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ  
فِي ... .. وَأَنْهُمْ يَسْتَعْظِمُونَ خَلْعَ طَاعَةِ رُءُوسِهِمْ ، وَأَنْهُمْ يُجَوِّزُونَ كَوْنُ الْإِمَامِ غَيْرِ

(١) فِي الْمَلَلِ ص ٦٩ "مِنْ مَنِيْب" وَفِي كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٧١ «مِنْ شَقٍّ» .

(٢) فِي الْأَصْلِ حَنِيفَةٌ وَهِيَ تَصْحِيفٌ وَالتَّصْحِيفُ مِنْ كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٧٠ .

(٣) بَيَاضُ الْأَصُولِ وَلَعَلَهُ «فِي اشْتِرَاطِهَا عَلَى ابْنِ مُلْجَمٍ حِينَ خَطَبَهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَقَتْلَ عَلِيٍّ»  
أَنْظَرَ كَامِلُ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٦٨ وَ ١٦٩ .

قُرَشِيٍّ، بَلْ هُمْ يَجُوزُونَ إِمَامَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ جَمِيعًا، وَيَنْسُبُونَ مِنْ خَالِفِهِمْ إِلَى الْخَطَا،  
وَيَسْتَبِيحُونَ دِمَاءَهُمْ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ .

واعلم أن ما تقدّم ذكره من معتقدات الخوارج هو مُقْتَضَى ما رتبّه من يمينهم  
في "التعريف" على ماسياتي ذكره . على أن بعض هذه المعتقدات يختص بها بعض  
فرق الخوارج دون بعض على ماسياتي بيانه ، ولكلّ منهم معتقدات أخرى تزيد  
على ما تقدّم ذكره .

وهنا أذكر بعض فرقهم ، وبعض ما اختلفت [به] كلّ فرقة منهم ، لينبني على  
ذلك من أراد ترتيب يمين لفرقة منهم :

فمنهم المُحَكِّمَةُ - وهم الذين يمنعون التحكيم .

ومنهم الأزارقة - وهم أتباع نافع بن الأزرق ، وهم الذين خرجوا بفارس وكرمان  
أيام ابن الزبير ، وقتلهم المهلب بن أبي صفرة ، وهم الذين يكفرون علياً مع جمع من  
الصحابة ، ويصوبون فعل ابن ملجم ، ويكفرون القعدة عن القتال مع الإمام وإن  
قاتل أهل دينه ، ويبيحون قتل أطفال المخالفين ونسائهم ، ويسقطون الرجم عن  
الزاني المحصن ، وحدّ القذف عن قاذف الرجل المحصن دون قاذف المرأة المحصنة ،  
ويخرجون أصحاب الكبائر عن الإسلام ، ويقولون : التقيّة غير جائزة .

ومنهم التجذات - وهم أصحاب نجدة بن عامر ، يكفرون بالإصرار على الصغائر  
دون فعل الكبائر من غير إصرار ، ويستحلّون دماء أهل العهد والذمة وأموالهم  
في دار التقيّة ، ويتبرّءون ممن حرّمها .

ومنهم البیهسیّة - وهم أصحاب أبي بیہس بن خالد، یرون أنه لا حرام إلا ما وقع عليه النص بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ الآية . ويكفرون الرعية بكفر الإمام .

ومنهم العجاردة - وهم الذين ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ، ويقولون : إنما هي قصة من القصص ، ويوجبون التبري من الطفل فإذا بلغ دعي إلى الإسلام .

ومنهم الميمونية - وهم فرقة يقولون : إن الله تعالى يريد الخير دون الشر ، ويجوزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الإخوة والأخوات .

ومنهم الإباضية - يرون أن مرتكب الكبيرة كافر للنعمة لأمشرك ، ويرون أن دار مخالفهم من المسلمين دار توحيد ، ودار السلطان منهم دار بغى .

ومنهم الثعالبة - يرون ولاية الطفل حتى يظهر عليه إنكار الحق فيتبرءون منه .

ومنهم الصُفريّة - يرون أن ما كان من الجائر فيه حد كالزنا لا يكفر به ، وما كان منها ليس فيه حد : كترك الصلاة يكفر به .

وكأن الذى أورده فى " التعريف " متفق عليه عندهم ، أو هو قول أكثرهم فاكتنفى به .

وقد رتب فى " التعريف " تحليفهم على مقتضى ما ذكره من اعتقادهم فقال :

وَأَيُّمُهُمْ أَيْمَانُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَيَزَادُ فِيهَا : وَإِلَّا أَجَزْتُ التَّحَكِيمَ ، وَصَوَّبْتُ قول الفريقين فى صفين ، وأطعت بالرضا منى حكم أهل الجور ، وقلت فى كتاب الله

(١) كذا بالأصول ، والذى فى " القاموس " و " الملل والنحل " للشهرستانى أن أبا بیہس اسمه " الهيصم ابن جابر " ولعل ما فى الأصول تصحيف .

بالتأويل : وأدخلت في القرآن ما ليس منه . وقلت : إن إمارة بني أمية عدل ، وإن قضاءهم حق ، وإن عمرو بن العاص أصاب ، وإن أبا موسى ما أخطأ ، وأستباحت الأموال والفروج بغير حق ، وأجترحت الكجائر والصغائر ، ولقيت الله مثقلاً بالأوزار ، وقلت : إن فعلة عبد الرحمن بن ملجم كُفِرَ ، [ وإن قاتل خارجة آثم ، وبرئت من فعلة قطام <sup>(١)</sup> ، وخلعت طاعة الرؤوس ، وأنكرت أن تكون الخليفة إلا في قریش ، وإلا فلا رويت سيفي ورُمي من دماء المخطئين .

### الطائفة الثانية

( الشيعة )

وهم الذين شايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقالوا بإمامته وخلافته : نصاً ووصايةً : [ إماماً ] جليلاً أو خفياً ، وإن الامامة لا تخرج عنه وعن بنيه إلا بظلم من غير ذلك الإمام ، أو بتقية منه لغيره . <sup>(٢)</sup>

قال الشهرستاني في " النحل والملل " : ويجمعهم القول بوجوب التعيين للإمام والتنصيب عليه ممن قبله ، وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكجائر والصغائر ، والقول بالتولي للأئمة والتبري من غيرهم .

وقال في " التعريف " يجمعهم حب علي رضي الله عنه ، وتختلف فرقهم فيمن سواه . فأما مع إجماعهم على حبه فهم مختلفون في اعتقادهم فيه ، فمنهم أهل غلو مفرط وعوتو زائد : ففيهم من أدّى به الغلو إلى أن اتخذ علياً إلهاً وهم النصيرية . قال : ومنهم

(١) الزيادة من " التعريف " ص ١٦٢ .

(٢) عبارة الشهرستاني « بظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده » وهي أوضح .

من قال : إنه النبي المرسل وإن جبريل غلط . ومنهم من قال : إنه شريك في النبوة والرسالة . ومنهم من قال : إنه وصي النبوة بالنص الجلي ، ثم تحالفوا في الإمامة بعده وأجمعوا بعده على الحسن ثم الحسين . وقالت فرقة منهم : وبعدهما محمد بن الحنفية .

ثم قد ذكر في "التعريف" أن الموجود من الشيعة في هذه المملكة خمس فرق :

### الفرقة الأولى

(الزيدية)

وهم القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين السبط ، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو الذي رأسه مدفون بالمشهد الذي بين كيان مصر ، جنوبي الجامع الطولوني ، المعروف بمشهد الرأس ، فيما ذكره القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر في خطط القاهرة . قال في "التعريف" : وهم أقرب القوم إلى القصد الأمم . قال : ولهم إمام باق باليمن إلى الآن ، وصنعاء داره ، وأمرأ مكة المعظمة منهم . ثم قال : وحدثني مبارك بن عطيقة بن أبي نُمي : أنهم لا يدينون إلا بطاعة ذلك الإمام ، ولا يرون إلا أنهم توابه ، وإنما يتقون صاحب مصر لخوفهم منه وللإقطاع ، وصاحب اليمن لمداراته لواصل الكارم ورُسوم الأنعام . ومن ثم عدّهم في جملة من بهذه المملكة من طوائف البدع .

وكان من مذهب زيد هذا جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، ويقول : إن علياً رضي الله عنه كان أفضل الصحابة رضوان الله عليهم ، إلا أن الإمامة فوّضت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها : من تسكين نائرة الفتنة ، وتطبيب قلوب العامة ، مع تفضيل علي على الشيخين عندهم في أوانهم .

وأتباعه يعتقدون أن هذا هو المعتقد الحق ، ومن خالفه خرج عن طريق الحق ،  
وضل عن سواء السبيل .

وهم يقولون : إن نص الأذان بدل الحيعتين : «حى على خير العمل» يقولونها  
في أذانهم مرتين بدل الحيعتين ، وربما قالوا قبل ذلك : «محمد وعلي خير البشر ،  
وعترتهما خير العتر» ومن رأى أن هذا بدعة فقد حاد عن الجادة .

وهم يسوقون الإمامة في أولاد علي كرم الله وجهه من فاطمة رضى الله عنها ،  
ولا يجوزون ثبوت الإمامة في غير بنيهما ، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي  
عالم زاهد شجاع خرج لطلب الإمامة إماماً معصوماً واجب الطاعة ، سواء كان من  
ولد الحسن أو الحسين عليهما السلام ، ومن خلع طاعته فقد ضل . وهم يرون أن  
الإمام المهدي المنتظر من ولد الحسين رضى الله عنه دون ولد الحسن ، ومن خالف  
في ذلك فقد أخطأ . ومن قال : إن الشيخين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أفضل  
من علي وبنيه فقد أخطأ عندهم وخالف زياداً في معتقده . ويقولون : إن تسليم  
الحسن الأمر لمعاوية كان لمصلحة اقتضاها الحال ، وإن كان الحق له .

قال في "التعريف" : وأيمانهم أيمان أهل السنة ، يعنى فيحلفون كما تقدم ،  
ويزاد فيها : وإلا برئت من معتقد زيد بن علي ، ورأيت أن قولي في الأذان : «حى  
على خير العمل» بدعة ، وخلعت طاعة الإمام المعصوم الواجب الطاعة ، وأدعيت  
أن المهدي المنتظر ليس من ولد الحسين بن علي ، وقلت : بتفضيل الشيخين على  
أمير المؤمنين علي وبنيه ، وطعنت في رأى ابنه الحسن لما اقتضته المصلحة ،  
وطعنت عليه فيه .



## الفرقة الثانية (من الشيعة الإمامية)

وهم القائلون بإمامة اثني عشر إماما : أولهم أمير المؤمنين علي المرتضى ، ثم ابنه الحسن المجتبي ، ثم أخوه الحسين شهيد كربلاء ، ثم ابنه علي السجاد زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، ثم ابنه موسى الكاظم ، ثم ابنه علي الرضا وهو الذي عهد إليه المأمون بالخلافة ومات قبل أن يموت المأمون ، ثم ابنه محمد التقي ، ثم ابنه علي النقي ، ثم ابنه الحسن الزكي المعروف بالعسكري ، ثم ابنه محمد الحجة ، وهو المهدي المنتظر عندهم ، يقولون إنه دخل مع أمه صغيرا سردابا بالحلة على القرب من بغداد ففقد ولم يعد ، فهم ينتظرونه إلى الآن ، ويقال : إنهم في كل ليلة يقفون عند باب السرداب ببغلة مشدودة ملجمة من الغروب إلى مغيب الشفق ينادون : أيها الإمام ! قد كثرت الظلم ! وظهر الجور فانخرج إلينا ! ثم يرجعون إلى الليلة الأخرى ، وتلقب هذه الفرقة بالاثني عشرية أيضا ، لقولهم بإمامة اثني عشر إماما ، وبالموسوية لقولهم بانتقال الخلافة بعد جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم المقدم ذكره دون أخيه إسماعيل إمام الإسماعيلية الآتي ذكره ، وبالقطعية لقولهم بموت إسماعيل المذكور في حياة أبيه الصادق والقطع بانتقال الإمامة إلى موسى .

قال في " التعريف " : وهم مسلمون ، إلا أنهم أهل بدعة كبيرة سبابة .

وهم يقولون : بإمامة علي رضي الله عنه نصا ظاهرا ، وتعيينا صادقا ، احتجاجا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من يبايعني على ماله ، فبايعه جماعة » ، ثم قال :

من يُبَايِعُنِي عَلَى رُوحِهِ وَهُوَ وَصِيٌّ وَوَلِيٌّ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي ، فَلَمْ يُبَايِعْهُ أَحَدٌ ،  
حَتَّى مَدَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَهُ إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ عَلَى رُوحِهِ وَوَفَّى بِذَلِكَ » .

قال في "العبر" : وهذه الوَصِيَّةُ لَا تُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرِ ، بَلْ هِيَ مِنْ  
مَوْضُوعَاتِهِمْ ؛ وَيُحْصُونَهُ بِوَرَاثَةِ عِلْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ويروون أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم غدير خم : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ،  
اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَأَدِرِ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ كَيْفَمَا ذَارَ » ، وَيُرْوَى أَنَّ  
بَيْعَةَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ السَّقِينَةِ غَيْرُ صَحِيحَةٍ : حِينَ اجْتَمَعَ الْأَنْصَارُ بَعْدَ  
مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِينَةِ بَنِي سَاعِدَةَ لِيُبَايِعُوهُ ،  
وَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، وَرَوَى لَهُمْ  
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَصْلُحُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ »  
فَرَجَعُوا إِلَى قَوْلِهِ وَبَايَعَهُ عُمَرُ ، ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى  
مُبَايَعَاتِ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ ، وَأَنَّ الْقَائِمَ فِيهَا مُجْتَرَمٌ لَا سِيَّأَ أَوَّلٍ بِإِذْنِ ذَلِكَ .  
ويقولون : إِنْ الْحَقُّ كَانَ فِي ذَلِكَ لَعَلِّيٌّ بِالْوَصِيَّةِ . ويقولون : إِنْ الْقِيَامَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَضَرَهُ فِي الدَّارِ كَانَ وَاجِبًا لاعتقادهم عَدَمَ صِحَّةِ خِلَافَتِهِ  
مَعَ وَجُودِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَإِنْ الْمَتَأَخَّرُ عَنْ حَضَرِهِ كَانَ مُحْطِئًا . وَيُرْوَى جَوَازَ  
التَّقِيَّةِ خَوْفًا عَلَى النَّفْسِ ، وَأَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا تَأَخَّرَ عَنْ طَلَبِ الْإِمَامَةِ عِنْدَ  
قِيَامِ مَنْ [ كَانَ ] قَبْلَهُ بِهَا تَقِيَّةً عَلَى نَفْسِهِ . وَيُرْوَى أَنَّ مَنْ أَعَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ  
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْخِلَافَةِ كَانَ مُحْطِئًا : لِبُطْلَانِ خِلَافَتِهِ بِتَرْكِهَا عَلَى خِلَافَةِ  
أَبِي بَكْرٍ وَوُجُودِ عَلِيٍّ الَّذِي هُوَ أَحَقُّ بِهَا . وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنَعَ  
فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَقَّهَا مِنْ إرْثِهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَدِّيًّا ، وَأَنَّ

مَنْ سَاعَدَ فِي تَقْدِيمِ تَيْمٍ بِخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، أَوْ تَقْدِيمِ عَدِيٍّ بِخِلَافَةِ عُمَرَ ، أَوْ تَقْدِيمِ أُمَيَّةَ بِخِلَافَةِ عُثْمَانَ كَانَ مُخْطِئًا . وَيَزْعُمُونَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُصَبِّ فِي جَعْلِ الْأَمْرِ شُورَى بَيْنَ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَسْتَحْقَاقِ تَقَدُّمِ عَلِيٍّ عَلَى الْجَمِيعِ .

وَيَصَوِّبُونَ قَوْلَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا كَانَ مِنْ مُوَافَقَتِهِ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ فِي حَقِّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَلَا يَرَوْنَ تَكْذِيبَهُ فِي ذَلِكَ . وَيَرَوْنَ أَنَّ عَائِشَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ مُخْطِئَةً فِي قِيَامِهَا عَلَى يَوْمِ الْجَمَلِ ، وَأَنَّ مَنْ قَامَ مَعَهَا كَانَ مُخْطِئًا لِلْمُوَافَقَةِ عَلَى الْخَطَا .

وَيَقُولُونَ إِنَّ مَنْ قَامَ مَعَ مُعَاوِيَةَ عَلَى عَلِيٍّ بِصِفِّينَ وَشَهْرِ السَّيْفِ مَعَهُ عَلَيْهِ فَقَدْ آرَتَكَبَ مُحْظُورًا . وَيَنْكَرُونَ مَا وَقَعَ مِنْ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ مِنَ الدَّعْوَى الْبَاطِلَةِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَهَّزَ جَيْشًا إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَتَلُوا وَسَبَّوْا وَبَايَعُوا مِنْ تَبِعِهِمْ عَلَى أَنَّهُمْ خَوَلُ لِيَزِيدَ .

وَيَقُولُونَ : يُبْطِلَانِ حُكْمَ ابْنِ مَرْجَانَةَ . وَيُعَدُّونَ مِنَ الْعِظَائِمِ قِيَامَ عُثْمَانَ بْنِ سَعْدٍ فِي قِتَالِ الْحُسَيْنِ ، وَحَقِيقُ أَنْ يُنْكَرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَسْتَعْظُمُوهُ ! فَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ بَعْدَ قَتْلِهِ أَمَرَ جَمَاعَةً فَوَطَّئُوا صَدْرَ الْحُسَيْنِ وَظَهْرَهُ بِالْخَيْلِ ، وَكَانَ يَزِيدُ قَاتِلَهُ اللَّهُ قَدْ أَمَرَهُ بِذَلِكَ .

وَيَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْرَ صَارَ بَعْدَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ الْإِمَامَةَ عِنْدَ الْحُسَيْنِ مُسْتَوْدَعَةٌ لِمُسْتَقَرَّةٍ ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَثْبُتْ فِي بَنِيهِ . وَيُعَدُّونَ مِنَ الْعِظَائِمِ فِعْلَ شَمِيرِ بْنِ [ ذِي ] الْجَوْشَنِ : وَهُوَ الَّذِي أَحْتَرَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ، وَأَنَّ مَنْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ مُرْتَكِبٌ أَعْظَمَ مُحْظُورَاتٍ بِأَشَدِّ بَلَاءَةٍ ، وَحَقِيقُ ذَلِكَ أَنْ يَسْتَعْظُمُوهُ ! فَأَيُّ جَرِيمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ سَبْطِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ .

وقد ذكر صاحب "نظم السمط في خبر السبط" : أنه وُجد في حجر مكتوب قبل البعثة بألف سنة ما صورته :

أترجو أمة قتلت حسينا \* شفاعته جده يوم الحساب ؟

ويقال : إن الذي أحترق رأس الحسين إنما هو سنان بن أنس النخعي . ويعتدون من العظام أيضا سبي معاوية أهل البيت عند غلبة علي رضي الله عنه بصفيين وسوقهم معه إلى دمشق سوقا بالعصى . ويرون أن خلافة يزيد بن معاوية كانت من أعظم البلايا ، وأن المغيرة بن شعبة أخطأ حيث أشار على معاوية بها . ويقولون بالتبري من عمرو بن العاص رضي الله عنه لأنتمائه إلى معاوية ، وخديعته أبا موسى الأشعري يوم الحكمين حتى خلع عليا ، وإن من ظاهره أو عاضده كان مُحْطئا .

وكذلك يتبرءون من بسر بن [أبي] أرطاة : لأن معاوية بعثه إلى الحجاز في عسكر فدخل المدينة وسفك بها الدماء ، وأستكره الناس على البيعة لمعاوية ، وتوجه إلى اليمن بعد ذلك فوجد صبيين لعبيد الله بن عباس عاملين على اليمن فقتلتهما .<sup>(١)</sup>

ويرون مُحْطئة عُقبة بن عبد الله المزي ، ويقدرحون في رأي الخوارج : وهم الذين نرجوا على علي رضي الله عنه بعد حرب صفين ، على ما تقدم ذكره [ في الكلام ] على أيمان الخوارج : وهو مفارقتهم عليا رضي الله عنه ، وتخطئهم له في الغنائم .

ويقولون : إن الامامة انتقلت بعد الحسين السبط عليه السلام في أبنائه إلى تمام الأثنى عشر . فانتقلت بعد الحسين إلى ابنه زين العابدين ، ثم إلى ابنه محمد

(١) صوابه "عامل على علي اليمن" والصبيان هما قثم وعبد الرحمن أبنا عبيد الله انظر ج ٣ ص ١٦٦ من الكامل لابن الأثير .

الباقرة، ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ثم إلى ابنه موسى الكاظم، ثم إلى ابنه علي الرضا، ثم إلى ابنه محمد التقي، ثم إلى ابنه علي النقي، ثم إلى ابنه الحسن الزكي، ثم إلى ابنه محمد الحجة، وهو المهدي المنتظر عندهم، على ما تقدم ذكره في أول الكلام على هذه الفرقة، وإن من خالف ذلك فقد خالف الصواب .

ويستعظمون دلالة من دل بني أمية وبني العباس على مقاتل أهل البيت . أما دلالة بني أمية، فبعد غلبة معاوية بصفين . وأما دلالة بني العباس، فعند تنازع بني العباس وأهل البيت في طلب الخلافة، زمن أبي جعفر المنصور وما بعده . ويقولون : ببقاء حكم المنعة : وهي النكاح المؤقت الذي كان في صدر الإسلام . ويُسنَّعون على نجدة بن عامر الحنفي الخارجي حيث زاد في حد الخمر، وغلظ فيه تغليظاً شديداً، كما حكاه الشهرستاني عنهم .

ويستعظمون البراءة من شيعة أمير المؤمنين على رضي الله عنه، وأتباع أهوية أهل الشام من متابعي بني أمية والغوغاء القائمين بالنهر وان : وهم الخوارج الذين خالفوا علياً بعد قضية التحكيم بصفين، وأقاموا بالنهر وان من العراق لقتال علي، ورؤسهم يومئذ عبد الله بن وهب، فسار اليهم علي وكانوا أربعة آلاف فقتلوا عن آخرهم، ولم يقتل من أصحاب علي سوى سبعة أنفس (١) .

ويرون أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه أخطأ في موافقته عمرو بن العاص رضي الله عنه : حيث حكم بخلع علي ولم يخلع عمرو ومعاوية .

ويعتمدون في القرآن الكريم على مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، دون المصحف الذي أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، فلا يثبتون ما لم يثبت فيه قرأنا .

(١) أي ولم يبق منهم سوى تسعة تفرقوا في الجهات كما تقدم .

ويتبرءون من فعل ابن ملجم في قتله أمير المؤمنين رضى الله عنه ، وحق لهم التبرى من ذلك .

ويروون أن موالاة ابن ملجم وإسعاfe في صداق زوجته قطام جريرة .

ويرون محبة قبيلة همدان من المحبوب المطلوب : لمشايعتهم علياً رضى الله عنه ومحبتهم أهل البيت كما هو المشهور عنهم ؛ حتى يحكى أن أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه صعد يوماً المنبر وقال : ألا لا ينكحن أحد منكم الحسن بن علي فإنه مطلق ، فنهض رجل من همدان وقال : والله لننكحنه ثم لننكحنه ! إن أمهر أمهر كشيفاً ، وإن أولد أولد شريفاً ! . فقال علي رضى الله عنه حينئذ :

لو كنت بواباً على باب جنة \* لقلت لهمدان أدخلي بسلام !

ويقولون باشرط العزيمة في الأئمة ، فلا يكون من ليس بمعضوم عندهم إماماً .

وقد رتب في " التعريف " يمينهم على هذه العقائد ، فقال : وهؤلاء يمينهم هي :  
 إني والله والله العظيم ، الرب الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وما اعتقده من صدق محمد صلى الله عليه وسلم ونصه على إمامة ابن عمه ووارث علمه علي بن أبي طالب رضى الله عنه يوم غدير خم ، وقوله : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ! وعاد من عاداه ! وأدر الحق على لسانه كيف دار ! » . وإلا كنت مع أول قائم يوم السقيفة ، وآخر متأخر يوم الدار ، ولم أقل بجواز التقية خوفاً على النفس ، وأعنت ابن الخطاب ، وأضطهدت فاطمة ، ومنعتها حقها من الإرث ، وساعدت في تقديم تيم وعدي وأمية ، ورضيت بحكم الشورى ، وكذبت حسان بن

ثابت يوم عائشة، وقت معها يوم الجمل، وشهرت السيف مع معاوية يوم صفين،  
 وصدقت دعوى زياد، ونزلت على حكم ابن مرجانة، وكنت مع عمر بن سعد  
 في قتال الحسين، وقلت: إن الأمر لم يصبر بعد الحسن إلى الحسين، وساعدت شمر  
 ابن [ذى] الجوشن على فعل تلك البلية، وسببت أهل البيت وسقتهم بالعصى إلى  
 دمشق، ورضيت بإمرة يزيد، وأطعت المغيرة بن شعبة، وكنت ظهيرا لعمر بن  
 العاص، ثم لبس بن [أبي] أرطاة، وفعلت فعل عقبة بن عبد الله [المرى] وصدقت رأي<sup>(١)</sup>  
 الخوارج، وقلت: إن الأمر لم ينتقل بعد الحسين بن علي في أبنائه إلى تمام الأئمة،  
 إلى الإمام المهدي المنتظر، ودللت على مقاتل أهل البيت بني أمية وبني العباس،  
 وأبطلت حكم التمتع، وزدت في حد الخمر ما لم يكن، وحرمت بيع أمهات الأولاد،  
 وقلت: برأي في الدين، وبرئت من شيعة أمير المؤمنين، وكنت مع هوى أهل الشام  
 والغوغاء القائمة بالنهروان، وأتبع خطأ أبي موسى، وأدخلت في القرآن ما لم يثبت  
 ابن مسعود، وشركت ابن ملجم وأسعدته في صداق قطام، وبرئت من محبة  
 همدان، ولم أقل باشتراط العصمة في الإمام، ودخلت مع أهل النصب الظلام.  
 قلت: قد ذكر في "التعريف" فرقة الإمامية هذه من الشيعة الذين بهذه المملكة،  
 ولم أعلم أين مكانهم منها.

### الفرقة الثالثة

(من الشيعة الإسماعيلية)

وهم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وأن الأمامة انتقلت إليه بعد  
 أبيه دون أخيه موسى الكاظم المقدم ذكره في الكلام على فرقة الإمامية. وهم

(١) الزيادة من "التعريف" (ص ١٥٩).

يوافقون الإمامية المقدم ذكرهم في سوق الإمامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى جعفر الصادق، ثم يعدلون بها عن موسى الكاظم الذى هو الامام عند الإمامية إلى إسماعيل هذا، ثم يسوقونها في بنيه، فيقولون: إن الإمامة انتقلت بعد أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى ابنه الحسن، ثم إلى أخيه الحسين، ثم إلى ابنه علي زين العابدين، ثم إلى ابنه محمد الباقر، ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ثم إلى ابنه إسماعيل - الذى تُنسب إليه هذه الفرقة - بالنص من أبيه. فمن قائل: إن أباه مات قبله، وانتقلت الإمامة إليه بموته. ومن قائل: إنه مات قبل أبيه. وفائدة النص ثبوتها في بنيه بعده. ثم يقولون: إنها انتقلت من إسماعيل المذكور إلى ابنه محمد المكتوم، ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ثم إلى ابنه محمد الحبيب، ثم إلى ابنه عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب، وهو جد الخلفاء الفاطميين بمصر، ثم إلى ابنه القائم بأمر الله أبي القاسم محمد: ثاني خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب، ثم إلى ابنه المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل: ثالث خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب، ثم إلى ابنه المعز لدين الله أبي تميم معتمد: أول خلفاء الفاطميين بمصر بعد قيامه ببلاد المغرب (وهو باني القاهرة)، ثم إلى ابنه العزيز بالله أبي المنصور نزار: ثاني خلفائهم بمصر، ثم إلى ابنه الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور: ثالث خلفائهم بمصر، ثم إلى ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي: رابع خلفائهم بمصر، ثم إلى ابنه المستنصر بالله أبي تميم معتمد: خامس خلفائهم بمصر.

ثم من هاهنا أفرقت الإسماعيلية إلى فرقتين: مستعلوية ونزارية.

فأما المستعلوية فيقولون: إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر بالله المقدم ذكره إلى ابنه المستعلي بالله، أبي القاسم أحمد: سادس خلفائهم بمصر، ثم إلى ابنه الأمير

(١) كذا في الأصول ووقع في العبر «الصادق».



بأحكام الله أبي علي المنصور : سابع خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى أبيه الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد الحميد بن أبي القاسم : ثامن خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى أبيه الظافر بأمر الله أبي المنصور إسماعيل ، تاسع خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى أبيه الفائز بنصر الله أبي القاسم عيسى بن الظافر : عاشر خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ : حادي عشر خلفائهم بمصر ، وهو آخرهم حتى مات .

وأما الزارية فانهم يقولون : إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر إلى أبيه نزار بالنص من أبيه دون أبيه المستعلي ؛ ويستندون في ذلك إلى أن الحسن بن الصباح كان من تلامذة أحمد بن غطاش صاحب قلعة أصفهان وألموت ، وكان شهيداً عالمياً بالتعاليم والتجوم والسحر ، فآتهم ابن غطاش بالدعوة للفاطميين خلفاء مصر ، فخاف وهرب منه إلى مصر في خلافة المستنصر المقدم ذكره ، فأكرمه وأمره بدعاية الناس إلى إمامته ، فقال له ابن الصباح : من الإمام بعدك ؟ فقال له : أبن نزار ، فعاد ابن الصباح من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم ، ودخل نراسان ، وعبر إلى ما وراء النهر ، وهو يدعو إلى إمامة المستنصر وأبيه نزار بعده . قال الشهرستاني في " النحل والملل " : وصعد قلعة ألموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة واستظهر وتحصن .

ثم الزارية يزعمون أن نزاراً المذكور خرج من الإسكندرية حَمَلاً في بطن جارية ، تقيّة على نفسه ، وخاض بلاد الأعداء حتى صار إلى ألموت . ورأيت في المغرب

(١) الصواب « ثم إلى الحافظ » وفي المقرئ ج ١ ص ٣٥٧ « ومن بعده الحافظ ... » ابن الأمير أبي القاسم محمد « وقع في ج ٣ ص ٤٣١ من هذا المطبوع » ثم ولي بعده ابن عمه الحافظ ... عبد الحميد بن الأمر أبي القاسم محمد الخ « وفيه بعض التصحيف فتنبه .

لأَبْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ إِنَّمَا صَارَ مِنْ عَقِبِهِ مَنْ وَصَلَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَصَارَتْ الْإِمَامَةُ فِي بَنِيهِ هُنَاكَ .

وَالْمُسْتَعْلَوِيَّةُ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ إِنْكَارًا ، وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ قُتِلَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ : سَارَ إِلَيْهِ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ وَزَيْرُ الْمُسْتَعْلَى وَحَاصِرَهُ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى الْمُسْتَعْلَى ، فَبَنَى عَلَيْهِ حَائِطَيْنِ فَمَاتَ ، ثُمَّ فَرَّبَهُ<sup>(٢)</sup> بَنِي نِزَارٍ إِلَى بِلَادِ الْمَشَارِقِ وَأَقَامَ بِالْمَغْرِبِ ، وَالْقَائِمُونَ بِهَا الْآنَ مِنْ وَلَدِهِ ، وَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ بِهِ كُتُبُ التَّوَارِيخِ : كَمَغْرِبِ ابْنِ سَعِيدٍ وَغَيْرِهِ .

ثُمَّ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ فِي الْجُمْلَةِ : مِنَ الْمُسْتَعْلَوِيَّةِ وَالنَّزَارِيَّةِ يَسْمُونَ أَنْفُسَهُمْ أَصْحَابَ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَّةِ ، تَبَعًا لِإِمَامِهِمْ إِسْمَاعِيلَ الْمَذْكُورِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُسَمَّى صَاحِبَ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَّةِ .

قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَهُمْ وَإِنْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَقَالُوا بِقَوْلِ الْإِمَامِيَّةِ ، ثُمَّ خَالَفُوهُمْ فِي مُوسَى الْكَافِرِ وَقَالُوا : إِنَّ الْإِمَامَةَ لَمْ تَصِرْ إِلَّا إِلَى أَخِيهِ إِسْمَاعِيلَ ، فَإِنَّهُمْ طَائِفَةٌ كَافِرَةٌ يَعْتَقِدُونَ التَّنَاسُخَ وَالْحُلُولَ .

وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكَ الْأَبْصَارِ" : أَنَّ مُلَخَّصَ مُعْتَقَدِهِمُ التَّنَاسُخَ . ثُمَّ قَالَ : وَلَقَدْ سَأَلْتُ الْمَقْدَّمَ عَلَيْهِمُ وَالْمُشَارَإِلِيَّةَ فِيهِمْ : ( وَهُوَ مُبَارَكُ بْنُ عَلْوَانَ ) عَنْ مُعْتَقَدِهِمْ وَجَاذِبَتُهُ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ مَرَارًا ، فَظَهَرَ لِي مِنْهُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَسْجُونَةٌ فِي هَذِهِ الْأَجْسَامِ الْمَكْلُوفَةِ بِطَاعَةِ الْإِمَامِ الْمُطَهَّرِ عَلَى زَعْمِهِمْ . فَإِذَا أُنْقَلَتْ عَلَى الطَّاعَةِ

(١) لعل الصواب «فر إلى الاسكندرية» ليستقيم الكلام بعد وقد ذكر المقرئ خبره ج ١ ص ٢٣٤

على وجه الصحة فتنبه .

(٢) كذا بالأصل ولعل مراده بلاد مشارق أفريقيا كما سيأتي .

كانت قد تَخَلَّصَتْ وَانْتَقَلَتْ لِلْأَنْوَارِ الْعُلَوِيَّةِ ، وَإِنْ أَنْتَقَلَتْ عَلَى الْعِصْيَانِ هَوَتْ فِي الظُّلُمَاتِ السُّفْلِيَّةِ .

وذكر في "العبر" : أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أُلُوهِيَّةَ الْإِمَامِ بَنُوْعِ الْحُلُولِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي رَجْعَةَ مَنْ مَاتَ مِنَ الْأَئِمَّةِ بَنُوْعِ التَّنَاسُخِ وَالرَّجْعَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ مَجِيءَ مَنْ يُقْطَعُ بِمَوْتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ عَوْدَ الْأَمْرِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ .

ثُمَّ الْمُسْتَعْلَوِيَّةُ وَالنَّزَارِيَّةُ يَتَفَقَّهُونَ فِي بَعْضِ الْمَعْتَقَدَاتِ وَيَخْتَلِفُونَ فِي بَعْضِهَا .

فَأَمَّا مَا يَتَفَقَّهُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْتِقَادِ ، فَهُمْ يَتَفَقَّهُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ إِمَامٍ مَعْصُومٍ : ظَاهِرٍ أَوْ مُسْتَوْرٍ . فَالْأَئِمَّةُ الظَّاهِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى إِمَامَتِهِمْ ، وَالْمُسْتَوْرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَتِرُونَ وَيُظْهِرُونَ دُعَايَهُمْ . وَآخِرُ الظَّاهِرِينَ عِنْدَهُمْ إِسْمَاعِيلُ الَّذِي يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ ، وَأَوَّلُ الْمُسْتَوْرِينَ أَبْنُهُ الْمَكْتُومُ . وَمَنْ مُعْتَقِدُهُمْ أَنَّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ أَوْ لَمْ يَكُنْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةُ إِمَامٍ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً . وَيَرَوْنَ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّعْلِيمِ مِنَ الْأَئِمَّةِ خَاصَّةً ، وَأَنَّ الْأَئِمَّةَ هُمُ هُدَاةُ النَّاسِ . وَيَقُولُونَ : إِنَّ لِلْأَئِمَّةِ أَدْوَارًا فِي كُلِّ دَوْرٍ مِنْهَا سَبْعَةُ أَئِمَّةٍ : ظَاهِرِينَ أَوْ مُسْتَوْرِينَ . فَإِنْ كَانَ أَهْلُ الدَّوْرِ ظَاهِرِينَ يَسْمَى ذَلِكَ الدَّوْرُ دَوْرَ الْكَشْفِ ، وَإِنْ كَانُوا مُسْتَوْرِينَ يَسْمَى دَوْرَ السَّتْرِ . وَيَقُولُونَ بِوُجُوبِ مَوَالَاةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَتَبَرُّؤِ مَنْ خَالَفَهُمْ ، وَيُنْسَبُونَهُمْ إِلَى الْأَخْذِ بِالْبَاطِلِ ، وَالْوُقُوعِ فِي الضَّلَالِ ، لَا سِيَّمَا النَّوَاصِبِ ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالنَّاصِبِيَّةِ أَتْبَاعُ<sup>(١)</sup> ، وَيُرْمَوْنَهُم بِالْعِظَائِمِ ، وَيُنْسَبُونَهُمْ إِلَى اعْتِمَادِ الْحَالِ وَالْأَخْذِ بِهِ . وَمَنْ نَحْرَجَ عَنْهُمْ عَنِ الْقَوْلِ بِانْتِقَالِ الْإِمَامَةِ بَعْدَ الْحَسَنِ

(١) بياض في الأصول .

السَّبْط عليه السلام ، ثم أخيه الحسين ، ثم في أئمتهم المتقدم ذكرهم ، إلى إمامهم  
إسماعيل الذي يُنسبون إليه بالنَّصِّ الجَلِّي ، فقد حادَّ عن الحقِّ . وهم يعظمون  
ويستعظمون القدح فيه ، وأن من وقع في ذلك فقد ارتكب خطأ كبيراً .

ولدعاة الأئمة المستورين عندهم من المَكَّانة وعلو الرتبة الرتبة العظمى ، لا سيما  
الداعي القائم بذلك أولاً : وهو الداعي إلى محمد المكتوم أول أئمتهم المستورين على  
ما تقدّم ذكره ، فإن له من الرتبة عندهم فوق ما لغيره من الدعاة القائمين بعده .

ومما أشتهر من أمر الدعاة لأئمتهم المستورين أنه كان ممن يُنسب إلى التشيع  
رجل اسمه رمضان ، ويقال : انه صاحب كتاب "الميزان" في نصرة الزندقة ، فولد  
له ولد يقال له : ميمون ، نشأ على أهبة في التشيع والعلم بأسرار الدعاء لأهل البيت ،  
ثم نشأ لميمون ولد يقال له : عبد الله ، وكان يعالج العيون ويقدها ، فسمي القداح ،  
وأطلع على أسرار الدعوة من أبيه ، وسار من نواحي كرخ وأصبهان إلى الأهواز  
والبصرة وسلمية من أرض الشام يدعو الناس إلى أهل البيت ، ثم مات ونشأ له ولد  
يسمى أحمد فقام مقام أبيه عبد الله القداح في الدعوة ، وصحبه رجل يقال له رستم  
أبن الحسين بن حوشب النجار من أهل الكوفة ، فأرسله أحمد إلى اليمن ، فدعا  
الشيعة باليمن إلى عبد الله المهدي فأجابوه ، وكان أبو عبد الله الشيعي من أهل صنعاء  
من اليمن ، وقيل من أهل الكوفة ، يصحب ابن حوشب ، فخطب عنده وبعثه إلى  
المغرب . ومن نسب أحداً من هذه الدعاة إلى ارتكاب محظور أو احتقاب إنهم فقد  
ضلّ وخرج عن جادة الصواب عندهم . ويرون تخطئة من مالاً على الإمام عبيد الله  
المهدي : أول أئمتهم القائمين ببلاد الغرب على ما تقدّم ، وأرتكابه المحظور وضلاله عن

(١) بياض في الأصول ولعله « إمامهم إسماعيل » .

طريق الحق؛ وكذلك من خذل الناس عن آتباع القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي ثاني خلفائهم ببلاد المغرب، أو نقض الدولة على المعز لدين الله : أول خلفائهم بمصر؛ ويروى ذلك من أعظم العظام، وأكبر الكبائر .

ومن أعيادهم العظيمة الخطر عندهم يوم غدیر خم (بفتح الغين المعجمة وكسر الدال المهملة وسكون المثناة تحت وراء مهملة في الآخر، ثم خاء معجمة مضمومة بعدها ميم) : وهو غيضة بين مكة والمدينة على ثلاثة أيام من المحففة . وسبب جعلهم له عيداً أنهم يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيه ذات يوم فقال لعلي رضي الله عنه : « اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأنصر من نصره ، وأخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار » على ما تقدم نحوه في الكلام على يمين الإمامية .

وقد كان للخلفاء الفاطميين بمصر بهذا العيد اهتمام عظيم ، ويكتبون بالبيشارة به إلى أعمالهم ، كما يكتبون بالبيشارة بعيد الفطر وعيد النحر ونحوهما . ويعتقدون في أئمتهم أنهم يعلمون ما يكون من الأمور الحادثة .

وقد ذكر المؤرخون عن عبيد الله المهدي جد الخلفاء الفاطميين بمصر أنه حين بنى المهديّة بمشارق أفريقية من بلاد المغرب طلع على سورها ورعى بسهم وقال إلى حدّ هذه الرمية ينتهي صاحب الحمار ، فخرج بالمغرب خارجي يعرف بأبي يزيد صاحب الحمار ، وقصد المهديّة حتى انتهى إلى حدّ تلك الرمية ، فرجع ولم يصل المهديّة .

وكان الحاكم بأمر الله أحد خلفاء مصر من عقب المهدي المذكور يدعى علم الغيب على المنبر بالجامع المعروف به على القرب من باب الفتوح بالقاهرة ، فكتبوا له بطاقة فيها :

بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا \* وليس بالكُفْرِ وَالْحِمَاقَةِ  
 إِنْ كُنْتَ أُوتِيتَ عِلْمَ غَيْبٍ \* بَيْنَ لَنَا كَاتِبَ الْبِطَاقَةِ  
 فَتَرَكْ مَا كَانَ يَقُولُهُ وَلَمْ يُعِدْ إِلَيْهِ ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ  
 إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وهم يقدحون في عيَّاش<sup>(١)</sup> بن أبي الفتوح الصَّنْهَاجِيِّ وزير الظَّافِر: أحد الخلفاء  
 الفاطميين بمصر . وذلك أنَّه كان له وَلَدٌ حَسَنُ الصُّورَةِ اسمه نَصْرٌ ، فأَحَبَّهُ الظَّافِرُ  
 المذكورُ حتَّى كان يَأْتِي إِلَيْهِ لَيْلًا إِلَى بَيْتِهِ ، فرمى عيَّاشُ الظَّافِرَ بِأَبْنِهِ ، وأمره أن  
 يَسْتَدْعِيَهُ فاستدعاه ، فأَتَى إِلَيْهِ لَيْلَةً عَلَى الْعَادَةِ ، فَاجْتَمَعَ عيَّاشُ بْنُ السَّلَارِ هُوَ وَأَبْنُهُ  
 نَصْرٌ عَلَى الظَّافِرِ وَقَتْلَاهُ ، وهربا إِلَى الشَّامِ ، فَأَسْرَهُمَا الْفَرَنْجُ ، ثُمَّ قُدِيَ أَبْنُهُ وَصُلِبَ  
 عَلَى بَابِ زَوَيْلَةَ .

وهم يقدحون في عيَّاشِ المذكورِ وَيَرْمُونَهُ بِالنِّفَاقِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ مِنْهُ فِي حَقِّ الظَّافِرِ  
 مِنْ رَمِيهِ بِأَبْنِهِ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ .

قلتُ : وعيَّاشُ هَذَا هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ فِي "التَّعْرِيفِ" فِي صُورَةِ يَمِينِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ  
 بِأَبْنِ السَّلَارِ . وهو وهم منه ، إذ ليس عيَّاشُ بِأَبْنِ السَّلَارِ ، وإنما أَبْنُ السَّلَارِ هُوَ  
 زَوْجُ أُمِّ عيَّاشِ المذكورِ ، وكان قد وُزِّرَ لِلظَّافِرِ المذكورِ قَبْلَ رَيْبِهِ عيَّاشٌ وتلقَّبَ  
 بِالْعَادِلِ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى الْأَمْرِ حتَّى لَمْ يَكُنْ لِلظَّافِرِ مَعَهُ كَلَامٌ ، ثُمَّ دَسَّ عَلَيْهِ رَيْبُهُ

(١) كذا في الأصول بالمشاة التحتية والشين المعجمة ووقع في ابن الأثير والمقرئى بالموحدة  
 والسين المهملة .

(٢) سيأتى بعد أسطر التنبيه على هذه النسبة .

(٣) عبارة ابن الأثير (ج ١١ ص ٧٩) باختصار : فقتل عياشا الفرنج وأسروا أبنه ثم فداه الملك  
 الصالح طلائع بن رزيك منهم وطلبه على باب زويلة .

عَيَّاشٌ مَنْ قَتَلَهُ ، وَوُزِّرَ لِلظَّافِرِ بَعْدَهُ . فابْنُ السَّلَارِ هُوَ الْعَادِلُ وَزِيرُ الظَّافِرِ أَوَّلًا  
لَا عَيَّاشٌ رَبِّبُهُ .

ومن أكبر الكجائر عندهم وأعظم العظام أن يُرمَى أَحَدٌ مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عليه وسلم لَا سِيَّما الْأَئِمَّةُ بِكَبِيرَةٍ ، أَوْ يُنْسَبَ بِهَا [ أَحَدٌ ] إِلَيْهِمْ ، أَوْ يُوَالَى لَهُمْ عَدُوًّا  
أَوْ يُعَادَى وَلِيًّا .



وأما ما يختص به المُسْتَعْلَوِيَّةُ ، فانهم يُنْكِرُونَ إِمَامَةَ نِزَارِ بْنِ المُسْتَنْصِرِ المُقَدِّمِ ذِكْرَهُ ،  
ويكذبون النِّزَارِيَّةَ فِي قَوْلِهِمْ : إِنْ نِزَارًا خَرَجَ حَمَلًا فِي بَطْنٍ جَارِيَةٍ حَتَّى صَارَ إِلَى بِلَادِ  
الشَّرْقِ . ويقولون : إِنَّهُ مَاتَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ مَيِّتَةً ظَاهِرَةً . ويقولون : إِنَّهُ نَازِعُ  
الْحَقِّ أَهْلَهُ وَجَادِبُ (١) مِنْ حَيْثُ إِنْ الْحَقُّ فِي الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ كَانَ لِإِمَامِهِمْ  
المُسْتَعْلِيِّ بِاللَّهِ فَادَّعَاهُ لِنَفْسِهِ . ويقولون : إِنْ شِيعَتُهُ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَمُوَافَقَتُهُمْ  
فِي آعْتِقَادِهِمْ إِمَامَتَهُ خَطَأً . وَيَرَوْنَ مِنَ الضَّلَالِ أَتْبَاعَ الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ ذَاعِيَةِ نِزَارٍ  
وَالنَّاقِلِ عَنِ المُسْتَنْصِرِ النَّصِّ عَلَى إِمَامَتِهِ ، وَيَرَوْنَ الْكُفْرَ فِي جُمْلَةِ النِّزَارِيَّةِ مِنْ أَعْظَمِ  
الْأَضَالِيلِ ، لَا سِيَّما مَنْ كَانَ فِيهِمْ آخِرَ أَدْوَارِ الْأَئِمَّةِ الَّتِي هِيَ فِي كُلِّ دَوْرٍ سَبْعَةُ أَئِمَّةٍ ،  
عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي صَدْرِ الْكَلَامِ عَلَى أَصْلِ مَعْتَقَدِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ .

ثم هم يعظّمون رَاشِدَ الدِّينِ سِنَانَ : وَهُوَ رَجُلٌ كَانَ بِقِلَاعِ الدَّعْوَةِ بِأَعْمَالِ طَرَابُلُسَ  
مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ فِي زَمَنِ السُّلْطَانِ صَلاَحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، أَنْتَهَتْ  
رِيَاسَتُهُمْ إِلَيْهِ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَكَانَ رَجُلًا صَاحِبَ سِيْمَا ، فَأَرَاهُمْ بِهَا  
مَا أَضَلَّ بِهِ عُقُولَهُمْ : مِنْ تَحْمِيلِ أَشْخَاصٍ مَاتَ مِنْهُمْ عَلَى طَاعَةِ أَيْمَتِهِمْ فِي جَنَاتِ  
النَّعِيمِ ، وَأَشْخَاصٍ مَاتَ مِنْهُمْ عَلَى عِصْيَانِ أَيْمَتِهِمْ فِي النَّارِ وَالْجَحِيمِ ، فَثَبَّتَ ذَلِكَ

(١) بياض بالأصول ولعله : الخلافة ربها ، كما سيأتي نقلا عن التعريف .

عندهم واعتقدوه حقاً . ومن قدح في ذلك فقد دخل في أهل الضلال . ويقَدَحُون في ابن السلار المقدم ذكره ويسفّهون رأيه فيما كان منه : من إزالة الخطبة للفاطميّين وحطّ رأيهم الصّفراء والخطبة لبني العبّاس ورفع رأيهم السّوداء ، وما كان منه من الفعلة التي استولى بها على قصر الفاطميّين ومن فيه ، وأخذ أموالهم بعد موت العاضد .



وأما ما يختص به التّزاريّة ، فانهم يقولون : إنّ الأمر صار إلى نزار بعد أبيه المُستنصر على ما تقدّم ذكره ، وإن من جحد إمامته فقد أخطأ ، ويزعمون أنه خرج من الإسكندريّة حملاً في بطن أمة وخاض بلاد أعدائه الذين هم المُستعلويّة بمصر حتّى صار إلى بلاد الشرق . ويقولون : إن الأسم يغير الصورة بمعنى ؛ ويرون أن الطّعن على الحسن بن الصّباح المقدم ذكره فيما نقله عن المُستنصر من قوله : الإمامة بعدى في ولدى نزار من أعظم الآثام ، ويعظمون دلاء الدّين صاحب قلعة الموت ؛ وهى قلعة بالطّالقان بناها السلطان ملكشاه السّجوقيّ . وذلك أنه أرسل عقاباً فبرز في مكانها ؛ فلمّا وافى مكانها بنى فيه هذه القلعة وسمّاها الموت ، ومعناه تعليم العقاب .

وعلاء الدّين هذا هو ابن جلال الدّين الحسن الملقّب بالكيّا ، وهو من عقب الحسن بن الصّباح المقدم ذكره ، وكان أبوه جلال الدّين قد أظهر شعائر الإسلام ، وكتب بذلك إلى سائر بلاد الإسماعليّة بالعجم والشّام فأقيمت فيها ، ثم تُوفّي بقلعة الموت المذكورة في سنة ثمان عشرة وستمائة ، فاستولى ابنه علاء الدّين هذا على قلعة

(١) لعل الصواب « ويسفّهون رأى صلاح الدين يوسف بن أيوب » فانه هو الذى عمل ذلك العمل كما يشير إلى ذلك فى اليمن الآتى والا فابن السلار قتل فى زمن الظاهر .



ألموت المذكورة، وخالف رأى أبيه المذكور إلى مذهب التزارية، وصار رأساً من رؤوسهم، والتبرى منه عندهم من أشد الخطأ .

وأعلم أن أصل هذه الفرقة كانت بالبحرين في المائة الثانية وما بعدها، ومنهم كانت القرامطة الذين خرجوا من البحرين حينئذ، نسبة إلى رجل منهم اسمه قرمط، خرج فيهم وأدعى النبوة وأنه أنزل عليه كتاب، ثم ظهوروا بالمشرق "بأصبهان" : في أيام السلطان ملكشاه السلجوقي، واشتهروا هناك بالباطنية : لأنهم يبطنون خلاف ما يظهرون، وبالملاحدة : لأن مذهبهم كله إلحاد، ثم صاروا إلى الشام، ونزلوا فيما حول طرابلس، وأظهروا دعوتهم هناك، وإليهم تُنسب قلاع الإسماعيلية المعروفة بقلاع الدعوة، فيما حول طرابلس، كمصيايف، والحواري، والقدموس، وغيرها .

ولما افترقوا إلى المستعلوية وزارية كما تقدم، أخذ من منهم ببلاد المشرق بمذهب التزارية، عملاً بدعوة ابن الصباح المقدم ذكره، وأخذ من منهم بالشام بقلاع الإسماعيلية بمذهب المستعلوية، وصاروا شيعة لمن بعد المستعلى من خلفاء الفاطميين بمصر، واشتهروا باسم الفداوية، ووثبوا على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالشام مرات وهو راكب ليقتلوه فلم يتمكنوا منه . ثم صالحهم بعد ذلك على قلاعهم بأعمال طرابلس في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، ثم أُنتموا إلى ملوك مصر في أيام الظاهر بيبرس، واشتهروا باسم الفداوية لمفاداتهم بالمال على من يقتلونه . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" نقلاً عن مقدمهم : مبارك بن علوان : أن كل من ملك مصر كان مظهرًا لهم . ولذلك يرون إتلاف نفوسهم في طاعته : لما ينتقلون إليه من النعيم الأكبر في زعيمهم . ورأيت نحو ذلك في "أساس السياسة" لابن ظافر، وذكر أنهم يرون أن ملوك مصر كالنواب لأئمتهم : لقيامهم مقامهم .

أما أيمانهم التي يخلفون بها فقد قال في "التعريف" جرياً على معتقدهم المتقدم :  
 إن اليمين الجامعة لهم أن يقول : إني والله والله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ،  
 القادر القاهر ، الذي لا إله إلا هو ، وحق أئمة الحق ، وهداة الخلق ، عليّ وبنه أئمة  
 الظهور والخفاء ، وإلا برئت من صحيح الولاء ، وصدقت أهل الأباطيل ، وقمت  
 مع فرقة الضلال ، وانتصبت مع النواصب في تقرير المحال ، ولم أقل بانتقال الإمامة  
 إلى السيد الحسين ، ثم إلى بنه بالنص الجلي ، موصولة إلى جعفر الصادق ، ثم إلى  
 ابنه إسماعيل صاحب الدعوة الهادية ، والآخرة الباقية ، وإلا قدحت في القداح ،  
 وأثمت الداعي الأول ، وسعيت في اختلاف الناس عليه ، ومالأت على السيد  
 المهدي ، وخذلت الناس عن القائم ، ونقضت الدولة على المعز ، وأنكرت أن يوم  
 غد يرخم لأبعد في الأعياد ، وقلت : أن لا علم للأئمة بما يكون ، وخالفت من ادعى  
 لهم العلم بالحدثان ، ورمت آل بيت محمد بالعظام ، وقلت فيهم بالكبائر ، وواليت  
 أعداءهم ، وعاديت أولياءهم .

قال : ثم من هنا تزد التزارية : وإلا فحدث أن يكون الأمر صار إلى نزار ،  
 وأنه أتى حملاً في بطن جارية نخوفه خوض بلاد الأعداء ، وأن الأسم لم يغير  
 الصورة . وإلا طعنت على الحسن بن الصباح ، وبرئت من المولى علاء الدين  
 صاحب الأملوت ، ومن ناصر الدين سنان الملقب براشد الدين ، وكنت أول  
 المعتدين ، وقلت : إن مارووه كان من الأباطيل ، ودخأت في أهل الفرية  
 والأضاليل .

قال : وأما من سواهم من الإسماعيلية المنكرين لإمامة نزار ، فيقال لهم عوض  
 هذا : وإلا قلت : إن الأمر صار إلى نزار ، وصدقت القائلين أنه خرج حملاً في بطن

جارية، وأنكرت ميته الظاهرة بالإسكندرية، وأدعت أنه لم يَنَازِع الحقَّ أهله، ويجاذب الخلافة ربها، ووافقت شيعته، وتبع الحسن بن صباح، وكنت في النزارية آخر الأدوار.

قال : ثم يجمعهم آخر اليمين أن يُقال : وإلا قلتُ مقالة ابن السَّار في النِّفاق وسدَّدتُ رأى ابن أيُّوب، وألقيتُ بيدى الرأية الصِّفراء، ورفعتُ السوداء، وفعلتُ في أهل القصر تلك الفِعال، وتمحلتُ مثل ذلك المحال .

قلتُ : ما ذكره في " التعريف " فيما تُزادُه النزارية : « ومن ناصر الدين سنان الملقَّب براشد الدين » وهم : فإن سنانا المذكور إنما هو من إسماعيلية الشام الذين هم شيعة المستعلوية لا من الإسماعيلية النزارية الذين هم ببلاد المشرق ، على ما تقدَّم بيانه . فكان من حقه أن يلحق ذلك بيمين من سواهم من الإسماعيلية الذين هم المستعلوية . وكذلك قوله : ثم يجمعهم آخر اليمين أن يُقال : « وإلا قلتُ مقالة ابن السَّار في النِّفاق، وسدَّدتُ رأى ابن أيُّوب » إلى آخره، فإن ذلك مما يختص بالمستعلوية ، لأن ابن السَّار كان وزير الظاهر كما تقدَّم، والظاهر من جملة الخلفاء القائمين بمصر بعد المستعلي ، الذين خالفت النزارية في إمامتهم . وكذلك قضية ابن أيُّوب إنما كانت مع العاضد آخر خلفائهم بمصر، وكل ذلك مختص بإسماعيلية الشام الذين هم شيعة المستعلوية دون النزارية، وحينئذٍ فكان من حقه أن يقتصر في زيادة يمين النزارية على آخر « وبرئتُ من المولى علاء الدين صاحب الموت » ويزيد في يمين من سواهم من الإسماعيلية بعد قوله آخر الأدوار : « وإلا برئتُ من ناصر الدين سنان الملقَّب براشد الدين ، وكنتُ أول المعتدين، وقلتُ : إنَّ ما رآه كان من الأباطيل، ودخلتُ في أهل الفرية والأضاليل » ثم يقول بعد ذلك : « وإلا قلتُ

مقالة ابن السّار في النّفاق ، وسدّدت رأى ابن أيّوب ، وألقيت بيدي الرّاية الصّفرَاء ، ورفعت السّوداء ، وفعلت في أهل القصر تلك الفعّال ، وتمحّلت مثل ذلك المحال .

### الفرقة الرابعة

( من الشيعة الدرزية )

قال في " التعريف " : وهم أتباع أبي محمد الدرزي . قال في " التعريف " : وكان من أهل موالاة الحاكم أبي عليّ المنصور بن العزيز خليفة مصر . قال : وكانوا أولاً من الإسماعيلية ، ثم خرجوا عن كلّ ما تمحلّوه ، وهدموا كلّ ما أثّلوه ، وهم يقولون برجعة الحاكم ، وأن الألوهية انتهت إليه وتديرت ناسوته ، وهو يغيب ويظهر بهيئته ويقتل أعداءه قتل إبادة لامعاد بعده ، بل ينكرون المعاد من حيث هو ، ويقولون نحو قول الطبايعية : إن الطبايع هي المولدة ، والموت بفناء الحرارة الغريزية ، كأنطفاء السراج بفناء الزيت إلا من أعطي ، ويقولون : دهر دائم ، وعالم قائم ؛ أرحام تدفع ، وأرض تبلع ؛ بعد أن ذكر أنهم يستبيحون فروج المحارم وسائر الفروج المحرّمة ، وأنهم أشدّ كفراً ونفاقاً من النصيرية الآتي ذكرهم ، وأبعد من كلّ خير وأقرب إلى كلّ شر .

ثم قال : وأصل هذه الطائفة هم الذين زادوا في البسملة أيام الحاكم ، فكتبوا : باسم الحاكم الله الرحمن الرحيم ، فلما أنكر عليهم كتبوا : باسم الله الحاكم الرحمن الرحيم ، فجعلوا في الأول الله صفةً للحاكم ، وفي الثاني العكس . وذكر أن منهم أهل كسروان ومن جاورهم . ثم قال : وكان شيخنا ابن تيمية رحمه الله تعالى يرى

أَنَّ قِتَالَهُمْ وَقِتَالَ النَّصِيرِيَّةِ أَوْلَى مِنْ قِتَالِ الْأَرْمَنِ : لِأَنَّهُمْ عَدُوٌّ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَشَرٌّ بَقَائِهِمْ أَضَرُّ .

وقد رتب على هذا المعتقد أيمانهم في "التعريف" فقال : وهؤلاء أيمانهم .  
إِنِّي وَاللَّهِ وَحَقُّ الْحَاكِمِ ، وَمَا أَعْتَقَدُهُ فِي مَوْلَايَ الْحَاكِمِ ، وَمَا أَعْتَقَدُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ  
الدَّرَزِيُّ الْحِجَّةُ الْوَاضِحَةُ ، وَرَأَاهُ الدَّرَزِيُّ مِثْلَ الشَّمْسِ اللَّائِحَةِ ، وَإِلَّا قُلْتُ : إِنْ مَوْلَايَ  
الْحَاكِمُ مَاتَ وَبَلَى ، وَتَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُ وَفَنَى ، وَأَعْتَقَدْتُ تَبْدِيلَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ،  
وَعَوْدَ الرَّمَمِ بَعْدَ الْفَنَاءِ ، وَتَبِعْتُ كُلَّ جَاهِلٍ ، وَحَظَرْتُ عَلَى نَفْسِي مَا أُبَيِّحُ لِي ، وَعَمِلْتُ  
بِيَدِي عَلَى مَا فِيهِ فُسَادٌ بَدَنِي ، وَكَفَرْتُ بِالْبَيْعَةِ الْمَاخُودَةِ ، وَأَلْقَيْتُهَا وَرَأَيْتُ مَنبُودَهُ .

### الفرقة الخامسة

(من الشيعة النصيرية بضم النون وفتح الصاد المهملة)

قال في "إرشاد القاصد" : وهم أتباع نصير غلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه ، وهم يدعون ألوهية علي رضي الله عنه مغالاة فيه . قال الشهرستاني :  
[ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوون عن أصحاب مقالاتهم] <sup>(١)</sup> قال : وبينهم خلاف <sup>(٢)</sup>  
في كيفية إطلاق الألوهية على الأئمة [من أهل البيت] <sup>(١)</sup> واختلافهم راجع

(١) الزيادة من «الملل والنحل» للشهرستاني ص ١٠٩ .

(٢) بياض في الأصول مقدار ثلاثة أسطر .

ويزعمون أن مسكن على السحاب ، وإذا مرّ بهم السحاب قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن ، ويقولون : إن الرعد صوته ، والبرق ضحكك ، وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب ، ويقولون : إن سلمان الفارسي رسول الله ، وإن كشف الحجاب عما يقوله من أي كتاب بغير إذن ضلال ، ويحبون ابن ملجم قاتل على رضى الله عنه ، ويقولون : إنه خلص اللاهوت من الناسوت ، ويخطئون من ياعنه .

قال في ” التعريف “ : ولهم خطاب بينهم ، من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم ولا يذيعه ولو ضرب عنقه . قال : وقد جرب هذا كثيرا ، وهم ينكرون إنكاره .

قال في ” إرشاد القاصد “ : وهم يخفون مقاتلتهم ، ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم ، ويرون أنهم على الحق ، وأن مقاتلتهم مقالة أهل التحقيق ، ومن أنكر ذلك فقد أخطأ .

قال في ” التعريف “ : ولهم [ اعتقاد ] في تعظيم الخمر ، ويرون أنها من النور . ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر حتى استعظموا قلعها . ويزعمون أن الصديق وأمير المؤمنين عمر وأمير المؤمنين عثمان رضى الله عنهم تعدوا عليه ومنعوه حقه من الخلافة ، كما تعدى قابيل بن آدم عليه السلام على أخيه هابيل ، وكما اعتدى الثرود على الخليل عليه السلام ، وكما يقوم كل فرعون من الفراعنة على نبي من الأنبياء عليهم السلام .

قال في ” التعريف “ : وهي طائفة ملعونة مردولة مجوسية المعتقده ، لا تحرم البنات ولا الأخوات ولا الأمهات . قال : ويحكى عنهم في هذا حكايات .

وقد رتب في ” التعريف “ حليفهم على مقتضى هذا المعتقد ، فقال : وأيمانهم : إني وحق العلى الأعلى ، وما أعتقده في المظهر الأسنى ، وحق النور وما نشأ منه ،

(١) الضمير راجع الى ” على بن أبي طالب “ وان لم يذكر .

والسحاب وساكنيه . وإلا برئت من مولاي على العلي العظيم ، وولائي له ، ومظاهر الحق ، وكشفت حجاب سلمان بغير إذن ، وبرئت من دعوة الحجّة نصير ، وخضت مع الخائضين في لعنة ابن ملجم ، وكفرت بالخطاب ، وأذعت السر المصون ، وأنكرت دعوى أهل التحقيق ، وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى أجتث أصولها وأمنع سبيلها ، وكنت مع قابيل على هابيل ، ومع الثرود على إبراهيم ، وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه ، إلى أن ألقى العلي العظيم وهو على ساخط ، وأبرأ من قول قنبر ، وأقول : إنه بالنار ما تطهر .

### الطائفة الثالثة

( من أهل البدع القدرية )

وهم القائلون بأن لا قدر سابق ، وأن الأمر أنف : يعني مستأنفاً ، ولكنهم لما سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم « القدرية مجوس هذه الأمة » قلبوا الدليل وقالوا بموجب الحديث ، وقالوا : القدرية اسم لمن يقول بسبق القدر . ثم غلب عليهم اسم المعتزلة بواسطة أن وأصل بن عطاء أحد أئمتهم كان يقرأ على الحسن البصري فاعتزله بمسألة خالفه فيها . وهم يسمون أنفسهم أهل التوحيد [وأهل العدل] ويعنون بالتوحيد نفى الصفات القديمة عن الله تعالى : كالحياة والعلم والإرادة والقدرة ؛ وأنه تعالى حي بذاته ، [عالم بذاته] مرید بذاته ، قادر بذاته ، لا بحياة وعلم وإرادة وقدرة ؛ ويعنون بالعدل أنهم يقولون : إن العبد إنما يستحق الثواب والعقاب بفعله الطاعة والعصيان ، باعتبار أنه الخالق لأفعال نفسه دون الله تعالى ، تنزيهاً له تعالى عن أن يضاف إليه خلق الشر : من كفر ومعصية . وإذا كان العبد هو الخالق لأفعال نفسه الموجد لها فليس قدر سابق .

ولهم أئمة كثيرة ، لهم مصنّفات في الأصول والفروع : منهم وأصل بن عطاء ، وأبو الهذيل العلاف ، وإبراهيم النّظام ، وبشر بن المعتّم ، ومعمّر بن عبّاد ، وأبو عثمان الجاحظ ، [وأبو عليّ الجبائي] وابنه أبو هاشم ، وغيرهم . وعندهم أنّه لا قدر سابق بل الأمر أنف ، وأن الله تعالى إنما يخلق الأفعال والمشيّئة ، وأن العبد هو المكتسب لأفعاله كما تقدّم .

ومّن علّت رتبته فيهم الجعد بن درهم ، أجمع على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وأخذ عنه مروان مذهبَه في القول بالقدّر وخلق القراءان ، وعلّت رتبته عنده ، وبه سُمّي مروان المذكور الجعدي . وكانت له واقعة مع هشام بن عبد الملك ابن مروان . ويستعظمون الإيمان بالقدّر : خيره وشره ، ويتبرءون منه ، وينكرون القول بأنّ ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . ويقولون : إذا كان أمر مفروغ منه فقيم يسدّد الإنسان ويقارب ؟ . ويطعنون في رُواة حديث : « اَعْمَلُوا فكلّ ميسر لما خُلِقَ له » . ويتأولّون قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾ . ويستعظمون البراءة من اعتقادهم ، ولقاء الله تعالى على القول بأن الأمر غير أنف .

وقد رتب في "التعريف" أيّمانهم على هذا المعتقد ، فقال :

ويميّنهم : والله والله العظيم ذى الأمر الأنف ، خالق الأفعال والمشيّئة . وإلا قلت : بأن العبد غير مكتسب ، وأن الجعد بن درهم محقّب ، وقلت : إن هشام بن عبد الملك أصاب دماً حلالاً منه ، وإن مروان بن محمد كان ضالاً في أتباعه ، وآمنت بالقدّر خيره وشره ، وقلت : إن ما أصابني لم يكن ليخطئني

(١) الزيادة عن «خطط المقریزی» ج ٢ ص ٣٤٨ .



وما أخطأني لم يكن ليصيبني ، ولم أقل : إنه إذا كان أمرٌ قد فرغ منه فقيم أسدّد وأقارب ، ولم أظعن في رُواةٍ حديث « آعملوا فكلُّ ميسر لما خُلق له » ولم أتأوّل معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ . وبرئت مما أعتقد ، ولقيت الله وأنا أقول : إِنَّ الأمر غيرُ أنف . وبالله التوفيق والعصمة .

### المهيع الثاني

(في الأيمان التي يُخلف بها أهل الكفر ممن قد يُحتاج إلى تحليفه ،  
وهم على ضريين )

### الضرب الأول

(من زعم منهم التمسك بشريعة نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام ،  
وهم أصحاب ثلاث ملل )

### الملة الأولى

(اليهود )

وأشتقاقها من قولهم : هَادَ إذا رَجَعَ . ولزِمَها هذا الأسمُ من قولِ موسى عليه السلام : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي رَجَعْنَا وَتَضَرَّعْنَا . ومُتَحِلُّهَا الْيَهُودُ الْمُتَمَسِّكُونَ بشريعة موسى عليه السلام . قال السلطان عماد الدين صاحبُ حِمَاةٍ في تاريخه : وهم أعمُّ من بني إسرائيل : لأن كثيراً من أجناس العرب والروم وغيرهم قد دخلوا في اليهودية وليسوا من بني إسرائيل . وكتابهم الذي يتمسكون به "التوراة" وهو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام .

قال أبو جعفر النَّحَّاسُ، في "صناعة الكتاب": وهي مُشْتَقَّةٌ من قولهم: وَرَتْ نَارِي وَوَرَيْتُ، وأوريتها إذا أَسْتَخْرَجْتَ ضَوْءَهَا: لأنه قد أَسْتَخْرَجَ بها أَحْكَامَ شَرْعَةِ موسى عليه السلام، وكان النَّحَّاسُ يَجْنَحُ إلى أن لفظ التَّوراة عَرَبِيٌّ، والذي يظهر أنه عِبْرَانِيٌّ مُعَرَّبٌ: لأن لغة موسى عليه السلام كانت العِبْرَانِيَّةُ، فَنَاسَبَ أن تكون من لُغَتِهِ التي يفهمها قَوْمُهُ، قال الشَّهْرَسْتَانِيُّ في "النَّحْلِ وَالْمَلَلِ": وهي أولُ مُتَرَبِّ على بنى إِسْرَائِيلَ سُمِّيَ كِتَابًا، إِذْ مَاقَبَلَهَا مِنَ الْمَنْزِلِ إِنَّمَا كَانَ مَوَاعِظَ وَنَحْوَهَا. قال صَاحِبُ حَمَاة: وليس فيها ذِكْرُ الْقِيَامَةِ وَلَا الدَّارِ الْآخِرَةِ وَلَا بَعْثٍ وَلَا جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، وَكُلُّ وَعِيدٍ يَقَعُ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ بِمَجَازَاةٍ دُنْيَوِيَّةٍ، فَيُوعَدُونَ على مَجَازَاةِ الطَّاعَةِ بِالنَّصْرِ على الأَعْدَاءِ، وَطُولِ الْعُمُرِ، وَسَعَةِ الرِّزْقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ وَيُوعَدُونَ على الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ بِالمَوْتِ وَمَنْعِ الْقَطْرِ وَالْحُمَيَّاتِ وَالْحَرْبِ، وَأَن يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ بَدَلُ الْمَطَرِ الْغُبَارُ وَالظُّلْمَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، يَشْهَدُ لِمَا قَالَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيُظْلِمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾. الْآيَةُ، بِفَعْلِ الظُّلْمِ سَبَبًا لِلتَّحْرِيمِ. قال: وليس فيها أَيْضًا ذِمُّ الدُّنْيَا، وَلَا طَلَبُ الزُّهْدِ فِيهَا، وَلَا وَظِيفَةُ صَلَوَاتٍ مَعْلُومَةٍ، بَلْ فِي التَّورَةِ الْمَوْجُودَةُ بِأَيْدِيهِمُ الْآنَ نِسْبَةُ أُمُورٍ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْأَسْبَاطِ وَغَيْرِهِمْ لَا تَحِلُّ حِكَايَتُهَا.

وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّورَةَ على خَمْسَةِ أَصْفَارٍ:

أَوَّلُهَا — يَشْتَمِلُ على بَدْءِ الْخَلِيقَةِ وَالتَّارِيخِ مِنْ آدَمَ إِلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وِثَانِيهَا — فِيهِ اسْتِخْدَامُ الْمِصْرِيِّينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَظُهُورُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ، وَهَلَاكُ فِرْعَوْنَ، وَنَصَبُ قُبَّةِ الزَّمَانِ وَهِيَ قُبَّةُ [كَانَ يَنْزِلُ على مُوسَى فِيهَا الْوَحْيُ] وَأَحْوَالُ النَّبِيِّ، وَإِمَامَةُ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَنَزُولُ الْعَشْرِ كَلِمَاتٍ فِي الْأَلْوَاخِ

(١) بياض في الأصل والتصحيح مما سيأتى قريبا . انظر ص ٢٥٨ من هذا الجزء .

على موسى عليه السلام ، وهى شبه مختصر مما فى التوراة يشتمل على أوامر ونواهٍ وسماعُ القوم كلامَ الله تعالى . وقد أخبر الله تعالى عنها بقوله : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ . قال مجاهد : وكانت الألواح من زمردنة خضراء ، وقال ابن جبير : من ياقوتة حمراء ، وقال أبو العالبة : من زبرجد ، وقال الحسن : من خشب نزلت من السماء ، ويقال : إنها كانت لوحين . وإنما جاءت بلفظ الجمع : لأن الجمع قد يقع على الاثنين ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ والمراد أثنان .

وثالثها — فيه كيفية تقريب القرايين على سبيل الإجمال .

ورابعها — فيه عددُ القوم ، وتقسيمُ الأرض بينهم ، وأحوالُ الرسل الذين بعثهم موسى عليه السلام من الشام ، وأخبارُ المَنِّ والسَّلَوى والغَمام .

وخامسها — فيه أحكامُ التَّوراةِ بتفصيل الجمل ، وذكرُ وفاة هرون ثم موسى عليهما السلام ، وخلافةُ يوشع بن نون عليه السلام بعدهما .

ثم قد ذكر الشهرستانى وغيره أن فى التَّوراةِ البشارةَ بالمسيح عليه السلام ، ثم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ قد ورد ذكرُ المَشيحَا فى غير موضع ، وأنه يخرج واحدٌ فى آخر الزمان ، هو الكوكبُ المِضى الذى تُشرق الأرض بنوره . وغير خاف على ذى لب أن المراد بالمَشيحَا المسيح عليه السلام ، وأنَّ المراد بالذى يخرج فى آخر الزمان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بل ربما وقعت البشارة بهما جميعاً فى موضع واحد ، كما فى قوله : إن الله تعالى جاء من طور سيناء وظهر من ساعير وعلان بفاران .

(١) كذا فى الشهرستانى أيضا وفى معجم البلدان لياقوت : وأشرق من ساعير وأستعلن الخ .

وساعير هي جبال بيت المقدس حيث مظهر المسيح عليه السلام، وفاران جبال مكة حيث ظهر النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الشهرستاني : وما كانت الأسرار الإلهية ، والأنوار الربانية ، في الوحي والتزيل ، [ والمناجاة والتأويل ] <sup>(١)</sup> على ثلاث مراتب : مبدأً ووسط وكال ، وكان المحيى أشبه شئاً بالمبدأ ، والظهور أشبه بالوسط ، والعلن أشبه بالكال ، عبر في التوراة عن ظهور صبح الشريعة <sup>(١)</sup> [ والتزيل ] <sup>(١)</sup> بالمحيى [ على طور سيناء ] <sup>(١)</sup> ، وعن طلوع شمسها بالظهور <sup>(١)</sup> [ على ساعير ] ، وعن بلوغ درجة الكمال [ والاستواء ] بالعلن <sup>(١)</sup> [ على فاران ] ، وقد عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه في التوراة حق المعرفة : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . وقد ذكر المفسرون عن ابن عباس رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما ألقى الألواح عند رجوعه إلى قومه ، تكسرت فلم يبق منها إلا سُدُسُها . ويروى أن التوراة كانت سبعين وسقاً <sup>(٢)</sup> بعيرٍ وأنها رُفِعَ منها سِتَّةُ أسباعِها وبقي السبع ، ففي الذي بقي الهدى والرحمة ، وفي الذي رُفِعَ تفصيل كل شئ .

وليعلم أن اليهود قد آفترقوا على طوائف كثيرة ، المشهور منها طائفتان :

### الطائفة الأولى

( المتفق على يهوديتهم ، وهم القراءون )

<sup>(٣)</sup> وهم وإن كانوا فرقتين ، فإنهم كالفرقة الواحدة ، إذ توراتهم واحدة ، ولا خلاف في أصل اليهودية بينهم . وقد اتفق الجميع على استخراج ستمائة وثلاث عشرة

(١) الزيادة عن « الملل والنحل » للشهرستاني ( ص ١٢٥ ) .

(٢) بياض بأصله .

(٣) أي قرائين وربانيين بدليل ما يأتي .

فَرِيضَةً مِنَ التَّوْرَةِ يَتَعَبَّدُونَ بِهَا . ثُمَّ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ وَيُوشَعَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى نُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : وَهُوَ إِسْرَائِيلُ ، وَالْأَسْبَاطُ : وَهُمْ بَنُوهُ الْاِثْنَا عَشَرَ الْآتِي ذَكَرَهُمْ آخَرًا . وَهُمْ يَنْفَرِدُونَ عَنِ الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ الْآتِي ذَكَرَهَا : وَهِيَ السَّامِرَةُ بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَاءَ غَيْرِ مُوسَى وَهَارُونَ وَيُوشَعَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَيَنْقَلِبُونَ عَنْ يُوشَعَ تِسْعَةَ عَشَرَ كِتَابًا زِيَادَةً عَلَى التَّوْرَةِ يَعْبَرُونَ عَنْهَا بِالنُّبَوَاتِ تَعْرِفُ بِالْأَوَّلِ .

ثُمَّ الرَّبَّانِيُّونَ يَنْفَرِدُونَ عَنِ الْقَرَّائِينَ بِشُرُوحِ مَوْضُوعَةٍ لِفَرَايِضِ التَّوْرَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ ، وَضَعَهَا أَحْبَابُهُمْ ، وَتَفْرِيغَاتٍ عَلَى التَّوْرَةِ يَنْقَلِبُونَهَا عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَيَتَّفِقُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْقَرَّاءُونَ عَلَى أَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي صَلَاتِهِمْ ، وَيُوجِّهُونَ لَهَا مَوْتَاهُمْ ، وَعَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ : وَهُوَ جَبَلٌ فِي رَأْسِ بَحْرِ الْقُلْزَمِ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ عَلَى رَأْسِ جَزِيرَةٍ فِي آخِرِهِ ، دَاخِلٌ بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ يَكْتَنِفَانِهِ .

وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي أَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا — الْقَوْلُ بِالظَّاهِرِ وَالْجُنُوحِ إِلَى التَّأْوِيلِ . فَالْقَرَّاءُونَ يَقِفُونَ مَعَ ظَوَاهِرِ نُصُوصِ التَّوْرَةِ ، فَيَحْمِلُونَ مَا وَقَعَ فِيهَا مَنْسُوبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى : مِنْ ذِكْرِ الصُّورَةِ ، وَالتَّكْلِمْ ، وَالْأَسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَالتَّنْزِيلِ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ عَلَى ظَوَاهِرِهِ ، كَمَا تَقُولُهُ الظَّاهِرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَنْجَرُّونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ ، وَالْقَوْلِ بِالْجِهَةِ . وَالرَّبَّانِيُّونَ يَذْهَبُونَ إِلَى تَأْوِيلِ مَا وَقَعَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، كَمَا تَفْعَلُ الْأَشْعَرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

الثاني — القولُ بالقَدَر . فالرَّبَّانِيُّونَ يقولون بأن لا قَدَرَ سَابِقَ وأن الأمرَ أُنْفُ كما تقوله القَدَرِيَّةُ من المسلمين . والقَرَاءُونَ يقولون بسابق القَدَر كما تقوله الأشْعَرِيَّةُ . أما ما عدا ذلك فكلَّ الفريقين يقولون : إن الله تعالى قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ وَاحِدٌ قَادِرٌ ، وإنه تعالى بعث مُوسَى بِالْحَقِّ ، وَشَدَّ أَرْزَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ . وَيَعْظُمُونَ التَّوْرَةَ الَّتِي هِيَ كِتَابُهُمْ أَتَمَّ التَّعْظِيمِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُقْسِمُونَ بِهَا كَمَا يُقْسِمُ الْمُسْلِمُونَ بِالْقُرْآنِ ، وَكَذَلِكَ الْعَشْرُ كَلِمَاتُ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَلْوَحِ الْجَوْهَرِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا مُحْتَضَرَةٌ فِي التَّوْرَةِ ، مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَوَامِرَ وَنَوَاهٍ وَسَمَاعٍ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُمْ يَحْلِفُونَ بِهَا كَمَا يَحْلِفُونَ بِالتَّوْرَةِ ، وَيَعْظُمُونَ قُبَّةَ الزَّمَانِ وَمَا حَوَتْهُ : وَهِيَ الْقُبَّةُ الَّتِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى فِيهَا الْوَحْيُ .

وَمِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ عِنْدَهُمْ تَعَبُّدُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ لِعَنِمَا اللَّهُ . ( وَكَانَ اسْمُ فِرْعَوْنَ مُوسَى فِيمَا ذَكَرَهُ الْمَفْسُرُونَ الْوَلِيدَ بْنِ مُصْعَبٍ ، وَقِيلَ : مُصْعَبُ بْنُ الرَّيَّانِ . وَآخْتَلَفَ فِيهِ : فَقِيلَ كَانَ مِنَ الْعِمَالِقَةِ . وَقِيلَ مِنَ النَّبْطِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : كَانَ فَارِسِيًّا وَهَامَانُ وَزِيرُهُ ) وَالتَّبَرَّى مِنْ إِسْرَائِيلَ ( وَهُوَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ) وَمَعْنَى إِسْرَائِيلَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمَفْسُرُونَ «عَبْدُ اللَّهِ» كَانَ «إِسْرًا» عَبْدًا ، وَ«إِيل» اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبْرَانِيَةِ . وَقِيلَ : إِسْرًا مِنَ السَّرِّ ، وَكَانَ إِسْرَائِيلَ هُوَ الَّذِي شَدَّدَهُ اللَّهُ وَأَتَقَنَ خَلْقَهُ .

وَمِنْ أَعْظَمِ الْعِظَائِمِ عِنْدَهُمُ الْإِخْذُ بِدِينِ النَّصْرَانِيَةِ ، وَتَصْدِيقُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي دَعْوَاهَا أَنَّهَا حَمَلَتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمْسَسَهَا بَشَرٌ ، وَيَرْمُونَهَا بِأَنَّهَا حَمَلَتْ مِنْ يُوسُفَ النَّجَّارِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَقَارِبِهَا كَانَ يُخْدِمُ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ مَعَهَا ، وَيَرُونَ تَبَرُّتَهَا مِنْ ذَلِكَ جَرِيرَةً تُقْتَرَفُ .

وَيَسْتَعْظُمُونَ الْوُقُوعَ فِي أُمُورٍ :

(١) لَعَلَّهُ مِنَ الْأَسْرِ كَمَا يَفِيدُهُ مَا بَعْدَهُ .

منها - القول بإنكار خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام وسماعه له .

ومنها - تعمُّدُ طُورِ سَيْنَاءَ الذى كَلَّمَ اللهُ تعالى موسى عليه بالقادُورات ، ورمى صخرة بيت المقدس التى هى قبلتهم بالنجاسة ، ومشاركةُ مجتَنَصِرٍ فى هدم بيت المقدس وقتل بنى إسرائيل ، وإلقاء العذرة على مظان أسفار التوراة .

ومنها - الشرب من النهر الذى آبتلى به قوم طالوت ملك بنى إسرائيل ، والميل إلى جالوت ملك الكنعانيين : وهو الذى قتله داود عليه السلام ، ومفارقة شيعه طالوت الذين قاموا معه على جالوت . وذلك أنه لما رفعت التوراة وتسَلَطَ على بنى إسرائيل عدوهم من الكنعانيين الذين ملكهم جالوت ، كانت النبوة حينئذٍ فيهم في شمعون ، وقيل في شمويل ، وقيل في يوشع بن نون ، فقالوا له : إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ، فقال لهم ما أخبر الله تعالى به : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ ولم يكن من سبط الملك ، إذ كان الملك من سبط معروف عندهم ، فقيل : كان سقاءً ، وقيل : كان دباغاً ، فأنكروا ملكه عليهم ، وقالوا كما أخبر الله تعالى : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ الآية ، فلما فصل طالوت بالجنود أراد الله تعالى أن يريه من يطيعه في القتال ممن يعصيه ، فسَلَطَ عليهم العطش وأبتلاهم بنهر من حولهم ، قيل : هو نهر فلسطين ، وقيل : نهر بين الأردن وفلسطين ، فقال لهم طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ إلى قوله : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ .

ومنها - إنكار الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إليهم : وهم موسى وهرون ويوشع ومن بعدهم : من أنبيائهم عليهم السلام ، ومن قبلهم : من إبراهيم وإسحق ويعقوب صلوات الله عليهم ، والأسباط الاثني عشر الآتى ذكرهم ، والدلالة على دانيال

النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قُتِلَ ، وَإِخْبَارُ فِرْعَوْنَ بِمَصْرَ بِمَكَانِ إِرْمِيَاءَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
عِنْدَ اخْتِفَائِهِ بِهَا ، وَالْقِيَامُ مَعَ الْبَغِيِّ وَالْفَوَاحِشِ يَوْمَ يَحْيَىٰ بَنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ  
فِي الْمُسَاعَدَةِ عَلَيْهِ .

وَمِنْهَا - الْقَوْلُ أَنَّ النَّارَ الَّتِي أَضَاءَتْ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شَجَرَةِ الْعُوسَجِ بِالطَّرِيقِ  
عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنْ مَدْيَنَ حَتَّى قَصَدَهَا وَكَانَتْ وَسِيلَةً إِلَى كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ نَارُ إِفْكٍ  
لَا وَجُودَ لَهَا ، وَكَذَلِكَ أَخَذَ الطَّرِيقَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَى مَدْيَنَ فَأَرَا  
مِنْ فِرْعَوْنَ ، وَالْقَوْلُ فِي بَنَاتِ شُعَيْبٍ اللَّاتِي سَقَى لَهْنُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعِظَائِمِ  
وَرَمَيْتُ بِالْقَيْحِ .

وَمِنْهَا - الْإِجْلَابُ مَعَ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْقِيَامُ مَعَهُمْ فِي غَلَبَتِهِ ،  
وَالْتَّبَرُّ مِنَ آمَنَ مِنْهُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَمِنْهَا - قَوْلُ مَنْ قَالَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : اللَّهُاقَ اللَّهُاقَ : لِنُدْرِكَ مِنْ فَرٍّ : مِنْ مُوسَى  
وَقَوْمِهِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ  
فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ .

وَمِنْهَا - الْإِشَارَةُ بِتَخْلِيفِ تَابُوتٍ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمِصْرَ حِينَ أَرَادَ مُوسَى عَلَيْهِ  
السَّلَامُ نَقْلَهُ إِلَى الشَّامِ لِيُدْفِنَهُ عِنْدَ آبَائِهِ : إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : وَذَلِكَ أَنَّهُمْ  
جَعَلُوا تَابُوتَهُ فِي أَحَدِ شِقَى النَّيْلِ فَأَخْصَبَ وَأَجْدَبَ الْجَانِبُ الْآخَرُ ، فَحَوَّلُوهُ إِلَى الْجَانِبِ  
الْآخَرِ فَأَخْصَبَ ذَلِكَ الْجَانِبُ وَأَجْدَبَ الْجَانِبُ الْأَوَّلُ ، فَجَعَلُوهُ وَسَطَ النَّيْلِ فَأَخْصَبَ  
جَانِبَاهُ جَمِيعًا ، إِلَى أَنْ كَانَ زَمَنُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَضَرَبَ النَّيْلَ بِعَصَاهُ فَأَنْفَلَقَ عَنِ  
التَّابُوتِ . فَأَخَذَ فِي نَقْلِهِ إِلَى الشَّامِ لِيُدْفِنَهُ عِنْدَ آبَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ . فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِبَقَائِهِ بِمِصْرَ  
فَوَقَعَ فِي مَحْظُورٍ لِمُخَالَفَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يُرِيدُهُ .



ومنها - التَّسْلِيمُ لِلسَّامِرِيِّ وَتَصْدِيقُهُ عَلَى الْحَوَادِثِ الَّتِي أَحْدَثَهَا فِي الْيَهُودِيَّةِ عَلَى مَا سَأَتَى ذِكْرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى السَّامِرَةِ فِي الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْيَهُودِ .

ومنها - نُزُولُ أَرِيحَا : مَدِينَةِ الْجَبَّارِينَ مِنْ بِلَادِ فِلَسْطِينَ .

ومنها - الرِّضَا بِفِعْلِ سَكْنَةِ سَدُومَ مِنْ بِلَادِ فِلَسْطِينَ أَيْضًا وَهُمْ قَوْمُ لُوطَ .

ومنها - مَخَالَفَةُ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ الَّتِي وَرَدَ [ الْحَثُّ ] فِيهَا عَلَيْهَا .

ومنها - اسْتِبَاحَةُ السَّبْتِ بِالْعَمَلِ فِيهِ وَالْعَدْوِ فِيهِ : إِذَا اسْتَبَاحَتْهُ عِنْدَهُمْ تُوجِبُ هَدْرَ دَمٍ مُسْتَبِيحِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُسِيخٌ مِنْ مُسِيخٍ بِاسْتِبَاحَتِهِ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .

ومنها - إِنْكَارُ عِيدِ الْمِظْلَةِ وَهُوَ [ سَبْعَةُ أَيَّامٍ أَوَّلُهَا الْخَامِسُ عَشَرَ مِنْ تَشْرِى ] وَعِيدُ الْحَنْكَةِ وَهُوَ [ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ يَوْقِدُونَ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مِنْ لَيَالِيهِ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِمْ <sup>(١)</sup> سَرَاجًا وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ سَرَاجِينَ وَهَكَذَا حَتَّى يَكُونَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّامِنَةِ ثَمَانِيَةَ سَرَجٍ ] وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَعْيَادِهِمْ .

ومنها - الْقَوْلُ بِالْبَدَاءِ عَلَى اللَّهِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَهُوَ أَنْ يَحْطُرَ لَهُ غَيْرُ الْخَاطِرِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ تَعَالَى مُنْزَهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَرَتَّبُوا عَلَيْهِ مَنَعَ نَسْخِ الشَّرَائِعِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ النَّسْخَ يَسْتَلْزِمُ الْبَدَاءَ ، وَهُوَ مِمَّا أَتَّفَقَ كَافَّةُ الْيَهُودِ عَلَى مَنَعِهِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَوَّلًا .

ومنها - اِعْتِقَادُ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْمَوْعُودُ بِهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الْمَذْكُورَ بَلْفَظِ الْمَسِيحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ .

ومنها - الْإِنْتِقَالُ مِنْ دِينِ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى مَا سِوَاهَا مِنَ الْأَدْيَانِ ، إِذْ عِنْدَهُمْ أَنَّ شَرِيعَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الْإِبْتِدَاءُ ، وَبِهَا وَقَعَ الْإِخْتِمَامُ <sup>(٢)</sup> .

(١) بياض بالأصول والتصحيح من ج ٢ ص ٤٢٦ و ٤٢٨ من هذا المطبوع

(٢) هو عين ما بعده في المعنى .

ومنها - الانتقال من اليهودية إلى ما عداها من الأديان : كالإسلام والنصرانية وغيرهما ، فإنه يكون بمثابة المرتد عند المسلمين .

ومنها - استباحة لحم الجمل : فإنه محرم عندهم ، ومن استباحه فقد ارتكب محظوراً عظيماً عندهم ، وقد دخل ذلك في عموم قوله تعالى إخباراً بما حرم عليهم : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ . يعنى ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل وما فى معناها .

ومنها - استباحة أكل الشحم خلا شحم الظهر ، وهو ما عدا فإنه مباح لهم ، وعن ذلك أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِم شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ .

ومنها - استباحة أكل الحوايا . قال ابن عباس وغيره : هى المباغر . وقال أبو عبيدة : هى ما تحوى من البطن أى استدار ، والمراد شحم الثرب . وكذلك استباحة ما اختلط من الشحم بعظم وهو شحم الآلية ، وعنه أخبر تعالى بقوله : ﴿ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ عطفًا على الشحوم المحرمة . على أن بعض المفسرين قد عطف قوله تعالى : ﴿ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ على المستثنى فى قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ . فحمله على الاستباحة ، والموافق لما يدعونه الأول ، ويرون أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لم يحرم علينا شئ إنما حرم إسرائيل على نفسه الثرب وشحم الآلية فنحن نحرمه ، فنزلت . على أن اليهود القرائين والربانيين يحملونها فيبيعونها ويأكلون ثمنها ، ويتأولون أن أكل ثمنها غير آكل منها ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ ! حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا ثَمَنَهَا » والسامرة مخالفون فى ذلك ، ويقولون بتحريم الثمن أيضاً ، على ما سأتى ذكره .

وليعلم أن القرائين والربانيين يحرمون من الذبيحة كل ما كانت ريشته ملتصقة بقلبه أو بصلعه ، والسامرة لا يحرمون ذلك .

(١)

ومنها - مقالة أهل بابل في إبراهيم عليه السلام ، وهي قولهم ... .. .

ومنها - أن يحرم الأخبار الذين هم علماءهم على الواحد منهم ، بمعنى أنهم يمنعونهم من مباحاتهم في المأكول والمشرب والنكاح وغير ذلك حُرمةً يجمعون عليها ، وتؤكد بقلب حصر الكائنات عليها ؛ إذ من عادتهم أنهم إذا حرّموا على شخص وأرادوا التشديد عليه قبلوا حصر الكائنات عند ذلك التحريم تغليظاً على المحرم عليه .

ومنها - الرجوع إلى التيه بعد الخروج منه ، فإنهم إنما خرجوا إليه عند سُخْطِ الله تعالى عليهم بخالفة موسى عليه السلام عند امتناعهم عما أمرُوا به من قتال الجبارين ، كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قال المفسرون : وكان تيمهم ستة فراسخ في أربعة فراسخ ، يمشون كل يوم ويبيتون حيث يصبحون ، فأمر الله تعالى موسى عليه السلام فضرب الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وكانوا اثني عشر سبطاً لكل سبط عين ، فإذا أخذوا حاجتهم من الماء احتبس وحملوا الحجر معهم ، وكانت ثيابهم فيما يروى لا تُحرق ولا تُتدَس ، وتطول كلما طال الصبيان .

ومنها - تحريم المن والسلوى الذي آمن الله تعالى عليهم به كما أخبر بذلك بقوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ ويقال إنه الترنجيب . وقال ابن عباس : والمراد بالمن الذي يسقط على الشجر وهو معروف . قال قتادة : كان المن يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كسقوط الثلج ، فيأخذ

(١) بياض بالأصول ولعله « انه لمن الظالمين في تكسير أصنامهم » .

الرجل منهم ما يكفيه ليومه ، فان أخذ أكثر من ذلك فسد . وأما السلوى ، فقيل :  
هى طائر كالثماني ، وقال الضحّاك : هى السمانى نفسها ، وقال قتادة : هو طائر إلى  
الحجرة كانت تحشره عليهم الجنوب .

ومنها - التبرؤ من الأسباط : وهم أولاد يعقوب عليهم السلام ، وعددهم اثنا عشر  
سبطاً : وهم يوسف ، وبنيامين ، ونفتالى ، وروبيئيل ، ويهوذا ، وشمعون ، ولاوى ،  
ودان ، وزبولون ، ويشجر ، وجاد ، وأشر ، ومنهم تفرع جميع نبي إسرائيل ولد كل  
منهم أمة من الناس . وسموا أسباطاً أخذاً من السبط وهو التابع ، إذ هم جماعة  
متتابعون . وقيل : من السبط وهو الشجر ، فالسبط الجماعة الراجعون إلى  
أصل واحد .

ومنها - القعود عن حرب الجبارين مع القدرة على حربهم : وذلك أنهم أمروا  
بدخول الأرض المقدسة : وهى بيت المقدس فيما قاله ابن عباس والسدى وغيرهما ،  
والشام فيما قاله قتادة ، ودمشق وفلسطين وبعض الأردن فيما قاله الزجاج ، وأرض  
الطور فيما قاله مجاهد ، وكان فيها قوم جبارون من العالقة كما أخبر الله تعالى ، والجبار  
هو المتعظم المتنع من الذل والقهر أخذاً من الإجبار : وهو الإكراه كأنه يجبر غيره  
على ما يريد .

قال ابن عباس : لما بعث موسى عليه السلام من قومه اثني عشر نقيباً ليخبروه  
خبرهم ، رآهم رجل من الجبارين فأخذهم فى كمينه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه  
وجاء بهم إلى الملك فنثرهم بين يديه ، وقال : إن هؤلاء يريدون قتالنا ، وكان من  
أمرهم ما قصه الله تعالى فى كتابه بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا

(١) كذا فى الكشاف للزمخشري (ج ١ ص ٣٨٠) وفى الأصل « نفتاى » .

(٢) فى الأصل : ربولى ، والتصحيح من الخطيب الشربيني (ج ٢ ص ٩١) .

الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . فكان في قعودهم عن حرب الجبارين مع القدرة والنشاط مخالفة لما أُمرُوا به .

وقد رتب في "التعريف" أيمان اليهود على هذا المقتضى، فقال : ويمينهم .

إِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ ، الْقَدِيمِ الْأَزَلِيِّ الْفَرْدِ الصَّمَدِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْمُدْرِكِ الْمُهْلِكِ ، بَاعِثِ مُوسَى بِالْحَقِّ ، وَشَادَّ أَزْرِهِ بِأَخِيهِ هَارُونَ ، وَحَقَّ التَّوْرَةِ الْمَكْرَمَةِ وَمَا فِيهَا وَمَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَحَقَّ الْعَشْرِ كَلِمَاتِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى مُوسَى فِي الصُّحُفِ الْجَوْهَرِ ، وَمَا حَوَتْهُ قُبَّةُ الزَّمَانِ ، وَإِلَّا تَعَبَّدْتُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ، وَبَرِئْتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَدِنْتُ بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَصَدَّقْتُ مَرْيَمَ فِي دَعْوَاهَا ، وَبَرَأْتُ يُوسُفَ النَّجَّارَ ، وَأَنْكَرْتُ الْخَطَابَ ، وَتَعَمَّدْتُ الطُّورَ بِالْقَادُورَاتِ ، وَرَمَيْتُ الصَّخْرَةَ بِالنَّجَاسَةِ ، وَشَرَكْتُ بِمُحْتَضَرِّ فِي هَدْمِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَقَتْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَلْقَيْتُ الْعَذْرَةَ عَلَى مَظَانِّ الْأَسْفَارِ ، وَكُنْتُ مِمَّنْ شَرِبَ مِنَ النَّهْرِ وَمَالَ إِلَى جَالُوتَ ، وَفَارَقْتُ شِيعَةَ طَالُوتَ ، وَأَنْكَرْتُ الْأَنْبِيَاءَ ، وَدَلَلْتُ عَلَى دَانِيَالَ ، وَأَعْلَمْتُ جَبَّارَ مِصْرَ بِمَكَانِ إِرْمِيَاءَ ، وَكُنْتُ مَعَ الْبَغِيِّ وَالْفَوَاحِشِ يَوْمَ يَحْيَى ، وَقُلْتُ : إِنْ النَّارُ الْمُضِيئَةُ مِنْ شَجَرَةِ الْعَوْسَجِ نَارُ إِفْكٍ ، وَأَخَذْتُ الطَّرِيقَ عَلَى مَدْيَنَ ، وَقُلْتُ بِالْعِظَائِمِ فِي بَنَاتِ شُعَيْبَ ، وَأَجَلَبْتُ مَعَ السَّحَرَةِ عَلَى مُوسَى ، ثُمَّ بَرِئْتُ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ مَعَ مَنْ قَالَ : اللَّهُمَّ الْخَاقِ

لُنْدِرِكَ مِنْ قَرٍّ، وَأَشْرَتْ بِتَخْلِيفِ تَابُوتِ يَوْسُفَ فِي مِصْرَ، وَسَلَّمَتْ إِلَى السَّامِرِيِّ،  
وَنَزَلَتْ أَرِيحَا مَدِينَةَ الْجَبَّارِينَ، وَرَضِيَتْ بِفِعْلِ سَكَنَةِ سَدُومَ، وَخَالَفَتْ أَحْكَامَ  
التَّوْرَةِ، وَأَسْتَبَحَّتْ السَّبْتَ وَعَدَوْتُ فِيهِ، وَقُلْتُ إِنَّ الْمِظْلَمَةَ ضَالَالٌ، وَإِنَّ الْحَنَكَةَ  
مُحَالٌ، وَقُلْتُ بِالْبَدَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَحْكَامِ، وَأَجَزْتُ نَسْخَ الشَّرَائِعِ، وَأَعْتَقَدْتُ  
أَنَّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْمَسِيحَ الْمَوْعُودَ بِهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَأَنْتَقَلْتُ عَنْ  
اليهودية إِلَى سِوَاهَا مِنَ الْأَدْيَانِ، وَأَسْتَبَحْتُ لَحْمَ الْجَمَلِ وَالشَّحْمَ وَالْحَوَايَا أَوْ مَا آخِلَطَ  
بَعْضُهُمْ، وَتَأَوَّلْتُ أَنَّ آكَلَ ثَمَنِهِ غَيْرُ آكَلِهِ، وَقُلْتُ مَقَالَةَ أَهْلِ بَابِلَ فِي إِبْرَاهِيمَ،  
وَأَلَّا أَكُونَ مُحَرَّمًا حُرْمَةً تُجْمَعُ عَلَيْهَا الْأَخْبَارُ، وَتُقَلَّبُ عَلَيْهَا حُصُرُ الْكَثَائِسِ، وَرُدِدْتُ  
إِلَى التَّيِّهِ، وَحُرِمْتُ الْمَنِّ وَالسَّلَوى، وَبَرِئْتُ مِنْ كُلِّ الْأَسْبَاطِ، وَقَعَدْتُ عَنْ حَرْبِ  
الْجَبَّارِينَ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالنَّشَاطِ.

قُلْتُ : قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْيَمِينِ فِي حُرْمَةِ الشَّحْمِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ : وَتَأَوَّلْتُ أَنَّ آكَلَ ثَمَنِهِ  
غَيْرُ آكَلِهِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَسْتَعْظَمُ الْوُقُوعَ فِي تَأَوُّلِ ذَلِكَ، وَهُوَ خِلَافُ مُعْتَقَدِهِمْ : لِأَنَّهُمْ  
يَتَأَوَّلُونَ أَنَّ آكَلَ ثَمَنِهِ غَيْرُ آكَلِهِ كَمَا تَقَدَّمَ عَنْهُمْ، وَإِنَّمَا تَمْنَعُ ذَلِكَ السَّامِرَةُ، فَكَانَ  
مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُورِدَ ذَلِكَ فِي يَمِينِ السَّامِرَةِ وَأَنْ يَقُولَ هُنَا : وَلَمْ أَتَأَوَّلْ أَنَّ آكَلَ ثَمَنِهِ  
غَيْرُ آكَلِهِ فَتَنَبَهَ لَذَلِكَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَا أَسْتَحْدِثْتُ هَذِهِ الْإِيمَانَ لِأَهْلِ دِينِ الْيَهُودِيَّةِ فِيمَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ  
عَمْرِ الْمَدَائِنِيِّ فِي كِتَابِ " الْقَلَمِ وَالذَّوَاةِ " فِي زَمَنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَزَيْرِ الرَّشِيدِ،  
أَحَدَهُمَا كَاتِبٌ لَهُ قَالَ لَهُ : كَيْفَ تُحَلِّفُ الْيَهُودِيَّ قَالَ : أَقُولُ لَهُ : وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنْ  
إِلَهِكَ الَّذِي لَا تَعْبُدُ غَيْرَهُ وَلَا تَدِينُ إِلَّا لَهُ، وَرَغِبْتَ عَنْ دِينِكَ الَّذِي آرْتَضَيْتَهُ،  
وَجَحَدْتَ التَّوْرَةَ وَقُلْتَ : إِنَّ حِمَارَ الْعَزِيرِ رَاكِبٌ جَمَلُ مُوسَى، وَلَعَنَكَ ثَمَانُ مَائَةِ

حَبْرٍ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَمَسَخَكَ اللَّهُ كَمَا مَسَخَ أَصْحَابَ السَّبْتِ ،  
 فَعَمِلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ، وَخَالَفَتْ مَا دَوَّنَهُ دَانِيَالُ وَأَشْلُومَا وَيُوحَنَّا ،  
 وَلَقِيَتْ اللَّهُ بِدَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، وَهَدَمَتِ الطُّورَ صَخْرَةً صَخْرَةً ، وَضَرَبَتْ بِالنَّاقُوسِ  
 فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَتَبَرَأَ مِنْكَ الْأَسْبَاطُ وَأَبَاؤُهُمْ : إِسْرَائِيلُ ، وَإِسْحَاقُ ، وَإِبْرَاهِيمُ ،  
 وَغَمَسَتْ لَحْيَةَ الْجَاثَلِ فِي مَعْمُودِيَّةِ النَّصَارَى ، وَأَنْقَلَبَتْ عَنِ السَّبْتِ إِلَى الْأَحَدِ ،  
 وَإِلَّا قَدَّرَ اللَّهُ لَكَ أَنْ تَلْقَى الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَصَيَّرَ اللَّهُ طَعَامَكَ لَحْمَ  
 الْخَنَازِيرِ وَكُرُوشَ الْجَمَالِ وَمِعَدَ الْخَنَازِيرِ ، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ بُحْتَنَصَرَ ثَانِيَةً  
 يَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ وَيَسِّي الدَّرِيَّةَ وَيُجَرِّبُ الْمَدَائِنَ ، وَأَرَاكَ اللَّهُ الْأَيْدِيَّ الَّتِي تَبَالُ الرُّكْبَ  
 مِنْ قَبِيلِ الْأَسْبَاطِ ، وَآخَذَكَ اللَّهُ بِكُلِّ لِسَانٍ جَحَدْتَهُ وَبِكُلِّ آيَةٍ حَرَّقَهَا ، وَقَلْتَ  
 فِي مُوسَى الزُّورَ ، وَإِنَّهُ فِي مَحَلِّ ثُبُورٍ ، وَفِي دَارِ غُرُورٍ ، وَجَحَدْتَ إِهْيَا أَشْرَ إِهْيَا<sup>(١)</sup>  
 أَصْبُوتَ آلَ شَدَّاءَ . وَهَذِهِ الْيَمِينُ لِأَزْمَةٍ لَكَ وَلِبَنِيكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قُلْتُ : هَذِهِ الْيَمِينُ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْتِّشْدِيدِ ، إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ : وَآخَذَكَ اللَّهُ بِكُلِّ  
 لِسَانٍ جَحَدْتَهُ وَبِكُلِّ آيَةٍ حَرَّقَهَا غَيْرُ مَنَاسِبٍ لِتَحْلِيْفِهِمْ : لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنْ لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ  
 فِي الْجَحْدِ وَلَا يَعْتَرِفُونَ بِالتَّحْرِيفِ بَلْ يُنْكِرُونَهُ . عَلَى أَنْ أَكْثَرَهَا غَيْرُ مُتَوَارِدٍ عَلَى الْيَمِينِ  
 الَّتِي أَوْرَدَهَا فِي "التَّعْرِيفِ" : فَلَوْ أَلْحَقَهَا بِهَا مُلْحَقٌ فِي آخِرِهَا عَلَى صِيغَةِ الْيَمِينِ الْأُولَى  
 مِنْ إِيْرَادِهَا بِصِيغَةِ التَّكْلِمْ ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنْ إِلَهِي الَّذِي لَا أَعْبُدُ  
 غَيْرَهُ وَلَا أَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَإِلَّا رَغِبْتُ عَنْ دِينِي الَّذِي آرْتَضِيْتُهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فِي الْبَاقِي ،  
 لَكَانَ حَسَنًا .

(١) هكذا ضبطها في القاموس ، ثم قال : ويقولون إهيا شراها وهو خطأ ، على ما يزعّمه أحبار اليهود .

## الطائفة الثانية

(من اليهود السامرة)

وهم أتباع السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله في سورة الأعراف :  
 ﴿ وَأَضَاهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ . قال بعض المفسرين : وأسمه موسى بن ظفر، وكان أصله  
 من قوم يعبدون البقر فرأى جبريل عليه السلام مرة وقد جاء إلى موسى راكباً على  
 فرس الحية ، فأخذ قبضة من تراب من تحت حافر فرسه . وكان بنو إسرائيل  
 قد خرجوا معهم حلي [ استعاروه ] من القبط ، فأمرهم هرون أن يحفروا حفرة  
 ويلقوا فيها ذلك الحلي حتى يأتي موسى فيرى فيه رأيه ، فجمعوا ذلك الحلي كله  
 وألقوه في تلك الحفرة ، فبأ السامري فألقى ذلك التراب عليه ، وقال له : كن عجلاً  
 جسداً له خوار ، فصار كذلك . قال الحسن : صار حيواناً لحمياً ودماً . وقيل :  
 بل صار يخور ولم تنقلب عينه . فقال لهم السامري : هذا إلهكم وإله موسى ،  
 فعكفوا على عبادته ، ونهاهم هرون فلم ينتهوا <sup>(١)</sup> . وحرق العجل وذراه في اليم  
 كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَأَنْظِرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً  
 لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ . فأمروا بقتل أنفسهم كما أخبر تعالى بقوله :  
 ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ الآية . فقتل منهم سبعون ألفاً ثم رُفِعَ عنهم  
 القتل بعد ذلك .

وقد اختلف في السامرة : هل هم من اليهود أم لا ؟ والقراءون والربانيون  
 ينكرون كون السامرة من اليهود . وقد قال أصحابنا الشافعية رحمهم الله : إنهم إن  
 وافقت أصولهم أصول اليهود فهم منهم حتى يقرؤوا بالحزبية وإلا فلا .

(١) بياض بالأصل ولعله "بجاء موسى وحرق الخ" .



ثم السامرة لهم توراۃ تختصهم غير التوراة التي بيد القرائين والربانيين ، والتوراۃ التي بيد النصاري ؛ وهم ينفردون عن القرائين والربانيين بإنكار نبوة من بعد موسى ما عدا هرون ويوشع عليهما السلام ، ويخالفونهم أيضا في استقبال صخرة بيت المقدس ، ويستقبلون طور نابلس ويوجهون إليه موتاهم ، زاعمين أنه الذي كلم الله تعالى موسى عليه ، ويزعمون أن الله تعالى أمر داود عليه السلام ببناء بيت المقدس عليه ، يخالف وبناءه بالقدس : قاتلهم الله ألى يؤفكون . وهم قائلون أيضا : إن الله تعالى هو خالق الخلق البارئ لهم ، وإنه قادر قاهر قديم أزلي . ويوافقون على نبوة موسى وهرون عليهما السلام ، وأن الله تعالى أنزل عليه التوراة ، إلا أن لهم توراۃ تخصهم تخالف توراۃ القرائين والربانيين المتقدمة الذكر ، وأنه أنزل عليه أيضا الألواح الجوهر المتضمنة للعشر كلمات المتقدمة الذكر ، ويقولون أن الله تعالى هو الذي أنقذ بني إسرائيل من فرعون ونجّاهم من الغرق ، ويقولون : إنه نصب طور نابلس المقدم ذكره قبلة للتعبّد .

ويستعظمون الكفر بالتوراة التي هم يعترفون بها ، والتبرّي من موسى عليه السلام دون غيره من بني إسرائيل ، ويعظمون طورهم طور نابلس المقدم ذكره ، ويستعظمون دكه وقلع آثار البيت الذي عمر به ، ويستعظمون استباحة السبب كغيرهم من اليهود ، ويوافقون القرائين في الوقوف مع ظواهر نصوص التوراة ؛ ويمنعون القول بالتأويل الذاهب إليه الربانيون من اليهود ؛ وينكرون صحة توراۃ القرائين والربانيين ، ويجعلون الاعتماد على توراتهم ؛ ويقولون : لا ميساس : بمعنى أنه لا يمس أحدا ولا يمسه . قال في "الكشاف" : كان إذا مس أحدا أو مسه أحد حصلت الحمى للباس والمسوس . وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام للسامري ﴿ أَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾

(١) وَيُحَرِّمُونَ مِنَ الذَّبَائِحِ ، وَيَحَرِّمُونَ أَكْلَ اللَّحْمِ مُخْتَلَطًا بِلَبَنٍ ، زَاعِمِينَ أَنَّ  
فِي تَوْرَاتِهِمُ النَّهْيَ عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْجَدْيِ بِلَبَنٍ أُمِّهِ ، وَيَسْتَعْظِمُونَ السَّعْيَ إِلَى الْخُرُوجِ  
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حُرِّمَ عَلَيْهِمْ سُكُوتُهَا وَهِيَ مَدِينَةُ أَرِيحَا .

وَمَنْ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَهُمْ وَطُءُ الْمَرْأَةِ الْحَائِضِ ، وَالنَّوْمُ مَعَهَا فِي مَضْجَعٍ وَاحِدٍ ،  
لَا سِمْيًا إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَبِيحًا لَهُ . وَمَنْ أَعْظَمَ الْعِظَائِمِ عِنْدَهُمْ إِنْكَارُ خِلَافَةِ هَارُونَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْأَنْفَةُ مِنْ كَوْنِهَا .

وَقَدْ رَتَّبَ فِي "التعريف" : يَمَيِّنُهُمْ عَلَى مُقْتَضَى ذَلِكَ ، فَذَكَرَ أَنَّ يَمَيِّنُهُمْ :

إِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ ، الْبَارِيُّ ، الْقَادِرُ ، الْقَاهِرُ ، الْقَدِيمُ ، الْأَزَلِيُّ ، رَبُّ  
مُوسَى وَهَارُونَ ، مُنْزِلُ التَّوْرَةِ وَالْأَلْوَابِ الْجَوْهَرِ ، مُنْقِذُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَنَاصِبِ الطُّورِ  
قَبْلَةَ الْمُتَعَبِّدِينَ . وَإِلَّا كَفَرْتُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ ، وَبَرِئْتُ مِنْ نُبُوَّةِ مُوسَى ، وَقُلْتُ : إِنَّ  
الْإِمَامَةَ فِي غَيْرِ بَنِي هَارُونَ ، وَدَكَيْتُ الطُّورَ ، وَقُلْتُ بِيَدِي أَثَرُ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ،  
وَأَسْتَبِيحُ حُرْمَةَ السَّبْتِ ، وَقُلْتُ بِالتَّأْوِيلِ فِي الدِّينِ ، وَأَقْرَرْتُ بِصَحَّةِ تَوْرَةِ الْيَهُودِ ،  
وَأَنْكَرْتُ الْقَوْلَ بِأَنَّ لَا مَسَاسَ ، وَلَمْ أَتَجَنَّبْ شَيْئًا مِنَ الذَّبَائِحِ ، وَأَكَلْتُ الْجَدْيَ بِلَبَنٍ  
أُمِّهِ ، وَسَعَيْتُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْأَرْضِ الْمَحْظُورِ عَلَى سَكْنِهَا ، وَأَتَيْتُ النِّسَاءَ الْحَيَّضَ  
زَمَانَ الطَّمْتِ مُسْتَبِيحًا لَهُنَّ ، وَبِتُّ مَعَهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ كَافِرٍ بِخِلَافَةِ  
هَارُونَ ، وَأَنْفَتُ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ .

## الفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ

(مَنْ تَدْعُو الضَّرُورَةَ إِلَى تَحْلِيفِهِ - النَّصْرَانِيَّةُ)

وقد اختلف في اشتقاقها، ف قيل : أخذًا من قول المسيح للحواريين : « مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ » وقول الحواريين : « نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ » . وقيل : من نزوله هو وأمه - بعد عودها به من مصر - بالناصرة : وهي قرية من بلاد فلسطين من الشام : وقيل غير ذلك .

والتصاري - هم أمة عيسى عليه السلام ، وكتابهم الإنجيل . وقد اختلف في اشتقاقه على ثلاثة مذاهب حكاه أبو جعفر النحاس في «صناعة الكتاب» :  
أحدها - أنه مأخوذ من قولهم : نجلت الشيء إذا أخرجته ، بمعنى أنه خرج به دأرس من الحق .

والثاني - أنه مأخوذ من قولهم : تناجل القوم إذا تنازعوا ، لأنه لم يقع في كتاب من الكتب المنزلة [مثل] التنازع الواقع فيه . قاله أبو عمرو الشيباني .  
والثالث - أنه مأخوذ من النجل بمعنى الأصل : لأنه أصل العلم الذي أطاع الله تعالى فيه خليفته عليه ، ومنه قيل للوالد نجل : لأنه أصل لولده .

ثم ذكر هذه الاشتقاقات جنوح من قائلها إلى أن لفظ الإنجيل عبري ، والذي يظهر أنه عبراني : لأن لغة عيسى عليه السلام كانت العبرانية ، وقد قال صاحب «إرشاد الفاصد» : إن معنى الإنجيل عندهم البشارة .

وأعلم أن النصاري بجملةهم مجمعون على أن مريم حملت بالمسيح عليه السلام ، وولدت له بيت لحم من بلاد القدس من الشام ، وتكلم في المهد ، وأن اليهود حين

أنكروا على مَرِيَمَ عليها السلام ذلك فَرَّتْ بالمسيح عليه السلام إلى مِصْرَ ، ثم عادت به إلى الشام ، وعمره اثنتا عشرة سنة ، فنزلت به القرية المسماة ناصرة المقدم ذكرها ، وأنه في آخر أمره قبض عليه اليهود وسعوا به إلى عامل قيصر ملك الروم على الشام ، فقتله وصلبه يوم الجمعة ، وأقام على الخشبة ثلاث ساعات ، ثم أستوهبه رجل من أقارب مَرِيَمَ اسمه يوسف النجار من عامل قيصر ، ودفنه في قبر كان أعدّه لنفسه في مكان الكنيسة المعروفة الآن بالقمامة بالقدس ، وأنه مكث في قبره ليلة السبت ونهار السبت وليلة الأحد ، ثم قام من صبيحة يوم الأحد ، ثم رآه بطرس الحواري وأوصى إليه ، وأن أمه جمعت له الحواريين فبعثهم رسلاً إلى الأفطار للدعاية إلى دينه ، وهم في الأصل اثنا عشر حوارياً : بطرس ويقال له : سمعان ، وشمعون الصفا أيضاً . وأندراوس وهو أخو بطرس المقدم ذكره ، ويعقوب بن زبدي ، ويوحنا الإنجيلي ، وهو أخو أندراوس ، وفيلبس ، وبرتلوماوس ، وتوما : ويعرف بتوما الرسول ، ومتى ويعرف بمتي العشار ، ويعقوب بن حلفا ، وسمعان القناني ويقال له شمعون أيضاً ، وبولس ويقال له تداوس ، وكان اسمه في اليهودية شاول ، ويهوذا الاسخريوطي (وهو الذي دلَّ يهود على المسيح حتى قبضوا عليه بزعمهم) وقام مقامه بنيامين ، ويقولون : إنه بعد أن بعث من بعث من الحواريين صعد إلى السماء . وهم متفقون على أن أربعة من الحواريين تصدّوا لكتابة الإنجيل : وهم بطرس ، ومتى ، ولوقا ، ويوحنا<sup>(١)</sup> . فكتبوا فيه سيرة المسيح من حين ولادته إلى حين رفعه ، وكتب كل منهم نسخة على ترتيب خاص بلغة من اللغات .

(١) سيأتي قريباً كما في "العبر" (ج ٢ ص ١٤٧) أن يوحنا الإنجيلي أخو يعقوب بن زبدي وكذلك في "المقرزي" ج ٢ ص ٤٨٣ .

(٢) كذا في "الملل والنحل" أيضاً ولكن لم يرد في الحواريين المذكورين قبل هذا الاسم .

فكتب بطرس إنجيله باللغة الرومية في مدينة رومية قاعدة بلاد الروم، ونسبه إلى تلميذه مرقس أول بطاركة الإسكندرية، ولذلك يعرف بمرقس الإنجيلي، وقيل : إن الذي كتبه مرقس نفسه . وكتب متى إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس ، ونقله بعد ذلك يوحنا بن زبدي إلى اللغة الرومية . وكتب لوقا إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض أكابر الروم، وقيل : بل كتبه باليونانية بمدينة الإسكندرية . وكتب يوحنا إنجيله باليونانية بمدينة أفسس، وقيل مدينة رومية .

قال الشهرستاني : وخاتمة إنجيل متى : « إني أرسلكم إلى الأمم كما أرسلني أبي إليكم فاذهبوا وأدعوا الأمم باسم الأب والابن وروح القدس » ثم اجتمع برومية من توجه إليها من الحواريين ودونوا قوانين دين النصرانية على يد أقليمش تلميذ بطرس الحواري ، وكتبوا عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بمقتضاها ، وهي عدة كتب : منها الأناجيل الأربعة المتقدمة الذكر ، والتوراة التي بأيديهم ، وجملة كتب من كتب الأنبياء الذين قبل المسيح عليه السلام ، كيوشع بن نون ، وأيوب ، وداود ، وسليمان عليهم السلام ، وغيرهم .

ثم لما مات الحواريون أقام النصارى لهم خلايف ، عبر عنهم بالبطاركة جمع بطرك ، وهي كلمة يونانية مركبة من لفظين ، أحدهما بطر ومعناه ، والثانية يرك ومعناه ، ورأيت في ترسل العلاء بن موصلايا : كاتب القائم بأمر الله العباسي "فطرک" ببدال الباء فاء ، والعامية يقولون : "بترك" ببدال الطاء تاء ، وهو عندهم خليفة المسيح ، والقائم بالدين فيهم .

(١) في المقرئ ص ٤٨٣ ج ٢ "قليموس" وفي العبرج ٢ ص ١٤٨ "أقليمطس" .

(٢) بياض بالأصول ، وكذلك بيض له فيما تقدم عند الكلام على ألقاب وظائف النصارى انظر (ج ٥ ص ٤٧٣) من هذا المطبوع .

وقد كان لبطاركتهم في القديم خمسة كراسي<sup>(١)</sup>، لكل كُرسى منها بطرك . الأول منها بمدينة رومية، والقائم به خليفة بطرس الحواري المتوجه إليها بالإشارة . والثاني بمدينة الإسكندرية . والقائم به خليفة مرقس تلميذ بطرس الحواري المقدم ذكره وخليفته بها . والثالث بمدينة زنطية : وهي القسطنطينية . والرابع بمدينة أنطاكية من العواصم التي هي في مقابلة حاب الآن . والخامس بالقدس . وكان أكبر هذه الكراسي الخمسة كُرسى رومية لكونه محل خلافة بطرس الحواري ، ثم كُرسى الإسكندرية ، لكونه كُرسى مرقس خليفته .

ثم أصطلحوا بعد ذلك على أسماء وضعوها على أرباب وظائف دياناتهم ، فعبهروا عن صاحب المذهب بالطريق ، وعن نائب البطريرك بالأسقف ، وقيل الأسقف عندهم بمنزلة المفتي ، وعن القاضي بالمطران ، وعن القارئ بالقسيس ، وعن صاحب الصلاة وهو الإمام بالحنليق ، وعن قيم الكنيسة بالشماس ، وعن المنقطع إلى المولى للعبادة بالراهب .

وكانت الأساقفة يُسمون البطريرك أبا ، والقُسُوسُ يسمون الأسقف أبا ، فوقع الاشتراك عندهم في اسم الأب ، فوقع اللبس عليهم ، فاخترعوا لبطرك الإسكندرية اسم الباب ، ويقال فيه البابا بزيادة ألف ، والبابا بإبدال الألف هاء ، ومعناه عندهم أبو الآباء : لتمييز البطريرك عن الأسقف ، فاشتهر بهذا الاسم ، ثم نقل اسم الباب إلى بطرك رومية لكونه خليفة بطرس الحواري ، وبقي اسم البطريرك على بطرك الإسكندرية وغيره من أصحاب الكراسي .

(١) تقدم في (ج ٥ ص ٤٧٣) من هذا المطبوع أنها أربعة ولم يذكر كُرسى زنطية .

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصَارَى مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ بِالْجَوْهَرِ ثَلَاثَةٌ بِالْأَقْنُومِيَّةِ ؛  
وَيُفَسِّرُونَ الْجَوْهَرَ بِالذَّاتِ وَالْأَقْنُومِيَّةَ بِالصِّفَاتِ : كَالْوُجُودِ وَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ ؛  
وَيَعْبُرُونَ عَنِ الذَّاتِ مَعَ الْوُجُودِ بِالْأَبِ ، وَعَنِ الذَّاتِ مَعَ الْعِلْمِ بِالْأَبْنِ ؛ وَيَعْبُرُونَ  
عَنِ الذَّاتِ مَعَ الْحَيَاةِ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؛ وَيَعْبُرُونَ عَنِ الْإِلَهِ بِاللَّاهُوتِ ، وَعَنِ الْإِنْسَانِ  
بِالنَّاسُوتِ ؛ وَيُطْلِقُونَ الْعِلْمَ عَلَى الْكَلِمَةِ الَّتِي أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَحَمَلَتْ  
مِنْهَا بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَيُخَصُّوْنَهُ بِالْإِتِّحَادِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَقَانِيمِ .

وَأَجْتَمَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِيَةٌ عَشَرَ ، وَقِيلَ وَسَبْعَةٌ عَشَرَ أُسْقِفًا مِنْ أَسَاقِفَتِهِمْ بِمَدِينَةِ  
نِيقِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ بِحَضْرَةِ قُسْطَنْطِينَ مَلِكِ الرُّومِ عِنْدَ ظَهْوَرِ أَرِيُوشِ الْأُسْقُفِ  
وَقَوْلِهِ : إِنَّ الْمَسِيحَ مَخْلُوقٌ ، وَإِنَّ الْقَدِيمَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَلْفُوا عَقِيدَةً آسَتْخَرَجُوهَا  
مِنْ أُنَاجِيلِهِمْ لَقَبُوهَا بِالْأَمَانَةِ ، مِنْ نَخَرَجَ عَنْهَا نَخَرَجَ عَنِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ؛ وَنَصَّهَا عَلَى  
مَا ذَكَرَهُ الشَّهْرَسْتَانِي فِي "النَّحْلِ وَالْمِلَلِ" وَأَبْنُ الْعَمِيدِ مُؤَرِّخُ النَّصَارَى فِي تَارِيخِهِ  
مَا صُوِّرَتْهُ .

نُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَبِ ، مَا لِكِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَصَانِعِ مَا يَرَى وَمَا لَا يَرَى ، وَبِالْأَبْنِ  
الْوَاحِدِ أَيْشُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ ؛ بِكِرِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا ، وَلَيْسَ بِمَصْنُوعٍ ؛ إِلَهُ حَقٌّ مِنْ  
[ إِلَهٍ حَقٍّ مِنْ ] جَوْهَرِ أَبِيهِ الَّذِي بِيَدِهِ أُتْقِنَتِ الْعَوَالِمُ وَكُلُّ شَيْءٍ ، الَّذِي مِنْ أَجْلِنَا  
و [ مِنْ ] أَجْلِ خَلَاصِنَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَتَجَسَّدَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَوُلِدَ مِنْ مَرْيَمَ  
الْبَتُولِ ، وَصُلِبَ أَيَّامَ فِيلَاطُوسَ ، وَدُفِنَ ثُمَّ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ ،  
وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ أَبِيهِ ، وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِلْجِيءِ تَارَةً أُخْرَى لِلْقَضَاءِ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ

(١) الذي في "الملل والنحل" للشهرستاني (ص ١٣٢) وثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً . وفي "العبر"  
ج ٢ ص ١٥٠ أنهم كانوا ألفين وأربعين أسقفًا واتفقوا منهم على ثلثمائة وثمانية عشر .

(٢) الزيادة من العبر (ج ٢ ص ١٥٠) .

والأحياء . وَتُؤْمِنُ بِرُوحِ الْقُدُسِ الْوَاحِدِ الْحَيِّ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْ أَيْمِهِ ، وَبِمَعْمُودِيَّةٍ  
وَاحِدَةٍ لَغُفْرَانِ الْخَطَايَا ، وَبِجَمَاعَةِ [ وَاحِدَةٍ ] قُدْسِيَّةٍ مَسِيحِيَّةٍ جَانَلِيْقِيَّةٍ ، وَبِقِيَامِ  
أَبْدَانِنَا ، وَبِالْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ أَبَدَ الْآبِدِينَ .

وَوَضَعُوا مَعَهَا قَوَانِينَ لِشَرَائِعِهِمْ سَمَّوْهَا الْهَيَانُوتَ <sup>(١)</sup> . ثُمَّ أَجْتَمَعَ مِنْهُمْ جَمْعٌ  
بِقُسْطَنْطِينِيَّةٍ عِنْدَ دَعْوَى مَقْدُونِيُوسِ الْمَعْرُوفِ بِعُدُوِّ رُوحِ الْقُدُسِ ، وَقَوْلِهِ : إِنْ رُوحَ  
الْقُدُسِ مَخْلُوقٌ ، وَزَادُوا فِي الْأَمَانَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرَ مَانَصَهُ : «وَتُؤْمِنُ بِرُوحِ الْقُدُسِ  
الْحَيِّ الْمُنْتَبِئِ مِنَ الْآبِ» وَلَعَنُوا مَنْ يَزِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى كَلَامِ الْأَمَانَةِ أَوْ يَنْقُصُ مِنْهَا .  
وَأَفْتَرَقَ النَّصَارَى بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى فِرَقٍ كَثِيرَةٍ ، الْمَشْهُورُ مِنْهَا ثَلَاثُ فِرَقٍ :

### الفِرْقَةُ الْأُولَى ( الْمَلَكَانِيَّةُ )

قَالَ الشَّهْرَسْتَانِيُّ : وَهْمُ أَتْبَاعِ مَلَكَانَ الَّذِي ظَهَرَ بِبِلَادِ الرُّومِ ، وَمَقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ  
مَنْسُوبُونَ إِلَى مَلَكَانَ صَاحِبِ مَذْهَبِهِمْ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْمَصْنُفَاتِ أَنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ  
إِلَى مَرْكَانٍ قَيْصَرَ أَحَدِ قِيَاصِرَةِ الرُّومِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِنُصْرَةِ مَذْهَبِهِمْ ، فَقِيلَ  
لَهُمْ مَرْكَانِيَّةٌ ، ثُمَّ عُرِّبَ مَلَكَانِيَّةٌ ، وَمُعْتَقَدُهُمْ أَنَّ جُزْءًا مِنَ اللَّاهُوتِ حَلَّ فِي النَّاسُوتِ ،  
ذَاهِبِينَ إِلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ وَهِيَ أَقْنُومُ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ اتَّحَدَتْ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ وَتَدَرَّعَتْ بِنَاسُوتِهِ  
وَمَازَجَتْهُ مُمَازَجَةُ الْخَمْرِ [ اللَّبَنِ ] أَوْ الْمَاءِ اللَّبَنِ ، وَلَا يَسْمُونَ الْعِلْمَ قَبْلَ تَدَرُّعِهِ آبْنًا ،  
بَلِ الْمَسِيحُ وَمَا تَدَرَّعَ بِهِ هُوَ الْآبْنُ ، وَيَقُولُونَ : إِنْ الْجَوْهَرُ غَيْرُ الْأَقَانِيمِ كَمَا فِي الْمَوْصُوفِ  
وَالصِّفَةِ ، مَصْرَحِينَ بِالتَّثْلِيثِ ، قَائِلِينَ بِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْآبِ وَالْآبْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ إِلَهُ ،  
وَالْيَهُمُ وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ» .

(١) فِي "الْعَبْر" : الْهَيَايُونَ .



وهم يقولون : إن المسيح قديم أزلي من قديم أزلي ، وإن مريم ولدت إلهًا أزليًا ، فيطلقون الأبوة والبُنة على الله تعالى وعلى المسيح حقيقةً ، متمسكين بظاهر ما يزعمون أنه وقع في الإنجيل من ذكر الأب والابن : « تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً » .

ثم هم يقولون : إن المسيح ناسوتٌ كُلي لا جزئي ، وإن القتل والصليب وقعا على الناسوت والآهوت معاً كما نقله الشهرستاني في « النحل والملل » وإن كان الشيخ شمس الدين بن الأکفاني في كتابه « إرشاد القاصد » قد وهم فنقل عنهم القول بأن الصليب وقع على الناسوت دون الآهوت .

ومن معتقدهم أيضاً أن المعاد والحشري يكون بالأبدان والأرواح جميعاً ، كما تضمنته الأمانة المتقدمة ، وأن في الآخرة التلذذات الجسمانية بالأكل والشرب والنكاح وغير ذلك كما يقوله المسلمون .

ومن فروعهم أنهم لا يختنون ، وربما أكل بعضهم الميتة . ومن تذهب بمذهب الملكانية الروم والفرنجية ومن والاهم .

والملكانية يدينون بطاعة الباب : وهو بطرك رومية المقدم ذكره ، قال في « الروض المعطار » : من قاعدة الباب أنه إذا اجتمع به ملك من ملوك النصارى ينطح على بطنه بين يديه ، ولا يزال يقبل رجله حتى يكون هو الذي يأمره بالقيام .

## الفِرقة الثانية (اليعقوبية)

وهم أتباع ديسقرس بطرك الإسكندرية في القديم : وهو الثامن من بطاركتها من حين بطركية مرقس الإنجيلي نائب بطرس الحواري بها . قال ابن العميد في تاريخه : وسمي أهل مذهبه يعقوبية : لأن اسمه كان في الغلمانية يعقوب . وقيل : بل كان له تلميذ اسمه يعقوب فنسبوا إليه . وقيل : بل كان شاوירش بطرك أنطاكية على رأي ديسقرس ، وكان له غلام اسمه يعقوب فكان يبعثه إلى أصحابه : أن أثبتوا على أمانة ديسقرس فنسبوا إليه . وقيل : بل نسبوا إلى يعقوب البردغاني تلميذ سويرس بطرك أنطاكية ، وكان راهباً بالقسطنطينية فكان يطوف في البلاد ويدعو إلى مذهب ديسقرس . قال ابن العميد : وليس كذلك فإن اليعاقبة ينسبون إلى ديسقرس قبل ذلك بكثير ، ومعتقدهم أن الكلمة أنقلب لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح .

ثم منهم من قال إن المسيح هو الله تعالى . قال المؤيد صاحب حماة : ويقولون مع ذلك إنه قتل وصلب ومات وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر . ومنهم من يقول : ظهر اللاهوت بالناسوت ، فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة ، بل صار هو هو ، كما يقال : ظهر الملك بصورة إنسان ، وظهر الشيطان بصورة حيوان ، وكما أخبر التنزيل عن جبريل عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ فَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ .

وأكثرهم يقول : إن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين ، وربما قالوا : طبيعة واحدة من طبيعتين . فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث ترجباً تركباً

النَّفْسَ وَالْبَدَنَ فَصَارَا جَوْهَرًا وَاحِدًا أَقْنُومًا وَاحِدًا وَهُوَ إِنْسَانٌ كُلُّهُ وَإِلَهُ كُلُّهُ ، فيقال :  
الْإِنْسَانُ صَارَ إِلَهًا وَلَا يَنْعَكُسُ ، فلا يقال : الإلهُ صَارَ إِنْسَانًا ، كَالْفَحْمَةِ تُطْرَحُ  
فِي النَّارِ فيقال : صَارَتِ الْفَحْمَةُ نَارًا ، ولا يقال : صَارَتِ النَّارُ فَحْمَةً ، وهى فى الحقيقة  
لَا نَارٌ مُطْلَقَةً وَلَا فَحْمَةٌ مُطْلَقَةً ، بل هى جمره .

ويقولون : إِنَّ الْكَلِمَةَ اتَّحَدَتْ بِالْإِنْسَانِ الْجُزْئِيِّ لَا الْكُلِّيِّ ، وَرَبَّمَا عَبَّرُوا عَنْ  
الْإِتِّحَادِ بِالْأَمْتِرَاجِ وَالْأَدْرَاعِ وَالْحُلُولِ ، كَحُلُولِ صُورَةِ الْإِنْسَانِ فِي الْمِرَاةِ .

ومنهم من يقول : إِنَّ الْكَلِمَةَ لَمْ تَأْخُذْ مِنْ مَرِّمٍ شَيْئًا لَكِنَّمَا مَرَّتْ بِهَا كَمُرُورِ  
الْمَاءِ بِالْمِيزَابِ ، وَإِنَّ مَا ظَهَرَ مِنْ شَخْصِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَعْيُنِ هُوَ كَالْخِيَالِ  
وَالصُّوَرَةِ فِي الْمِرَاةِ ، وَإِنَّ الْقَتْلَ وَالصَّلْبَ إِنَّمَا وَقَعَا عَلَى الْخِيَالِ .

وزعم آخرون منهم أَنَّ الْكَلِمَةَ كَانَتْ تُدَاخِلُ جَسَدَ الْمَسِيحِ أَحْيَانًا فَتَصْدُرُ عَنْهُ  
الْآيَاتُ : مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ ، وَتَفَارِقُهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ  
فَتَرِدُّ عَلَيْهِ الْآلَامُ وَالْأَوْجَاعُ . ثم هم يقولون : إِنَّ الْمَعَادَ إِنَّمَا هُوَ رُوحَانِيٌّ فِيهِ لَذَّةٌ  
وَرَاحَةٌ وَسُرُورٌ ، وَلَا أَكْلٌ وَلَا شُرْبٌ وَلَا نِكَاحٌ .

ومن فروعهم أَنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ ، وَلَا يَأْكُلُونَ الْحَيَوَانَ إِلَّا بَعْدَ التَّذَكِّيَةِ . وقد حكى  
أَبْنُ الْعَمِيدِ مَوْرِخُ النَّصَارَى أَنَّ دِيَسْقَرَسَ صَاحِبَ مَذْهَبِ الْيَعْقُوبِيَّةِ حِينَ ذَهَبَ  
إِلَى مَا ذَهَبَ : مِنْ مَذْهَبِهِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، رُفِعَ أَمْرُهُ إِلَى مَرْكَانَ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ  
يَوْمَئِذٍ ، فَطَلَبَهُ إِلَى مَدِينَةِ خَلْقِدُونِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ ، وَجَمَعَ لَهُ سِتْمَائَةً وَأَرْبَعَةً وَثَلَاثِينَ  
أُسْقُفًا ، وَنَاطَرُوهُ بِحُضْرَةِ الْمَلِكِ فَسَقَطَ فِي الْمُنَاطَرَةِ ، فَكَلَّمَتْهُ زَوْجَةُ الْمَلِكِ فَأَسَاءَ الرَّدَّ  
فَلَطَمَتْهُ بِيَدِهَا ، وَتَنَاوَلَهُ الْحَاضِرُونَ بِالضَّرْبِ ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ ، فَسَارَ إِلَى الْقُدْسِ ،

(١) كذا فى "العبر" أيضا باثبات مشاة تحتية بعد النون والذى فى معجم ياقوت بحذفها .

فأقام به وأتبعه أهل القدس وفلسطين ومصر والإسكندرية ، وقد آتبعه على ذلك أيضا النوبة والحبشة ، وهم على ذلك إلى الآن .

### الفِرقة الثالثة (النسطورية)

ومقتضى كلام ابن العميد أنهم أتباع نسطور يوس بطرك القسطنطينية . ويحكى عنه أن من مذهبه أن مريم عليها السلام لم تلد إلهًا ، وإنما ولدت إنسانًا ، وإنما اتحد في المشيئة لا في الذات ، وأنه ليس إلهًا حقيقة بل بالموهبة والكرامة . ويقولون بجوهرين وأقنومين ، وإن كرلس بطرك الإسكندرية وبطرك رومية خالفاه في ذلك ، فجمع لهم مائتي أسقف بمدينة أفسس وأبطالوا مقالة نسطور يوس وصرخوا بكفره ، فنفي إلى إناحيم من صعيد مصر ومات بها ، فظهر مذهبه في نصارى المشرق : من الجزيرة الفراتية والموصل والعراق وفارس .

والذى ذكره الشهرستاني في "النحل والملل" أنهم منسوبون إلى نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون ، وتصرف فى الأناجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ؛ وإن هذه الأقانيم ليست بزائدة على الذات ولا هى هى ، وإن الكلمة اتحدت بجسد المسيح عليه السلام لا على طريق الأمتزاج ، كما ذهب إليه الملائكية ، ولا على طريق الظهور كما قالته يعقوبية ،

(١) عبارة ابن خلدون فى العبر (ج ٢ ص ١٥٢) وبلغت مقالة نسطور يوس إلى كرلس بطرك الاسكندرية ، فكتب إلى بطرك رومية وهو اكليمس ، وإلى يوحنا وهو بطرك أنطاكية ، وإلى يونا لوس أسقف بيت المقدس ، فكتبوا إلى نسطور يوس ليدفعوه عن ذلك بالحجة فلم يرجع ولم يلتفت إلى قولهم ، فاجتمعوا فى مدينة افسيس فى مائتين أسقفًا الخ .

ولكن كاشراق الشمس في كوة ، أو كظهور النقش في الخاتم : قال الشهرستاني :  
 ويعنى بقوله إنه واحد بالجوهر أنه ليس مرتباً من جنس بل هو بسيط واحد .  
 ويعنى بالحياة والعلم أقنومين جوهرين أى أصليين مبدئين للعالم . قال : ومنهم من  
 يثبت لله تعالى صفات زائدة على الوجود والحياة والعلم : كالقدرة والإرادة ونحوهما .  
 ومنهم من يطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة حتى ناطق إله . ومنهم من  
 يقول : إن الاله واحد ، وإن المسيح ابتداء من مريم عليها السلام ، وإنه عبد صالح  
 مخلوق ، خلقه الله تعالى وسماه ابناً على التبنى لا على الولادة والاتحاد . ثم هم يخالفون  
 في القتل والصلب مذهب الملكانية واليعقوبية جميعاً ، فيقولون : القتل والصلب  
 وقعا على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته : لأن الإله لا تحله الآلام .  
 قال صاحب حماة : وهم عند النصارى كالمعتزلة عندنا .

وليعلم أن للنصارى أشياء يعظمونها و [أشياء] يستعظمون الوقوع فيها .

فأما التي يعظمونها فإنهم يعظمون المسيح عليه السلام حتى انتهوا فيه إلى ما انتهوا :  
 من دعوى الألوهية والبنوة لله سبحانه ، تعالى الله عما يشركون ، وأسمه عندهم  
 أيشوع فعرب عيسى . وإنما سُمي المسيح لكونه ممسوح القدمين لا أنحص له .  
 ويعظمون مريم عليها السلام لولادتها المسيح عليه السلام ، ويعبرون عنها  
 بالسيدة ، وبالتول ، وبالعدراء .

ويعظمون مريخنا المعمدان ، وهو عندهم يحيى بن زكريا عليه السلام ، ومعنى  
 مريخنا السيد ، ويخنا يعنى يحيى ، ويسمونه المعمدان لأنهم يزعمون أن مريم عليها  
 السلام حين عودها من مصر إلى الشام ومعها السيد المسيح تلقاه يحيى عليه السلام  
 فعمده في نهر الأردن من بلاد فلسطين ، يعنى غمسه فيه ، ويجعلون ذلك أصلاً

لِلْعَمُودِيَّةِ : وهو الماء الذى يَغْمَسُونَ فيه عند تَتَّصُرِهِمْ ، ويقولون : إنه لا يصح تَتَّصُرُ نَصْرَانِيٍّ دون تَعَمُّدٍ . ولَمَّا المعمودية بذلك عندهم من التَّعْظِيمِ مالا فوقه . وبعضهم يقول : إن المراد بِمَرِيحَنَّا المَعْمَدَانِ غَيْرُ يَحْيَى بن زَكَرِيَّا عليهما السلام .

ويعظمون الحَوَارِيَّين : وهم أَصْحَابُ الْمَسِيحِ عليه السلام . وقد تَقَدَّمَ أن عِدَّتَهُم أَثْنَا عَشَرَ حَوَارِيًّا ، ومعنى الحَوَارِيَّ الخَاصُّ ، ومنه قيل للدَّقِيقِ النَّاصِعِ الْبَيَاضِ دَقِيقُ حَوَارِيٍّ ، سُمُّوا بذلك لأن الْمَسِيحَ عليه السلام أَسْتَخْلَصَهُمْ لِنَفْسِهِ .

ويعظمون البَطَارِكَةَ لأنهم خُلَفَاءُ الدِّينِ عندهم ، ويَرَوْنَ لهم من الحُرْمَةِ مَالِدِينَ النَّصْرَانِيَّةِ عندهم من الحُرْمَةِ ، بل يجعلون أَمْرَ التَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ مَنُوطًا بِهِمْ ، حتى لو حَرَّمَ البَطْرِكُ على أحدهم زَوْجَتَهُ لم يَقْرَبَهَا حتى يُحْلِلَهَا له . وسيأتى مَالِبَطْرِكِ اليعقوبية عند صاحب الحَبَشَةِ من الحُرْمَةِ عند ذكر المَكْتَابَةِ إليه فيما بعد ، إن شاء الله تعالى .

وكذلك يعظمون أَرْبَابَ الْوُظَائِفِ الدِّينِيَّةِ عندهم : من البَطْرِيقِ ، والأُسْقُفِّ ، والمِطْرَانِ ، والقِسِّيسِ ، والشَّمَّاسِ ، والراهبِ ، وقد تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُمْ فيما مرَّ .

ويعظمون يَوْسُفَ النَّجَّارِ : وهو قَرِيبٌ لِمَرْيَمَ عليها السلام ، يقال : إنه ابْنُ عَمَّتِهَا ، كان معها فى خِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وهو الذى أَسْتَوْهَبَ الْمَسِيحَ بعد الصَّلْبِ بِزَعْمِهِمْ حتى دَفَنَهُ . واليهودُ يَرْمُونَ مَرْيَمَ عليها السلام معه بِالْفُجُورِ على ما تَقَدَّمَ .

ويعظمون مَرْيَمَ الْمَجْدَلَانِيَّةَ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا ، ويزعمون أنها <sup>(٢)</sup> أُنْخِرَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينٍ ، وأنها أَوَّلُ مَنْ رَأَى الْمَسِيحَ حين قام من قَبْرِهِ .

(١) سبق الكلام على المَكْتَابَةِ إليه فى ج ٨ ص ٣٩ فهذا الوجد سهو عما سبق .

(٢) بياض بالأصول .

ومن عادتهم أنه إذا مات منهم أحدٌ ممن يعتقدون صلاحه صوروا صورته في حيطان كنائسهم ودياراتهم يتبركون بها .

ويعظمون قُسطنطين بن قُسطنطين ملك الروم ، وذلك أنه أول من أخذ بدين النصرانية من الملوك وحمل على الأخذ به . وقد اختلف في سبب ذلك ف قيل : إنه كان يُحارب أمة البرجان بجواره وقد أعجزه أمرهم ، فرأى في المنام كأن ملائكة نزلت من السماء ومعها أعلام عليها صُلبان ، فعمل أعلاماً على مثلها وحاربهم بها فظهر عليهم . وقيل : بل رأى صورة صليب في السماء . وقيل : بل حملته أمه هيلاني على ذلك .

ويعظمون هيلاني أم قُسطنطين المقدّم ذكره ، ويقولون : إنها رحلت من قُسطنطينية إلى القدس ، وأتت إلى محل الصليب بزعمهم ، فوقفّت وبكت ، ثم سألت عن خشبة الصليب ، فأخبرت أن اليهود دفنوها وجعلوا فوقها القمامات والنجاسات ، فاستعظمت ذلك ، وأستخرجتها وغسلتها وطيبتها وغشّتها بالذهب ، وألبستها الحرير ، وحملتها معها إلى القُسطنطينية للتبرك ، وبنت مكانها كنيسة ، وهي المسماة الآن بالقمامة ، أخذوا من اسم القمامة التي كانت موضوعة هناك .

ويعظمون من الأمكنة بيت لحم حيث مولد المسيح عليه السلام ، وكنيسة قمامة حيث قبره ، وموضع خشبة الصليب التي أستخرجتها هيلاني أم قُسطنطين بزعمهم .

وكذلك يعظمون سائر الكنائس : وهي أمكنة عباداتهم كالمساجد للمسلمين . وأصلها في اللغة مأخوذ من قولهم : كنّاس الظبي : وهو المكان الذي يستتر فيه ، سميت بذلك لاستتارهم فيها حال عبادتهم عن أعين الناس . وكذلك يعظمون الديارات : وهي أمكنة التخلي والاعتزال كالزوايا للمسلمين .

ويعظمون المذبح : وهو مكان يكون في الكنيسة يقربون عنده القرايين ويذبحون الذبائح، ويعتقدون أن كل ما ذبح عليه من قربان صار لحمه ودمه هو لحم المسيح ودمه حقيقة .

ويعظمون من الأزمنة أعيادهم الآتي ذكرها عند ذكر أعياد الأمم : كعيد الغطاس من أعيادهم الجكار، وموقعه في الحادي عشر من طوبه من شهور القبط . وعيد السيدة من أعيادهم الصغار . وموقعه في الحادي والعشرين من بؤونة منها . وعيد الصليب . وموقعه عندهم في السابع عشر من ثوت ، إلى غير ذلك من الأعياد الآتي ذكرها مع أعياد الأمم ، في الكلام على الأزمنة من هذه المقالة ، إن شاء الله تعالى .

وأما الأشياء التي [يتعبدون] بها ، فإنهم يصلون سبع صلوات في اليوم والليلة ، وهي : الفجر ، والضحى ، والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، ونصف الليل ، ويقرءون في صلاتهم بمزامير داود عليه السلام كما تفعل اليهود . والسجود في صلاتهم غير محدود العدد ، بل قد يسجدون في الركعة الواحدة خمسين سجدة . وهم لا يتوضئون للصلاة ، ولا يغتسلون من الجنابة ، وينكرون الطهر للصلاة على المسلمين وعلى اليهود ، ويقولون : الأصل طهارة القلب . وإذا أرادوا الصلاة ضربوا بالناقوس ، وهو خشبة مستطيلة نحو الذراع يضرب عليها بخشبة لطيفة فيجتمعون . وهم يستقبلون في صلاتهم المشرق ، وكذلك يوجهون إليه موتاهم . قال الزمخشري : ولعل ذهابهم إلى ذلك لأخذ مريم عليها السلام عنهم مكانا شرقيا كما أخبر تعالى بقوله : ﴿ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ .

(١) لم يذكر شيئا من الأعياد في هذه المقالة وقد سبق ذكر ذلك في الفصل الثالث من المقالة الأولى فها هنا سهو .



ولهم صيامات في أوقات متفرقة .

منها - صومهم الكبير : وهو ستون يوما أولها يوم الاثنين . وموقع أوله في شباط أو أذار من شهور السريان ، بحسب ما يقتضيه حسابهم ، يفطرون في خلالها يوم الأحد ، تبقى مدة صيامهم منها تسعة وأربعون يوما .

ومنها - [ صومهم الصغير ] : وهو ستة وأربعون يوما يصومونها بعد الفصح الكبير بخمسين يوما ، أولها يوم الاثنين أيضا ، وعندهم فيه خلاف .

ومنها - صوم العذارى : وهو ثلاثة أيام ، أولها يوم الاثنين الكائن بعد كانون الثاني ، في صيامات أخرى يطول ذكرها ، ولكثرة صيامهم قيل : إذا حدثت أن نصرانيا مات من الجوع فصدق .

وأما ما يحرمونه ، فإنهم يقولون بتحريم لحم الجمل ولبنه كما يقوله اليهود ، ويقولون : بحل لحم الخنزير خلافا لليهود ، وهو مما ينكره اليهود عليهم من مخالفة أحكام التوراة .

ويحرمون صوم يوم الفصح الأكبر ، وهو يوم فطريهم من صومهم الأكبر .

ويحرمون على الرجل أن يتزوج امرأتين في قرن واحد .

ويحرمون طلاق الزوجة بل إذا تزوج أحدهم امرأة لا يكون له منها فراق إلا بالموت .

وأما الأشياء التي يستعظمون الوقوع فيها :

فمنها - جحود كون المسيح هو المبعث به على لسان موسى عليه السلام .

ومنها - إنكار قتل المسيح عليه السلام وصلبه ، فإنهم يعتقدون أن ذلك كان سببا لخلاص اللاهوت من الناسوت ، فمن أنكر عندهم وقوع القتل والصلب على المسيح

خرج عن دين النصرانية ، بل إنكار رؤيته مصلوباً عندهم ارتكابٌ محظور. على أنهم يُنكرون على اليهود ارتكابهم ذلك ، ويستعظمون مشاركتهم في ذلك ، فيألفها من عقول أضلها بارئها ! .

ومنها - كسر صليب الصلבות ، وهو الخشبة التي يزعمون أن المسيح عليه السلام صلب عليها . وقد تقدم أن هيلاني أم قسطنطين استخرجتها من القمامة وغسلتها وطيبتها وغشّتها بالذهب وألبستها الحرير وحملتها معها للتبرك .

ومنها - الرجوع عن متابعة الحواريين الذين هم أصحاب المسيح عليه السلام . ومنها - الخروج عن دين النصرانية أو التبري منه ، والقول بدين التوحيد أو دين اليهودية .

ومنها - الوقوع في حق قسطنطين وأمه هيلاني : لقيامهما في إقامة دين النصرانية أولاً على ما تقدم ذكره . وكذلك الاستهانة بالبطارقة أو أحد من أرباب الديانات عندهم : كالأساقفة ونحوهم من تقدم ذكره .

ومنها - القعود عن أهل الشعانين : وهم أهل التسبيح الذين كانوا حول المسيح عليه السلام حين ركب الحمار بالقدس ودخل صهيون يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهم حوله يسبحون الله تعالى ويقدمونه .

ومنها - صوم يوم الفصح الأكبر ، وصرف الوجه في الصلاة عن الشرق ، واستقبال صخرة بيت المقدس موافقة لليهود .

ومنها - هدم كنيسة قمامة : لكونها عندهم في محلّ القبر بزعمهم . وكذلك غيرها من الكنائس والديرة .

ومنها - تكذيب أحد من نقلة الإنجيل الأربعة الذين كتبوه كمتى وغيره ،  
أو تكذيب أحد من القسوس : وهم الذين يقرءون الإنجيل والمزامير ، وتكذيب مريم  
المجدلانية فيما أخبرت به عن المسيح من قيامه من قبره الذى كان دُفِن فيه بزعمهم ،  
فإنهم يزعمون أنها أول من رآه عند قيامه .

ومنها - القول بنجاسة ماء المعمودية : وهو الماء الذى ينغمسون فيه عند  
تنصيرهم .

ومنها - عدم اعتقاد أن قربان الذى يُذبح فى المذبح لا يصير لحمه ودمه هو لحم  
المسيح ودمه ، ولعمري إن هذه أحقول ذاهبة .

ومنها - استباحة دماء أهل الديارات ، والمشاركة فى قتل الشمامسة الذين هم  
خدام الكنائس .

ومنها - خيانة المسيح فى وديعته . وذلك أنهم يزعمون أن كل ما خالفت فيه فرقة  
من الفرق الثلاث الفرقة الأخرى كقول الملكانية بأن المعاد جسماني ، وقول  
اليقوبية : إن المعاد روحاني ، فإن الفرقة الأخرى يستعظمون الوقوع فيما ذهب  
إليه مخالفاً ، وكذلك كل ما جرى هذا المجرى .

وقد رتب الكتاب أيمان النصارى على هذه المعتقدات . قال محمد بن عمر المدائني  
فى كتاب "القلم والدواة" : وقد يذهب على كثير من الكتاب ما يستحلف به اليهود  
والنصارى عند الحاجة إلى ذلك منهم ، فيستحلفون بأيمان الإسلام وهم مستحلون  
للحرام ، ومجترون على الآثام ، ويتأثمون من أيمانهم ، والأستقسام بأديانهم .  
ثم أشار إلى أن أول ما رُتبت الأيمان التى يحلف بها النصارى على هذه الطريقة  
فى زمن الفضل بن الربيع ، فحكى عن بعض كتاب العراق أنه قال : أراد الفضل

أَبْنُ الرَّبِّيعِ : يَعْنِي وَزِيرَ الرَّشِيدِ أَنْ يَسْتَحْلِفَ كَاتِبَهُ "عَوْنَا النَّصْرَانِي" فَلَمْ يَدْرِ  
 كَيْفَ يَسْتَحْلِفُهُ ، فَقُلْتُ : وَلَنِّي أَسْتَحْلِفُهُ ، قَالَ : دُونِكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِحْلِفْ  
 بِالْهِكِ الَّذِي لَا تَعْبُدُ غَيْرَهُ ، وَلَا تَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَإِلَّا نَخْلَعْتَ النَّصْرَانِيَّةَ ، وَبَرِئْتَ مِنَ  
 الْمَعْمُودِيَّةِ ، وَطَرَحْتَ عَلَى الْمَذْبَحِ خِرْقَةَ حِيْضَةٍ يَهُودِيَّةٍ ، وَقُلْتَ فِي الْمَسِيحِ مَا يَقُولُهُ  
 الْمُسْلِمُونَ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . وَإِلَّا فَلَعَنَكَ  
 الْبَطْرِيكَ الْأَكْبَرُ ، وَالْمَطَارَنَةُ ، وَالشَّامِيسَةُ ، وَالْقَمَامَسَةُ ، وَالْدَّيْرَانِيُّونَ ، وَأَصْحَابُ  
 الصَّوَامِعِ عِنْدَ مَجْتَمَعِ الْخَنَازِيرِ وَتَقْرِيبِ الْقُرْبَانِ ؛ وَبِمَا أَسْتَغَاثْتُ بِهِ النَّصَارَى لِيَسُوعَ ،  
 وَإِلَّا فَعَلَيْكَ جُرْمٌ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِيَّةٌ عَشْرُ أَسْقُفَّا الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نِيقِيَّةَ حَتَّى أَقَامُوا عُمُودَ  
 النَّصْرَانِيَّةِ ، وَإِلَّا فَشَقَّقْتَ النَّاقُوسَ وَطَبَخْتَ بِهِ لَحْمَ جَحَلٍ وَأَكَلْتَهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مَدْخَلَ  
 الصَّوْمِ وَأَحْمَتِ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ يَوْمًا (؟) وَرَمَيْتِ الشَّاهِدَ بَعَشْرِينَ حَجَرًا جَاحِدًا بِهَا ،  
 وَهَدَمْتَ كَنِيسَةً لُدًّا ، وَبَنَيْتِ بِهَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ ، وَخَرَقْتَ غِفَارَةَ مَرْيَمَ وَكَهَنُونَ دَاوُدَ ،  
 وَأَنْتَ حَنِيفٌ مُسْلِمٌ ، وَهَذِهِ الْيَمِينُ لَازِمَةٌ لَكَ وَلِعَقِبِكَ مِنْ بَعْدِكَ . قَالَ فَقَالَ عَوْنٌ :  
 أَنَا لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ أَسْمَعَ هَذِهِ فِكَيْفَ أَقُولُهَا ! وَخَرَجَ مِنْ جَمِيعِ مَا طَالَبَهُ بِهِ الْفَضْلُ ،  
 فَأَمَرَ بِهَا الْفَضْلُ فَكُتِبَتْ نُسَخًا وَفُرِّقَتْ عَلَى الْكُتَّابِ وَأَمَرَهُمْ بِحِفْظِهَا وَتَحْلِيفِ  
 النَّصَارَى [ بِهَا ] .

قُلْتُ : وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ تَرْتِيبِ نُسَخِ الْإِيمَانِ لِتَحْلِيفِ النَّصَارَى ، فَهِنْ  
 مُطْبِيعٍ وَمِنْ مُوَجِّزٍ ، عَلَى اخْتِلَافِ مَقَاصِدِهِمْ فِيمَا يَقَعُ بِهِ التَّحْلِيفُ وَيُوَافِقُ آرَاءَهُمْ  
 فِيهِ . وَقَدْ رَتَّبَ الْمُقَرُّ الشَّهَابِيُّ أَبْنَ فَضْلٍ اللَّهِ فِي "التَّعْرِيفِ" لَهُمْ أَيْمَانًا عَلَى مُقْتَضَى  
 آرَاءِ فِرْقَتِهِمُ الثَّلَاثِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ : مِنَ الْمَلَكَانِيَّةِ ، وَالْيَعْقُوبِيَّةِ ، وَالنَّسَاطِرَةِ .

فأما الملكانية، فقال : إنَّ يمينهم : واللهِ واللهِ العظيم ، وحقَّ المسيح عيسى  
 ابن مريم ، وأمه السيدة مريم ، وما أعتقده من دين النصرانية ، والملة المسيحية .  
 وإلاَّ أبرأ من المعمودية ، وأقول : إن ماءها نجس ، وإن القرابين رجس ، وبرئت  
 من مريختي المعمدان والأنجيل الأربعة ، وقلت : إن متى كذوب ، وإن مريم  
 المجدلانية باطلة الدعوى في إخبارها عن السيد يسوع المسيح ، وقلت في السيدة  
 مريم قول اليهود ، ودنت بدينهم في الجحود ، وأنكرت اتحاد اللاهوت بالناسوت ،  
 وبرئت من الأب والابن وروح القدس ، وكذبت القسوس ، وشاركت في ذبح  
 الشمامس ، وهدمت الديارات والكنايس ، وكنت ممن مال على قسطنطين بن  
 هيلاني ، وتعمد أمه بالعظام ، وخالفت المجامع التي أجمعت الأساقفة برومية  
 والقسطنطينية ، ووافقت البرذعاني بأنطاكية ، وجمدت مذهب الملكانية ،  
 وسفّهت رأى الرهبان ، وأنكرت وقوع الصلب على السيد يسوع ، وكنت مع اليهود  
 حين صلبوه ، وحدت عن الحواريين ، وأستبحت دماء الديريين ، وجذبت رداء  
 الكبرياء عن البطريك ، وخرجت عن طاعة الباب ، وصمت يوم الفصح الأكبر ،  
 وقعدت عن أهل الشعانين ، وأبئت عيد الصليب والغطاس ، ولم أحفل بعيد  
 السيدة ، وأكلت لحم الحمل ، ودنت بدين اليهود ، وأبحت حرمة الطلاق ، وخنت  
 المسيح في وديعته ، وتزوجت في قرن بامرأتين ، وهدمت بيدي كنيسة قسامة ،  
 وكسرت صليب الصلبوت ، وقلت في البنوة مقال نسطورس ، ووجهت إلى الصخرة  
 وجهي ، وصديت عن الشرق المنير حيث كان المظهر الكريم ، وإلاَّ برئت من  
 النورانيين والشعشعانيين ، ودنت غير دين النصارى ، وأنكرت أن السيد يسوع أحيا  
 الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ، وقلت بأنه مربوب ، وأنه ما رؤى وهو مصلوب ،  
 وأنكرت أن القربان المقدس على المذبح ما صار لحم المسيح ودمه حقيقة ، وخرجت

في النصرانية عن لاجِبِ الطريقة ، وإلا قلتُ بدينِ التَّوْحِيدِ ، وتعبدتُ غيرَ الأربابِ ، وقصَّدتُ بالمظانياتِ غيرَ طريقِ الإخلاصِ ، وقلتُ : إنَّ المَعَادَ غيرُ رُوحانيَّ ، وإنَّ بَنِي المَعمودية لا تَسِيحُ في فِسيحِ السماءِ ، وأُثْبِتُ وُجُودَ الحُورِ العِينِ في المَعَادِ ، وأنَّ في الدارِ الآخرةِ التَّلَذُّذاتِ الجُسْمانيةَ ، وخرجتُ خروَجَ الشَّعْرةِ من العَجينِ من دينِ النصرانية ، وأكونُ من ديني محروماً ، وقلتُ إن جرجس لم يُقتلَ مظلوماً .

وأما اليعاقبة ، فقال : إنه يُبدِّلُ قوله : اتِّحَادُ اللَّاهُوتِ بالنَّاسُوتِ بقوله : مُمَّاسَّةُ اللَّاهُوتِ للنَّاسُوتِ . ويُبْطِلُ قوله : ووافقتُ البرذعانيَّ بأنطاكية ، وجحدتُ مذهبَ المَلَكانيَّةِ ويبدِّلُ بقوله : وكذَّبتُ يعقوبَ البرذعانيَّ ، وقلتُ : إنه غيرُ نصراني ، وجحدتُ اليعقوبية ، وقلتُ إن الحقَّ مع المَلَكانيَّةِ . ويبطلُ قوله : وخرجتُ عن طاعةِ البابِ ، ويبدِّلُ بقوله : وقاثلتُ بيديَّ عمدشيونَ ، وخرَّبتُ كنيسةَ قُمامةٍ وكنتُ أولُ مفتونٍ .

وإن كان من النساطرة أبدل القولين وأبقى ما سواهما ، وقال عوض مُماسَّةِ اللَّاهُوتِ للنَّاسُوتِ : إشراقِ اللَّاهُوتِ على النَّاسُوتِ ، ويزَادُ بعد ما يُحذفُ : وقاتُ بالبراءة من نُسطورس وما تَضَمَّنَه الإنجيلُ المقدَّسُ .



وهذه نُسخةٌ يمينٍ حُلفَ عليها مَلِكُ النُّوبَةِ للسلطانِ الملكِ المنصورِ « قلاوون » عند استقراره نائباً عنه في بلادِ النُّوبَةِ ، وهي :

واللهِ واللهِ ، وحقَّ الثَّالُوثِ المقدَّسِ ، والإنجيلِ الطَّاهِرِ ، والسيدةِ الطَّاهرةِ العَذراءِ أمِّ النُّورِ ، والمَعمودية ، والأنبياءِ ، والرُّسُلِ ، والحواريينَ ، والقديسينَ ،

والشهداء الأبرار، وإلا أجمد المسيح كما جحد بodus؛ وأقول فيه ما يقول اليهود، وأعتقد ما يعتقدونه؛ وإلا أكون بodus الذى طعن المسيح بالحربة - إني أخلصت نيتي وطوييت من وقتي هذا وساعتي هذه للسلطان الملك فلان، وإني أبذل جهدي وطاقتي في تحصيل مرضاته، وإني ما دمت نائبه لا أقطع المقرر على في كل سنة تمضي: وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما كان يتحصل لمن تقدم من ملوك النوبة، وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصاً من كل حق، والنصف الآخر مرصداً لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها، وأن يكون على في كل سنة كذا وكذا. وإني أقتر على كل نفر من الرعية الذين تحت يدي في البلاد من العقلاء البالغين ديناراً عيناً. وإني لا أترك شيئاً من السلاح ولا أخفيه، ولا أمكن أحداً من إخفائه. ومتى خرجت عن جميع ما قررته أو عن شيء من هذا المذكور أعلاه كله، كنت بريئاً من الله تعالى ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة، وأخسر دين النصرانية، وأصلي إلى غير الشرق، وأكسر الصليب، وأعتقد ما يعتقد اليهود. وإني مهما سمعت من الأخبار الضارة والنافعة طالعته به السلطان في وقته وساعته، ولا أنفرد بشيء من الأشياء إذا لم يكن مصلحة. وإني ولي من وإلى السلطان وعدو من عاداه، والله على ما نقول وكيل.

قلت: وسياق ذكر الإيمان القرئج على الهدنة عند ذكر ما أهمله في "التعريف":

من نسخ الإيمان في آخر الباب، إن شاء الله تعالى.

### الملة الثالثة

(المجوسية : وهى الملة التى كان عليها الفُرس ومن دَانَ بدينهم)

وهم ثلاثُ فرق :

الفرقة الأولى — الكيُومَرْتِيَّة — نسبةً إلى كُيُومَرْت ، ويقال : كُيُومَرْت بالجم بدل الكاف . وهو مَبْدَأُ النَّسْلِ عندهم كآدم عليه السلام عند غيرهم ، وربما قيل : إن كُيُومَرْت هو آدم عليه السلام . وهؤلاء أثبتوا إلهًا قديمًا وسمَّوه يزدان ، ومعناه النُّور، يعنون به الله تعالى ، وإلهًا مخلوقًا سمَّوه أهرمن ، ومعناه الظُّلْمة، يعنون به إبليس . ويزعمون أن سبب وجود أهرمن أن يزدان فكَّر فى نفسه أنه لو كان له مُنازِع كيف يكون ، فحدث من هذه الفكرة الرديئة أهرمن ، مطبوعًا على الشرِّ والفتنة والفساد والضَّرر والإضرار ، فخرج على يزدان وخالف طبيعته ، فحَثَّ بينهما مُحَارَبَةً كان آخر الأمر فيها على أن اصطِلحا أن يكون العالم السفليُّ لأهرمن سبعة آلاف سنة ، ثم يخلَّى العالم ويُسَلِّمه ليزدان . ثم إنه أباد الذين كانوا فى الدنيا قبل الصَّلاح وأهلكهم ، وبدأ برجلٍ يقال له كُيُومَرْت ، وحيوانٍ يقال له الثَّور ، فكان من كُيُومَرْت البشر ومن الثَّور البقر وسائر الحيوان .

وقاعدة مذهبهم تعظيمُ النور، والتَّحرُّزُ من الظُّلْمة ، ومن هنا أنجروا إلى النار فعبدوها : لما أشتمت عليه من النور . ولما كان الثَّور هو أصلَ الحيوان عندهم المصادِف لوجود كُيُومَرْت ، عَظَّمُوا البقر حتى تَعَبَّدُوا بأبوالها .

الفرقةُ الثانية — الشَّوِيَّة — وهم على رأي الكيُومَرْتِيَّة فى تفضيل النُّور والتَّحرُّز من الظُّلْمة ، إلا أنهم يقولون : إن الاثنين اللذين هما النور والظلمة قديمان .



الفرقة الثالثة — الزرادشتية الدائشون بدين المجوسية — وهم أتباع زرادشت الذى ظهر فى زمن كستاسف السابع من ملوك الكيانية، وهم الطبقة الثانية من ملوك الفرس، وأدعى النبوة وقال بوحدانية الله تعالى، وأنه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند، وأنه خالق النور والظلمة ومبدعهما، وأن الخير والشر والصلاح والفساد إنما حصل من امتزاجهما، وأن الله تعالى هو الذى مزجهما لحكمة [راها] فى التركيب، وأنهما لو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم، وأنه لا يزال الامتزاج حتى يغلب النور الظلمة، ثم يخلص الخير فى عالمه ويحط الشر إلى عالمه، وحينئذ تكون القيامة. وقال باستقبال المشرق حيث مطلع الأنوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث. وأتى بكتاب قيل صنفه، وقيل أنزل عليه. قال الشهرستاني: اسمه "زندوستا". وقال المسعودى فى "التنبية والإشراف": وأسم هذا الكتاب "الإيستا"، وإذا عرّب أثبتت فيه قاف ف قيل: "الإيستا"، وعدد سورته إحدى وعشرون سورة، تقع كل سورة فى مائتى ورقة، وعدد حروفه ستون حرفاً، لكل حرف سورة مفردة، فيها حروف تكرر وفيها حروف تسقط. قال: وزرادشت هو الذى أحدث هذا الخط والمجوس تسميه: دين تبه، أى كتاب الدين.

وذكر أنه كتب باللغة الفارسية الأولى فى اثنى عشر ألف جلد ثور بقضبان الذهب حفرًا، وأن أحدًا اليوم لا يعرف معنى تلك اللغة، وإنما نقل لهم إلى هذه الفارسية شئ من السور فى أيديهم يقرءونها فى صلواتهم: فى بعضها الخبر عن مبتد العالم ومنتهاه، وفى بعضها مواعظ. قال: وعمل زرادشت لكتاب "الإيستا" شرحاً سماه "الزند" ومعناه عندهم: ترجمة كلام الرب، ثم عمل لكتاب "الزند" شرحاً سماه: "بادزنده" وعملت علماءهم لذلك الشرح شرحاً سموه: "يازده".

ومن حيث اختلاف الناس في كتاب زرادشت المقدم ذكره هذا : نُزِّلَ عليه  
أَوْصَافُهُ قال الفقهاء : إِنَّ لِلْجُوسِ شُبُهَةَ كِتَابٍ : لِأَنَّهُ غَيْرُ مُقْطُوعٍ بِكَوْنِهِ  
كِتَابًا مُنَزَّلًا .

وَأَتَى زَرَادُشْتَ كَيْتَاسَفَ الْمَلِكِ بِمُعْجَزَاتٍ .

منها - أَنَّهُ أَتَى بِدَائِرَةٍ صَحِيحَةٍ بغير آلة ، وهو ممتنع عند أهل الهندسة .

ومنها - أَنَّهُ مَرَّ عَلَى أَعْمَى ، فَأَمْرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا حَشِيشَةً سَمَّاها وَيَعْصُرُوهَا  
فِي عَيْنَيْهِ ، فَأَبْصَرَ . قال الشَّهْرُستَانِيُّ : وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجَزَةِ فِي شَيْءٍ ، إِذْ يَحْتَمَلُ  
أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ خَاصَّةَ الْحَشِيشَةِ .

وَهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ فِي الْأَوَّلِ خَلْقًا رُوحَانِيًّا ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَةُ  
آلَافِ سَنَةٍ أَنْفَذَ اللَّهُ تَعَالَى مَشِيئَتَهُ فِي صُورَةٍ مِنْ نُورٍ مُتَلَالِيٍّ عَلَى [ تَرْكِيبِ ] صُورَةِ  
الْإِنْسَانِ ، وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ وَالْأَرْضَ ( وَبَنَى آدَمَ حِينَئِذٍ غَيْرَ  
مُتَحَرِّكِينَ ) فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ سَنَةٍ .

ثُمَّ الْجُوسُ يَفْضُلُونَ الْفُرْسَ عَلَى الْعَرَبِ وَسَائِرِ الْأُمَمِ ، وَيَفْضُلُونَ مَا لَهُمْ : مِنْ مَدُنٍ  
وَأَبْنِيَةٍ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَبْنِيَةِ ، فَيَفْضُلُونَ إِقْلِيمَ بَابِلَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَقَالِيمِ ، وَمَدِينَتَهُ عَلَى  
سَائِرِ الْمَدُنِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ أَوْشَهَنجَ أَوَّلَ طَبَقَةِ الْيَكَّانِيَةِ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ هُوَ الَّذِي  
بَنَاهَا ، وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ ، وَلَيْسَ التَّاجُ ، وَرَفَعَ الْأَعْمَالَ ،  
وَرَتَّبَ الْخَرَاجَ ، وَكَانَ مُلْكُهُ بَعْدَ الطُّوفَانِ بِمِائَتِي سَنَةٍ ، وَقِيلَ : بَلْ كَانَ قَبْلَ  
الطُّوفَانِ .

وَيَفْضُلُونَ الْكِتَابَةَ الْفَهْلَوِيَّةَ وَهِيَ الْفَارْسِيَّةُ الْأُولَى عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْخُطُوطِ ، وَيَزْعُمُونَ  
أَنْ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَهَا طَهْمُورُثُ : وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ بَعْدَ أَوْشَهَنجَ الْمَقْدَّمِ ذِكْرُهُ .

ويجحدون سياسة بني ساسان ، وهم الطبقة الثالثة<sup>(١)</sup> من ملوك الفرس منسوبون إلى ساسان . ويسخطون [ على ] الروم ، لغزوهم الفرس وتسلبهم عليهم ببلاد بابل . ويعبدون النار ، ويرون أن الأفلاك فاعلة بنفسها ، ويستبدحون فروج المحارم من البنات والأمهات ، ويرون جواز الجمع بين الأختين إلى غير ذلك من عقائدهم .

ويعظمون النيروز : وهو أول يوم من سنتهم وعيدهم الأكبر . وأول من رتبته جمشيد أخو ظهمورث . ويعظمون أيضا المهرجان : وهو عيد مشهور من أعيادهم .

ويسخطون [ على ] بيوراسب : وهو رابع ملوكهم : وهو الضحاك يقال له بالفارسية : الدهاش ، ومعناه عشر آفات . وكان ظلوماً غشوماً ، سار فيهم بالجور والعسف ، وبسط يده بالقتل ، وسن العشور والمكوس وأتخذ المغنين والملاهي ، وكان على كتفيه ساعتان مستورتان بثيابه يحركهما إذا شاء ، فكان يدعي أنهما حيتان ، تهويان على ضعفاء العقول ، ويزعم أن ما يأخذه من الرعية يطعمه لهما ليكفهما عن الناس ، وأنهما لا يشبعان إلا بأدمغة بني آدم ، فكان يقتل في كل يوم عددا كثيرا من الخلق بهذه الحجة . ويقال : إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان في آخر أيامه .

وكان من شأنه أنه لما كثر جوره وظلمه على الناس ، ظهر بأصهبان رجل اسمه كابي ، ويقال : كابيان من سفلة الناس ، قيل حداد ، كان الضحاك قد قتل له ابنين فأخذ كابي المذكور درفسا وهو الحربة وعلق بأعلاها قطعة نطع كان يتقي بها النار ،

(١) في "العبر" ج ٢ ص ١٦٩ أنها الرابعة .

ونادى في الناس بمحاربة الضحّاك ، فأجابه خلق كثير ، واستفحل أمره ، وقصد الضحّاك بمن معه ، فهرب الضحّاك منه ، فسأله الناس أن يملك عليهم ، فامتنع لكونه من غير بيت الملك ، وأشار بتولية إفريدون من عقب جمشيد المقدم ذكره ، فولّوه ، فتبع الضحّاك فقبض عليه وقتله ، وسار فيهم بسيرة العدل ورد ما اغتصبه الضحّاك إلى أهله ، فصار لكابي المذكور عندهم المقام الأعلى ، وعظّموا درفسه الذي علق به تلك القطعة من النطع ، وكلّوه بالجواهر ، ورصّعوه بالياقوت ، ولم يزل عند ملوكهم يستفتحون به في الحروب العظيمة حتى كان معهم أيام يزّجر آخر ملوكهم عند محاربة المسلمين لهم في زمن عثمان ، فغلبهم المسلمون وأقتلوه منهم .

وهم يعظمون إفريدون ملكهم المقدم ذكره ، لقيامه في هلاك الضحّاك وقتله . وفي أول ملك إفريدون هذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام . ويقال : إنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم .

وهم يعظمون أيضا من ملوكهم سابور الملقب بذي الأكتاف ، لأخذه بشار العجم من العرب . وذلك أنه كان يتبع العرب بالجزيرة الفراتية وما جاورها ، وسار في طلبهم حتى بلغ البحرين ، لئيلكهم قتلا ، لا يقبل من أحد منهم فداء ، ثم أخذ في خلع أكتافهم ، فلذلك سُمي ذا الأكتاف .

(١) ويعظمون ماني بن فاثن : وهو رجل ظهر في زمن سابور بن أردشير بعد عيسى عليه السلام ، وأدعى النبوة وأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية . وكان يقول : نبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، وقال : إن العالم

(١) في "الملل" ابن فاثن بالكاف .

مَصْنُوعٌ مِنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ ، وَإِنِّهَما لَمْ يَزَالَا قَدِيمَيْنِ حَسَّاسَيْنِ سَمِيعَيْنِ بَصِيرَيْنِ . وَلَهُ أَتْبَاعٌ يَعْرِفُونَ بِالْمَانَوِيَّةِ .

وَيَتَبَرُّونَ مِنْ مَزْدَكْ : وَهُوَ رَجُلٌ مَشْهُورٌ مَنَسُوبٌ عِنْدَهُمْ إِلَى الزَّنْدَقَةِ أَيْضًا ، ظَهَرَ فِي زَمَنِ قُبَادَ أَحَدِ مُلُوكِ الْفُرسِ مِنَ الْأَكْسَرَةِ ، وَادَّعَى النُّبُوَّةَ وَنَهَى عَنِ الْخِلَافَةِ وَالْمُبَاغَضَةِ ، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِسَبَبِ النِّسَاءِ وَالْمَالِ ، فَأَمَرَ بِالْأَشْتِرَاكِ وَالْمَسَاوَاةِ فِيهِمَا ، وَتَبِعَهُ قُبَادُ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَوَصَّلَتْ سِفْلَةُ الرِّجَالِ إِلَى أَشْرَافِ النِّسَاءِ ، وَحَصَلَ بِذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَظِيمَةٌ . وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ النُّورَ عَالِمٌ حَسَّاسٌ ، وَالظُّلَامَ جَاهِلٌ أَعْمَى ، وَالنُّورُ يَفْعَلُ بِالْقَصْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَالظُّلْمَةُ تَفْعَلُ عَلَى الْخَبْطِ وَالْإِتْفَاقِ ، وَإِنَّ أَمْتَرَجَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ كَانَ بِالْإِتْفَاقِ وَالْخَبْطِ دُونَ الْقَصْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَكَذَلِكَ الْخِلَاصُ . وَلَهُ أَتْبَاعٌ يَقَالُ لَهُمُ الْمَزْدَكِيَّةُ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ شَرَوَانُ بْنُ قُبَادَ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ ، وَقَتَلَ مَعَهُمُ الْمَانَوِيَّةَ أَتْبَاعَ مَانِي الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَعَادَتْ الْفُرسُ إِلَى الْحُجُوسِيَّةِ الْقَدِيمَةِ .

وَقَدْ رَتَّبَ فِي "التَّعْرِيفِ" لِلْحُجُوسِ يَمِينًا عَلَى مُقْتَضَى مَا عَلَيْهِ عَقِيدَةُ الْحُجُوسِ أَتْبَاعُ زَرَادَشْتِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَهِيَ :

إِنِّى وَاللَّهِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ ، الْقَدِيمِ ، النُّورِ ، الْأَوَّلِ ، رَبِّ الْأَرْبَابِ ، وَإِلَهِ الْآلِهَةِ ، مَا حَى آيَةُ الظُّلَمِ ، وَالْمَوْجِدِ مِنَ الْعَدَمِ ، مُقَدِّرِ الْأَفْلاكِ وَمُسَيِّرِهَا ، وَمُنُورِ الشُّهُبِ وَمُصَوِّرِهَا ، خَالِقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمُنْبِتِ النُّجُومِ وَالشَّجَرِ ، وَالنَّارِ وَالنُّورِ ، وَالظِّلِّ وَالْحَرُورِ ، وَحَقِّ جُيُومَرْتِ وَمَا أَوْلَدَ مِنْ كِرَائِمِ النَّسْلِ ، وَزَرَادَشْتِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ الْعَصْلِ ، وَالزَّنْدِ وَمَا تَضَمَّنَهُ ، وَالْخَطِّ الْمُسْتَدِيرِ وَمَا بَيْنَ . وَإِلَّا أَنْكَرْتُ أَنَّ زَرَادَشْتِ لَمْ يَأْتِ بِالدَّائِرَةِ الصَّحِيحَةِ بغيرِ آلِهِ ، وَأَنَّ مَمْلَكَةَ إِفْرِيدُونَ كَانَتْ ضَلَالَةً ، وَأَكُونُ

قد شاركت بيوراسب فيما سفك طعاماً لحيتيه ، وقلت إن كايان لم يُسلط عليه ،  
 وحرقت بيدي الدرفس ، وأنكرت ما عليه من الوضع الذي أشرقت عليه أجرام  
 الكواكب ، وتمازجت فيه القوى الأرضية بالقوى السماوية ، وكذبت ما نى وصدقت  
 مزدك ، وأستبحت فضول الفروج والأموال ، وقلت بانكار الترتيب في طبقات  
 العالم ، وأنه لا مرجع في الأبوّة إلا إلى آدم ، وفضأت العرب على العجم ، وجعلت  
 الفرس كسائر الأمم ، ومسحت بيدي خطوط الفهلوية ، وجمدت السياسة  
 الساسانية ، وكنت ممن غزا الفرس مع الروم ، ومن خطأ سابور في خلع أكتاف  
 العرب ، وجلبت البلاء إلى بابل ، ودينيت بغيردين الأوائل ، وإلا أطفأت النار ،  
 وأنكرت فعل الفلك الدّوّار ، ومالأت فاعل الليل على فاعل النهار ، وأبطلت حكم  
 النّيروز والمهرجان ، وأطفأت ليلة الصّدق مصابيح النيران ، وإلا أكون ممن حرم  
 فروج الأمهات ، وقال بأنه لا يجوز الجمع بين الأخوات ، وأكون ممن أنكر صواب  
 فعل أردشير ، وكنت لقومي ينس المؤلى وبنس العشير .

### المهيع الثالث

( في الأيمان التي يُخلف بها الحكماء )

وهم المعبر عنهم بالفلاسفة ، جمع فيلسوف : ومعناه باليونانية محب الحكمة .  
 وأصله فيلاسوف ، فقيلاً معناه محب ، وسوف معناه الحكمة ، وهم أصحاب الحكم  
 الغريزية والأحكام السماوية ، فمنهم من وقف عند هذا الحد ، ومنهم من عرف الله  
 تعالى وعبدته بأدب النفس .

قال الشهرستاني : وهم على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول — البراهمة ، وهم لا يُقرون بالنبؤات أصلاً ، ولا يقولون بها .

[الصِّنفُ الثَّانِي — حكماء العرب<sup>(١)</sup> ، وهم شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ ، وأكثر حِكْمَتِهِمْ قَلَّتْ الطَّبَعُ ، وَخَطَرَاتُ الْفِكْرِ ، وهؤلاء رُبَّمَا قالوا بالنبؤات .

[الصِّنفُ الثَّالث — حكماء الروم<sup>(١)</sup> ، وهم على ضربين :

### الضرب الأول

(الْقُدَمَاءُ مِنْهُمْ الَّذِينَ هُمْ أَسَاطِينُ الْحِكْمَةِ)

وهم سَبْعَةٌ حُكَمَاءُ : ثَالِيسُ الْمَلَطِي ، وَاَنْكَسَاغُورُس ، وَاَنْكَسِمَانِس ، وَاَنْبَادِيْقَلْس<sup>(٢)</sup> ، وَفِيثَاغُورُس ، وَسُقْرَاطُ ، وَأَفْلَاطُون . ومذاهبهم مختلفة ، وبعضهم عاصر بعض الأنبياء عليهم السلام ، وتلقَّف منه ، كَاَنْبَادِيْقَلْس : كان في زمن دَاوُدَ عليه السلام ، ومضى إليه وتلقَّى عنه ، وأختلف إلى ثُقْمَانَ وأقتبس منه الْحِكْمَةَ . وكذلك فِيثَاغُورُس : كان في زمن سُلَيْمَانَ عليه السلام ، وأخذ الْحِكْمَةَ مِنْ مَعْدِنِ النَّبُوءَةِ .

### الضرب الثاني

(الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ ، وهم أصحابُ أَرْسَطَاطَالِيْس ، وهم ثلاث طوائف)

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ تُعْرَفُ بِالْمَشَائِينِ : وهم الذين كانوا يَمْشُونَ فِي رِكَابِهِ يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ الْحِكْمَةَ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ رَاكِب . وطائِفَةٌ تُعْرَفُ بِالرُّوَاقِيَيْنِ : وهم الذين كان يجلس لتعليمهم بِالرُّوَاقِ . والطائِفَةُ الثَّالِثَةُ فَلَا سِفَةَ الْإِسْلَامِ : وهم حُكَمَاءُ الْعَجَمِ . أما قبل الإسلام فإنه لم يُنْقَلْ عَنِ الْعَجَمِ مَقَالَةٌ فِي الْفَلَسَفَةِ ، بل حِكْمَتُهُمْ كُلُّهَا كَانَتْ مُسْتَفَادَةً

(١) الزيادة عن الشهرستاني بالمعنى ليستقيم الكلام .

(٢) في الملل والنحل : انبذقلس .

من النبوات : إما من الملة القديمة ، وإما من غيرها من الملل . ومعتقدهم أن الله تعالى واجب الوجود لذاته ، وأنه ليس بجوهر ولا عرض ، وأن ما سواه صادر عنه على ترتيب ، وأنه تعالى واحد فرد ، ليس له شريك ولا نظير ، باق أبدي سرمدي ، وأنه الذي أوجد الأشياء وكونها ، ويعبرون عنه بعلة العال ، وأنه قادر ، يفعل إن شاء ولا يفعل إن لم يشأ ، فاعل بالذات ليس له صفة زائدة على ذاته ، مرید له إرادة وعناية لا تزيد على ذاته ، وأنه أول لا بداية له ، آخر لا نهاية له ، وأنه يستحيل أن يتغير ، منزه عن أن يكون حادثاً أو عرضاً للحوادث ، حتى يتصف بصفات البقاء السرمديّة ، وأنه حكيم بمعنى أنه جامع لكل كمال وجلال ، وأنه خالق الأفلاك بقدرته ، ومدبرها بحكمته ، ويقولون : إن الأرض ثابتة لا تتحرك ، والماء مُحيط بها من سائر جهاتها على ما اقتضته الحكمة الإلهية ، وكشف بعض أعلاها لسكنى الخلق فيه ، فهي كبطيخة ملقاة في بركة ماء ، ويحيط بالماء الهواء ، ويحيط بالهواء النار ، ويحيط بالنار فلك القمر وهو الأول ، ويحيط بفلك القمر فلك عطارد وهو الثاني ، ويحيط بفلك عطارد فلك الزهرة وهو الثالث ، ويحيط بفلك الزهرة فلك الشمس وهو الرابع ، ويحيط بفلك الشمس فلك المريخ وهو الخامس ، ويحيط بفلك المريخ فلك المشتري وهو السادس ، ويحيط بفلك المشتري فلك زحل وهو السابع ، ويحيط بفلك زحل فلك الكواكب وهو الثامن ، وهو الذي فيه الكواكب الثابتة بأسرها ، وهي ما عدا الكواكب السبعة التي في الأفلاك السبعة المقدم ذكرها : من البروج الاثني عشر ومنازل القمر الثمانية والعشرين وغيرها . ويحيط بالكواكب الفلك الأطلس وهو الفلك التاسع ، والأفلاك التسعة دائرة بما فيها من المشرق إلى المغرب ، بحيث تقطع في اليوم والليلة دورة كاملة ، والكواكب السبعة



التي في الأفلاك السبعة الأولى ، وهي : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ،  
والزهرة ، وعطارد ، والقمر ، متحركة بالسير إلى جهات مخصوصة : الشمس والقمر  
يسيران بين المشرق والمغرب وبقية الكواكب يختلف سيرها استقامة ورجوعاً ،  
والكواكب التي في الفلك الثامن ثابتة لا تتحرك ، والله تعالى هو الذي يسير هذه  
الأفلاك والكواكب ويفيض القوى عليها .

ويقولون : إن الشمس إذا سخنت الأرض بواسطة الضوء صعد من الرطب  
منها بخار ، ومن البارد الياس دخان . ثم بعضه يخرج من مسام الأرض فيرتفع  
إلى الجو ، وبعضه يحتبس في الأرض بوجود ما يمنعه من الخروج منها : من جبل  
ونحوه .

فأما ما يخرج من مسام الأرض ، فإن كان من البخار ، فما تصاعد منه في الهواء  
يكون منه المطر والثلج والبرد وقوس قزح والهالة ، ثم ما ارتفع من الطبقة الحارة من  
الهواء إلى الباردة تكاثف بالبرد وأنعقد غيماً ، وإن كان ضعيفاً أثرت فيه حرارة  
الشمس فاستحال هواءً ، ومهما انتهى إلى الطبقة الباردة تكاثف وعاد وتقاطر وهو  
المطر . فإن أدركها برد شديد قبل أن تجتمع ، جمدت ونزلت كالقطن المنذوف وهو  
الثلج ، وإن لم تدركها برودة حتى اجتمعت قطرات من الجوانب أذهبت برودتها ،  
أنعقدت برداً ، وإذا صار الهواء رطباً بالمطر مع أدنى صقالة ، صار كالمرآة فيتولد من  
ضوء الشمس الواقع في قفاه قوس قزح ، فإن كان قبل الزوال رؤى في المغرب ،  
وإن كان بعد الزوال رؤى في المشرق ، وإن كانت الشمس في وسط السماء لم يمكن  
أن يرى إلا قوساً صغيراً إن اتفق . وفي معنى ذلك الهالة المحيطة بالقمر ، إلا أن  
الهالة إنما تحصل من مجرد برودة الهواء وإن لم يكن مطر .

وإن كان ما يخرج من مَسَامِ الأرض دُخَانًا : فإن تصاعدَ وارتفع في وَسَطِ البُخَارِ وضربه الرِّيحُ في ارتفاعه ، ثَقُلَ وَاَنْتَكَسَ فحَرَكَه الهواءُ فَحَصَلَ الرِّيحُ . وإن لم يَضْرِبْهُ الرِّيحُ ، تصاعد إلى عُنْصِرِ النارِ وَاَشْتَعَلَتِ النارُ فِيهِ فصار منه نارٌ تَشَاهِدُ ، وربما استطال بحسب طُولِ الدُّخَانِ فَيَسْمَى كوكبًا مُنْقَضًا . وإن كان الدُّخَانُ كَثِيفًا واشتعل بالنار ولكنه لم يَسْتَحِلْ على القُرْبِ ، بل بقي زمانًا ، رُؤِيَ كَأَنَّهُ كوكبٌ ذو ذَنَبٍ . وإن بقي شيءٌ من الدُّخَانِ في تضاعيف الغيمِ وبردَ ، صار رِيحًا في وَسَطِ الغيمِ فيتحرَّكُ فِيهِ بِشِدَّةٍ فيحصل منه صَوْتٌ وهو الرِّعْدُ ، فإن قَوِيَتْ حركته أَشْتَعَلَ من حرارة الحركة الهواءُ والدُّخَانُ فصار نارًا مُضِيئَةً وهو البرقُ . وإن كان المُشْتَعِلُ كَثِيفًا ثَقِيلًا مُحْرِقًا ، أُنْدَفَعَ بمصادفة الغيمِ إلى جِهَةِ الأرضِ وهى الصاعقة : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

وَيُقَرُّونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُكَوِّنُ الْأَكْوَانِ ، وَمُنْمِي الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ .  
فأما المعادنُ — فهى التى تتكوَّنُ فيها جواهرُ الأرضِ : من الذهبِ والفضَّةِ وغيرهما . وذلك أن البُخَارَ والدُّخَانَ فى الأرضِ فإنها [ان] تجتمعُ وتمتزجُ ، فإن غلب الدُّخَانُ كان الحاصلُ منه مثلُ التُّشَادِرِ والكِبْرِيتِ ، وربما تغلبَ البخارُ فى بعضه فيصير كالماءِ الصَّافِي المنعقدِ المتحجِّرِ ، فيكون منه الياقوتُ والبِلَّوَرُ ونحوه ممَّا لا يتطرَّقُ تَحْتَ المَطَارِقِ . وإن استحكمتْ أمْتزاجُ الدُّخَانِ منه بالبُخَارِ وَقَلَّتْ الحرارةُ المحققة فى جواهرها ، أُنْعَقِدَ منه الذهبُ والفضَّةُ والنُّحاسُ والرَّصَاصُ ونحوها ممَّا يتطرَّقُ بالمِطْرَقَةِ .

وأما النبات — فانهم يقولون : إن العنصرَ قد يقعُ بها أمْتزاجٌ واختِلَاطٌ أتمُّ من أمْتزاجِ البُخَارِ والدُّخَانِ المقدم ذكره ، وأحسنُ وأقربُ إلى الاعتدالِ ، فيحصل من ذلك النُّمُو الذى لا يكون فى الجمادات .

وينشأ عن ذلك ثلاثة أمور :

أحدها — التَّغْذِيَّةُ بِقُوَّةٍ مُغَذِّيَّةٍ : وهى قُوَّةٌ مُحْيِلَةٌ لِلْغِذَاءِ تَخْلَعُ عَنْهَا صُورَتَهَا وَتَكْسُوها صورة المتغذى ، فتنتشر في أجزائه وتلتصق به وتسد مسد ما تحلل من أجزائه .

وثانيها — التَّنْمِيَّةُ بِقُوَّةٍ مُنْمِيَّةٍ ، بأن يزيد الجسم بالغذاء في أقطاره على التناسب اللائق بالنامي حتى ينتهى إلى منتهى ذلك الشيء .

وثالثها — التَّوْلِيدُ بِقُوَّةٍ مُولِّدَةٍ : وهى التى تفصل جسماً من جسم شبيه به .

وأما الحيوان — فإنهم يقولون إن تَكُونُهُ من مزاج أقرب إلى الاعتدال وأحسن من الذى قبله ، من حيث إن فيه قُوَّةَ النباتية وزيادة قوتين ، وهما المدركة والمتحركة ، ومهما حصل من الإدراك أنبعثت الشهوة والنزوع ، وهو إما لطلب ما يحتاج إليه فى طلب الملائم الذى به بقاء الشخص : كالغذاء ، أو بقاء النوع : كالجماع ، ويسمى قُوَّةً شَهْوانِيَّةً . وإما للهرب ودفع المنافى ، وهى قُوَّةُ غَضَبِيَّةٌ ، فإن ضعفت القُوَّةُ الشَّهْوانِيَّةُ فهو الكراهة ، وإن ضعفت القُوَّةُ الغَضَبِيَّةُ فهو الخوف .

والقُوَّةُ المدركة تنقسم إلى باطنة : كالخيلية والمتوهمة والذاكرة والمفسكة ، وإلى ظاهرة : كالسمع والبصر والدُّوق والشَّمَّ واللمس . فاللَّسُّ قُوَّةٌ مُنْبِثَةٌ فى جميع البَشَرَةِ ، تُدْرِكُ الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والصلابة واللين والخشونة والملاسة والحفَّة والثقل . والشَّمُّ فى زائدتى الدماغ الشبيهتين بحلمتى الثدي . والسمع فى عَصَبَةِ فى أقصى الصَّماخ . والدُّوق فى عَصَبَةٍ مَفْرُوشَةٍ على ظاهر اللسان بواسطة الرُّطوبة العذبة التى لا طعم لها ، المنبسطة على ظاهر اللسان . والإبصار يحصل عن أنطباع مثل صورة المدرك فى الرُّطوبة الجليدية التى تُشْبِهُ البَرْدَ والجمد فإنها كالمرآة ، فإذا قابلها يكون أنطبع فيها مثل صورته فتحصل الرؤية .

وَيَرَوْنَ أَنَّ النَّفْسَ مَحَلُّهَا الْعُلُو . وَيَقُولُونَ : إِنَّ النَّفْسَ فِي أَوَّلِ الصَّبَا تَكُونُ عَالِمَةً بِالْمَعْقُولَاتِ الْمَجْرَدَةِ وَالْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ بِالْقُوَّةِ ، ثُمَّ تَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ عَالِمَةً بِالْفِعْلِ .

ثُمَّ إِنْ سَعِدَتْ بِالْإِسْتِعْدَادِ لِلْقَبُولِ ، انْقَطَعَتْ حَاجَتُهَا عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْبَدَنِ وَمُقْتَضَى الْحَوَاسِّ ، إِلَّا أَنَّ الْبَدَنَ لَا يَزَالُ يَجَازِبُهَا وَيَشْغَاهَا وَيَمْنَعُهَا مِنْ تِمَامِ الْإِتِّصَالِ بِالْعُلُويَّاتِ ، فَإِذَا انْحَطَّتْ عَنْهَا شُغْلُ الْبَدَنِ بِالمَوْتِ أَرْتَفَعَ عَنْهَا الْحِجَابُ ، وَزَالَ الْمَانِعُ ، وَدَامَ الْإِتِّصَالُ ، وَكُلُّ حَالِهَا بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ ، وَالتَّدْتُّ بِهِ لَذَّةٌ لَا يُدْرِكُ الْوَصْفُ كُنْهَهَا . وَإِنْ كَانَتِ النَّفْسُ مَحْجُوبَةً عَنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ فَقَدْ شَقِيَتْ .

وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِذَا تَحَجَّبَ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَصُرِ الْهَمَّةِ عَلَى مُقْتَضَى الطَّبْعِ ، وَبَاقَامَتِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْخَاسِيسِ الْفَانِي ، فَتَرَسَّخَ فِي نَفْسِهِ تِلْكَ الْعَادَةُ وَيَتَأَكَّدُ شَوْقَهُ إِلَيْهَا ، فَتُقَوَّتْ بِالمَوْتِ آلَةُ دَرَكِ ذَلِكَ الشَّوْقِ وَيَبْقَى التَّشَوُّقُ وَهُوَ الْأَلَمُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ ، وَذَلِكَ مَانِعٌ مِنَ الْوَصَالِ وَالْإِتِّصَالِ . وَهَذِهِ النَّفْسُ نَاقِصَةٌ بِفَقْدِ الْعِلْمِ ، مَلَطَّخَةٌ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، بِخِلَافِ النَّفْسِ السَّابِقَةِ .

وَيَقُولُونَ : إِنْ الْهَيُولَى قَابِلَةٌ لِتَرْكِيبِ الْأَجْسَامِ ، وَيُخَالِفُونَ أَهْلَ الطَّبِيعَةِ فِي قَوْلِهِمْ : بِانْكَارِ الْمَعَادِ وَقَنَاءِ الْأَرْوَاحِ ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ بَاقِيَةٌ وَأَنَّ الْمَعَادَ حَقٌّ .

وَيَرَوْنَ أَنَّ التَّحْسِينَ وَالتَّقْيِيحَ رَاجِعَانِ إِلَى الْعَقْلِ دُونَ الشَّرْعِ ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْمُعْتَرِلَةِ وَغَيْرِهِمْ .

وَيَقُولُونَ : إِنَّ إِلَهَ تَعَالَى فَاعِلٌ بِالذَّاتِ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى ذَاتِهِ ، عَالِمٌ بِذَاتِهِ وَبَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَجْنَاسِهَا ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ ، وَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْمَمَكَّاتِ الْحَادِثَةَ .

ويقولون بأثبات النبوات لأن العالم لا ينتظم إلا بقانون متبوع بين كافة [الناس] يحكمون به بالعدل ، وإلا تقاتلوا وهلك العالم ، إذ النبي هو خليفة الله في أرضه ، بواسطته تنتهي إلى الخلق الهداية إلى مصالح الدنيا والآخرة ، من حيث إنه يتلقى عن الملك والملك يتلقى عن الله تعالى ، إلا أنهم يقولون : إن النبوات غير متناهية وإنها مكتسبة ينالها العبد بالرياضات . وهاتان المقتالتان من جملة ما كفروا به : تجويز النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخبر تعالى أنه خاتم النبيين ، وقولهم إنها تنال بالكسب .

وقد حكى الصلاح الصفدي في "شرح لامية العجم" أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إنما قتل عمارة اليميني الشاعر ، حين قام فيمن قام بإحياء الدولة الفاطمية بعد أنقراضها ، على ما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية في المقالة الثانية ، مستنداً في ذلك إلى بيت نسب إليه من قصيدة ، وهو قوله :

وكان مبدأ هذا الدين من رجل \* سعى فأصبح يدعى سيد الأمم

فجعل النبوة مكتسبة <sup>(١)</sup> على أن الله تعالى ليس بجسم ولا جسماني ، وأنه ليس في جهة ولا يدخل تحت الحد والمাহية .



وهذه نسخة يمين رتبها لهم في "التعريف" وهي :

إني والله والله والله [العظيم] <sup>(٢)</sup> ، الذي لا إله إلا هو ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الأبدى ، السرمدي ، الأزلي ، الذي لم يزل علة العلل ، رب الأرباب ،

(١) بياض في الأصل ، ولعله « وهم يجمعون على أن » الخ .

(٢) الزيادة من التعريف ص ١٦٢ .

وَمَدَبَرُ الْكُلِّ [ الْقَدِيرُ ] الْقَدِيمُ ؛ الْأَوَّلُ بِلاَ بَدَايَةٍ ، وَالْآخِرُ بِلاَ نِهَايَةٍ ، الْمُنَزَّهُ عَنْ  
 أَنْ يَكُونَ حَادِثًا أَوْ عَرَضًا لِلْحَوَادِثِ ، الْحَيُّ الَّذِي أَتَّصَفُ بِصِفَاتِ الْبَقَاءِ وَالسَّرْمَدِيَّةِ  
 وَالْكَمَالِ ، وَالْمُتَرَدِّى بِرَدَاءِ الْكِبَرِيَاءِ وَالْجَلَالِ ؛ مَدَبَرُ الْأَفْلَاقِ وَمُسِيرُ الشُّهُبِ ، مُفِيضُ  
 الْقُوَى عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَبَاطُّ الْأَرْوَاحِ فِي الصُّوَرِ ، مَكُونُ الْكَائِنَاتِ ، وَمُتَمِّى  
 الْحَيَوَانَ وَالْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ . وَإِلَّا فَلَا رَقِيتُ رُوحِي إِلَى مَكَانِهَا ، وَلَا أَتَّصَلْتُ نَفْسِي  
 بِعَالَمِهَا ، وَبَقِيتُ فِي ظُلْمِ الْجَهَالَةِ وَحُجُبِ الضَّلَالَةِ ، وَفَارَقْتُ نَفْسِي غَيْرَ مُرْتَسِمَةٍ  
 بِالْمَعَارِفِ وَلَا مُكَمَّلَةٍ بِالْعِلْمِ ، وَبَقِيتُ فِي عَوَزِ النِّقْصِ وَتَحْتَ إِمْرَةِ الْغَىِّ ، وَأَخَذْتُ  
 بِنَصِيبٍ مِنَ الشَّرْكِ ، وَأَنْكَرْتُ الْمَعَادَ ، وَقُلْتُ بِفَنَاءِ الْأَرْوَاحِ ، وَرَضِيتُ فِي هَذَا بِمُقَالَةٍ  
 أَهْلِ الطَّبِيعَةِ ، وَدُمْتُ فِي قَيْدِ الْمَرْجَاتِ وَشَوَاغِلِ الْحَسِّ ، وَلَمْ أُدْرِكِ الْحَقَائِقَ عَلَى  
 مَا هِيَ عَلَيْهِ ؛ وَإِلَّا فَقُلْتُ : إِنْ الْهَيُولَى غَيْرُ قَابِلَةٍ لِتَرْكِيبِ الْأَجْسَامِ ، وَأَنْكَرْتُ الْمَادَّةَ  
 وَالصُّورَةَ ، وَنَحَرْتُ النُّوَامِيسَ ، وَقُلْتُ : إِنْ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ إِلَى غَيْرِ الْعَقْلِ ،  
 وَخُلِدْتُ مَعَ النُّفُوسِ الشَّرِّيرَةِ ، وَلَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَى النَّجَاةِ ، وَقُلْتُ : إِنْ الْإِلَهَ لَيْسَ  
 فَاعِلًا بِالذَّاتِ ، وَلَا عَالِمًا بِالْكُلِّيَّاتِ ، وَدِنْتُ بِأَنَّ النُّبُوتَ مُتَنَاهِيَةٌ وَأَنَّهَا غَيْرُ كَسْبِيَّةٍ ،  
 وَحَدَّثْتُ عَنْ طَرَائِقِ الْحِكْمَاءِ ، وَنَقَضْتُ تَقْرِيرَ الْقَدَمَاءِ ، وَخَالَفْتُ الْفَلَّاسِفَةَ ،  
 وَوَاقَفْتُ عَلَى إِفْسَادِ الصُّوَرِ لِلْعَبَثِ ، وَحَيَّزْتُ الرَّبَّ فِي جِهَةٍ ، وَأَثْبَتْتُ أَنَّهُ جِسْمٌ ،  
 وَجَعَلْتُهُ فِيمَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَدِّ وَالْمَاهِيَةِ [ وَرَضِيتُ بِالتَّقْلِيدِ فِي الْأُولَاهِيَةِ <sup>(١)</sup> ] .

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٦٣ .

## المهيمع الرابع

( في بيان المحلوف عليه ، وما يقع على العموم ، وما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف مما يناسب وظيفته )

إِعلم أن المحلوف عليه في الأيمان المملوكية تارة يشترك فيه جميع من يحلف من أهل الدولة ، وتارة يختلف باختلاف ما يمتاز به بعضهم عن بعض مما لا تقع الشركة بينهم فيه .

فأما ما يقع فيه الاشتراك ، كطاعة السلطان وما في معناها : من إخلاص النية وإصفاء الطوية ، وما يجري مجرى ذلك ، فذلك مما يشترك فيه كل حالف يحلف للسلطان على اختلاف عقائدهم : من مسلم : سُنيٍّ أو بدعيٍّ ، وكافر : يهوديٍّ أو نصرانيٍّ ، أو غيرهما . فكلُّ أحدٍ يحلف بما تقتضيه عقيدته في التعظيم ، على ما تقدم بيانه في أيمان الطوائف كلها .

فإذا انتهى إلى المحلوف عليه ، قال : إِنِّي من وقَّي هذا ومن سَاعَي هذه وما مدَّ الله في عُمرَي قد أخلصتُ نيتي ولا أزال مجتهدًا في إخلاصها ، وأصفيتُ طويتِي ولا أزال مجتهدًا في إصفائها ، في طاعة مولانا السلطان المالك الملك الفلاني فلان الدنيا والدِّين فلان ، ابن السلطان السَّعيد الشَّهيد الملك فلان الدنيا والدِّين فلان خلد الله تعالى مُلكه ، وفي خِدْمَتِهِ ومَحَبَّتِهِ ونُصْرَتِهِ ، وأكونُ وليًّا لمن وآلاه ، عدوًّا لمن عاداه ، سَلَمًا لمن سالمه ، حربًا لمن حاربه من سائر الناس أجمعين ، لا أضمرُّ له سُوءًا ولا مَكْرُوهًا ولا خَدِيعَةً ولا خِيَانَةً ، في نَفْسٍ ولا مَالٍ ولا مُلْكٍ ولا سُلْطَانَةٍ ولا عَسَاكِرٍ ولا جُنْدٍ ولا عُربَانٍ ولا تُرْكُجَانٍ ولا أَكْرَادٍ ولا غير ذلك ، ولا أَسْعَى في تَفْرِيقِ كلمة أحدٍ منهم عن طاعته الشريفة . وإِنِّي والله العظيم أَبْذلُ جُهْدِي

وَمَا أَتَى فِي طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ فَلَانِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمَشَارِإِلَيْهِ ، وَإِنْ كَاتَبَنِي أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَيَّ مُلْكِي لَا أُوَافِقُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ وَلَا عَمَلٍ وَلَا نِيَّةٍ ، وَإِنْ قَدَرْتُ عَلَى إِمْسَاكِ الَّذِي جَاءَنِي بِالْكِتَابِ أَمْسَكْتُهُ وَأَحْضَرْتُهُ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ فَلَانِ الْمَشَارِإِلَيْهِ أَوْلَنَائِهِ الْقَرِيبِ مِنِّي .

وَأَمَّا مَا يَقَعُ فِيهِ الْاِخْتِلَافُ فَمَا يَتَبَيَّنُ الْحَالُ فِيهِ بِاِخْتِصَاصِ رَبِّ كُلِّ وَظِيفَةٍ بِمَا لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ الْآخَرُ . وَقَدْ أَشَارَ فِي "التَّعْرِيفِ" إِلَى نُبْذَةِ مَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : وَقَدْ يُزَادُ نُؤَابُ الْقِلَاعِ وَتُقَبَّأُهَا وَالْوُزَرَاءُ وَأَرْبَابُ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ وَالِدَوَادَارِيَةِ وَكُتَّابُ السَّرَرِيَّاتِ ، يَعْنِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

فَأَمَّا نُؤَابُ الْقِلَاعِ وَتُقَبَّأُهَا فَيُزَادُ فِي تَحْلِيفِهِمْ : وَإِنِّي أَجْمَعُ رِجَالَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانِ وَخِدْمَتِهِ فِي حِفْظِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ وَحِمَايَتِهَا وَتَحْصِينِهَا ، وَالذَّبِّ عَنْهَا ، وَالْجِهَادِ دُونَهَا ، وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ . وَإِنِّي أَحْفَظُ حَوَاصِلَهَا وَذَخَائِرَهَا وَسِلَاحَ خَانَتِهَا عَلَى اِخْتِلَافِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْأَسْلِحَةِ . وَإِنِّي لَا أُخْرِجُ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا فِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ الدَّاعِيَةِ الْمُتَعَيِّنِ فِيهَا تَفْرِيقُ الْأَقْوَاتِ وَالسِّلَاحِ ، عَلَى قَدَرِ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ . وَإِنِّي أَكُونُ فِي ذَلِكَ كَوَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ يَتَّبِعُنِي كَوَاحِدٍ مِنْ يَتَّبِعُ أَتْبَاعَ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ ، لَا أَتَخَصَّصُ وَلَا أَمَكِّنُ مِنَ التَّخْصِصِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا أَفْتَحُ أَبْوَابَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ إِلَّا فِي الْأَوْقَاتِ الْجَارِيَةِ بِهَا عَادَةُ فَتْحِ أَبْوَابِ الْحُصُونِ ، وَأَغْلِقُهَا فِي الْوَقْتِ الْجَارِيِ بِهِ الْعَادَةُ ، وَلَا أَفْتَحُهَا إِلَّا بِشَمْسٍ ، وَلَا أَغْلِقُهَا إِلَّا بِشَمْسٍ . وَإِنِّي أَطَالِبُ الْحُرَّاسَ وَالِدِرَاجَةَ وَأَرْبَابَ النُّوبِ فِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَوَائِدُ اللَّازِمَةُ لِكُلِّ مَنْهُمْ مِمَّا فِي ذَلِكَ جَمِيعُهُ مَصْلَحَةُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانِ . وَإِنِّي لَا أُسَلِّمُ هَذِهِ الْقَلْعَةَ إِلَّا



لمولانا السلطان فلان، أو بمرسومه الشريف وأمارته الصحيحة وأوامره الصريحة .  
 وإننى لا أستخدم فى هذه القلعة إلا من فيه نفعها وأهلية الخدمة، لا أعمل فى ذلك  
 بغرض نفسى، [ ولا أرخص فيه لمن يعمل بغرض نفس له <sup>(١)</sup> ] ، وإننى أبذل  
 فى ذلك كله الجهد، وأشتر فيه عن ساعد الجد، قال : ويسمى القلعة التى هو فيها .  
 وأما الوزراء وأرباب التصرف [ فى الأموال ] فما يزداد فى تخليفهم : وإننى أحفظ  
 أموال مولانا السلطان فلان - خلد الله ملكه - من التبذير والضياح ، والحونة  
 وتفريط أهل العجز ، ولا أستخدم فى ذلك ولا فى شئ منه إلا أهل الكفاية  
 والأمانة ، ولا أضمن جهة من الجهات الديوانية إلا من الأمانة الأتقياء القادرين ،  
 أو من زاد زيادة ظاهرة وأقام عليه الضمان الثقات ، ولا أؤخر مطالبة أحد بما يتعين  
 عليه بوجه حق من حقوق الديوان المعمور والموجبات السلطانية على اختلافها .  
 وإننى والله العظيم لا أرخص فى تسجيل ولا قياس ، ولا أسأح أحدا بموجب  
 يجب عليه ، ولا أخرج عن كل مصلحة تتعين لمولانا السلطان فلان ولدولته ،  
 ولا أخلى كل ديوان يرجع إلى أمره ، ويعقد بى أمر مباشرته من تصفح  
 لأحواله ، واجتهاد فى تثير أمواله ، وكف أيدى الحونة عنه ، وغل أيديهم أن تصل  
 إلى شئ منه ، ولا أدع حاضرا ولا غائبا من أمور هذه المباشرة حتى أجد فيه ،  
 وأبذل الجهد الكلى فى إجراء أموره على السداد وحسن الاعتماد . وإننى لا أستجد  
 على المستقر إطلاقه ما لم يرسم لى به إلا ما كان فيه مصلحة ظاهرة لهذه الدولة  
 القاهرة، ونفع بين هذه الأيام الشريفة . وإننى والله أودى الأمانة فى كل ما عدى بى  
 ووليت : من القبض والصرف ، والولاية والعزل ، والتأخير والتقديم ، والتقليل  
 والتكثير ، وفى كل جليل وحقيق ، وقليل وكثير .

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٩ .

وأما الدَّوَادَارِيَّةُ وَكُتَّابُ السَّرِّ فيزاد فيهما : وإِنِّي مهما أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ  
مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ - وَنَصَائِحِهِ ، وَأَمْرِ دَانِي مُلْكِهِ وَنَازِحِهِ ، أَوْصَلَهُ  
إِلَيْهِ ، وَأَعْرِضُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا أُخْفِيهِ شَيْئًا مِنْهُ وَلَوْ كَانَ عَلَيَّ ، وَلَا أَكْتُمُهُ وَلَوْ خِفْتُ  
وَصُولَ ضَرَرِهِ إِلَى .

ويفرد الدَّوَادَارُ : بِأَنِّي لَا أُؤَدِّي عَنْ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ رِسَالَةً فِي إِطْلَاقِ مَالٍ ، وَلَا  
أَسْتِخْدَامَ مُسْتَخْدَمٍ ، وَلَا إِقْطَاعَ إِقْطَاعٍ ، وَلَا تَرْتِيبَ مُرْتَبٍ ، وَلَا تَجْدِيدَ مُسْتَجِدٍّ ،  
وَلَا شَادَّ شَاغِرٍ ، وَلَا فَضْلَ مُنَازَعَةٍ ، وَلَا كِتَابَةَ تَوْقِيعٍ وَلَا مَرْسُومٍ ، وَلَا كِتَابٍ  
صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا إِلَّا بَعْدَ عَرْضِهِ عَلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ وَمُشَاوَرَتِهِ ، وَمَعَاوِدَةِ  
أَمْرِهِ الشَّرِيفِ وَمُرَاجَعَتِهِ .

ويفرد كاتب السر : بِأَنَّهُ مَهْمَا تَأَخَّرَتْ قِرَاءَتُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ عَلَى مَوْلَانَا  
السُّلْطَانِ فَلَانٍ مِنَ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ، يَعَاوِدُهُ فِيهِ فِي وَقْتٍ آخَرَ ، فَإِنْ لَمْ يَعَاوِدْهُ فِيهِ بِمَجْمُوعِ  
لَفْظِهِ ، لَطَوَلَهُ الطُّوْلَ الْمَلَّ ، عَاوَدَهُ فِيهِ بِمَعْنَاهُ فِي الْمَلَخَّصَاتِ ، وَأَنَّهُ لَا يُجَاوِبُهُ بِشَيْءٍ لَمْ  
يُنْصَ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ فِيهِ بِنَصٍّ خَاصٍّ ، وَمَا لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِالنَّصِّ فِيهِ لَا يُجَاوِبُ  
فِيهِ إِلَّا بِأَكْلٍ مَا يَرَى أَنَّ فِيهِ مَصْلَحَةً مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ وَمَصْلَحَةً دَوْلَتِهِ بِأَسَدِّ  
جَوَابٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَيَصِلُ أَجْتِهَادُهُ إِلَيْهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا أُمَكَّنَهُ الْمُرَاجَعَةُ فِيهِ لِمَوْلَانَا  
السُّلْطَانِ فَلَانٍ رَاجَعَهُ فِيهِ وَعَمِلَ بِنَصٍّ مَا يَرِسمُ لَهُ بِهِ فِيهِ . هَذَا مَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْهِ كَلَامُهُ .

قال في "التثقيف" : ويزاد النُّوَابُ مِثْلَ قَوْلِهِ : وَلَا أَسْعَى فِي تَفْرِيقِ كَلِمَةِ أَحَدٍ  
مِنْهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَعَلَى أَنْ أَبْذُلَ جُهْدِي وَطَاقَتِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَفِي حِفْظِ  
الْمَمْلُكَةِ الَّتِي أَسْتَنْابُنِي فِيهَا ، وَصِيَانَتِهَا وَحِمَايَتِهَا ، وَمَا بَهَا مِنَ الْقِلَاعِ وَالثُّغُورِ وَالسَّوَاوِحِلِ .  
ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَهُ : وَإِنْ كَاتَبَنِي أَحَدٌ اخ .

(١) فِي "التَّعْرِيفِ" ص ١٥٠ «وَلَا سَدَادُ ثَاغِرٍ» .

قلتُ : والمراد أنه يُؤتى باليمين العامة التي يحلف عليها كلُّ أحدٍ، ثم يزداد لكلِّ واحدٍ من أرباب الوظائف ما يُناسبه مما تقدّم ، ثم يؤتى على بقيّة اليمين من عند قوله : وإِنِّي أَنِّي لمولانا السلطان بهذه اليمين ، إلى آخرها أو ما في معنى ذلك من أيّمان أهل البدع وأصحاب الملل على ما تقدّم ذكره .

ثم قال في "التثقيف" : وقد تتجدد وقائع وأُمور تحتاج إلى التّحليف ، بسببها تتغيّر صيغة المحلوف عليه بالنسبة إلى ما رُسِم به فيها . ثم أشار إلى أنه لم يَرَمْدَ مباشرة بديوان الإنشاء أحدًا ممن ذكره في "التعريف" : من أرباب الوظائف حُلف ، وإنما ذكرها لاحتمال أن تدعو الحاجة إليها في وقت من الأوقات ، أو أنها كانت مستعملة في المتقدّم ، فيكون في تركها إهمالٌ لبعض المصطلح .

قلت : وقد أهملنا في "التعريف" و "التثقيف" : ذكرَ يمينين مما رتبته الكُتّاب وحافوا به في الزمن المتقدّم مما لا غنى بالكاتب عنه .

الأولى — اليمينُ على الهدنة التي تتعقد بين ملكين أو نائبيهما ، أو ملكٍ ونائبٍ ملكٍ آخر ، على ما سيأتى ذكره في المقالة التاسعة ، إن شاء الله تعالى .

وتقع اليمين فيها على ما فيه تأكيد عقْد الهدنة والتزام شروطها والبقاء عليها وعدم الخروج عنها أو عن شيء من ملتزماتها ، وغير ذلك مما يدخل به التطرُّق إلى النقض والتّوصل إلى الفسخ .



وهذه نسخة يمين حُلف عليها السلطان الملك المنصور «قلاوون» على الهدنة الواقعة بينه وبين الحُكّام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها ، من الفرنج الاستبارية ،

في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة، في مباشرة القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر كتابه السر، على ما أورده ابن مكرم في تذكّره، وهي :

أقول وأنا فلان : والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله العظيم ، الطالب ، الغالب ، الضار ، النافع ، المدرك ، المهلك ، عالم ما بدا وما خفي ، عالم السر والعلانية ، الرحمن الرحيم ، وحق القرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه ، وهو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وما يقال فيه من سورة سورة ، وآية آية ، وحق شهر رمضان ، إنني أفي بحفظ هذه الهدنة المباركة التي استقرت بيني وبين مملكة عكا والمقدمين بها على عكا وعثليت وصيدا وبلادها ، التي تضمنتها هذه الهدنة ، التي مدتها عشر سنين كوامل ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ، وعشر ساعات ، أولها يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة من أولها إلى آخرها ، وأحفظها وألزم بجميع شروطها المشروحة فيها ، وأجري الأمور على أحكامها إلى انقضاء مدتها ولا أتأول فيها ولا في شيء منها ، ولا أستفتي فيها طلباً لنقضها مادام الحاكِمون بمدينة عكا وصيدا وعثليت - وهم كافل المملكة بعكا ، ومقدم بيت الروم ، ومقدم بيت الاستبار ، ونائب مقدم بيت الاستبار إلى الآن ، ومن تولى بعدهم في كفالة مملكة ، أو مقدم بيت هذه المملكة المذكورة - وافين باليمين التي يخلفون عليها ( في ولدي الملك الصالح ، ولأولاده ، على استقرار هذه الهدنة المحررة الآن ) عاملين بها وبشروطها المشروحة فيها إلى انقضاء مدتها ، ملتزمين أحكامها ، وإن نكثت في هذه اليمين فيلزمي الحج إلى بيت الله الحرام بمكة حافياً حاسراً ثلاثين حجة ، ويلزمي صوم الدهر كله إلا الأيام المنهية عنها .

ويذكر بقية اليمين إلى آخرها ، ثم يقول : والله على ما أقول وكيل .



وهذه نسخة يمين حلف عليها الفرنج المعاقدون على هذه الهدنة أيضا، في التاريخ  
المقدم ذكره على ما أورده ابن مكرم أيضا، وهى :

والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، وحق المسيح وحق  
المسيح ، وحق الصليب وحق الصليب ، وحق الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد  
المكنى بها عن الأب والأبن وروح القدس إله واحد، وحق الصليب المكرم الحال  
فى الناسوت، وحق الإنجيل المطهر وما فيه، وحق الأناجيل الأربعة التى نقلها متى  
ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحق صلواتهم وتقديساتهم ، وحق التلامذة الاثنتى عشر،  
والاثنتين وسبعين ، والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين للبيعة، وحق الصوت الذى  
نزل من السماء على نهر الأردن فزجره ، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم  
روح الله وكلمته، وحق السيدة مارية أم النور (ومارية مريم) ويوحنا المعمودى  
ومرتمان ومرتمانى، وحق الصوم الكبير، وحق دينى ومعبودى وما اعتقده من  
النصرانية ، وما تلقته عن الآباء والأقساء المعمودية - إني من وقى هذا وساعى  
هذه، قد أخلصت نيتى، وأصفيت طوبى فى الوفاء للسلطان الملك المنصور ولولده  
الملك الصالح ولأولادهما ، بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة التى انعقد الصلح  
عليها، على مملكة عكا وصيدا وعكا وبلادها الداخلة فى هذه الهدنة، المسماة فيها،  
التي مدتها عشر سنين كوامل، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعشر ساعات، أولها  
يوم الخميس ثالث حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربع وتسعين للإسكندر بن فيلبس  
اليونانى، وأعمل بجميع شروطها شرطا شرطا، وألتزم الوفاء بكل فصل فى هذه الهدنة  
المذكورة إلى انقضاء مدتها . وإني والله والله وحق المسيح ، وحق الصليب ،

وَحَقُّ دِينِي لَا أُتَعَرَّضُ إِلَى بِلَادِ السُّلْطَانِ وَوَلَدِهِ ، وَلَا إِلَى مَنْ حَوَّثَهُ وَتَحَوَّيَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَلَا إِلَى مَنْ يَتَرَدَّدُ مِنْهُمْ إِلَى الْبِلَادِ الْدَاخِلَةِ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ بِأَذِيَّةٍ وَلَا ضَرَرٍ فِي نَفْسٍ وَلَا فِي مَالٍ . وَإِنِّي وَاللَّهِ وَحَقُّ دِينِي وَمَعْبُودِي أُسَلِّكُ فِي الْمَعَاهِدَةِ وَالْمُهَاذَنَةِ وَالْمُصَافَاةِ وَالْمُصَادَقَةِ وَحِفْظِ الرَّعِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الْمُرْتَدِّينَ فِي الْبِلَادِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَالصَّادِرِينَ مِنْهَا وَإِلَيْهَا - طَرِيقَ الْمُعَاهِدِينَ الْمُتَصَادِقِينَ الْمُلتَزِمِينَ كَفِّ الْأَذِيَّةِ وَالْعُدْوَانِ عَنِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَأَلْزَمُ الْوَفَاءَ بِجَمِيعِ شُرُوطِ هَذِهِ الْهُدْنَةِ إِلَى أَنْقِضَائِهَا ، مَا دَامَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ وَافِيًا بِالْيَمِينِ الَّتِي حَلَفَ بِهَا عَلَى الْهُدْنَةِ ، وَلَا أَنْقُضُ هَذِهِ الْيَمِينَ وَلَا شَيْئًا مِنْهَا ، وَلَا أَسْتَتْنِي فِيهَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا طَلِبًا لِنَقْضِهَا ، وَمَتَى خَالَفْتُهَا وَنَقَضْتُهَا فَأَكُونُ بَرِيئًا مِنْ دِينِي وَأَعْتِقَادِي وَمَعْبُودِي ، وَأَكُونُ مُخَالِفًا لِلْكَنِيسَةِ ، وَيَكُونُ عَلَيَّ الْحُجُّ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ثَلَاثِينَ حَجَّةً حَافِيًا حَاسِرًا ، وَيَكُونُ عَلَيَّ فَكُّ أَلْفِ أَسِيرٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَسْرِ الْفَرَنْجِ وَإِطْلَاقُهُمْ ، وَأَكُونُ بَرِيئًا مِنَ الْأَلَاهُوتِ الْحَالِّ فِي النَّاسُوتِ ، وَالْيَمِينَ يَمِينِي وَأَنَا فُلَانٌ ، وَالنِّيَّةُ فِيهَا بِأَسْرِهَا نِيَّةُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَنِيَّةُ وَلَدِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَنِيَّةُ مُسْتَحْلَفِي لَهَا بِهَا عَلَى الْإِنْجِيلِ الْكَرِيمِ ، لَا نِيَّةَ لِي غَيْرُهَا ، وَاللَّهُ وَالْمَسِيحُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٍ .

وَكَذَلِكَ كَتَبْتُ الْيَمِينَ ، مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْرُسَ ، وَيَمِينِ صَاحِبِ بَيْرُوتَ وَحِصْنِ الْأَكْرَادِ وَالْمَرْقَبِ مِنَ الْفَرَنْجِ الْإِسْتَبَارِيَّةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةٍ .

قُلْتُ : وَمَقْتَضَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُكْرَمِ فِي إِيرَادِ هَذِهِ الْإِيمَانِ أَنْ نُسَخَّةَ الْيَمِينَ تَكُونُ مُنْفَصِلَةً عَنِ نَسَخَةِ الْهُدْنَةِ كَمَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْإِيمَانِ الَّتِي يُسْتَحْلَفُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنْ مَقْتَضَى كَلَامِ "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : أَنَّ الْيَمِينَ تَكُونُ مُتَّصِلَةً بِالْهُدْنَةِ . وَالَّذِي يَنْجِيهِ أَنَّهُ

إن تيسر الحلف عقيب الهدنة - لوجود المتحالفين - كتب في نفس الهدنة متصلاً بها ، وإلا أفرد كل واحد من الجانبين بنسخة يمين ، كما في غيرها من الأيمان . وربما جردت الهدنة عن الأيمان ، كما وقع في الهدنة الجارية بين الظاهر وبين وبين دون حاكم الريد أرغون ، صاحب برشلونه من بلاد الأندلس ، في شهر رمضان سنة سبع وستين وستمائة على مقتضى ما أورده ابن المكرم في تذكرته .

وأعلم أنه قد يكتفى باليمين عن الهدنة [ باليمين ] في عقد الصلح .

وقد ذكر القاضي تقي الدين ابن ناظر الحيش في "التثقيف" : أنه رتب يميناً حلف عليها الفرنج بالأبواب السلطانية بالديار المصرية عند عقد الصلح معهم ، في سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة ، فيها زيادات على ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" وهي :

والله والله والله العظيم ، إله إبراهيم ، مالك الكُل ، خالق ما يرى وما لا يرى ، صانع كل شيء ومُتَقِنه ، الرب الذي لا يُعبد سواه ، وحق المسيح ، وحق المسيح ، وحق المسيح ، وأمه السيدة مريم ، وحق الصليب ، وحق الصليب ، وحق الإنجيل ، وحق الإنجيل ، وحق الأب والأبن وروح القدس إله واحد من جوهر واحد ، وحق اللاهوت المكرم ، الحال في الناسوت المعظم ، وحق الأناجيل الأربعة التي نقلها متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحق اللاهوت والناسوت وصليب الصلبوت ، وحق التلاميذ الاثني عشر ، والاثني وسبعين ، والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين على البيعة ، وحق الصوت الذي نزل على نهر الأردن فزجره ، وحق السيدة مارية أم النور ، وحق بيعة وقديس وثالوث ، وما يقوله في صلاته كل معمداني ، وحق ما اعتقده من ديز النصرانية ، والملة المسيحية - إني أفعل كذا وكذا ، ومتى

خالفت هذه اليمين التي في عنقي ، أو نقضتها أو نكثتها ، أو سعت في إبطالها بوجه من الوجوه ، أو طريق من الطرق - برئت من المعمودية ، وقلت : إن ماءها نجس ، وإن القرايين رجس ، وبرئت من مريحتنا المعمدان ، والأنجيل الأربعة ، وقلت : إن متى كذوب ، وإن مريم المجدلانية باطلة الدعوى في إخبارها عن السيد يسوع المسيح ، وقلت في السيدة مريم قول اليهود ، ودنت بدينهم في الجحود ، وبرئت من الثالوث ، ومجدت الأب ، وكذبت الابن ، وكفرت بروح القدس ، وخلعت دين النصرانية ، ولزمت دين الحنيفية ، ولطخت الهيكل بجيضة يهودية ، ورفضت مريم ، وقلت : إنها قرنت مع الأستخريوطى في جهنم ، وأنكرت اتحاد اللاهوت والناسوت ، وكذبت القسوس ، وشاركت في ذبح الشمامس ، وهدمت الديارات والكنائس ، وكنت ممن مال على قسطنطين بن هيلاني ، وتعمدت أمه بالغطاس ، وخالفت المجامع التي اجتمعت عليها الأساقف برومية والقسطنطينية ، ومجدت مذهب الملكانية ، وسفّهت رأى الرهبان ، وأنكرت وقوع الصلب على السيد يسوع ، وكنت مع اليهود حين صلبوه ، وحدت عن الحواريين ، وأسبخت دماء الديرانين ، وجذبت رداء الكبرياء عن البطريرك ، وخرجت عن طاعة الباب ، وصمت يوم الفصح الأكبر ، وقعدت عن أهل الشعمانين ، وأبيت عيد الصليب والغطاس ، ولم أحفل بعيد السيدة ، وأكلت لحم الحمل ، ودنت بدين اليهود ، وأبخت حرمة الطلاق ، وهدمت بيدي كنيسة قسامة ، وخنت المسيح في وديعته ، وتزوجت في قرن بامرأتين ، وقلت : إن المسيح كادم خلقه الله من تراب ، وكفرت بإحياء العيازرة ، ومجىء الفارقليط الآخر ، وبرئت من التلامذة الاثني عشر ، وحرّم على الثمائة وثمانية عشر ، وكسرت الصلبان ، ودست برجلي القربان ، وبصقت في وجوه الرهبان عند قولهم : كثير اليصون ، واعتقدت أن بعينه كفر الجون ( ؟ )



وَأَنَّ يُوسُفَ النَّجَّارَ زَنَى بِأُمِّ الْيَسُوعَ وَعَظَّمَهُ ، وَعَظَّمْتُ النَّاقُوسَ ، وَمِلْتُ إِلَى مِلَّةِ  
الْمَجُوسِ ، وَكَسَرْتُ صَلِيبَ الصَّلْبُوتِ ، وَطَبِخْتُ بِهِ لَحْمَ الْجَمَلِ ، وَأَكَلْتُهُ فِي أَقْلِ يَوْمٍ  
مِنَ الصَّوْمِ الْكَبِيرِ ، تَحْتَ الْهَيْكَلِ بِحَضْرَةِ الْآبَاءِ ، وَقُلْتُ فِي الْبِنُوَّةِ مَقَالَ نُسْطُورَسَ ،  
وَوَجَّهْتُ إِلَى الصَّخْرَةِ وَجْهِي ، وَصَدَّيْتُ عَنِ الشَّرْقِ الْمُنِيرِ حَيْثُ كَانَ الْمَظْهَرُ  
الْكَرِيمُ . وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنَ النُّورَانِيِّينَ وَالشَّعْشَعَانِيِّينَ ، وَأُنْكِرْتُ أَنَّ السَّيِّدَ الْيَسُوعَ  
أَحْيَا الْمَوْتَى وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَقُلْتُ : إِنَّهُ مَرْبُوبٌ ، وَإِنَّهُ مَا رُؤِيَ وَهُوَ  
مَصْلُوبٌ ، وَأُنْكِرْتُ أَنَّ الْقُرْبَانَ الْمُقَدَّسَ عَلَى الْمَذْبَحِ مَا صَارَ لَحْمَ الْمَسِيحِ وَدَمَهُ حَقِيقَهُ ،  
وَنَخَرْتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ عَنْ لَاحِبِ الطَّرِيقَةِ . وَإِلَّا قُلْتُ بِدِينِ التَّوْحِيدِ ، وَتَعَبَّدْتُ  
غَيْرَ الْأَرْبَابِ ، وَقَصَدْتُ بِالْمُظَانِيَّاتِ غَيْرَ طَرِيقِ الْإِخْلَاصِ ، وَقُلْتُ : إِنْ الْمَعَادَ غَيْرُ  
رُوحَانِيٍّ ، وَإِنْ بَنَى الْمَعْمُودِيَّةَ لَا تَسِيحُ فِي فَيْسِيحِ السَّمَاءِ ، وَأَثْبَتُ وُجُودَ الْخُورِ الْعَيْنِ  
فِي الْمَعَادِ ، وَأَنَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ التَّلَذُّذَاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ ، وَخَرَجْتُ خُرُوجَ الشَّعْرَةِ مِنْ  
الْعَجِينَ مِنْ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَأَكُونُ مِنْ دِينِي مُحْرُومًا ، وَأَقُولُ : إِنْ جَرَجِيسَ لَمْ يُقْتَلْ  
مَظْلُومًا ، وَنَخَرْتُ غَفَارَةَ الرَّبِّ ، وَشَارَكْتُ الشَّرَّ [بِرَّ] فِي سَلْبِ ثِيَابِهِ ، وَأُحْدِثْتُ تَحْتَ  
صَلَابِيهِ ، وَتَجَمَّرْتُ بِخَشَبَتِهِ ، وَصَفَعْتُ الْجَائِلِيَّ . وَهَذِهِ الْيَمِينُ يَمِينِي وَأَنَا فُلَانٌ ، وَالنِّيَّةُ  
[فِيهَا] بِأَسْرِهَا نِيَّةُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ «شُعْبَانَ» وَنِيَّةُ  
مُسْتَحْلِفِي ، وَالْإِلَهِ وَالْمَسِيحِ عَلَى مَا أَقُولُ وَكِيلٌ .

قُلْتُ : خَلَطَ فِي هَذِهِ الْيَمِينِ بَعْضُ يَمِينِ الْيَعَاقِبَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ مُعْتَقِدِ الْفَرَنْجِ الَّذِينَ  
حَلَفُوا مِنْ مَذْهَبِ الْمَلَكَانِيَّةِ ، يُظْهَرُ ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ مُعْتَقَدَاتِ  
النَّصْرَانِيَّةِ قَبْلَ تَرْتِيبِ أَيْمَانِهِمْ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَتَى فِيهَا بِأَكْثَرِ مَارْتَبَةِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ  
فَضْلِ اللَّهِ فِي تَحْلِيفِهِمْ عَلَى صِدَاقَتِهِ ، وَزَادَ مَا زَادَ مِنَ الْيَمِينِ الْمُرْتَبَةِ فِي التَّحْلِيفِ عَلَى  
الْهُدْنَةِ السَّابِقَةِ وَغَيْرِهَا .

اليمن الثانية — مما أهمله في "التعريف" يمين أمير مكة .

والقاعدة فيها أن يحلف على طاعة السلطان، والقيام في خدمة أمير الركب،  
والوصية بالحجاج، والاحتفاظ بهم .

وهذه نسخة يمين حلف بها الأمير نجم الدين أبو نعيم أمير مكة المشرفة، في الدولة  
المنصورية قلاوون الصالحى، في شعبان سنة إحدى وثمانين وستمائة .

ونُسختها على ما ذكره ابن المكرم في تذكرته بعد استيفاء الأقسام :

إِنِّى أَخْلَصْتُ نِيَّتِي، وَأَصْفَيْتُ طَوْبِي، وَسَاوَيْتُ بَيْنَ بَاطِنِي وَظَاهِرِي فِي طَاعَةِ  
مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، وَوَلَدِهِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ، وَطَاعَةِ أَوْلَادِهِمَا  
وَأَرَثِي مُلْكِهِمَا، لَا أَضْمُرُ لَهُمْ سُوءًا وَلَا غَدْرًا فِي نَفْسٍ وَلَا مُلْكٍ وَلَا سُلْطَانَةٍ . وَإِنِّى  
عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ، صَدِيقٌ لِمَنْ صَادَقَهُمْ، حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، سَلَامٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ . وَإِنِّى  
لَا يُخْرِجُنِي عَنْ طَاعَتِهِمَا طَاعَةُ أَحَدٍ غَيْرِهِمَا، وَلَا أَتَلَفْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى جِهَةٍ غَيْرِ  
جِهَتِهِمَا، وَلَا أَفْعَلُ أَمْرًا مُخَالَفًا لِمَا اسْتَقَرَّ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا أَشْرِكُ فِي تَحْكُمِهِمَا  
عَلَى وَلَا عَلَى مَكَّةَ وَحَرَمِهَا وَمَوْقِفِ جَبَلِهَا زَيْدًا وَلَا عَمْرًا . وَإِنِّى أَلْتَزِمُ مَا اشْتَرَطْتُهُ  
لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ وَلَوْلَدِهِ فِي أَمْرِ الْكُسُوفَةِ الشَّرِيفَةِ الْمَنْصُورِيَةِ الْوَاصِلَةِ مِنْ مِصْرَ  
الْمَحْرُوسَةِ وَتَعْلِيْقِهَا عَلَى الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، وَأَنْ لَا يَعْلُوَهَا كُسُوفَةٌ غَيْرُهَا،  
وَأَنْ أَقْدِمَ عَالِمُهُ الْمَنْصُورُ عَلَى كُلِّ عَالِمٍ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، وَأَنْ لَا يَتَقَدَّمَ عَالِمٌ غَيْرُهُ .  
وَإِنِّى أَسَهِّلُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَيَّامَ مَوَاسِمِ الْحَجِّ وَغَيْرِهَا لِلزَّائِرِينَ وَالطَّائِفِينَ وَالْبَادِينَ  
وَالْعَاكِفِينَ، وَالْآمِينَ لِحَرَمِهِ وَالْحَاجِّينَ وَالوَاقِفِينَ . وَإِنِّى أَجْتَهِدُ فِي حِرَاسَتِهِمْ مِنْ  
كُلِّ عَادٍ بَفْعَلِهِ وَقَوْلِهِ، وَمُتَخَطِّفٍ لِلنَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ . وَإِنِّى أَوْمَنْهُمْ فِي سِرِّهِمْ،  
وَأُعَذِّبُ لَهُمْ مَنَاحِلَ شُرْبِهِمْ، وَإِنِّى وَاللَّهِ أَسْتَمِرُّ بِتَفَرُّدِ الْخُطْبَةِ وَالسَّكَّةِ بِالْأَسْمِ الشَّرِيفِ

المنصوريّ، وأَفْعَلُ في الخِدْمَةِ فَعَلَ المَخْلِصُ الوَلِيّ . وإِنِّني وَاللَّهِ وَاللَّهِ أُمْتَثِلُ مِرَاسِيهِ  
أُمْتَثَالَ النَّائِبِ لِلْمُسْتَنَبِ ، وَأَكُونُ لِدَاعِي أَمْرِهِ أَوَّلَ سَامِعٍ مُجِيبٍ . وإِنِّني أَلْتَزِمُ  
بَشْرُوطَ هَذِهِ الْيَمِينِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا لَا أَنْقُضُهَا .

### المهيع الخامس

( في صورة كتابة نسخ الأيمان التي يحلف بها )

وقد جرت العادةُ أنه إذا أَسْتَقَرَّ مَلِكٌ في الْمُلْكِ يُحْلَفُ لَهُ جَمِيعُ الْأُمَرَاءِ وَالنَّوَابِ  
في الْمُلْكَةِ ، وإذا أَسْتَقَرَّ نَائِبٌ مِنَ النَّوَابِ في نِيَابَةِ حُلَفَا ذَلِكَ النَّائِبِ عِنْدَ أَسْتَقْرَارِهِ ،  
وَرَبَّمَا أَقْتَضَتْ الْحَالُ التَّحْلِيفَ في غير هذه الْأَوْقَاتِ .

ثم الْأَيْمَانُ التي يُحْلَفُ بها على ضَرِيَيْنِ :

### الضرب الأول

( الْأَيْمَانُ التي يحلف بها الْأُمَرَاءُ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَّةِ )

وقد جرت العادةُ أن كُتِّبَ دِيْوَانُ الْإِنْشَاءِ يَجْتَمِعُ مِنْ يَجْتَمِعُ مِنْهُمْ بِالْقَلْعَةِ ،  
وَيَتَصَدَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِتَحْلِيفِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ ،  
وَيُنْصَبُ الْمُصْحَفُ الشَّرِيفُ عَلَى كُرْسِيِّ أَمَامَ الْحَافِينَ ، وَيُحْلَفُ كُلُّ كَاتِبٍ مِنَ  
كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ مِنْ يُحْلَفُهُ نِيْجَاهُ الْمُصْحَفِ بِالْفَاظِ الْيَمِينِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي  
يُرْسَمُ تَحْلِيفُهُمْ عَلَيْهِ ، وَيَكْتُبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَئِكَ الْكُتَّابِ أَسْمَاءَ الَّذِينَ حَلَفَهُمْ  
فِي وَرَقَةٍ وَيُؤَرِّخُهَا وَيَحْمِلُهَا إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ فَتُخَلَّدُ فِيهِ .

### الضرب الثاني

( الأيمان التي يحلف بها نواب السلطنة والأمراء بالملك الشامية وما أنضم إليها )

وقد جرت العادة أنه إذا أريد تحليف نائب من نواب الممالك الخارجة عن الحضرة بالديار المصرية أو أمير من أمرائها أن تكتب نسخة يمين من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ، وتجهز إلى النائب أو الأمير الذي يقصد تحليفه فيحلف على حكمها متلفظا بالفاظها جميعها . قال في "التثقيف" : وصفة ما يكتب في النسخة بعد

البسملة من يمين الورق « أقول وأنا » ثم يخلى بياضا قليلا بقدر أصبعين

لموضع كتابة الخالف اسمه ، ثم يكتب تحته من يمين الورق بهامش دقيق جدا « والله

والله والله » وتكمل تتممة النسخة على ما تقدم ذكره . وتكون سطورها متلاصقة

سطرا إلى سطر إلى عند قوله « وهذه اليمين يميني وأنا » فيخلى بعد ذلك

بياضا قليلا لموضع كتابة اسم الخالف أيضا ، ثم يكتب من يمين الورق : « والنية

في هذه اليمين بأسرها » إلى آخر النسخة .

قلت : وكذلك نسخ الأيمان التي تكتب ليحلف بها في الهدن التي تُفرد الأيمان

فيها عن الهدن ، يخلى فيها بياض لكتابة الاسم بعد قوله « أقول وأنا »

وبعد قوله « وهذه اليمين يميني وأنا » سواء في ذلك اليمين التي يحلف بها

السلطان أو الملك الذي تقع معه المهادنة : من ملوك الإسلام أو ملوك الكفر .

وقد جرت العادة أن يكون الورق الذي تكتب فيه نسخ الأيمان التي يحلف بها

النواب وغيرهم من الأمراء الخارجين عن الحضرة في قطع العادة . أما ما يحلف به

على الهدن فلم أقف فيه على مقدار قطع الورق . والذي يظهر أن كل يمين تكون

في قطع الورق الذي يكتب بها ذلك الملك الذي يحلف .

## المقالة التاسعة

في عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك، وفيها خمسة أبواب<sup>(١)</sup>

### الباب الأول

في الأمانات، وفيه فصلان

### الفصل الأول

في عقد الأمان لأهل الكفر

قال في "التعريف" : وهو أقوى أمور الصلح دلالة على اشتداد السلطان ،  
إذ كان يؤمن الخائف أمنا لا عوض عنه في عاجل ولا آجل ، وفيه طرفان :

#### الطرف الأول

( في ذكر أصله وشرطه وحكمه )

علم أن الأمان هو الأمر الأول من الأمور الثلاثة التي يرفع بها القتل عن الكفار .  
قال العلماء : وهو من مكاييد القتال ومصالحه وإن كان فيه ترك القتال : لأن الحاجة  
[ داعية ] إليه . والأصل فيه من الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
اسْتَجَارَكَ فَاجْرِهِ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ . ومن السنة قوله صلى الله  
عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيُجِيرُ عَائِلَتَهُمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدْعُو عَلَى مَنْ  
سِوَاهُمْ » .

(١) كذا وقع أيضا في فهرست المؤلف ج ١ ص ٢٩ من هذا المطبوع ولكن سيذكر آخر المقالة بابا  
سادسا في الفسوخ .

وقد ذكر الفقهاء له أركاناً وشروطاً وأحكاماً .

فأما أركانه، فتلاثة :

الأول — العاقد للأمان من المسلمين . ولْيُعْلَمَ أَنَّ الأمانَ على ضربين : عامٍّ وخاصٍّ . فالعامُّ هو عَقْدُهُ للعَدَدِ الذي لَا يُحْصَرُ كَأَهْلِ نَاحِيَةٍ ؛ وَلَا يَصِحُّ عَقْدُ الأمانِ فِيهِ إِلَّا مِنَ الإمامِ أَوْ نَائِبِهِ كما فِي الهُدْنَةِ . والخاصُّ هو عَقْدُهُ للواحد أَوْ العَدَدِ المحصور ؛ وَيَصِحُّ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتَفٍ [وإن لم تكن] له أَهْلِيَّةُ القِتَالِ ، فيصح من العَبْدِ والمرأة والشَّيْخِ الهرمِ والسَّفِيهِ والمُفْلِسِ ، بخلاف أمانِ الصَّبِيِّ والمجنون .

الثاني — المعقود له ، وَيَصِحُّ عَقْدُهُ للواحد والعَدَدِ مِنْ ذُكُورِ الكُفَّارِ وإناهم . نَعَمْ فِي تَأْمِينِ المرأةِ عَنِ الاسترقاقِ خلاف .

الثالث — صِيغة العَقْدِ . وهى كُلُّ لَفْظٍ يُفْهِمُ الأمانَ كَنَايَةً كَانَ أَوْ صَرِيحًا ، وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ الإِشَارَةُ الْمُفْهِمَةُ . وَيُعْتَبَرُ فِيهِ قَبُولُ الكافرِ ، فَلَا بَدَّ مِنْهُ حَتَّى لَوْرَدَ الأمانَ لَمْ يَنْعَقِدْ ، وَفِي إِذَا سَكَتَ خِلَافٌ . نَعَمْ لَوْ دَخَلَ للسَّفارةِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةٍ وَنَحْوِهَا ، أَوْ لِسَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يُعْتَبَرُ فِيهِ عَقْدُ الأمانِ ، بَلْ يَكُونُ آمِنًا بِمَجْرَدِ ذَلِكَ ، أَمَا لَوْ دَخَلَ لِقَصْدِ التَّجَارَةِ بِغَيْرِ أمانٍ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ آمِنًا إِلَّا أَنْ يَقُولَ الإمامُ أَوْ نَائِبُهُ : مِنْ دَخَلَ تَاجِرًا فَهُوَ آمِنٌ .

وأما شرطه ، فأن لا يكونَ على المسلمين ضَرَرٌ فِي المُسْتَأْمِنِ : بأن يكونَ طَلِيعَةً أَوْ جَاسُوسًا ، فَإِنَّهُ يَقْتُلُ وَلَا يُبَالَى بِأَمَانِهِ ، وَيُعْتَبَرُ أَنْ لَا تَرِيدَ مَدَّةُ الأمانِ <sup>(١)</sup>

(١) عبارة "المنهاج" ويجب أن لا تزيد مدته على أربعة أشهر "وفي قول يجوز ما لم تبلغ سنة" قال

صاحب التحفة : فان بلغتها امتنع قطعاً .

على سَنَةِ بخلاف الهدنة ، فقد تقدم أنها تجوز عند ضَعْفِ المسلمين إلى عَشْرِ سنين .

وأما حكمه ، فإذا عُقِدَ الأمانُ لزم المَشْرُوط ، فلو قتله مسلمُ وجبت الدِّيةُ . ثم هو جائز من جهة الكُفَّار ، فيجوز للكافر نَبْذُهُ متى شاء ، ولَا زِمَ من جهة المسلمين ، فلا يجوز النَّبْذُ إلا أن يُتَوَقَّعَ من المُسْتَأْمِنِ الشَّرُّ ، فإذا تَوَقَّعَ منه ذلك جاز نَبْذُ العَهْدِ إليه ويلحقُ بِأَمْنِهِ ، وَبَقِيَّةُ فَفِهِ الفَصْلُ مستوفى في كُتُبِ الفِقْهِ .

## الطرف الثاني

( في صورة ما يكتب فيه )

والأصل ما رواه ابن إسحق أن رِفَاعَةَ بنَ زَيْدٍ الخَزَاعِيَّ قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هُدْنَةِ الحُدَيْبِيَّةِ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غُلَامًا ، وأسلم وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ؛ وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كِتَابًا إلى قومه فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كِتَابٌ من محمد رسول الله لِرِفَاعَةَ بنِ زَيْدٍ : إني بعثته إلى قومه »  
« عَامَّةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ ؛ فَمَنْ أَقْبَلَ »  
« مِنْهُمْ فَفِي حِزْبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ » .  
فلما قدم رِفَاعَةُ على قومه أجابوا وأسلموا .

(١) في الأصل الجذامى والتصحيح من السيرة النبوية ص ٣٣ ج ٣ وقد ضبطها بالعبارة .

ثم للكتاب فيه مذهبان :

المذهب الأول — أن يُفْتَحَ الأمانُ بلفظ : « هذا كتابُ أمانٍ » أو « هذا أمانٌ » وما أشبه ذلك ، كما أفتتح النبي صلى الله عليه وسلم ما كتب به لرفاعة بن زيد على ما تقدم .

وعلى ذلك كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه الأمان الذي كتب به لأهل مِصرَ عند فتحها ، ونصّه بعد البسملة :

« هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مِصرَ من الأمان على أنفسهم ومالهم<sup>(١)</sup> وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ، ولا تُساكنهم النوبة . وعلى أهل مِصرَ أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم — خمسين ألف ألف . وعليه ممن جنى نصرتهم ، فإن أبى أحد منهم أن يُجيب رفع عنهم من الجزى بقدر [ هم وذمتنا ممن أبى بريّة ، وإن نقص نهرهم عن غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ] ذلك ، ومن دخل في صلحهم : من الروم والنوبة فله ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن أبى وأختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . وعليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله [ وذمته<sup>(٢)</sup> ] وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين [ وذم المؤمنين ] . وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً ، على أن لا يُغزوا ولا يُمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه ، وكتب وردان وحضر » .

(١) في العبر ص ١١٥ بقية الجزء الثاني « ودمهم » وفيه بعض التغيير من زيادة ونقص .

(٢) الزيادة من العبر ص ١١٥ بقية ج ٢ .



وعلى ذلك كتب الحافظ لدين الله أحد خلفاء الفاطميين الأمان لبهرام الأرمني ، حين صُرف من وزارته وهرب عنه إلى بلاد الأرمن ، وكتب إلى الحافظ يُظهر الطاعة ويسأل تسيير أقاربه ، فكتب له بالأمان له ولأقاربه .

فأما ما كُتب له هو فنصّه بعد البسملة .

هذا أمانُ أمر بكتبه عبد الله ووليه عبد المجيد أبو الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، للأمير المقدم ، المؤيد ، المنصور ، عزّ الخلافة وشمسها ، وتاج المملكة ونظامها ، نخير الأمراء ، شيخ الدولة وعمادها ، ذى المجدين ، مصطفى أمير المؤمنين بهرام الحافظي : فإنك آمن بأمان الله تعالى ، وأمان جدنا محمد رسوله ، وأبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليهما ، وأمان أمير المؤمنين ، على نفسك ومالك ، وأهلك وجميع حالك ، لا ينالك سوءٌ ، ولا يصل إليك مكروه ، ولا تقصد باغتيال ، ولا يخرج بك عن عادة الإحسان والإنعام ، والتميز والإكرام ، وحراسة النفس ، والصون للحريم والأهل ، والرعاية في القرب والبعد ، ما دمت متحيزاً إلى طاعة الدولة العلوية ، ومتصرفاً على أحكام مشايعتها ، موالياً لمواليها ، ومُعادياً لمُعاديها ، ومستمراً على مَرْضاة إخلاصك . فتق بهذا الأمان وأسكن إليه ، وأطمئن إلى مضمونه ، والله بما أودعه كفيل وعليه شهيد ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل وإليه يُنيب .

وأما الأمان الذي كُتب لأقاربه فنصّه :

هذا أمان تقدم بكتبه عبد الله ووليه ، لبسيل وزرقا ، وبهرام ابن أخيهما ، ومن يلتصق إليهم ويتعلق بهم ، ويلتزمون أمره ممن دونهم ، ومن يمسك بسببهم .

مضمونه : إنكم معشر الجماعة بأسركم لما قصدتم الدولة ووفدتم عليها ، وتفيأتم ظلها وهاجرتُم إليها ، شملكم الصنع الجميل ، وغمركم الإنعام السابغ والإحسان الجزيل ، وكُنِتم بالرعاية التامة ، والعناية الخاصة لا العناية العامة ، ووُفِّرَ حَظُّكم من الواجبات المقررة لكم ، والإقطاعات الموسومة بكم ، وكنتم مع ذلك تذكرون رغبتكم في العود إلى دياركم ، والرجوع إلى أوطانكم ، وألِفْنَا إلى مَنْ تركتموه من ورائكم . وقد سرتُم من الباب على قضية المخافة ، وقد أمنتُم أمير المؤمنين ، فأتم آمنون بأمان الله تعالى وأمان جدنا محمد رسولهِ وأبينا أمير المؤمنين : عليَّ بن أبي طالب ، صلى الله عليهما ، وأمان أمير المؤمنين ، على نفوسكم وأهليكم وأموالكم وما تحويه أيديكم ويحوزه ملككم ، ويشتمل عليه احتياطكم ، لا ينالكم في شيء من ذلك مكروه ، ولا سبب مخوف ، ولا يمسكم سوء ، ولا تحشون من ضم ، ولا تقصدون بأذية ، ولا يغير لكم رسم ، ولا تنقض لكم عادة ، وأتم مستمرون في واجباتكم وإقطاعاتكم على ما عهدتموه ، ولا تنقصون منها ، ولا تبخسون فيها . هذا إذا رغبتُم في الإقامة في ظلال الدولة ، فإن آثرتم ما كنتم تذكرون الرغبة فيه من العودة إلى دياركم عند أنفتاح البحر ، فهذا الأمان لكم إلى أن نتوجهوا مشمولين بالرعاية ، ملحوظين بالعناية ، ولكم الوفاء بجميع ذلك ، والله لكم به وكيل وكفيل ، وكفى به شهيدا .

المذهب الثاني — أن يفتح الأمان المكتتب لأهل الكفر بالتحميد ، ثم يقال : « ولما كان كذا وكذا آقتضى حُسنُ الرأي الشريف كذا وكذا » ثم يقال : « فلذلك رُسِم بالأمر الشريف أن يكون كذا وكذا » على نحو ما يُكتب في الولايات .

وعلى ذلك كُتِبَ عن السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » أماناً لفرا كس صاحب السرب ، من ملوك النصارى بالشمال وزوجته ومن معهما من الأتباع ، عند طلبهم التمكن من زيارة القدس الشريف ، وإزالة الأعراض عنهم ، وأستصحاب العناية بهم ، إلى حين عودهم آمينين على أنفسهم وأموالهم ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء .

ونصه بعد البسملة :

أما بعد حمد الله الذى آمنَ بمهابتنا المناهج والمسالك ، ومكّن لكتبتنا المطاعة فى الإفطار والآفاق والممالك ، وأعان على لساننا بدعوة الحق التى تنهى كل كُرب حالك وتكفى كل كُرب حالك ، والشهادة له بالوحدانية التى تنهى المشابه والمشارك ، وتنفى بالميعاد من الإصعاد على الأرائك ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أنجده ببعوث الملا الأعلى من الملائك ، وأيده بالصون الملازم والعون المتدارك ، ووعدّه أن سيبلغ ملك أمته ما بين المشرق والمغرب وأنجز له ذلك ، وعلى آله وصحبه الذين زحزحوا عن المهالك ، ونصحووا لله ورسوله وأكرم بأولئك !!! - فإن كرمنا يرعى الوفود ، وشيئنا تدعى فتجود ، وذمنا بها لحظ الحقوق وحفظ العهود ، فيخدمنا ينجح كل مقصود ، وبنعمنا نمنح الأمانى والمنى وهما أعظم نعمتين فى الوجود ، فليس أمل عن أبواب سماحنا بمرود ، ولا متوسل إلينا بضراعة إلا ويرجع بالمرام ويعود .

ولما كانت حضرة الملك الجليل ، المكرم ، المبجل ، العزيز ، الموقر ، "إستيفانوس فرا كس" : كبير الطائفة النصرانية ، جمال الأمة الصليبية ، عماد بني المعمودية ،

(١) لعله « وأعان لساننا على دعوة الخ » .

صديق الملوك والسلاطين، صاحب السرب - أطل الله بقاءه - قد شمله إقبالنا المعهود، ووصله إفضالنا الذي يحجز عن ميامينه سوء ويخز الوعود - أقنض حسن الرأي الشريف أن نيسر سبيله، ونوفر له من الإكرام جسيمه كما وفرنا لغيره من الملوك مسوله، وأن يمكن من الحضور هو وزوجته ومن معهما من أتباعهما إلى زيارة القدس الشريف، وإزالة الأعراض عنهم، وإكرامهم ورعايتهم، واستصحاب العناية بهم، إلى أن يعودوا إلى بلادهم، آمنين على أنفسهم وأموالهم، ويعاملوا بالوصية التامة، ويواصلوا بالكرامة والرعاية إلى أن يعودوا في كنف الأمن وحريم السلامه، وسبيل كل واقف عليه أن يسمع كلامه، ويتبع إبرامه، ولا يمنع عنهم الخير في سير ولا إقامة، ويدفع عنهم الأذى حيث وردوا أو صدروا فلا يحذروا إلمامه، والله تعالى يوفر لكل مستعين من أبوابنا أقساط الأمن وأقسامه، ويظفر عز منّا المحمدى بالنصر السرمدي حتى يطوق الطائع والعاصي حسامه . والعلامة الشريفة أعلاه حجة فيه، والخير يكون إن شاء الله تعالى :

## الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة التاسعة

( في كتابة الأمانات لأهل الإسلام وما يُكتب فيها ، ومذاهب الكُتاب في ذلك  
في القديم والحديث ، وأصله ، وفيه طرفان )

### الطرف الأول

( في أصله )

إِعلم أنَّ هذا النوع فرعُ الحَقِّه الكُتاب بالنوع السابق ، وإلا فالمُسلم آمنُ بقضية الشرع بمجرد إسلامه ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بَحْثَهَا » . وإنما جرت عادة الملوك بكتابة الأمان لكل من خاف سطوتهم ، لاسيما من خرج عن الطاعة ، وخيف استئثار الفساد باستمرار خروجه عن الطاعة خوفاً ، حتى صار ذلك هو أغلب ما يُكتب من دواوين الإنشاء .

وقد ورد في السنة ما يدلُّ لذلك ، وهو ما رواه أبو عبيد في "كتاب الأموال" عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشَّخِير أنه قال : كنا بالمرْبَد ومعنا مُطَرِّف ، إذ أتانا أعرابيٌّ ومعه قطعة أديم ، فقال : أفيكم من يقرأ ؟ قلنا : نعم ، فأعطانا الأديم فإذا فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« من محمد رسول الله لبي زهير بن أقيش من عكْل . إنكم إن شهدتم »  
« أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ، وَفَارَقْتُمُ الْمُشْرِكِينَ ، »

«وَأُعْطِيتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ الْخُمْسَ، وَسَمَّيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّغِيرَ»؛  
«أَوْ قَالَ : وَصَفِيَّهِ، فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» .

### الطرف الثاني ( فيما يُكتب في الأمانات )

وللكتاب في ذلك مذهبان :

المذهب الأول — أن يفتح الأمان بلفظ : « هذا كتاب أمان » أو « هذا أمان » ونحو ذلك ، على ما تقدم في الفصل السابق .

قال في «مواد البيان» : والرسم فيه : « هذا كتاب أمان ، كتبه فلان بن فلان الفلاني أمير المؤمنين أو وزيره ، لفلان بن فلان الفلاني الذي كان من حاله كذا وكذا ، فإنه قد آمنه بأمان الله تعالى وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم وأمانه » .  
فإن كان عن الوزير قال : « وأمان أمير المؤمنين فلان بن فلان وأمانه ، على نفسه وماله ، وشعره ، وبشره ، وأهله ، وولده ، وحرمة ، وأشياعه ، وأتباعه ، وأصحابه ، وحاله ، وذات يده ، وأملاكه ، ورباعه ، وضياعه ، وجميع ما يخصه ويخصهم — أماناً صحيحاً ، نافذاً واجباً لازماً ، لا ينقض ولا يفسخ ولا يبدل ، ولا يتعقب بخاتلة ، ولا دهان ولا مؤاربة ، ولا حيلة ولا غيلة . وأعطاه على ذلك عهد الله وميثاقه وصفقة يمينه ، بنية خالصة له ولجميع من ذكر معه ، وعفاه عن كل جريرة متقدمة ، وخطيئة سالفة ، إلى يوم تاريخ هذا الأمان ، وأحلّه من ذلك كله ، وأستقبله بسلامة النفس ونقاء السريرة ، وأوجب له من الرعاية ما أوجبه لأمثاله ،

ممن شمله ظلُّه ، وكنفته رعايته ، حاضرًا وغائبًا ، وملَّكه من اختياره قريبًا وبعيدًا ،  
وأن لا يُكرِّهه على ما لا يريد ، ولا يلزمه بما لا يختاره .

قلتُ : هذا ما أصَّله صاحبُ "مواد البيان" : في كتابة الأمانات . ومقتضاه  
أفتتاح جميع الأمانات المكتتبة عن الخليفة أو الوزير أو غيرهما بلفظ « هذا » .  
وسياتى أن الأمانات قد تُفتَحُ بغير هذا الافتتاح : من الحمد وغيره ، على ما سياتى  
بيانه ، ولعل هذا كان مُصطلح زمانه فوقَّف عنده .

وبالجملة فالأمانات المكتتبة لأهل الإسلام على نوعين :

## النوع الأول

( ما يُكتب عن الخلفاء ، وفيه مذهبان )

المذهب الأول — طريقة صاحب "مواد البيان" المتقدمة الذِّكر ، وهى  
أن يُفتَحَ الأمان بلفظ « هذا » . وحينئذ فيقال : « هذا كتابُ أمانٍ كتبَه عبد الله  
فلان أبو فلان أمير المؤمنين الفلاني » ، أعزَّ الله تعالى به الدين ، وأدام له التَّكِين ،  
لفلان الفلاني ، فإنه قد أمَّنه بأمان الله تعالى ، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم  
وأمانه ، على نفسه ، وماله ، وشعره ، وبشره ، وأهله ، وولده ، وحرمة ، وأشياعه ،  
وأتباعه ، وأصحابه ، وحاله ، وذات يده ، وأملاكه ، ورباعه ، وضياعه ، وجميع  
ما يُحصيه ويُحصُّهم — أمانًا صحيحًا ، نافذا وإيجابًا لازمًا ، لا يُنقض ولا يُفسخ ،  
ولا يُبدل ، ولا يُتَعَقَّبُ بخاتلة ، ولا دِهَانٍ ولا مُوَارَبَةٍ ، ولا حيلة ولا غيلة ، وأعطاه  
على ذلك عهد الله وميثاقه وشفقة يمينه ، بنية خالصة له وجميع من ذكر معه ،  
وعفا له عن كل جريرة متقدمة ، وخَطِيئَةٍ سالفَةٍ ، إلى يوم تاريخ هذا الأمان ،

وأحلّه من ذلك كلّهُ ، وأستقبله بسلامة النفس ونقاء السريّة ، وأوجب له من الرّعاية ما أوجبه لأمثاله : ممّن شمله ظلّه ، وكفّفته رعايته ، حاضرا وغائبا ، وملكه من اختياره قريبا وبعيدا ، وأن لا يكرهه على ما لا يريدّه ، ولا يلزمه بما لا يختاره .  
وغير ذلك مما يقتضيه الحال ويدعو إليه المقام .

المذهب الثّاني — أن يفتح الأمان بخطبة مفتوحة بالحمد . والرسم فيه أن يُستفتح الأمان بخطبة يكرّر فيها الحمد مرتين أو ثلاثا فأكثر ، بحسب ما يقتضيه حال النّعمة على من يصدر عنه الأمان في الاستظهار على من يؤمّنه . يحمّد الله في المرّة الأولى على آلائه ، وفي الثانية على إعزاز دينه ، وفي الثالثة على بعثة نبيّه ، وفي الرابعة على إقامة ذلك الخليفة من بيت النبوّة لإقامة الدّين . ويأتى مع كلّ واحدة منها بما يناسب ذلك ، ثم يذكر الأمان في الأخيرة .



وهذه نسخة أمان من هذا النّص ، كتبت به عن بعض متقدّمي خلفاء بنى العباس ببغداد ، أوردها أبو الحسين أحمد بن سعيّد في "كتاب البلاغة" الذي جمعه في التّرسّل :

الحمد لله المرجو فضله ، المخوف عدله ، بارئ النّسم ، ووليّ الإحسان والنّعم ، السابق في الأمور علمه ، النّافذ فيها حكمه ، بما أحاط به من ملك قدرته ، وأنفذ من عزائم مشيئته ، كلّ ما سواه مدبر مخلوق وهو أنشأه وأبتداه ، وقدر غايته ومُنتهاه .

والحمد لله المعزّ لديّنه ، الحافظ من حرّماته ما تربّض المتربّضون<sup>(١)</sup> عن حيّاطته ، المذكي من نوره ما دأب الماحدون لإطفائه حتّى أعلاه وأظهره كما وعد في منزل

(١) في اللسان « رجل رُبُضَة ومترَبُّض عاجز » ولعل ما هنا منه وهى في الأصل بالصّاد المهملة .



فُرقانه بقوله جَلَّ شَأْؤُهُ : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ .

والحمد لله الذي بعث محمداً رحمةً للعالمين ، وحجةً على الجاحدين ، نختم به النبيين والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وجعله الداعي إلى دين الحق ، والشهيد على جميع الخلق ، فادى إليهم ما استودع من الأمانة ، وبلغهم ما حمل من الرسالة ؛ فلما أنقذ الله به من التورط في الضلالة ، والتهور في العمى والجهالة ؛ وأوضح به المعالم والآثار ، ونهج به العدل والمنار ، اختار له ما لديه ، ونقله إلى ما أعد له في دار الخلود : من النعيم الذي لا ينقطع ولا يبيد . ثم جعله في لحمته وأهله وراثته بما قلدهم من خلافته في أمته ، وقدم لهم شواهد ما اختصهم به من الفضيلة ، وزلفه الوسيلة ، في كتابه الناطق ، على لسان نبيه الصادق ، صلى الله عليه وسلم - منها ما أخبر به من تطهيره إياهم : ليجعلهم لما اختاره معدناً ومحلاً ، إذ يقول جَلَّ وَعَزَّ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ . ومنها ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من مسأله أمته المودة ، فقد أوضح لدوى الأبواب أنهم موضع خيرته ، بتطهيره إياهم ، وأهل صفوته ، بما افترض من مودتهم ، وولاة الأمر الذين قرن طاعتهم بطاعته .

ولم يزل الله بعظيم منه وإنعامه يدعم أركان دينه ، ويشيد أعلام هدايه ، باعزاز السلطان الذي هو ظله في أرضه ، وقوام عدله وقسطه ، والحجاز الدائد لهم عن الظالم والتعاشم ، والحصن الحريز عند مخوف البوائق وملم النوائب ؛ فليس يكيد ولا ته المستقلين بحق الله فيه كائد ، ولا يجحد ما يجب لهم من حق الطاعة جاحد ، إلا من أنطوى على غش الأمم ، ومحاولة التشتيت للكلمه .

والحمد لله على ما تولى به أمير المؤمنين في البدء والعاقبة : من الإدلاء بالحنة ، والتأييد بالغبلة ؛ عند تشوه من حيز وطأة الخفض (؟) ، متبعا لكتاب الله حيث سلك به حكمه ، مقتفيا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنسابت أمانه ، باذلا لله نفسه ، لا يصده وعيد من تكبر وعتا ، ولا يوحشه خذلان من أدبر وتولى ، مُتَظَرًّا لمن نكث عهده وغدر ببيعته وأتمس المكر به في حقه الآيات الموجبة في قوله : « ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ » . « فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ » . مُكْتَفِيًّا بالله ممن خذله ، مُسْتَعِينًا به على من نصب ، لا يَسْتَفِزُهُ ما أَجْلَبَ به الشيطان من خيله ورجله ، وهو في أنصاره المعتصمين ، لا تستهويهم الشبه في بصائرهم ، ولا تخونهم قواعد عزائمهم في ساعة العسرة من بعد ما كادت تزيغ قلوب فريق منهم ، فكتبهم أمير المؤمنين ، وأهدهم لعدوه ، ينتظرون إحدى الحسنيين : من الفلج المبين ، والفوز بالشهادة والسعادة ، فليس يلفتهم عن حقهم ما يتلقون به من الترغيب والترهيب ، ولا يزدادون على عظيم التهاويل والأخطار إلا تقحما وإقداما ، مُتَمَثِّلِينَ لِسِيرِ إِخْوَانِهِمْ قَبْلَهُمْ فِيمَا أَقْتَصَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ شَأْنِهِمْ ، إِذْ يَقُولُ جَلَّ وَعَزَّ : « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » .

وكان بداية جُند أمير المؤمنين في حربهم التَّقدُّمُ بالإعذار والإنذار ، والتَّخْوِيفُ بالله جَلَّ وَعَزَّ وأَيَّامه ، وما هم مسئولون عنه في مقامه : من عهوده المؤكدة عليهم في حرمة ، وبين ركن كعبته ومقام خليله ، المعلقة في بيته ، الشاهد عليها وفوده .

فكان أول ما بصرهم الله به حُجَّتُهُ التي لا يقطعها قاطع ، ولا يدفعها دافع ، ثم ما جعلهم الله عليه من التناصر والتوازر الذي فت في أعضادهم ، ورماهم به من

التَّخَاذُلُ والتَّوَاكُلُ ، فَكُلَّمَا نَجَحَتْ لَهُمْ قُرُونٌ أَجْتَنَّتْهَا اللَّهُ بِحَدِّ أَوْلِيَائِهِ ، وَكُلَّمَا مَرَقَ مِنْهُمْ مَارِقٌ أَسَالَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ .

وَمَحْلُوعُهُمُ الْمُبْتَدِئُ بِمَا عَادَتْ عَلَيْهِمْ نِقْمَتُهُ وَنَكَالُهُ قَدْ أَعْلَقَ بِالرَّدَّةِ ، وَصَرَّحَتْ شَيَاطِينُهُ بِالْغَدْرِ وَالنَّكَثِ ، يَرَى بِذَلِكَ الدَّلَّ فِي نَفْسِهِ وَحِزْبِهِ ، وَتَنْتَقِصُ عَلَيْهِ الْأَرْضُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، وَيُؤْتَى بُنْيَانُهُ مِنْ قَوَاعِدِهِ ، وَيَرُدُّ اللَّهُ جُيُوشَهُمْ مَفْلُولَةً ، وَجُنُودَهُمْ مُحَلَّلَةً عَنْ مَرَاكِزِهَا ، مَقْمُوعًا بِأَطْلُهَا . وَلَيْسَ مَعَ مَا نَالَهُ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ جَلٌّ وَعِزٌّ نَازِعًا عَنْ أَتْهَاكِ مُحَارِمِهِ وَمَا ثَمِّهِ ، وَلَا مُحَدَّثًا عَنْ جَائِحَةٍ يُحِلُّهَا بِهِ إِحْجَامًا عَنْ التَّعَهُمِ فِي مَلَا حِمَةِ الْمَلْبَسَةِ لَهُ فِي عَاجِلِ مَا يُرِيدُهُ وَيُؤَيِّقُهُ ، وَآجِلِ مَا يَرِصُّدُ اللَّهُ بِهِ الْمُعَانِدِينَ عَنْ سَبِيلِهِ ، النََّاكِبِينَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - إِذْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ مُتَبَايِنَ الْأَلْفَةِ ، وَضَمَّ لَهُ مُتَشِيرَ الْفُرْقَةِ ، عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِحَرْبِهِ وَحِزْبِهِ ، وَعَدُوَّهُ وَوَلِيَّهُ ، وَمَنْ سَعَى لَهُ أَوْ عَلَيْهِ ، أَوْ أَطَاعَ اللَّهَ أَوْ عَصَاهُ فِيهِ : مِنْ وَافٍ بَبَيْعَةٍ ، أَوْ خَاتِرٍ بِإِلٍّ وَذِمَّةٍ [ جَدِيرٌ ] أَنْ يَعْمَّ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ كَافَّةَ رَعِيَّتِهِ ، وَيَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بِحُسْنِ عَائِدَتِهِ ، وَيَشْمَلَهُمْ بِمَسْوَطِ عَدْلِهِ وَكَرِيمِ عَفْوِهِ ، وَتَقْدِيمِ أَهْلِ الْأَفْكَارِ الْمَحْمُودَةِ ، فِي الْمَوَاطِنِ الْمَشْهُودَةِ ، بِمَا لَمْ تَزَلْ أَنْفُسُهُمْ تَشْرَبُ إِلَيْهِ ، وَأَعْيُنُهُمْ تَرْنُو نَحْوَهُ ، لَتُحْمَدَ عَنْهُمْ عَاقِبَةُ الطَّاعَةِ ، وَيُعْجَلَ لَهُمُ الْوَفَاءُ بِمَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ ، إِلَى مَا ذُخِرَ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْمُثُوبَةِ وَمَزِيدِ الشُّكْرَانِ . وَأَمْرٌ لِفُلَانٍ بِكَذَا ، وَلِمَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْغَنَاءِ بِكَذَا ، وَأَمْنٌ الْأَسْوَدَ وَالْأَحْمَرَ ، مَا خَلَا الْمُلْحِدَ ابْنَ الرَّبِيعِ ، فَإِنَّهُ سَعَى فِي بِلَادِ اللَّهِ وَعِبَادِهِ سَعَى الْمَفْسِدِينَ ، وَالْتَمَسَ نَقْضَ وَثَائِقِ الدِّينِ .

بِخَمِيعٍ مِنْ حَلِّ مَدِينَةِ السَّلَامِ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ ، غَيْرِ مُتَّبِعِينَ بِتَرَةٍ ، وَلَا مَطْلُوبِينَ بِإِحْنَةٍ ، فَلَا تَدْخُلَنَّ أَحَدًا وَحْشَةً مِنْهُمْ لَضَغِينَةٍ يَظُنُّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَنْطَوَاءَ عَلَيْهَا ، وَلَا

يُجْلَنَّهُ مَا عَفَا لَهُ عَنْهُ مِنْ ذَنْبِهِ عَلَى [خلاف] مَا هُوَ مُسْتَوْجِبٌ مِنْ ثَوَابِ طَاعَتِهِ أَوْ نَكَالِ مَعْصِيَتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يَقُولُ : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .  
 فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَلْهَمَ خَلِيفَتَكُمْ ، مِنْ إِثَابَةِ أَهْلِ السَّوَابِقِ مِنْكُمْ بِأَوْفَى سَعْيِهِمْ ،  
 وَالتَّطَوُّلِ عَلَى عَامَّةِ جُنْدِهِ بِمَا شَمَلُوهُمْ بِرَفْقِهِ وَحَسَنَتْ عَلَيْهِمْ عَائِدَتُهُ ، وَمَا تَعَطَّفَ بِهِ  
 عَلَى أَهْلِ التَّفْرِيطِ : مِنْ إِقَالَةِ هَفَوَاتِهِمْ وَعَثَرَاتِهِمْ ، حَتَّى صِرْتُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا  
 مُتَرَا فِدِينَ ، قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ أَضْغَانَكُمْ وَنَزَعَ حَسَائِكَ صُدُورِكُمْ ، وَرَدَّ الْفَتْكَ إِلَى أَحْسَنِ  
 مَا يَكُونُ ، وَصَرُّتُمْ بَيْنَ مُتَقَدِّمٍ بَغْنَاءٍ ، وَمُقَمَّعٍ بِإِحْسَانٍ . فَخَافِظُوا عَلَى مَا يُرْتَبِطُ بِهِ رَاهُنُ  
 النِّعْمَةِ ، وَيُسْتَدْعَى بِهِ حُسْنُ الْمَزِيدِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

## النوع الثاني

( من الأمانات التي تُكْتَبُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، مَا يُكْتَبُ بِهِ عَنِ الْمُلُوكِ ،  
 وَهُوَ عَلَى ضَرْبَيْنِ )

### الضرب الأول

( مَا كَانَ يُكْتَبُ مِنْ هَذَا النَّمَطِ فِي الزَّمَنِ السَّابِقِ ، مِمَّا كَانَ يُصَدَّرُ عَنْ وَزَرَاءِ  
 الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَى الْأَمْرِ مَعَهُمْ ، وَلَهُمْ فِيهِ أَسْلُوبَانِ )

### الأسلوب الأول

( أَنْ يُصَدَّرَ بِالنَّمِطِ الْمُسْتَأْمِنِ الْأَمَانِ )

وَهَذِهِ نُسْخَةُ أَمَانٍ مِنْ هَذَا الْأُسْلُوبِ ، كَتَبَ بِهَا أَبُو [إِسْحَاقَ بْنِ] هَلَالِ الصَّابِيِّ ،  
 عَنْ صَمَّصَامِ الدَّوْلَةِ ، بَنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، بَنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، بَنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيِّ لِبَعْضِ  
 مَنْ كَانَ مُتَخَوِّفًا مِنْهُ ، وَهُوَ :

هذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملّة أبي كاليبجار ، بن عضد الدولة وتاج  
الملّة أبي شجاع ، بن ركن الدولة أبي عليّ مولى أمير المؤمنين - لفلان بن فلان .

إنك ذكرت رغبتك في الأنحياز إلى جملتنا ، والمصير إلى حضرتنا ، والسكون إلى  
ظلتنا ، والسكنى في كنفنا ؛ وألتمست التوثقة منا بما تطيب به نفسك ، ويطمئن  
إليه قلبك ؛ فتقبلنا ذلك منك ، وأوجبنا به الحق والذمام لك ، وأمنّاك بأمان الله جلّ  
شأنه ، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم ، [وأمان<sup>(١)</sup>] أمير المؤمنين أطل الله بقاءه ،  
وأماننا - على نفسك ، وجوارحك ، وشعرك ، وبشرتك ، وأهلك ، وولدك ، ومالك ،  
وذات يدك : أماناً صحيحاً ماضياً نافذاً ، واجبا لازماً ؛ ولك علينا بالوفاء به إذا صرت  
إلينا عهد الله وميثاقه ، من غير نقض له ولا فسخ لشيء منه ، ولا تأويل عليك فيه  
على [كل] وجه وسبب .

ثم إننا نتناولك إذا حضرت بالإحسان والإجمال ، والأصطناع والإفضال ، موفين  
بك على أملك ، ومتجاوزين حدّ ظنك وتقديرك . فأسكن إلى ذلك وثق به ،  
وتيقن أنك محمول عليه ، ومفوض إليه . ومن وقف على كتابنا هذا : من عمّال  
الخراج والمعاون وسائر طبقات الأولياء والمتصرفين في أعمالنا ، فليعمل بما فيه ،  
وليحذر من تجاوزه أو تعديه ؛ إن شاء الله تعالى .



وعلى نحو من ذلك كتب أبو إسحق الصابى ، عن صمصام الدولة المقدم ذكره ،  
الأمان للجماعة من عرب المنتفق ، بواسطة محمد بن المسيّب ، وهو :

(١) الزيادة من رسائل الصابى الخطية .

هذا كتاب منشور من صمصام الدولة، وشمس الملة، أبي كاليجار، بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع، بن ركن الدولة أبي علي، مولى أمير المؤمنين لجماعة من العرب من المنتفق، الراغبين في الطاعة والداخلين فيها مع أولياء الدولة.

إن محمد بن المسيب سأل في أمركم، وذكر رغبتكم في الخدمه، والآنحياز إلى الجمله، وأتمس أمانكم على نفوسكم وأموالكم، وأهلكم وعشيرتكم، على أن تلتزموا الاستقامه، وتسلخوا سبيل السلامه، ولا تخيفوا سبيلا، ولا تسعوا في الأرض فسادا، ولا تخالفوا للسلطان وولاية أعماله أمرا، ولا تؤوا له عدوا، ولا تعادوا له وليا، ولا تجيروا أحدا خرج عن طاعته، ولا تدموا لأحد طلبه، ولا تخونوه في سر ولا جهر، ولا قول ولا عمل. فرأينا قبول ذلك منكم، وإجابة محمد إلى ما رغب فيه عنكم، وتضمنته العهدة فيما عقد من هذا الأمان لكم على شرائطه المأخوذة عليكم: في الكف عن الرعية والسابلة، وأهل السواد والحاضرة، وترك التعرض للال والدم، أو الانتهاك لدمية أو محرم، أو الارتكاب لمنكر أو مائمه.

فكونوا على هذه الحدود قائمين، وللصحة والاستقامة معتقدين، ولأحداثكم ضايطين، وعلى أيدي سفهائكم آخذين، وأتمم مع ذلك آمنون بأمان الله جل جلاله، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمان مولانا أمير المؤمنين، وأماننا: على نفوسكم وأموالكم وأحوالكم، وكل داخل في هذا الأمان وشرائطه معكم: من أهلكم وعشيرتكم وأتباعكم، ومن ضمته حوزتكم.

ومن قرأ هذا الكتاب من عمال الخراج والمعاون، والمتصرفين في الحمارة والسيارة وغيرهم من جميع الأسباب، فليعمل بمضمونه، وليحمل جماعة هؤلاء القوم على موجبيه، إن شاء الله تعالى.

## الأسلوب الثانى

( أن لا يتعترض فى الأمان لالتماس المستأمن الأمان )

وهذه نسخة أمان على هذا الأسلوب ، أورده أبو الحسين بن الصابى فى كتابه "غرر البلاغة" ونصه بعد البسملة :

هذا كتاب من فلان مولى أمير المؤمنين لفلان .

إننا أمانك على نفسك ومالك وولدك وحريمك ، وسائر ما تحويه يدك ، ويشتمل عليه ملكك ، بأمان الله جلّت أسماؤه ، وعظمت كبريائه ، وأمان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأماننا - أماناً صحيحاً غير معلول ، وسليماً غير مدخول ، وصادقاً غير مكذوب ، وخالصاً غير مشوب ، لا يتداخله تأويل ، ولا يتعقبه تبديل ، قد كفله القلب المحفوظ ، وقام به العهد الملحوظ - على أن تملك الصيانة فلا يلحقك اعتراض معترض ، وتكنفك الحراسة فلا يطرقك اغتراض معتصم ، وتعرفك النصرة فلا ينالك كف متخطف ، ولا تمتد إليك يد متطرف ، بل تكون فى ظل السلامة راتعاً ، وفى محاماة الأمانة وادعاً ، وبعين المراقبة ملحوظاً ، ومن كل تعقب وتبّع محفوظاً ، لك بذلك عهد الله الذى لا يخفى ، ومواثيقه التى لا تنكث ، وذيماؤه الذى لا يرفض ، وعهده الذى لا ينقض :

## المذهب الثانى

(مما يكتب به فى الأمانات لأهل الإسلام - أن يفتح الأمان بلفظ : «رسم»

كما تفتح صغار التواقيع والمراسيم ، وهى طريقة غريبة )

وهذه نسخة أمان على هذا النمط ، أوردها محمد بن المكرم أحد كتّاب ديوان الإنشاء فى الدولة المنصورية «قلاوون» فى تذكرته التى سماها : «تذكرة اللبيب»

كتب بها عن المنصور قلاوون المقدم ذكره ، للتجار الذين يصلون إلى مصر من الصين والهند والسند واليمن والعراق وبلاد الروم ، من إنشاء المولى فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية ، وهي :

رُسم - أعلى الله الأمر العالی - لا زال عدله يحل الرعايا من الأمن في حصن حصين ، ويستخلص الدعاء لدولته الزاهرة [ من ] أهل المشارق والمغارب فلا أحد إلا وهو من المخلصين ، ويهيئ برحابها للمعتفين جنة عدن من أي أبوابها شاء الناس دخولاً : من العراق من العجم من الروم من الحجاز من الهند من الصين - أنه من أراد من الصدور الأجلاء الأكابرة التجار وأرباب التكسب ، وأهل التسبب ، من أهل هذه الأقاليم التي عُدَّت والتي لم تُعدد ، ومن يؤثر الورود إلى ممالكها إن أقام أو تردد - الثقلة إلى بلادنا الفسيحة أرجاؤها ، الظليلة أفيائها وأفناؤها ، فليعزم عزم من قدر الله له في ذلك الخير والخير ، ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ميرة ولا إلى ذخيرة : لأنها في الدنيا جنة عدن لمن قطن ، ومسلة لمن تغرب عن الوطن ، ونزهة لا يملها بصر ، ولا تهجر للإفراط في الخصر<sup>(١)</sup> ، والمقيم بها في ربيع دائم ، وخير ملازم ، ويكفيها أن من بعض أوصافها أنها شامة الله في أرضه ، وأن بركة الله حاصلة في رحل من جعل الإحسان فيها من قراضه والحسنة من قرضه ، ومنها ما إذا أهبط إليها أمل كان له ما سأل ، إذ أصبحت دار إسلام بجنود تسبق سيوفهم العدل ، وقد عمر العدل أوطانها ، وكثر سكانها ، واتسعت أبنيتها إلى أن صارت ذات المدائن ، وأيسر المعسر فيها فلا يخشى سورة المدائن ، إذ المطالب بها

(١) الخصر بالتحريك البرد .



غير متعسره ، والنظرة فيها إلى ميسره ؛ وسائر الناس وجميع التجار ، لا يحشون فيها من يجوز فان العدل قد أجار .

فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين باليمن والهند ، والصين والسند ، وغيرهم ، فليأخذ الأهبة في الارتحال إليها ، والقُدوم عليها ؛ ليجد الفعال من المقال أكبر ، ويرى إحساناً يقابل في الوفاء بهذه العهود بالأكثر ؛ ويحل منها في بلدة طيبة ورب غفور ، وفي نعمة جزاؤها الشكر وهل يجازى إلا الشكور ؛ وفي سلامة في النفس والمال ، وسعادة تجلّ الأحوال وتُمَوِّل الآمال ؛ ولهم منا كل ما يؤثرونه : من معدلة تجيب دأعيها ، وتحمّد عيشتهم دواعيها ، وتبقى أموالهم على مخلّفيهم ، وتستخلصهم لأن يكونوا متقيين في ظلالها وتصطف فيهم ؛ ومن أحضر معه بضائع من بهار وأصناف تحضرها تجار الكارم فلا يخاف عليه في حق ، ولا يكلف أمراً يشق ، فقد أبقى لهم العدل ما شاق ورفع عنهم ما شق ؛ ومن أحضر معه منهم ممالك وجوارى فله في قيمتهم ما يزيد على ما يريد ، والمسامحة بما يتعوضه بئمنهم على المعتاد في أمر من يجلبهم من البلد القريب فكيف من البعيد : لأن رغبنا مصروفة إلى كثير الجنود ، ومن جلب هؤلاء فقد أوجب حقاً على الجود ؛ فليستكثر من يقدر على جلبهم ، ويعلم أن تكثير جيوش الإسلام هو الحاث على طلبهم : لأن الإسلام بهم اليوم في عزّ لواؤه المنشور ، وسلطانه المنصور ، ومن أحضر منهم فقد أخرج من الظلمات إلى النور ؛ وذمّ بالكفر أمسه وحّد بالإيمان يومه ، وقاتل عن الإسلام عشيرته وقومه .

هذا مرسومنا إلى كل واقف عليه من تجار شأنهم الضرب في الأرض : ﴿ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأُخْرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . ليقراءوا منه ما تيسر لهم

من حُكْمِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِنَجْمِهِ، وَيَعْتَدُونَ بِعِلْمِهِ؛ وَيَمْتَطُونَ كَاهِلَ الْأَمَلِ الَّذِي يَجْلِبُهُمْ عَلَى الْمِجْرَه، وَيَسْطُونَ أَيْدِيَهُمْ بِاللُّدْعَاءِ لِمَنْ يَسْتَدْنِي إِلَى بِلَادِهِ الْخَلَائِقَ لِيُفُوزُوا مِنْ إِحْسَانِهِ بِكُلِّ نَضَارَةٍ وَبِكُلِّ نَظْرَةٍ، وَيَغْتَنِمُونَ أَوْقَاتَ الرَّبْحِ فَإِنَّهَا قَدْ أُدْنَتْ قِطَافُهَا، وَبَعَثْتُ بِهَذِهِ الْوُعُودِ الصَّادِقَةِ إِلَيْهِمْ تُحَقِّقُ لَهُمْ حُسْنَ التَّأْمِيلِ، وَتُثَبِّتُ عَنْدهُمْ أَنْ الْخَطَّ الشَّرِيفَ حَاكِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى مَا قَاتَلَهُ الْأَقْلَامُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

قلتُ : هذا المكتوبُ وإن لم يكن صريحاً أماناً فإنه في معنى الأمان، كما أشار إليه ابنُ المُكْرَمِ . وفيه غرابتان : إحداهما - الافتتاح « برسم » ، والثانية - الكتابةُ به إلى الآفاق البعيدة والأقطار النائية، إشارةً إلى امتداد لسان قلم هذه المملكة إليهم .

## الضرب الثاني

(من الأمانات التي تُكُتَبُ لأهل الإسلام ماعليه مصطلحُ زماننا، وهي صنفان)

### الصنف الأول

( ما يُكُتَبُ من الأبواب السلطانية )

والنظر فيه من جهة قَطْعِ الْوَرَقِ، ومن جهة الطَّرَةِ، ومن جهة ما يُكُتَبُ فِي الْمَتْنِ .

فأما قَطْعُ الْوَرَقِ فقد قال في "التثقيف" : إنَّ الْأَمَانَ لَا يُكُتَبُ إِلَّا فِي قَطْعِ الْعَادَةِ .

قلتُ : والذي يَتَجَبُّهُ أَنْ تَكُونَ كِتَابَةُ أَمَانٍ كُلِّ أَحَدٍ فِي نَظِيرِ قَطْعِ وَرَقِ الْمَكْتَابَةِ إِلَيْهِ . فإن كان من تُكُتَبُ الْمَكْتَابَةُ إِلَيْهِ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ، كُتِبَ لَهُ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ . وإن كان فِي قَطْعٍ فَوْقَ ذَلِكَ، كُتِبَ فِيهِ .

وأما الطَّرة فقد قال في "التَّحْقِيفِ" : إنه يُكْتَبُ في أعلى الدَّرَجِ في الوَسَطِ الأَسْمُ الشَّرِيفُ ، كما في المكاتبات وغيرها ، ثم يكتب من أول عَرْضِ الورقِ إلى آخره كما في سائر الطَّرَرِ ما صُوِّرَتْهُ :

« أَمَانٌ شَرِيفٌ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْفُلَانِيُّ » بأنَّ يُحْضَرُ إلى الأبواب الشريفة ، أو إلى بَلَدِهِ أو مكانه ، أو نحو ذلك آمِنًا على نَفْسِهِ وأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، لا يُصِيبُهُ سُوءٌ ، ولا يَنَالُهُ ضَمٌّ ، ولا يَمْسُهُ أَذًى ، على ما شَرَحَ فيه .

قلتُ : والعلامةُ في الأمانِ الأَسْمُ ، والبياضُ بعد الطَّرة على ما في المكاتبات إما وَصْلَانٍ أو ثَلَاثَةً ، بحسب ما تقتضيه رُتْبَةُ صاحبِ الأمان ، وبحسب ما يقتضيه الحال : من مُدَارَاةٍ مَنْ يُكْتَبُ له الأمان : نَحْوُ اسْتِشْرَاءِ شَرِّهِ وما يُخَالِفُ ذلك .

وأما مَتْنُ الأمانِ : فَإِنَّهُ تُكْتَبُ الْبَسْمَلَةُ في أوَّلِ الوَصْلِ الثَّالِثِ أو الرَّابِعِ ، بهامِشٍ من الجانبِ الأيمنِ كما في المكاتبات ، ثم يُكْتَبُ سَطْرٌ من الأمان تحتَ الْبَسْمَلَةِ على سَمْتِهَا ، ويخلَّى موضعُ العلامة بياضًا كما في المكاتبات ، ثم يكتب السَّطْرُ الثَّانِي وما يليه على نَسْقِ المكاتبات .

قال في "التعريف" : ويجمعُ المقاصدُ في ذلك أن يُكْتَبَ بعد الْبَسْمَلَةِ : « هذا أَمَانٌ اللهُ تَعَالَى وَأَمَانٌ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ [ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ] <sup>(١)</sup> صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَانُنَا الشَّرِيفُ ، لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْفُلَانِيُّ [ وَيَذْكُرُ أَشْهُرَ أَسْمَائِهِ وَتَعْرِيفَهُ ] <sup>(١)</sup> ، على نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَجَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ : من قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ، وَجَلِيلٍ وَحَقِيرٍ - أَمَانًا لَا يَبْقَى مَعَهُ خَوْفٌ وَلَا جَزَعٌ في أوَّلِ أَمْرِهِ وَلَا آخِرِهِ ، وَلَا عَاجِلُهُ وَلَا آجِلُهُ ، يَخْصُ وَيُعَمُّ ، وَتُصَانُ بِهِ النَّفْسُ وَالْأَهْلُ وَالْوَلَدُ وَالْمَالُ وَكُلُّ ذَاتِ الْيَدِ . فليَحْضُرْهُوَ

(١) من "التعريف" ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

وَبَنُوهُ، وَأَهْلُهُ وَذَوُوهُ وَأَقْرَبُوهُ، وَغُلَامَانَهُ وَكُلَّ حَاشِيَتِهِ، وَجَمِيعُ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ دَانِيَتِهِ وَقَاصِيَتِهِ، وَلِيَصِلَ بِهِمُ إِلَيْنَا، وَيَقْدُ عَلَى حَضْرَتِنَا فِي ذِمَامِ اللَّهِ وَكِلَاءَتِهِ وَضَمَانِهِ هَذَا الْأَمَانِ، لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ مِنَّا، وَلَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ قِبَلِنَا، وَلَا يُتَعَرَّضُ إِلَيْهِ بِسُوءٍ وَلَا أَدَى، وَلَا يُرْتَقَى لَهُ مَوْرِدٌ بِقَدَى، وَلَهُ مِنَّا الْإِحْسَانُ، وَالصَّفَاءُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَالرَّعَايَةُ الَّتِي تُؤَمِّنُ سِرْبَهُ [وَتُهْنِي سِرْبَهُ] وَيَطْمَئِنُّ [بِهَا] خَاطِرُهُ، وَتُرْفَرُ عَلَيْهِ كَالسَّحَابِ لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَاطَرُهُ.

فَلْيَحْضُرْ وَائْتَقِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِهَذَا الْأَمَانِ الشَّرِيفِ، وَقَدْ تَلَفَّظْنَا لَهُ بِهِ لِيُزَادَ وَثُوقًا، وَلَا يَجِدَ بَعْدَهُ سُوءُ الظَّنِّ إِلَى قَلْبِهِ طَرِيقًا. وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ إِكْرَامُهُ فِي حَالِ حُضُورِهِ، وَإِجْرَاؤُهُ عَلَى أَحْسَنِ مَا عَاهَدَ مِنْ أُمُورِهِ، وَلِيَكُنَّ لَهُ وَلِكُلِّ مَنْ يَحْضُرُ مَعَهُ أَوْفَرُ نَصِيبٍ مِنَ الْإِكْرَامِ، وَتَبْلُغُ قُصَارَى الْقَصْدِ وَنَهَايَةَ الْمَرَامِ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ.»

وَذَكَرَ فِي "التَّقْيِيفِ": بِصِغَةِ أُخْرَى أُخْصَرَ مِنْ هَذِهِ، وَهِيَ:

«هَذَا أَمَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَانُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَانُ الشَّرِيفِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْفُلَانِيِّ، بَأَنْ يَحْضُرَ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ آمِنًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، لَا يُصِيبُهُ سُوءٌ، وَلَا يَنَالُهُ ضَمٌّ، وَلَا يَمَسُّهُ أَدَى. فَلْيَتَّقِ بِاللَّهِ وَبِهَذَا الْأَمَانِ الشَّرِيفِ وَيَحْضُرْ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ، آمِنًا مُطْمَئِنًّا، لَا يُصِيبُهُ سُوءٌ، وَلَا يَنَالُهُ أَدَى فِي نَفْسٍ وَلَا مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا وَلَدٍ. وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ، وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ بَيْنَهُ وَكَرَمُهُ.»

وَزَادَ فَقَالَ: ثُمَّ التَّارِيخُ وَالْمُسْتَنْدُ وَالْحَسْبَةُ. وَلَا يُكْتَبُ فِيهِ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» لِأَنَّهَا تَقْتَضِي الْإِسْتِثْنَاءَ فِيمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمَانِ الْمَذْكُورِ.

ثم قال : هذا هو الأمر المستقر من ابتداء الحال وإلى آخر وقت ، لم يكتب خلاف ذلك . غير أن القاضي شهاب الدين ذكر النسخة المذكورة بزيادات حسنة لا بأس بها ، لكنني لم أر أنه كتب بها في وقت من الأوقات . ثم قال : وهي في غاية الحسنى ، وكان الأولى أن لا يكتب إلا هي .

قلت : وقد رأيت عدة نسخ أمانات فيها زيادات ونقص عما ذكره في "التعريف" و"التثقيف" . والتحقيق ما ذكره صاحب "مواد البيان" : وهو أن مقاصد الأمان تختلف باختلاف الأحوال ، والذي يضبط إتمامها هو صورة الأمان ، أما المقاصد فإن الكاتب يدخل في كل أمان ما يليق به مما يناسب الحال .

وهذه نسخة أمان ، كتب بها لأسد الدين ربيعة أمير مكة ، في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارباري ، وهي :

هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأماننا الشريف ، للجلوس العالي الأسدي ربيعة ابن الشريف نجم الدين محمد بن أبي نمي : بأن يحضر إلى خدمة السنجق الشريف المجهز ضجة الجناح السيفي ايتمش الناصري ، آمناً على نفسه وماله وأهله وولده وما يتعلق به ، لا يخشى حلول سطوة قاصمه ، ولا يخاف مؤاخذه حاسمه ، ولا يتوقع خديعة ولا مكراً ، ولا يجد سوءاً ولا ضرراً ، ولا يستشعر مهابة ولا وجلاً ، ولا يرهب بأساً وكيف يرهب من أحسن عملاً ؟ ، بل يحضر إلى خدمة السنجق آمناً على نفسه وماله وآله ، مطمئناً واثقاً بالله وبرسوله وبهذا الأمان الشريف المؤكد الأسباب ، المبيض للوجوه الكريمة الأحساب ، وكل ما يخطر بباله أنا نؤاخذه به فهو مغفور ، والله عاقبة الأمور ،

وله منّا الإقبال والتأثير والتقديم ، وقد صفحنا الصفح الجميل : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ .

فليثق بهذا الأمان الشريف ولا تذهب به الطنون ، ولا يصغ إلى الذين لا يعلمون ؛ ولا يستشرف في هذا الأمر غير نفسه ، ولا يظن إلا خيراً فيومه عندنا ناسخ لأمره ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم [ فيما يرويه عن ربه ] : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنِّ بِي خَيْرًا » .

فتمسك بعروة هذا الأمان فإنها وثقى ، وأعمل عمل من لا يضل ولا يشقى ؛ ونحن قد أمناك فلا تخف ، ورعينا لك الطاعة والشرف ؛ عفا الله عما سلف ؛ ومن أمناه فقد فاز ، فطب نفساً وقر عيناً فأنت أمير الحجاز .

قلت : هذا الأمان إنشاء مبتكر مطابق للواقع ، وهكذا يجب أن يكون كل أمان يكتب .



وهذه نسخة أمان كتب بها عن السلطان الملك الظاهر « برقوق » عند محاصرته لدمشق بعد خروجه من الكرك بعد خلع من السلطنة : أمّن فيها أهل دمشق خلا الشيخ شهاب الدين بن القرشي وجر دمر الطاربي ، كتب في ليلة يسفر صباحها عن يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام ، سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وهي :

هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان نبيه سيدنا محمد نبي الرحمة ، وشفيع الأمة ، وكاشف الغممة ، صلى الله عليه وسلم ، وأماناً لكل واقف عليه من أهل مدينة دمشق المحروسة : من القضاة ، والمفتين ، والفقهاء ، وطالبي العلم الشريف ، والفقراء والمساكين ، والأمراء ، والأجناد ، والتجار ، والمتسببين ، والشيوخ ، والكهول

والشَّبَّان ، والجَبَّار والصَّغار ، والذُّكُور والإناث ، والخاصَّ والعامَّ من المسلمين و [أهل] الذمة ، إلا جردم الطاربي ، وأحمد بن القَرَشِيَّ - على أنفُسِهِمْ ، وأموالِهِمْ ، وأولادِهِمْ ، وأهلِهِمْ ، وحرَمِهِمْ ، وأصحابِهِمْ ، وأتباعِهِمْ ، وغلَمَانِهِمْ ، وقبائِلِهِمْ ، وعشائرِهِمْ ، ودَوَابَّهُمْ ، وما يملكونه من ناطقٍ وصامتٍ ، وكلِّ ما يتعلق بِهِمْ : من كثيرٍ وقليلٍ ، وجليلٍ وحقيقٍ . أمانٌ لا يبقى معه خوفٌ ولا جَرَعٌ ، في أوَّلِ أمرِهِ ولا في آخرِهِ ، ولا في عاجِلِهِ ولا في آجِلِهِ ، ولا ضَرٌّ ، ولا مَكْرٌ ، ولا غَدْرٌ ، ولا خديعةٌ ، يُحْصَى وَيَعْمَ ، وتُصانُ به النفسُ والمالُ ، والولدُ والأهلُ ، وكلُّ ذاتٍ يدُ .

فليحْضُرُوا ببَنِيهِمْ ، وأهلِهِمْ وذوِيهِمْ ، وأقربائِهِمْ ، وغلَمَانِهِمْ ، وحاشيتِهِمْ ، وجميع ما يملكونه من ناطقٍ وصامتٍ ، ودانٍ وقاصٍ ، وليصلُّوا بِهِمْ إلينا ، وليفدُوا بِهِمْ على حَضْرَتِنَا الشريفةِ في ذمامِ الله تعالى وكَلالَتِهِ ، وضمانِ هذا الأمان . لهم ذِمَّةُ الله تعالى وذِمَّةُ رسوله سيدنا محمدٍ نبيِّ الرَّحمةِ ، صلى الله عليه وسلم - أن لا ينالَهُمْ مَكْرُوهٌ مِنَّا ، ولا من أحدٍ من قِبَلِنَا ؛ ولا يُتَعَرَّضَ إِلَيْهِمْ بِسُوءٍ ولا أَذًى ، ولا يُرَقَّ لَهُمْ مَوْرِدٌ بَقَدَى ؛ ولهم مِنَّا الإحسانُ ، والصِّفاءُ بالقلبِ واللِّسانِ ؛ والرعايةُ التي نؤمنُ بها سِرِّهِمْ ، ونَهْيُهَا سِرِّهِمْ ، وَيَطْمَئِنُّ بها خَاطِرُهُمْ ، وتُزْفَرُ عَلَيْهِمْ كالسَّحابِ لا ينالُهُمْ إلا ما طَرَهُمْ .

فليحْضُرُوا واثقينَ بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبهذا الأمان الشريف . وقد تَطاعْنَا بِهِمْ ليزدادُوا وثوقًا ، ولا يَجِدَ سُوءُ الظَّنِّ بعد ذلك إلى قلوبِهِمْ طَرِيقًا . وسبيلُ كُلِّ واقِفٍ عليه إكرامُهُمْ في حالِ حضورِهِمْ ، وإجراؤُهُمْ على أكملِ ما عَهْدُوهُ من أمورِهِمْ ؛ وليَكُنْ لَهُمْ ولكُلِّ من يحْضُرُ معهم وما يُحْضِرُ أوفرُ نصيبٍ من الإكرامِ ، والقبُولِ والاحترامِ ، وتَبْلِغُ قُصَارَى القَصْدِ ونهايةِ المَرَامِ ، والصَّفْحِ والرِّضا ، والعفو عما مَضَى ؛ ولِيَتَمَسَّكُوا بعُرْوَةِ هذا الأمان المؤكِّدِ الأسبابِ ، الفاتحِ

إلى الخيرات كلَّ باب؛ وليثقفوا بعروته الوثقى، فإنه من تمسك بها لا يضل ولا يشقى؛  
وليشرحوا بالصفح عما مضى صدرا، ولا يخشوا ضيًّا ولا ضرا، ولا يعرض كلُّ  
منهم على نفسه شيئا مما جنى وأقترف، فقد عفا الله عما سلف .

ونحن نعرفهم أن هذا أماننا بعد صبرنا عليهم نيِّفاً وأربعين يوماً مع قُدْرَتنا على  
دوس ديارهم وتحريرها، واستئصال شائتهم، ولكنا منعنا من ذلك الكتاب العزيز  
والسنة الشريفة، فإننا مستمسكون بهما، وخوفنا من الله تعالى ومن نيِّه سيدنا  
محمد صلى الله عليه وسلم واليوم الآخر ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ  
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وهم يغالطون أنفسهم ويظنون أن تأخيرنا عنهم عن عجز منا .

فليتلقوا هذا الأمان الشريف بقلوبهم وقالهم، وليرجعوا إلى الله تعالى، وليصونوا  
ديارهم وأموالهم وأولادهم، وحرّمهم وديارهم، فقد رأوا ما حلَّ بهم من نكبتهم  
وبغيهم . قال الله عز وجل : ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا  
عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ . وقال عز من قائل : ﴿وَالْمُؤْفُونَ بعهدهم  
إِذَا عَاهَدُوا﴾ في معرض المدح لمن وفى بعهده : وقال جل وعلا : ﴿ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ  
لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ . وقال تبارك وتعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ .  
وقال تعالى : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ . وقال النبي صلى الله  
عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه كن عليه : المكر والبغي والخديعة » . وقال عليه  
السلام : « المرء مجزئ بعمله » . وقال عليه السلام : « الجزء من جنس العمل » .  
وقال أهل التصوف : (الطريق تأخذ حَقَّها) . وقال أهل الحكمة : (الطبيعة كافية) .  
وقال الشاعر :

قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْبَغَى يَصْرَعُ أَهْلَهُ \* وَأَنَّ عَلَى الْبَاغَى تَدْوِيرُ الدَّوَائِرِ !



ثم إنهم يُعلّلون آمالهم بعسى ولعلّ ، ويقولون : العسكرُ المِصرى واصلٌ إليهم نجدةً لهم ، وهذا والله من أكبر حَسراتنا أن تكون هذه الإشاعة صحيحة ، وبهذا طمعت آمالنا ، وصبرنا هذه المدة الطويلة ، وتمنينا حضوره ورجوانه ، فإنه بأجمعه مما ليك أبوانا الشريفة ، وقد صارت الممالك الشريفة الإسلامية المحروسة في حوزتنا الشريفة ، ودخل أهلها تحت طاعتنا المفترضة على كل مسلم يؤمن بالله تعالى وبنييه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وباليوم الآخر : من حاضر وبأد ، وعربان وأكراد وتركمان ، وقاص ودان ؛ وهم يتحققون ذلك ويكابرُونَ في المحسوس ويتعلّلون بعسى ولعلّ ، ويقولون : ياليت ، فيقال لهم : هيات .

فليستدرِكوا الفارط قبل أن يعضوا أيديهم ندما ، وتجري أعينهم بدل الدموع دما ، وهذا منا والله أمان ونصيحة في الدنيا والآخرة ، والله تعالى ربّ النيات ، وعالم الخفيات ، يعلمون ذلك ويعتمدونه ؛ والله تعالى يوفّقهم فيما يبدؤونه ويعيدونه ؛ والخط الشريّف شرفه الله تعالى وأعلاه ، وصرفه في الآفاق وأمضاه - أعلاه ، حجة فيه .

قلت : وهذا الأمان أوله مُلَفّق من كلام "التعريف" وغيره ، وآخره كلام سُوقِي مبتدل نازل ، ليس فيه شيء من صناعة الكلام .

(تنبيه) من غرائب الأمانات ما حكاه محمد بن المكرم في كتابه : "تذكرة اللبيب" أن رُسُلَ صاحب اليمن وفدّت على الأبواب السلطانية ، في الدولة المنصورية «قلاوون» في شهر رمضان ، سنة ثمانين وستمائة ، وسألوا السلطان في كُتب أمان لصاحب اليمن ، وأن يُكتب على صدره صورة أمان له ولأولاده ، فكتب له ذلك وشملتُه علامة السلطان ، وعلامة ولده وليّ عهده «الملك الصالح على» وأعلمهم

أَنَّ هَذَا مِمَّا لَمْ تَجْرِبْهُ عَادَةً ، وَإِنَّمَا أَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ إِكْرَامًا لِمُخْدُومِهِمْ ، وَمُوَافَقَةً لِفَرَضِهِ وَأَقْتِرَاحِهِ .

### الصنف الثاني

( من الأمانات الجارية عليها مصطلح كُتَاب الزَّمان ، ما يُكْتَب  
عن نواب الممالك الشامية )

وهو على نحو ما تقدّم ذكره مما يُكْتَب عن الأبواب السلطانية ، إلا أنه يُزَاد فيه :  
« وَأَمَانٌ مَوْلَانَا السُّلْطَان » وتُذَكَّر ألقابه المعروفة ، ثم يُؤْتَى على بَقِيَّة الأمان ، على  
الطريقة المتقدمة ، ويقال في طَرَّتِهِ : « أمان كريم » . ويقال في آخره : « والعلامة  
الكريمة » كما تقدّم في التواقيع .

وهذه نُسخةُ أمانٍ كُتِبَ به عن نائب السلطنة بحلب في نيابة الأمير قشتمر  
المنصوري ، في الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » لبعض من أراد تأمينه ، وهي :

هَذَا أَمَانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَمَانُ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَانُ  
مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ ، الْعَالِمِ ، الْعَادِلِ ، الْمُجَاهِدِ ، الْمُرَاطِ ، الْمُتَأَغِيرِ ، الْمُؤَيِّدِ ،  
الْمَالِكِ ، الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، مُجِي  
الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ ، مُنْصِفِ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، قَامِعِ الْكُفَرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ ، قَاهِرِ  
الطُّغَاةِ وَالْمُعْتَدِينَ ، مُؤَمِّنِ قُلُوبِ الْخَائِفِينَ وَالتَّائِبِينَ ، مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ ، صَاحِبِ الْقِبْلَتَيْنِ  
خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَارِثِ الْمُلْكِ ، سُلْطَانِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالتُّرْكِ ، مَلِكِ  
الْأَرْضِ ، الْحَاكِمِ فِي طَوْلِهَا وَالْعَرَضِ ، سَيِّدِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، قَسِيمِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
« شعبان » ابْنِ الْمَلِكِ الْأَمْجَدِ جَمَالِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ « حسين » ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ

الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين «محمد» ابن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور «قلاوون» - خلد الله ملكه، وجعل الأرض بأسرها ملكه - إلى فلان بالحضور إلى الطاعة الشريفة : طيب القلب، منبسط الأمل، آمناً على نفسه وماله وأولاده، وجماعته وأصحابه ودوابه، لا يخاف ضرراً ولا مكراً، ولا خديعة ولا غدرًا، وله مزيد الإكرام والاحترام، والرعاية الوافرة الأقسام، والعفو والرضا، والصفح عما مضى .

فليتمسك بعروة هذا الأمان المؤكد الأسباب، الفاتح إلى الخيرات كل باب، وليثق بعروته الوثقى، فإنه من تمسك بها لا يضل ولا يشقى، وليشرح بالصفح عما مضى صدرًا، ولا يخش ضيًا ولا ضرًا، ولا يعرض على نفسه شيئًا مما جنى وأقترف، فقد عفا الله عما سلف، والخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه حجة فيه .

قلت : ومما ينبغى التنبيه عليه في الأمانات، أنه إن احتاج الأمر في الأمان إلى الأيمان، أتى بها بحسب ما يقتضيه حال الحالف والمحلوف له، على ما تقدم ذكره في المقالة الثامنة .

## الباب الثاني

### من المقالة التاسعة

#### (في الدفن)

والمراد به دفن ذنوب من يُكْتَب له حتى لم تُرَبِّدْ، وفيه فصلان :

## الفصل الأول

في أصـله وكونه مأخوذاً عن العرب

والأصل فيه ما ذكره في "التعريف" أن العرب إذا جَنَى أحدٌ منهم جنايةً، وأراد المجَنَى عليه العَفْو عما وقع، فالتَّعْوِيلُ في الصَّفْح فيها على الدَّفْن. قال في "التعريف" : وطريقتهم فيه أن تجتمع أكابرُ قبيلةِ الذي يَدْفِن بحضور رجالٍ يثقُ بهم المدفونُ له، ويقومُ منهم رجلٌ، فيقول للمَجْنَى عليه : نريدُ منك الدَّفْنَ لفلانٍ، وهو مُقَرَّبٌ بما أهاجَكَ عليه، ويُعدَّد ذنوبه التي أُخِذَ بها ولا يُبْقَى منها بقيةٌ، ويُقرُّ الذي يَدْفِنُ ذلك القائلُ على أن هذا جُملَةٌ ما نَقِمه على المدفون له، ثم يحفرُ بيده حفيرةً في الأرض، ويقولُ : قد أَلْقَيْتُ في هذه الحَفِيرَةِ ذُنُوبَ فلانٍ التي نَقَمْتُها عليه، ودَفَنْتُها له دَفْنِي لهذه الحَفِيرَةِ، ثم يردُّ ترابَ الحَفِيرَةِ إليها حتى يَدْفِنَها بيده. قال : وهو كثيرٌ متداولٌ بين العرب، ولا يطمئنُّ خاطرُ المذنبِ منهم إلا به، إلا أنه لم تجرِ للعرب فيه عادةٌ بكتابة، بل يُكْتَفَى بذلك الفعلُ بمحضِ كِبَارِ الفريقين، ثم لو كانت دِمَاءٌ أَوْ قَتْلٌ عُفِّتْ وَعَفَّتْ بها آثارُ الطلاب.

## الفصل الثاني

### من الباب الثاني من المقالة التاسعة

( فيما يكتب في الدفن عن الملوك )

قال في " التعريف " : وصورته أن يكتب بعد البسملة : « هذا دفنٌ لذنوب فلان ، من الآن لا تُذكر ولا يطالب بها ، ولا يُؤخذ بسببها ، أقتضته المراحمُ الشريفةُ السلطانية الملكية الفلانية ، ضاعف الله تعالى حسناتها وإحسانها : وهي ما بدا من الذنوب لفلان من الجرائم التي ارتكبها ، والعظائم التي آتت بها ، وحصل العفو الشريف عن زللها ، وقابل الإحسان العيم بالتغميد سوء عملها ؛ وهي : كذا وكذا ( وتذكر ) : دفنًا لم تبق معه مؤاخذهٌ بسبب من الأسباب ، ومات به الحقد وهيل عليه التراب ، ولم يبق معه لمطالب بشيء منه مطمع ، ولا في إحيائه رجاء وفي غير ما وارت الأرض فاطمع ، تصدق بها سيدنا ومولانا السلطان الأعظم ( ويذكر ألقابه وأسمه ) - تقبل الله صدقته - وعفا عنها ، وقطع الرجاء باليأس منها ، وأبطل منها كل حق يطلب ، وصفح منها عن كل ذنب كان [ به ] <sup>(١)</sup> يستدنب ، ودفنها تحت قدميه ، ونسيها في علم كرمه ، وخلّاها نسيًا منسيًا لا تُذكر في خفارة ذممه ، وجعله بها مقيمًا في أمن الله تعالى إلى أن يبعث الله تعالى خلقه ، ويتقاضى كما يشاء حقه ، لا يتعقب في هذا الأمان متعقب ، ولا ينتهي إلى أمد له نظر مترقب ، لا ينبش هذا الدفين ، ولا يوقف له على أثر في اليوم ولا بعد حين ؛ ولا يُخشى فيه صبر مُصابِر ، ولا يُقال فيه :

(١) الزيادة عن " التعريف " ص ١٦٦ .

إِلَّا وَهَبَهَا كَشَىءٍ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحَ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ . وَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِي ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي الْفُلَانِي - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَرَّفَهُ ، وَغُفِرَ بِهِ لِكُلِّ مُذْنِبٍ مَا أَسْلَفَهُ - أَنْ يُكْتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابُ بِمَا عُفِيَ لَهُ عَنْهُ وَحُفِرَ لَهُ وَدُفِنَ ، وَأَصْبَحَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ مُرْتَبِّينَ ؛ وَدُفِنَ لَهُ فِيهِ دَفْنُ الْعَرَبِ ، وَقُطِعَ فِي التَّذَكُّرِ لَهُ أَرْبُ كُلِّ [ ذِي ] أَرْبٍ ؛ وَدُرِسَ فِي الْقُبُورِ الدَّوَارِسُ ، وَغُيِّبَ مَكَانُهُ فِيمَا طُمِرَ فِي اللَّيَالِي الدَّوَامِسُ .

وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ - وَهُوَ الْحِجَّةُ عَلَى مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ ، أَوْ بَلَغَهُ خَبْرُهُ ، أَوْ سَمِعَهُ أَوْ وَضَحَ لَهُ أَثَرُهُ - أَنْ يَتَنَاسَى هَذِهِ الْوَقَائِعَ ، وَيَتَّخِذَهَا فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ الْأَرْضُ مِنَ الْوَدَائِعِ ، وَلَا يَذْكُرُ مِنْهَا إِلَّا مَا آقَتْضَاهُ حِلْمُنَا الَّذِي يُؤْمِنُ مَعَهُ التَّائِبُ ، وَعَقُوبُنَا الَّذِي شَمِلَ وَعَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ .

قَالَ فِي "التَّحْقِيفِ" : وَلَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَلَا وَجَدْتُهُ مَسْطُورًا إِلَّا فِي كِتَابَةِ "التَّعْرِيفِ" . قَالَ : وَالَّذِي أَعْتَقِدُهُ أَنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ بِهِ قَطُّ ، وَإِنَّمَا الرَّجُلُ بِسَعَةِ فَضْلِهِ وَفَضِيلَتِهِ ، أَرَادَ أَنْ يَرْتَّبَ هَذِهِ النُّسخةَ لِاحْتِمَالِ أَنْ يُؤْمَرَ بِكِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، فَلَا يَهْتَدِي الْكَاتِبُ إِلَى مَا يَكْتُبُهُ . ثُمَّ قَالَ : عَلَى أَنَّهُ كَرَّرَ فِيهَا ذِكْرَ السُّلْطَانِ مَرَّتَيْنِ ، وَالثَّلَاثَةَ قَالَ : رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، فَهِيَ عَلَى غَيْرِ نَحْوٍ مِنَ النِّظَامِ الْمَعْهُودِ وَالْمَصْطَلَحِ الْمَعْرُوفِ ، بِحُكْمِ أَنْ فِيهَا أَيْضًا تَوْسَعًا كَثِيرًا فِي الْعِبَارَةِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي تُؤَدِّي كُلُّهَا مَعْنَى وَاحِدًا . قَالَ : وَكَانَ الْأَوَّلِيُّ بِنَا آخِصَارَ ذَلِكَ وَعَدَمَ كِتَابَتِهِ ، لَكِنَّا أَرَدْنَا التَّنْبِيهَ عَلَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ، لِيَكُونَ هَذَا الْكِتَابُ مُسْتَوْعِبًا لِجَمِيعِ مَا ذُكِرَ ، مِمَّا يُسْتَعْمَلُ وَمِمَّا لَا يُسْتَعْمَلُ .

قلتُ : ما قاله في ”التثقيف“ كلامٌ ساقطٌ صادرٌ عن غير تحقيق ، فإنه لا يلزم من عدم اطلاعه على شيءٍ كُتب في هذا المعنى ولا سطر فيه أن لا يكون مسطوراً لأحدٍ في الجملة . وماذا عسى يبلغ اطلاع المطلع فضلاً عن غيره ؟ وإن كان صاحبُ ”التعريف“ هو الذي ابتكر ذلك ، كما أشار إليه في ”التثقيف“ فنعمت السَّجِيَّةُ الآتية بمثل ذلك مما لم يُسبق إليه . وأما إنكاره تكرير ذكر السلطان فيها ، فلا وجه له بعد انتظام الكلام وحسن ما أتى به في ”التعريف“ سواء كان فيه مبتكراً أو متبعاً أو منتزعاً له من الأصل السابق .

وأحسن ما يكتب في ذلك في تأمين العربان : لأنه إنما أخذ عنهم ، فإذا صدر إليهم شيء يعرفونه ويحجرون على قواعدهم التي يلقونها ، تلقوه بالقبول ، وأطمأنت إليه قلوبهم ، ووقع منهم أجل موقع ، وبالله المستعان .

## الباب الثالث

### من المقالة التاسعة

( فيما يُكتب في عقد الذمة ، وما يتفرع على ذلك ؛ وفيه فصلان )

## الفصل الأول

في الأصول التي يرجع إليها هذا العقد ، وفيه طرفان

### الطرف الأول

( في بيان رتبة هذا العقد ، ومعناه ، وأصله من الكتاب والسنة ،

وما يَنخرطُ في سلك ذلك )

أما رُتبته ، فإنه دون الأمان بالنسبة إلى الإمام . وذلك أنه إنما يُقرره بعوض يأخذه منهم ، بخلاف الأمان .

وأما معناه ، فقد قال الغزالي في " الوسيط " : إنه عبارة عن التزام تقريرهم في ديارنا ، وحمايتهم ، والدب عنهم ببذل الجزية أو الإسلام من جهتهم .

وأما الأصل فيه : فمن الكتاب قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ . بفعل الجزية غاية ما يُطلب منهم ، وهو دليل تقريرهم بها .

ومن السنة ما ورد « أن النبي صلى الله عليه وسلم حين وجه معاذ بن جبل إلى اليمن . قال : إنك ستريد على قومٍ مُعظمهم أهل كتاب فأعرض عليهم الإسلام ،



فَإِنْ أَمْتَنَعُوا فَأَعْرِضْ عَلَيْهِمُ الْحِزْيَةَ وَخُذْ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا ، فَإِنْ أَمْتَنَعُوا فَاقْتُلْهُمْ»  
 جَعَلَ الْقَتْلَ بَعْدَ الْأَمْتِنَاعِ عَنْ آدَاءِ الْحِزْيَةِ يَدُلُّ عَلَى تَقْرِيرِهِمْ بِهَا أَيْضًا .

وَقَدْ قَرَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَصَارَى الشَّامِ بِإِيَالَتِهِمْ عَلَى  
 شُرُوطٍ اشْتَرَطُوهَا فِي كِتَابٍ كَتَبُوا بِهِ إِلَيْهِ ، مَعَ زِيَادَةٍ زَادَهَا .

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو صَادِقٍ مُحَمَّدٌ ، ابْنُ الْحَافِظِ رَشِيدُ الدِّينِ  
 أَبِي الْحُسَيْنِ يَحْيَى ، بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ "بِالزُّبْدِ الْمَجْمُوعَةِ ،  
 فِي الْحِكَايَاتِ وَالْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ الْمَسْمُوعَةِ" : أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ  
 ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الرَّهْرِيِّ الْمَالِكِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِنَا إِجَازَةً ،  
 قَالُوا : أَنْبَأَنَا أَبُو الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَكِّيٍّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الرَّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا  
 أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْفِهْرِيُّ الطُّرْطُوشِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا قَاضِي الْقَضَاةِ  
 الدَّامَغَانِيُّ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ التَّجِيبِيِّ فِيمَا قَرَأْتُ  
 عَلَيْهِ ، أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ زِيَادِ الْأَعْرَابِيِّ بِمَكَّةَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ ،  
 أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَبُو الْعَبَّاسِ الصَّفَّارُ ، أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ بْنُ تَغْلِبَ أَبُو الْفَضْلِ ، أَخْبَرَنَا  
 يَحْيَى بْنُ عُقْبَةَ بْنُ أَبِي الْعِزَّارِ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، وَالْوَلِيدِ بْنِ رَوْحٍ ، وَالسَّرِيِّ بْنِ  
 مَصْرَفٍ ، يَذْكُرُونَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مَصْرَفٍ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غُنَمٍ ،  
 قَالَ : كَتَبْتُ لِعَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ صَالَحَ نَصَارَى الشَّامِ .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا كِتَابٌ لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ كَذَا وَكَذَا »  
 « إِنَّكُمْ لَمَّا قَدَّمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمْ الْأَمَانَ لَا أَنْفُسَنَا وَذَرَارِيَّنَا وَأَمْوَالِنَا »  
 « وَأَهْلِي مِلَّتِنَا ، وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ لَا نُحْدِثَ فِي مَدِينَتِنَا »

«ولا فيما حولها قَلِيَّةٌ<sup>(١)</sup> ولا صَوْمَعَةٌ رَاهِبٌ، ولا يُجَدِّدُ مَا حَرِبَ مِنْهَا : دَيْرًا»  
«ولا كَنِيسَةً، ولا نُحْفَى ما كان منها في خِطَطِ الْمُسْلِمِينَ، ولا نَمْنَعُ كَنَائِسَنَا»  
«أَنْ يَنْزِلَهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ نَطْعُمُهُمْ، ولا تُؤْوَى في منازلنا»  
«ولا كَنَائِسِنَا جَاسُوسًا، ولا نَكْتُمُ غَشًّا لِلْمُسْلِمِينَ، ولا نَعْلَمُ أَوْلَادَنَا الْقُرْآنَ»  
«ولا نُظْهِرُ شِرْكًَا، ولا نَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدًا، ولا نَمْنَعُ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِنَا»  
«الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ إِنْ أَرَادُوهُ، وَأَنْ نُؤَقِّرَ الْمُسْلِمِينَ وَنَقُومَ لَهُمْ فِي مَجَالِسِنَا»  
«إِذَا أَرَادُوا الْجُلُوسَ، ولا نَتَشَبَّهُ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِمْ : فِي قَلَنْسُوءَةٍ»  
«ولا عِمَامَةٍ ولا نَعْلَيْنِ ولا فَرْقِ شَعْرٍ، ولا نَتَكَلَّمُ بِكَلَامِهِمْ، ولا نَتَكَنَّى»  
«بِكُنَاهُمْ، ولا نَرْكَبُ السُّرُوحَ، ولا نَتَقَلَّدُ السُّيُوفَ، ولا نَتَّخِذُ شَيْئًا مِنْ»  
«السِّلَاحِ، ولا نَحْمِلُهُ مَعَنَا، ولا نَنْقُشُ عَلَى خَوَاتِمِنَا بِالْعَرَبِيَّةِ، ولا نَبِيعُ الْخُمُورَ»  
«وَأَنْ نَجُزَّ مَقَادِمَ رُءُوسِنَا، وَأَنْ نَلْزِمَ دِينَنَا حَيْثُ مَا كُنَّا، وَأَنْ نَشُدَّ زَنَايِرَنَا»  
«عَلَى أَوْسَاطِنَا، وَأَنْ لَا نُظْهِرَ الصَّلِيبَ عَلَى كَنَائِسِنَا، ولا كُتُبَنَا فِي شَيْءٍ»  
«مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ ولا أُسْوَاقِهِمْ، ولا نَضْرِبَ بِنَوَاقِسِنَا فِي كَنَائِسِنَا»  
«إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا، ولا نَرْفَعُ أَصْوَاتِنَا بِالْقِرَاءَةِ فِي كَنَائِسِنَا ولا فِي شَيْءٍ»  
«مِنْ حَضْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، ولا نَخْرُجُ سَعَانِينَ ولا بَاعُوثًا، ولا نَرْفَعُ»  
«أَصْوَاتِنَا مَعَ مَوْتَانَا، ولا نُظْهِرَ النَّيْرَانَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ»

(١) القلية هي التي يقال لها القلاية . وهي من بيوت عباداتهم . والسعانيين عيد لهم قبل عيدهم الكبير بأسبوع . والباعوث عندهم كالاستسقاء عندنا . انظر لسان العرب .

«ولا أسواقهم، ولا نُجاورهم بموتانا، ولا نَنُخِذَ من الرقيق ما يجري عليه»  
«سِهامُ المسلمين، ولا نَطْلَعُ عليهم في منازلهم» .

قال عبد الرحمن : فلما أتيتُ عُمرَ بالكُتاب زاد فيه :

«ولا نَضْرِبَ أحداً من المسلمين . شَرَطْنَا ذلك على أنْفُسِنَا وأهلِ»  
«مِلَّتِنَا، وَقَبْلْنَا عليه الأمان . فإن نحنُ خالفنا عن شَيْءٍ مما شَرَطْنَاهُ»  
«لكم وَضَمْنَاهُ على أنْفُسِنَا فلا ذِمَّةَ لنا، وقد حلَّ لكم مِنَّا ما يحِلُّ لأهلِ»  
«المُعَانِدَةِ وَالشَّقَاقِ» .

وفي رواية له من طريق أخرى «أن لا نُحْدِثَ في مَدِينَتِنَا ولا فيما حَوْلَهَا»  
«دَيْرًا ولا كَنِيسَةً ولا قَلَايَةً ولا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ» .

وفيها : — «وأن لا نَمْنَعَ كُنَائِسَنَا أن ينزلها أحدٌ في لَيْلٍ ولا نَهَارٍ، وأن»  
«نُوسِعَ أبوابَهَا لِلسَّارَةِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ» .

وفيها : — «وأن نُنْزِلَ من مَرَبَّنَا من المسلمين ثلاثةَ أَيَّامٍ نُطْعِمُهُ» .

وفيها : — «وأن لا نُظْهِرَ صَليبًا أو نُجَسِّسًا في شَيْءٍ من طُرُقِ المسلمين»  
«وَأَسْوَاقِهِمْ» .

وفيها : — «وأن نُرْشِدَ المسلمين ولا نَطْلَعُ عليهم في منازلهم» .

قال أبو صادق المقدم ذكره : ومما ذكره أهل التاريخ أن الحاكم الفاطميَّ  
أمر اليهود والنصارى إلا الجبابة بلبس العائم السود، وأن يحمل النصارى في أعناقهم

من الصُّلْبَانِ ما يَكُونُ طَوْلُهُ ذِرَاعًا وَوَزْنُهُ خَمْسَةُ أَرْطَالٍ ؛ وَأَنْ تَحْمَلَ الْيَهُودُ فِي أَعْنَاقِهِمْ قَرَامِي الْخَشَبِ عَلَى وَزْنِ صُلْبَانِ النَّصَارَى ، وَأَنْ لَا يَرْكَبُوا شَيْئًا مِنَ الْمَرَاكِبِ الْمُحَلَّلَةِ ، وَأَنْ تَكُونَ رُكْبُهُمْ مِنَ الْخَشَبِ ، وَأَنْ لَا يَسْتَخْدِمُوا أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَرْكَبُوا حِمَارًا لِمُكَارٍ مُسْلِمٍ ، وَلَا سَفِينَةً نُوتِيهَا مُسْلِمٌ ؛ وَأَنْ يَكُونَ فِي أَعْنَاقِ النَّصَارَى - إِذَا دَخَلُوا الْحَمَّامَ - الصُّلْبَانُ ، وَفِي أَعْنَاقِ الْيَهُودِ الْجَلَّاجِلُ : لِيَتَمَيَّزُوا بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَفْرَدَ حَمَامَاتِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَنْ حَمَامَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَنَهَوْا عَنِ الْاجْتِمَاعِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَمَّامَاتِ ، وَخُطَّ عَلَى حَمَامَاتِ النَّصَارَى صُورُ الصُّلْبَانِ ، وَعَلَى حَمَامَاتِ الْيَهُودِ صُورُ الْقَرَامِي .

قال : وذلك بعد الأربعائة . ثم قال : ولقد أحسن فيما فعل بهم ، عفا الله عنا وعنهم ، ورزقنا من ينظر في أمورنا وأمورهم بالمصلحة .

### الطرف الثاني

( في ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في عقد الذمة )

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى ثَمَانِيَةِ أُمُورٍ :

الأمر الأول - فيمن يجوز أن يتولى عقد الذمة من المسلمين . ويختص ذلك بالإمام أو نائبه في عقدتها ، وفي آحاد الناس خلاف ، والأرجح أنه لا يصح منه لأنه من الأمور الكلية ، فيحتاج إلى نظر واجتهاد .

الأمر الثاني - معرفة من تُعقد له الذمة . ويشترط في المعقود له : التكليف والذكورة والحرية . فلا تُعقد لصبي ولا مجنون ولا امرأة ولا عبد ، بل يكونون تبعاً ، حتى لا تجب على أحد منهم الجزية ؛ وفيمن ليس أهلاً للقتال : كالشيخ الكبير

والزمن خلاف، والأصح صحة عقدها له . ويعتبر في المعقود له أيضا أن يكون زاعم التمسك بكتاب: كاليهودي يزعم تمسكه بالتوراة، والنصراني يزعم تمسكه بالتوراة والإنجيل جميعا، وفي المتمسك بغير التوراة والإنجيل: كصحف إبراهيم وزبور داود خلاف والأصح جواز عقدها له . وكذلك المجوس، لقوله صلى الله عليه وسلم: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ» . والسامرة إن وافقت أصولهم أصول اليهود، عقد لهم وإلا فلا . وكذلك الصابئة إن وافقت أصولهم أصول النصارى، ولا يُعقد لزيدي، ولا عايد وثني، ولا من يعبد الملائكة والكواكب . ثم إذا كملت فيه شروط العقد فلا بد من قبوله العقد . ولو قال: قررتني بكذا فقال: قررتك صح . ولو طلبها طالب من الإمام وجبت إجابته .

الأمر الثالث — معرفة صيغة العقد : وهي ما يدل على معنى التقرير من الإمام أو نائبه، بأن يقول: أقررتكم أو أذنت لكم في الإقامة في دارنا على أن تبدلوا كذا وكذا وتتقادوا لحكم الإسلام .

الأمر الرابع — المدة التي يُعقد عليها . ويعتبر فيها أن تكون مطلقة بأن لا يقيد بها بانتهاء، أو بما شاء المعقود له من المدة . ولا تجوز إضافة ذلك إلى مشيئة الإمام، لأن المقصود من عقدها الدوام . وقوله صلى الله عليه وسلم «أَقْرَئْهُمْ مَا أَقَرَّكُمْ اللَّهُ» إنما ورد في المهادنة لا في عقد الذمة .

الأمر الخامس — معرفة المكان الذي يُقرون فيه . وهو ما عدا الحجاز، فلا يُقرون في شيء من بلاد الحجاز: وهي مكة، والمدينة، واليامة، ونخاليها يعني قراها: كالطائف بالنسبة إلى مكة، وخيبر بالنسبة إلى المدينة، ونحو ذلك . وسواء في ذلك القرى والطرق المتخللة بينها . ويمنعون من الإقامة في بحر الحجاز، بخلاف ركوبه للسفر . وليس لهم دخول حرم مكة لإقامة ولا غيرها، إذ يقول تعالى: «فَلَا يَقْرَبُوا

المَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) . فلو تَعَدَّى أَحَدٌ مِنْهُمْ بالدخول ومات ودُفِنَ في الْحَرَمِ ، نُيَسَّ وَأُخْرِجَ مِنْهُ مَا لَمْ يَتَقَطَّعْ ، فَان تَقَطَّعَ تَرِكَ . وقيل : يُجْعُ عِظَامُهُ وَتُخْرَجُ . وعليه يدلُّ نَصُّ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْأَمِّ .

الأمر السادس — معرفة ما يلزم الإمامَ لهم بعد عَقْدِ الذِّمَّةِ . إذا عَقَدَ لَهُمُ الْإِمَامُ الذِّمَّةَ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكْتُبَ أَسْمَاءَهُمْ وَدِينَهُمْ وَحِلَّاهُمْ ، وَيَنْصِبَ عَلَى كُلِّ جَمْعٍ عَرِيفًا : لِمَعْرِفَةِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ مَاتَ وَمَنْ بَلَغَ مِنْ صِبْيَانِهِمْ ، وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَوْ سَافَرَ مِنْهُمْ ؛ وَإِحْضَارِهِمْ لِأَدَاءِ الْجَزِيَّةِ ، أَوْ شَكْوَى مَنْ تَعَدَّى الذِّمَّةَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَهَذَا الْعَرِيفُ هُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ فِي زَمَانِنَا بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ بِالْحَاشِرِ . ثُمَّ يَجِبُ الْكَفُّ عَنْهُمْ بِأَنْ لَا يَتَعَرَّضَ مَتَعَرِّضٌ لَأَنْفُسِهِمْ وَلَا أَمْوَالِهِمْ ، وَيُضْمَنُ مَا أَتْلَفَ مِنْهَا ، وَلَا تُرَاقُ نَحْوَرُهُمْ إِلَّا أَنْ يُظْهِرُوهَا ، وَلَا تُتْلَفُ خَنَازِيرُهُمْ إِذَا أَخْفَوْهَا ، وَلَا يُنْعَوْنَ التَّرَدُّدُ إِلَى كَنَائِسِهِمْ . وَلَا ضَمَانٌ عَلَى مَنْ دَخَلَ دَارَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَأَرَاقَ نَحْرِهِ وَإِنْ كَانَ مُتَعَدِّيًا بِالدُّخُولِ ، وَأَوْجِبَ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَيْهِ الضَّمَانُ . وَيَجِبُ ذَبُّ الْكُفَّارِ عَنْهُمْ مَا دَامُوا فِي دَارِنَا ، بِخِلَافِ مَا إِذَا دَخَلُوا دَارَ الْحَرْبِ .

الأمر السابع — معرفة ما يُطَلَّبُ مِنْهُمْ إِذَا عَقَدَ لَهُمُ الذِّمَّةَ . ثُمَّ الْمَطْلُوبُ مِنْهُمْ سِتَّةُ أَشْيَاءَ :

مِنْهَا — الْجَزِيَّةُ : وَهِيَ الْمَالُ الَّذِي يَبْدُلُونَهُ فِي مُقَابَلَةِ تَقْرِيرِهِمْ بِدَارِ الْإِسْلَامِ . قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ فِي "الْأَحْكَامِ السَّلْطَانِيَّةِ" : وَهِيَ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْجَزَاءِ : إِمَّا بِمَعْنَى أَنَّهَا جَزَاءٌ لَتَقْرِيرِهِمْ فِي بِلَادِنَا ، وَإِمَّا بِمَعْنَى الْمُقَابَلَةِ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْأَئِمَّةُ فِي مِقْدَارِهَا : فَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَنَّهَا مَقْدَرَةُ الْأَقْلَى ، وَأَقْلَاهَا دِينَارٌ أَوْ اثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا تُقَرَّةً فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى كُلِّ حَالِيمٍ ، وَلَا يَجُوزُ

الاقتصار على أقل من الدينار، وغير مقدرة الأكثر، فتجوز الزيادة على الأقل برضا المعقود له . ويستحب للإمام المأكسة : بأن يزيد عليهم بحسب ما يراه . ونقل ابن الرفعة عن بعض أصحاب الشافعي أنه إذا قدر على العقد غاية لم يجز أن ينقص عنها . ويستحب أن يفاوت فيها : فيأخذ من الفقير ديناراً، ومن المتوسط دينارين، ومن الغني أربعة دنانير .

وذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف : أغنياء، يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهماً . وأوساط، يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهماً . وفقراء، يؤخذ منهم اثنا عشر درهماً . فجعلها مقدرة الأقل والأكثر، ومنع من اجتهاد الإمام ورأيه فيها .

وذهب مالك إلى أنه لا يتقدر أقلها ولا أكثرها، بل هي موكولة إلى الاجتهاد في الطرفين .

ومنها - الضيافة : فيجوز للإمام بل يستحب أن يشترط على غير الفقير منهم ضيافة من يمر بهم من المسلمين زيادة على الحزبة، ويعتبر ذلك مدة الإقامة، وأن لا تزيد على ثلاثة أيام، وكذلك يعتبر ذلك عدد الضيفان من فرسان ورجالة، وقدر طعام كل واحد وأدمه، وقدر العليق وجنس كل منهما، وجنس المنزل .

ومنها - الانقياد لأحكامنا، فلوترافعوا إلينا أمضينا الحكم بينهم برضا خصم واحد منهم، ونحكم بينهم بأحكام الإسلام .

ومنها - أن لا يركبوا الخيل . ولهم أن يركبوا الحمار بالأكف عرَضاً : بأن يجعل الرّاكب رجله من جانب واحد . وفي البغال النفيسة خلاف : ذهب الغزالي وغيره إلى المنع منها والراجح الجواز، إلا أنهم لا يتخذون اللجم المحلاة بالذهب والفضة .

ومنها - أن يُنزِلُوا المسلمين صَدْرَ المَجْلِسِ وَصَدْرَ الطَّرِيقِ . وإن حصل في الطَّرِيقِ ضَيْقٌ [ أَلْحُوا ] إلى أَضْيَقِهِ . وَيُمنَعُونَ من حَمْلِ السِّلَاحِ .

ومنها - التمييز عن المسلمين في اللباس : بأن يَخِيطُوا في ثِيَابِهِم الظَاهِرَةَ ما يَخَالَفُ لَوْنَهَا ، سواءً في ذلك الرجالُ والنِّسَاءُ . والأَوَّلَى باليهود الأصْفَرُ ، وبالنصارى الأزرقُ والأَكْهَبُ ( وهو المعبرُّ عنه بالرَّمَادِي ) وبالمجوسى الأسود والأَحْمَرُ . وَيُسَدُّ الرجالُ منهم الزُّنَارَ من غير الحَرِيرِ في وَسَطِهِ ، وتُسَدُّ المرأةُ تحت إزارها ، وقيل فوقه . وَيُمَيِّزُونَ ملائِسَهُم عن ملابس المسلمين ، وتُغَايِرُ المرأةُ لونَ خُفِّهَا : بأن يكون أحدهما أبيضَ والآخَرُ أسودَ ، ونحو ذلك . ويجعل في عُنُقِهِ في الحَمَامِ جُلُجُلًا أو خَاتَمًا من حَدِيدٍ . وإن كان على رأس أحدهم شَعْرٌ أَمْرٌ يَجْزِي ناصيته . وَيُمنَعُونَ من إرسال الضَّفَائِرِ كما تفعلُ الأشرافُ . ولهم لبسُ الحريرِ والعِمَامَةِ والطَّيْلَسَانِ . والذي عليه عُرِفَ زماننا في التَّمْيِيزِ أنَّ اليهودَ مطلقًا تلبسُ العِمَامَ الصُّفْرَ ، والنصارى العِمَامَ الزُّرْقَ ، ويركبون الحميرَ على البَرَادِيعِ ، ويثني أحدهم رِجْلَهُ قُدَّامَهُ ، وتختص السَّامِرَةُ بالشَّامِ بلبسِ العِمَامَةِ الحُمْرَاءِ ، ولا تُمَيِّزُ يعتادونه الآن سوى ما قَدَّمْنَاهُ .

ومنها - أنهم لا يرفعون ما يَتَنُونَهُ على [ بنيان ] جيرانهم من المسلمين ، ولا يُساوونَهُ به ولو كان في غاية الانخفاض ، ويُمنَعُ من ذلك وإن رَضِيَ الجارُ المسلمُ ، لأنَّ الحقَّ للدين دون الجارِ ، وله أن يرفع ما بناه بِحَلَّةٍ مُنفَصِلَةٍ عن أبنية المسلمين . ولو اشترى بِنَاءً عاليًا بقي على حاله ، فلو أنهم فاعده لم يكن له الرِّفْعُ على المسلم ولا المُساوَاةُ .

ومنها - أنهم لا يُحْدِثُونَ كنيسةً ولا بَيْعَةً فيما أَحَدَثَهُ المسلمون من البلاد : كالْبَصْرَةِ ، والكُوفَةِ ، وبَغْدَادَ ، والقَاهِرَةَ ، ولا في بلدٍ أسلم أهلُها عليها : كالمدينة واليمن . فإن أحدثوا فيها شيئًا من ذلك نُقِضَ ، نَعَمْ يُتْرَكُ ما وَجَدَ منها ولم يُعَلَمْ حاله :



لأَحمالِ اتِّصالِ العماراتِ به . وكذلك لا يجوز إحداثُ الكنائسِ والبيعِ فيما فُتِحَ عَنْوَةً ، ولا إبقاءُ القديمِ منها لحصولِ الملكِ بالأسْتِلاءِ . أمَّا ما فُتِحَ صُلْحًا بخِراجٍ على أن تكونَ الرِّقَبَةُ لهم ، فيجوز فيها إحداثُ الكنائسِ وإبقاءُ القديمةِ منها ، فإن الارضَ لهم . وإن فُتِحَتْ صُلْحًا على أن تكونَ لنا : فإن شُرِطَ إبقاءُ القديمةِ بَقِيَتْ وكأنَّهم أَسْتَنَوْها . ويجوزُ لهم إعادةُ المتهدِّمةِ منها ، وتطْيِينُ خارجِها دون توسيعِها .

الأمر الثامن — معرفة ما يَنْتَقِضُ به عَهْدُهم .

ويَنْتَقِضُ بأمورٍ :

منها — قتالُ المسلمين بلا شُبْهَةٍ ، ومنعُ الجزيةِ ، ومنعُ إجراءِ حُكْمِنَا عليهم ؛ وكذا الزَّنا بِمُسْلِمَةٍ أو إصابتُها بِأَسْمِ نِكَاحٍ ، والأُطْلَاعُ على عَوْرَاتِ المسلمين وإنهاؤُها لِأَهْلِ الْحَرْبِ ، وإيواءُ جاسوسٍ لهم ، وقَطْعُ الطَّرِيقِ ، والقَتْلُ المَوْجِبُ لِلْقِصَاصِ ، وَقَدْفُ مُسْلِمٍ ، وَسَبُّ نَبِيِّ جَهْرًا ، وَطَعْنُ في الإسلامِ أو القراءانِ إن شُرِطَ عليهم الانتقاضُ وإلا فلا . أما لو أظهر ببلدِ الإسلامِ الخمرَ أو الخنزيرَ أو الناقوسَ أو مُعْتَقَدَه في عُزَيْرٍ والمسيحِ عليهما السلامِ أو جَنَازَةً لهم أو سَقَى مسلمًا خمرًا فإنه يُعْزَرُ .

## الفصل الثاني

### من الباب الثالث من المقالة التاسعة

(ما يُكْتَبُ فِي مُتَعَلِّقَاتِ أَهْلِ الذِّمَّةِ [عند خُرُوجِهِمْ] عن لوازم عَقْدِ الذِّمَّةِ)

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ رُبَّمَا نَحَرَجَ أَهْلَ الذِّمَّةِ عَنْ لَوَازِمِ عَقْدِ الذِّمَّةِ ، وَأَظْهَرُوا التَّمْيِيزَ وَالتَّكَبُّرَ  
وَعُدَّوْا الْبِنَاءَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ مَخَالِفَةُ الشُّرُوطِ ، فَيَأْخُذُ أَهْلُ الْعَدْلِ : مِنَ الْخُلَفَاءِ  
وَالْمُلُوكِ فِي قَمْعِهِمْ وَالْفَضِّ مِنْهُمْ وَحَطِّ مَقَادِيرِهِمْ ، وَيَكْتُبُونَ بِذَلِكَ كُتُبًا وَيَبْعَثُونَ بِهَا  
إِلَى الْآفَاقِ لِيُعْمَلَ بِمُقْتَضَاهَا ، غَضًّا مِنْهُمْ وَحَطًّا لِقَدْرِهِمْ ، وَرِفْعَةً لِدِينِ الْإِسْلَامِ  
وَتَشْرِيفًا لِقَدْرِهِ ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ  
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وَهَذِهِ نُسْخَةُ كِتَابٍ كُتِبَ بِهِ عَنِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ حِينَ حَجَّ ، بِمَعَ رَجُلًا يَدْعُو  
عَلَيْهِ ، فَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قُلْتُ مَا قُلْتُ إِلَّا وَقَدْ أَيقَنْتُ بِالْقَتْلِ ،  
فَاسْمَعْ مَقَالِي ثُمَّ مَرُّ بِقَتْلِي ، فَقَالَ : قُلْ ! - فَشَكَا إِلَيْهِ اسْتِطَالَةَ كُتُبِ أَهْلِ الذِّمَّةِ عَلَى  
الْمُسْلِمِينَ فِي كَلَامِ طَوِيلٍ ، نَخَرَجَ أَمْرُهُ بِأَنْ تَلْبَسَ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ ثِيَابَ الْعَسَلِيِّ ،  
وَأَنْ لَا يُمَكِّنُوا مِنْ لُبْسِ الْبَيَاضِ كَيْ لَا يَتَشَبَّهُوا بِالْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ تَكُونَ رُكْبَتُهُمْ خَشَبًا ،  
وَأَنْ تُهْدَمَ بَيْعُهُمُ الْمُسْتَجِدَّةُ ، وَأَنْ تُطْلَقَ عَلَيْهِمُ الْحَزْبِيَّةُ ، وَلَا يُفْسَحَ لَهُمْ فِي دُخُولِ  
حِمَامَاتِ خَدْمَتِهَا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يَسْتَخْدِمُوا مُسْلِمًا فِي حَوَائِجِهِمْ لِنَفْسِهِمْ ،  
وَأَفْرَدَهُمْ بِمَنْ يَحْتَسِبُ عَلَيْهِمْ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ " الْأَوَائِلُ " :  
أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ أَوَّلُ مَنْ أَلْزَمَهُمْ ذَلِكَ ، وَهِيَ :

أما بعد، فإن الله آصطفى الإسلام ديناً فشرّفه وكرّمه، وأناره ونضّره وأظهره، وفضّله وأكمله؛ فهو الدين الذى لا يقبل غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنَّهُ يَاقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. بعث به صفيّه وخيرته من خلقه: محمداً صلى الله عليه وسلم، فجعله خاتم النبيّين، وإمام المتّقين، وسيد المرسلين: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. وأنزل كتاباً: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. أسعد به أمته، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. وأهان الشّرك وأهله، ووضعهم وصغّرهم وقمّعهم وخذلهم وتبرأ منهم، وضرب عليهم الدّلة والمسكنة، فقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. واطّلع على قلوبهم، وخبث سرائرهم وضمائرهم، فنهى عن اتّمتانهم، والثّقة بهم: لعداوتهم للمسلمين، وغشهم وبغضائهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾. وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناساً لا رأى لهم ولا روية يستعينون بأهل  
الذمة في أفعالهم ، ويتخذونهم بغانة من دون المسلمين ، ويسلطونهم على الرعية ،  
فيعسفونهم ويسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم والعُدوان عليهم . فأعظم  
أمير المؤمنين ذلك ، وأنكره وأكبره ، وتبرأ منه ، وأحبَّ التقرب إلى الله بحسبه  
والنهي عنه ، ورأى أن يكتب إلى عماله على الكور والأمصار ، وولاية الثغور  
والأجناد ، في ترك استعالمهم لأهل الذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم ، والإشراك  
لهم في أماناتهم ، وما قلدهم أمير المؤمنين وأستحفظهم إياه ، إذ جعل في المسلمين  
الثقة في الدين ، والأمانة على إخوانهم المؤمنين ، وحسن الرعاية لما استرعاهم ،  
والكفاية لما استكفوا ، والقيام بما حملوا بما أغنى عن الاستعانة [بأحد] من المشركين  
بالله ، المكذبين برسوله ، الجاحدين لآياته ، الجاعلين معه إلهاً آخر ، ولا إله إلا هو  
وحده لا شريك له ، ورجا أمير المؤمنين - بما ألهمه الله من ذلك ، وقذف في قلبه -  
جزيل الثواب ، وكريم المآب ، والله يعين أمير المؤمنين على نيته على تعزيز الإسلام  
وأهله ، وإذلال الشرك وحزبه .

فلتعلم هذا من رأي أمير المؤمنين ، ولا تستعن بأحد من المشركين ، وأنزل أهل  
الذمة منازلهم التي أنزلهم الله بها . فاقرأ كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأشيعة  
فيهم ، ولا يعلم أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك وأعوانك بأحد  
من أهل الذمة في عمل الإسلام .



وفي أيام المقتدر بالله ، في سنة خمس وتسعين ومائتين ، عزل كتاب النصاري  
وعمالمهم ، وأمر أن لا يستعان بأحد من أهل الذمة حتى أمر بقتل ابن ياسر النصراني  
عامل يونس الحاجب ، وكتب إلى عماله بما نسخته :

عَوَائِدُ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُوفَى عَلَى غَايَةِ رِضَاهُ وَنِهَايَةِ أَمَانِيهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُظْهِرُ عِصْيَانَهُ إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عِظَةً لِلْأَنَامِ ، وَبَادَرَهُ بِعَاجِلِ الْأَصْطِلَامِ : ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ . فَمَنْ نَكَثَ وَطَعَى وَبَغَى ، وَخَالَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَالَفَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَعَى فِي إِفْسَادِ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَاجَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِسَطْوَتِهِ وَطَهَّرَ مِنْ رَجْسِهِ دَوْلَتَهُ ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَقَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِ الْأَسْتِعَانَةِ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَلْيَحْذَرِ الْعَمَالُ تَجَاوُزَ أَوَامِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَوَاهِيهِ .



وَفِي أَيَّامِ الْإِمْرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ ، أَمْتَدَّتْ أَيْدِي النَّصَارَى ، وَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ بِالْخِيَانَةِ ، وَتَفَقَّتُوا فِي أَذَى الْمُسْلِمِينَ وَإِيصَالِ الْمَضَرَّةِ إِلَيْهِمْ . وَاسْتَعْمَلَ مِنْهُمْ كَاتِبٌ يَعْرِفُ بِالرَّاهِبِ ، وَلَقَّبَ بِالْأَبِ الْقَدِيسِ ، الرَّوْحَانِيَّ النَّفِيسَ ، أَبِي الْآبَاءِ ، وَسَيِّدَ الرُّؤَسَاءِ ، مُقَدِّمَ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَسَيِّدَ الْبَتْرِكِيَّةِ ، صَفَى الرَّبِّ وَمُخْتَارَهُ ، وَثَلَاثَ عَشَرَ الْحَوَارِيِّينَ . فَصَادَرَ اللَّعِينُ عَامَّةً مِنَ الْبُلْدَانِ الْمَصْرِيَّةِ : مِنْ كَاتِبٍ وَحَاكِمٍ وَجُنْدِيٍّ وَعَامِلٍ وَتَاجِرٍ ، وَأَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ . نَخَوْفَهُ بَعْضُ مَشَايِخِ الْكُتَّابِ مِنْ خَالِقِهِ وَبَاعِثِهِ وَمُحَاسِنِهِ ، وَحَدَّرَهُ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِ أَفْعَالِهِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَرْكِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ . وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ كُتَّابِ مِصْرَ وَقَبِطِيَّهَا فِي مَجْلِسِهِ ، فَقَالَ مُخَاطِبًا لَهُ وَمُسَمِّعًا لِلْجَمَاعَةِ : نَحْنُ مُلَّاكُ هَذِهِ الدِّيَارِ حَرْثًا وَخَرَاجًا ، مَلَكَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَّا ، وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهَا وَغَضَبُوهَا ، وَاسْتَمْلَكُوهَا مِنْ أَيْدِينَا ، فَنَحْنُ مَهْمَا فَعَلْنَا بِالْمُسْلِمِينَ فَهُوَ قِبَالَةٌ مَا فَعَلُوا بِنَا ، وَلَا يَكُونُ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى مَنْ قُتِلَ مِنْ رُؤَسَائِنَا وَمُلُوكِنَا فِي أَيَّامِ الْفُتُوحِ ، بِجَمِيعِ مَا نَأْخُذُهُ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِ

مُلُوكِهِمْ وَخُلَفَائِهِمْ حُلٌّ لَنَا ، وَهُوَ بَعْضُ مَا نَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِذَا حَمَلْنَا لَهُمْ مَا لَا كَانَتْ  
الْمِنَّةُ لَنَا عَلَيْهِمْ ، وَأَنْشُدُ :

بِئْسَ كَرِّمٌ يَمُوتُهَا أُمُّهَا \* وَأَهَانُوهَا فَدَيْسَتْ بِالْقَدَمِ  
ثُمَّ عَادُوا حَكَمُوهَا بَيْنَهُمْ \* وَيَلْهُوهُمُ مِنْ فِعْلٍ مَظْلُومٍ حَكَمٌ

فاستحسن الحاضرون من النصارى والمنافيقين ما سمعوه منه ، واستعادوه ، وعَضُّوا  
عليه بالنواجذ ، حتى قيل : إِنَّ الَّذِي أَحْتَاطَ عَلَيْهِ قَلَمُ اللَّعِينِ مِنْ أَمْلَاكِ الْمُسْلِمِينَ  
مِائَتَا أَلْفٍ وَاثْنَانِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا ، وَمِائَتَا دَارٍ وَحَانُوتٍ وَأَرْضٍ بِأَعْمَالِ الدَّوْلَةِ ، إِلَى أَنْ  
أَعَادَهَا إِلَى أَصْحَابِهَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ الْأَفْضَلِ ؛ وَمِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ أَنْتَبَهَ مِنْ رَقَدَتِهِ ، وَأَفَاقَ مِنْ سَكْرَتِهِ ، وَأَدْرَكَتْهُ الْحِمْيَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَالْغَيْرَةُ  
الْحَمْدِيَّةُ ؛ فَغَضِبَ لِلَّهِ غَضَبَةً نَاصِرٍ لِلدِّينِ ، وَثَائِرٍ لِلْمُسْلِمِينَ ؛ فَأَلْبَسَ أَهْلَ الذِّمَّةِ الْغِيَارَ ،  
وَأَنْزَلَهُمْ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُنْزَلُوا بِهَا مِنَ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ ؛ وَأَمَرَ أَنْ لَا يُؤَلَّوْا شَيْئًا  
مِنْ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يُنْشَأَ فِي ذَلِكَ كِتَابٌ يَقِفُ عَلَيْهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ .

وَهَذِهِ نُسْخَتُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْبُودِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ، وَالْمُجِيبِ دَعَاءَ مَنْ يَدْعُو بِأَسْمَائِهِ ؛ الْمُتَفَرِّدِ  
بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ ، الْمُتَوَحِّدِ بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ  
فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ؛ هَدَى الْعِبَادَ بِالْإِيمَانِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَوَفَّقَهُمْ فِي الطَّاعَاتِ  
لِمَا هُوَ أَنْفَعُ زَادَ فِي الْمَعَادِ ؛ وَتَفَرَّدَ بِعِلْمِ الْغُيُوبِ فَعَلِمَ مِنْ كُلِّ عَبْدٍ إِضْمَارَهُ كَمَا عَلِمَ  
تَضَرُّجَهُ ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ  
وَتَسْبِيحَهُ ﴾ . الَّذِي شَرَّفَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَعَظَّمَهُ ، وَقَضَى بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ لِمَنْ اتَّخَذَهُ  
وَيَمَّمَهُ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى كُلِّ شَرِّعٍ سَبَقَهُ وَعَلَى كُلِّ دِينٍ تَقَدَّمَ بِهِ ؛ فَنَصَرَهُ وَخَذَلَهَا ، وَأَشَادَهُ

وَأَحْمَلَهَا ، وَرَفَعَهُ وَوَضَعَهَا ، وَأَطَدَهُ وَضَعَهَا ؛ وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ دِينًا سِوَاهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ ، فَقَالَ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . وَشَهِدَ بِهِ بِنَفْسِهِ ، وَأَشْهَدَ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَأُولَى الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ خُلَاصَةُ الْأَنْامِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

وَلَمَّا أَرْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ وَأَتَمَّ بِهِ نِعْمَتَهُ ، أَكْمَلَهُ لَهُمْ وَأَظْهَرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَأَوْضَحَهُ إِيْضًا حَاقًّا مُبِينًا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْهُدَى وَالضَّلَالِ ، وَأَهْلِ الْبَغْيِ وَالرِّشَادِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَمْتُ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

وَأَمَرَ تَعَالَى بِالثَّبَاتِ عَلَيْهِ إِلَى الْمَمَاتِ فَقَالَ وَبِقَوْلِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وَهِيَ وَصِيَّةُ إِمَامِ الْحَنْفَاءِ لِبَنِيهِ وَإِسْرَائِيلَ : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَشَهِدَ عَلَى الْخَوَارِيِّينَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَهُوَ الشَّاهِدُ الْأَمِينُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمر تعالى رسوله أن يدعو أهل الكتاب إليه ، ويشهد من تولى منهم بأنه عليه ،  
فقال تعالى وقوله الحق المبين : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وصلى الله على الذى رفعه بأصطفائه إلى محله المنيّف ، وبعثه للناس كافّة بالدين  
القيم الحنيف .

أما بعد ، فإن الله سبحانه ببالغ حكيمته ، وتتابع نعمته ، شرف دين الإسلام  
وطهره من الأدناس ، وجعل أهله خير أمة أخرجت للناس ، فالإسلام الدين القويم  
الذى أصطفاه الله من الأديان لنفسه ، وجعله دين أنبيائه ورسله وملائكته قدسه ،  
فارتضاه واختاره ، وجعل خير عباده وخاصتهم هم أوليائه وأنصاره ، يحافظون على  
حدوده ويشارون ، ويدعون إليه ويدكرون ، ويحافون ربهم من فوقهم ويفعلون  
ما يؤمرون ، فهم بآيات ربهم يؤمنون ، وإلى مرضاته يسارعون ، ولمن خرج عن  
دينه مجاهدون ، وعباده بجهدهم ينصحون ، وعلى طاعته مشارون ، وعلى صلواتهم  
يحافظون ، وعلى ربهم يتوكلون ، وبالأخرة هم يوقنون : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

هذا وإن أمة الله هداها إلى دينه القويم ، وجعلها - دون الأمم الجاحدة - على  
صراط مستقيم ، توفى من الأمم سبعين ، هم خيرها وأكرمها على رب العالمين - حقيقة  
بأن لا نوالى من الأمم سواها ، ولا نستعين بمن حاد الله خالقه ورآقه وعبد من دونه  
إلها ، وكذب رسله ، وعصى أمره وآتبع غير سبيله ، واتخذ الشيطان ولياً من دون  
الله ، ومعلوم أن اليهود والنصارى موصوفون بغضب الله ولعنته ، والشرك به والجحد



لَوْحْدَانِيَّتِهِ ، وقد فرض الله على عباده في جميع صلواتهم أن يسألوا هِدَايَةَ سَبِيلِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَيُجَنِّبَهُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ أَبْغَضَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَطَرَدَهُمْ عَنْ جَنَّتِهِ ، فَبَاءُوا بِغَضَبِهِ وَلَعْنَتِهِ : مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ وَالضَّالِّينَ .

فَالْأُمَّةُ الْغَضَبِيَّةُ هُمُ الْيَهُودُ بَنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَأُمَّةُ الضَّلَالِ هُمُ النَّصَارَى الْمَشْتَّةُ عِبَادُ الصُّلْبَانِ ، وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ بِأَنَّهُمْ بِالذَّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالْغَضَبِ مَوْسُومُونَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ضَرِبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَيْمًا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرِبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

وَأَخْبَرَ بِأَنَّهُمْ بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُفْتَرِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يُؤَسَّ مَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَعَنَهُمْ وَلَا أَصْدَقَ مِنَ اللَّهِ قِيَلًا ، فَقَالَ : ﴿ يَسَاءُ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .

وَحَكَمَ سُبْحَانَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حُكْمًا تَرْضِيهِ الْعُقُولُ ، وَيَتَلَقَّاهُ كُلُّ مَنْصِفٍ بِالْإِذْعَانِ وَالْقَبُولِ ، فَقَالَ : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ .

وأخبر عما أحلَّ بهم من العقوبة التي صاروا بها مثلاً في العالمين ، فقال تعالى :  
 ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ  
 بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .  
 ثم حكم عليهم حكماً مستمراً عليهم في الذراري والأعقاب ، على ممر السنين  
 والأحقاب ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ  
 يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ . فكان هذا العذاب في الدنيا  
 بعض الاستحقاق : ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ . وأنهم أنجس  
 الأثم قلوباً وأخبثهم طويّةً ، وأرداهم سجيّةً ، وأولاهم بالعذاب الأليم ، فقال :  
 ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرْ قُلُوبُهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ  
 عَظِيمٌ ﴾ . وأنهم أمة الخيانة لله ورسوله ودينه وكتابه وعباده المؤمنين ، فقال :  
 ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وأخبر عن سوء ما يسمعون ويقبلون ، وخبث ما يأكلون ويحكون ، فقال تعالى :  
 ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ  
 وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ  
 يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

وأخبر تعالى أنه لعنهم على السنة أنبيائه ورسله بما كانوا يكسبون ، فقال :  
 ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا  
 عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَى  
 كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
 وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ ﴾ .

وقطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين، وأخبر أن من تولاهم فإنه منهم في حكمه المبين، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

وأخبر عن حال متولّهم بما في قلبه من المرض المؤدى إلى فساد العقل والدين، فقال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ .

ثم أخبر عن حُبوب أعمال متولّهم ليكون المؤمن لذلك من الحذرين، فقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ .

ونهى المؤمنين عن اتّخاذ أعدائه أولياء، وقد كفروا بالحق الذي جاءهم من ربهم، وإنهم لا يمتنعون من سوء ينالونهم به بأيديهم وألسنتهم إذا قدرُوا عليه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَقْلُوبُوا الْأُمَمَ إِنَّكُمْ تُعْلَمُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غُيُوبُكُمْ وَهُوَ عَلِيمٌ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

وجعل سبحانه لعباده المسلمين أسوة حسنة في إمام الحنفاء ومن معه من المؤمنين، إذ تبرا ممن ليس على دينهم أمثالا لأمر الله، وإيثارا لمرضاة وما عنده،

فقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ . وتبرأ سبحانه من اتَّخَذَ الكُفَّارَ أولياءَ من دون المؤمنين فقال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

فمن ضروب الطاعات إهانتهم في الدنيا قبل الآخرة التي هم إليها صائرون ، ومن حقوق الله الواجبة أخذُ جزية رءوسهم التي يُعطونها عن يدٍ وهم صاغرون ؛ ومن الأحكام الدينية أن يعمَّ جميعُ الأمةِ إلا من لا تجبُ عليه باستخراجها ، وأن يعتمدَ في ذلك سلوكُ سبيلِ السُّنةِ المحمَّديةِ ومنهاجها ؛ وأن لا يُسمحَ بها أحدٌ منهم ولو كان في قومه عظيماً ، وأن لا يقبلَ إرساله بها ولو كان فيهم زعيماً ؛ وأن لا يُحيلَ بها على أحدٍ من المسلمين ، ولا يُوكَّلَ في إخراجها عنه أحدٌ من الموحَّدين ؛ بل تؤخذُ منه على وجهِ الدَّلةِ والصَّغارِ ، إغزازاً للإسلامِ وأهلهِ وإذلالاً لطائفةِ الكُفَّارِ ، وأن تُستوفى من جميعهم حقُّ الاستيفاءِ ، وأهلُ خيرٍ وغيرهم في ذلك على السَّواءِ .

وأما ما ادَّعاه الجبَّارةُ من وَضْعِ الجزيةِ عنهم بعهدٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنَّ ذلك زورٌ وبُهتانٌ ، وكذبٌ ظاهرٌ يعرفه أهلُ العلمِ والإيمان ؛ لفَقَّهَ القومُ البُهتُ وزورُوه ، ووضعوه من تلقاءِ أنفسهم وتمقَّوه ؛ وظنُّوا أن ذلك يخفى على الناقدين ؛ أو يروجُ على علماء المسلمين ؛ ويأبى الله إلا أن يكشفَ مُحَالَ المُبطلين ، وإفكَ المُفترين ؛ وقد تظاهرت السننُ وصحَّ الخبرُ بأن خيرَ فتحةٍ عنوةٌ ، وأوجفَ عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون على إجلائهم عنها كما أجلى إخوانهم من أهلِ الكِتَابِ ، فلمَّا ذكروا أنهم أعرفُ بسقْيِ نخلها ومصالحِ أرضها ، أقرَّهم فيها

كالأجراء وجعل لهم نصف الأرتفاع ، وكان ذلك شرطاً ميبناً ، وقال : « نُقِرْكُمْ فِيهَا مَا شِئْنَا » ، فأقر بذلك الجبابرة صاغرين ، وأقاموا على هذا الشرط في الأرض عاملين ، ولم يكن للقوم من الدِّمَامِ والحُرْمَةِ ، ما يُوجِبُ إسقاط الجزية عنهم دُونَ مَنْ عداهم من أهل الدِّمَةِ ، وكيف ؟ وفي الكتاب المشحون بالكذب والمين ، شهادة سعد ابن معاذ وكان قد توفى قبل ذلك بأكثر من سنتين ، وشهادة معاوية بن أبي سفيان ، وإنما أسلم عام الفتح بعد خيبر سنة ثمان ، وفي الكتاب المكذوب أنه أسقط عنهم الكلف والسُّخْرَ ، ولم تكن على زمان خلفائه الذين ساروا في الناس أحسن السير .

ولما اتسعت رُقعة الإسلام ، ودخل فيه الخاض والعام ، وكان في المسلمين مَنْ يقوم بعمل الأرض وسقى النخل ، أجلى عمر بن الخطاب اليهود من خيبر بل من جزيرة العرب حتى [قال] : لا أدع فيها إلا مسلماً .



وفي شهر رجب سنة سبعمئة وصل إلى القاهرة المحروسة وزير صاحب المغرب حاجاً ، فاجتمع بالملك الناصر «محمد بن قلاوون» ونائبه يومئذ الأمير سلار ، فتحدث الوزير معه ومع الأمير بيبرس الجاشنكير في أمر اليهود والنصارى ، وأنهم عندهم في غاية الذلة والهوان ، وأنهم لا يمكن أحد منهم من ركوب الخيل ولا الاستخدام في الجهات الديوانية ، وأنكر حال نصارى الديار المصرية ويهودها بسبب لبسهم أنحر الملابس ، وركوبهم الخيل والبغال ، واستخدامهم في أجل المناصب ، وتحكيمهم في رقاب المسلمين ، وذكر أن عهد ذمتهم أنقضى من سنة ستماية من الهجرة النبوية ، فأثر كلامه عند أهل الدولة ، لاسيّما الأمير بيبرس الجاشنكير ، فأمر بجمع النصارى واليهود ، ورسم أن لا يُستخدم أحد منهم في الجهات السلطانية ، ولا عند

الأمراء ، وأن تُغيَّرَ عَمَائِمُهُمْ : فَيَلْبَسَ النَّصَارَى الْعَمَائِمَ الزُّرْقَ ، وَتُشَدَّ فِي أَوْسَاطِهِمُ الزَّنَانِيرُ ، وَيَلْبَسُ الْيَهُودُ الْعَمَائِمَ الصُّفْرَ وَيَدُقُّو<sup>(١)</sup> فِي الْبَيْعِ فِي إِبْطَالِ ذَلِكَ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَغَلَّقَتْ الْكَنَائِسُ بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ ، وَسَمَّرَتْ أَبْوَابُهَا ، فَفَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ ، وَأَلْزَمُوا بِأَنْ لَا يَرْكَبُوا إِلَّا الْحَمِيرَ ، وَأَنْ يَلْفَ أَحَدُهُمْ إِحْدَى رَجُلَيْهِ إِذَا رَكِبَ ، وَأَنْ يَقْصُرَ بَنِيَانُهُمُ الْمَجَاوِرُ لِلْمُسْلِمِينَ عَنْ بِنَاءِ الْمُسْلِمِ . وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى جَمِيعِ الْأَعْمَالِ لِيُعْمَلَ بِمَقْتَضَاهُ ، وَأُسْلِمَ بِسَبَبِ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَالْأَيْسَ أَهْلُ الذِّمَّةِ بِالشَّامِ : النَّصَارَى الْأَزْرَقُ ، وَالْيَهُودُ الْأَصْفَرُ ، وَالسَّامِرَةُ الْأَحْمَرُ .

ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْمُبَاشَرَاتِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَاتْتَدَبَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ « الصَّالِحُ صَالِح » ابْنَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ لِمَنْعِهِمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَلْزَمَهُمْ بِالشَّرْطِ الْعُمَرِيَّةِ ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ مَرْسُومًا شَرِيفًا وَبَعَثَ بِنُسْخَتِهِ إِلَى الْأَعْمَالِ فَقُرِئَتْ عَلَى مَنَابِرِ الْجَوَامِعِ .

وَهَذِهِ نُسْخَتُهُ - صُورَةٌ مَا فِي الطُّرَّةِ :

« مَرْسُومٌ شَرِيفٌ بِأَنْ يَعْتَمِدَ جَمِيعُ طَوَائِفِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالسَّامِرَةِ : بِالْأَيْدِي الْمَصْرِيَّةِ ، وَالْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَعْمَالِهَا ، حُكْمَ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِمَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ : وَهُوَ أَنْ لَا يُحَدِّثُوا فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ دِيرًا وَلَا كَنِيسَةً وَلَا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ ، وَلَا يُحَدِّثُوا مَا خَرِبَ مِنْهَا ، وَلَا يُؤْوُوا جَاسُوسًا وَلَا مَنْ فِيهِ رِيَّةٌ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يَكْتُمُوا غِشًّا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يُعَلِّمُوا أَوْلَادَهُمُ الْقُرْآنَ ، وَلَا يُظْهِرُوا شِرْكًا ، وَلَا يَمْنَعُوا ذَوِي قَرَابَةٍ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ أَرَادُوهُ ، وَلَا يَتَشَبَّهُوا بِالْمُسْلِمِينَ فِي لِبَاسِهِمْ ، وَيَلْبَسُونَ الْغِيَارَ الْأَزْرَقَ وَالْأَصْفَرَ ، وَيَمْنَعُ نِسَاؤُهُمْ

(١) بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ فِي غَيْرِ نَسْخَةٍ وَالْكَلَامُ غَيْرُ مِلَّتِهِمْ وَلَعَلَّ الْأَصْلَ « الْعَمَائِمَ الصُّفْرَ فَبَالِغُوا فِي السَّعْيِ فِي إِبْطَالِ ذَلِكَ » الخ .

من التشبه بنساء المسلمين ، ولا يركبوا سرجاً ، ولا يتقلدوا سيفاً ، ولا يركبوا الخيل  
ولا البغال ، ويركبون الحمير بالأكف عرَضاً ، ولا يبيعوا الخُمور ، وأن يلزموا زيَّهم  
حيث كانوا ، ويشُدُّوا زنايَهم غير الحرير على أوساطهم ، والمرأة البارزة من النصارى  
تلبس الإزار الكنان المصبوغ أزرق ، واليهودية الإزار الأصفر ، ولا يدخل أحد  
منهم الحمام إلا بعلامة تميزه عن المسلمين في عنقه : من خاتم حديد أورصاص أو غير  
ذلك ، ولا يعلوا على المسلمين في البناء ولا يساووهم ، بل يكونون أدونَ منهم ،  
ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً ، ولا يرفعوا أصواتهم في كنائسهم ، ولا يتحدّموا  
في دولتنا الشريفة - ثبت الله قواعدها - ولا عند أحد من أمرائها - أعزهم الله  
تعالى - ولا يُلوا وظيفَةً يعلو أمرهم فيها على أحد من المسلمين ، وأن يُحمل الأمر  
في موارِيث موتاهم على حكم الشريعة الشريفة الحمّدية ، وتوقع عليهم الحوطة  
الديوانية أسوة موتى المسلمين ، وأن لا يدخل نسوة أهل الذمة الحمامات مع  
المسلمات ، ويُجعل لهن حمامات تخصّمن يدخلنّها ، عملاً في ذلك بما رجّحه علماء  
الشرع الشريف ، على ما شرح فيه .

ونصّه بعد البسملة الشريفة .

الحمد لله الذى بصّر سلطاننا الصّالح ، باعتماد مصّالح الدين والدنيا ، ويسرّ لأينا  
الراجح ، توفير التوفيق إثباتاً ونفيّاً ، وتحرير التحقيق أمراً ونهيّاً ، وقهر بأحكام الإسلام ،  
من رام نكث العهد وتقضّ الذّمام ، بتعدّي الحدودِ عدواناً وبغياً ، وجسر على اقتحام  
ذنوب عظام ، يُحلّ به في الدارين دذاباً وحزياً ، وتكفل للأمة الحمّدية في الأولى  
والأخرى بالسعادة السّرمديّة التى لا تنتهى ولا تتغيّ ، وجعل كلمة الذين كفروا  
السّفلَى وكلمة الله هى العليا .

نحمده أَنْ أَصْحَبَ فِكْرَنَا رَشَدًا وَأَذْهَبَ بِأَمْرِنَا غِيًّا ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ جَبَرَ بِأَحْكَامِ  
الْعَدْلِ لِلْإِيمَانِ وَهَنَا وَآثَرِ لَذْوِي الْبُهْتَانِ بِالْإِنْتِقَامِ وَهِيَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، فَدَّ صَمَدٌ ، خَلَقَ وَرَزَقَ وَأَنْشَأَ وَأَفْنَى وَأَمَاتَ وَأَحْيَا ،  
وَتَقَدَّسَ وَتَمَجَّدَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ، وَأَوْجَدَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَمَا أَوْجَدَ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ  
شَيْئًا وَجَعَلَهُ عَبْدًا صَالِحًا نَبِيًّا زَيْكًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ  
عَلَيْهِ مَعَ الرُّوحِ الْأَمِينِ قُرْآنًا وَوَحْيًا ، وَاسْتَأْصَلَ بِهِ شَافَةَ الْكُفَّارِ وَأَنْزَلَ بِهِمْ مِنَ  
الْأَخْطَارِ الدَّاهِيَةِ الدَّهْيَا ، وَاتَّبَعَ مِلَّةَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَرَى الصَّدَقَ وَصَدَّقَ الرُّؤْيَا ،  
وَجَمَعَ اللَّهُ بِهِ الشَّتَاتَ فَهَدَى قُلُوبًا غُلْفًا وَأَسْمَاعًا صُمًّا وَأَبْصَارًا عُغْمِيًا ، وَبَلَّغَ الرِّسَالَهَ ،  
وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ فُبُشِّرِي لِمَنْ وَفَّقَ مِنْ أُمَّتِهِ فُرُوقَ الْحِكْمَةِ وَغِيًّا ، وَرَفَعَ  
الضَّلَالَةَ ، وَرَدَّ الضَّلَالَهَ ، وَأَجْمَلَ لِلْعَهْدِ حَفْظًا وَلِلدِّمَامِ رَعْيًا ، وَنَسَخَتْ شَرِيعَتُهُ  
الشَّرَائِعَ ، وَسَدَّتِ الدَّرَائِعَ ، وَشَمَخَتْ عَلَى النُّجُومِ الطَّوَالِعَ ، نَهَى أَسْمَى مِنْهَا رِفْعَةً  
وَأُتْمَى عَدَدًا وَأُسْنَى هَدْيًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ فُرُوعَ الزَّهْرَاءِ الَّذِينَ عُنُوا بِقَوْلِهِ  
تَعَالَى : ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ أَمْرَعَ سَقِيًّا ،  
خُصُوصًا صَدِّيقَهُ وَرَفِيقَهُ فِي الْمَمَاتِ وَفِي الْحَيَا ، وَمَنْ اسْتَخْلَفَهُ فِي الصَّلَاةِ عَنْهُ  
إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ أَحَقُّ لِرُتْبَةِ الْخِلَافَةِ بِالرُّقْيَا ، وَمَنْ فَرَّقَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَوَافَقَ الْفُرْقَانُ لَهُ  
رَأْيًا ، وَيَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَيَّامِهِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْفُتُوحَاتِ مَا لَا أَتَّفَقُ لغيرِهِ وَلَا تَهَيَّا ،  
وَذَا النُّورَيْنِ الَّذِي قَطَعَ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا وَأَحْيَا ، وَاسْتَحْيَتْ مِنْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ  
لِمَا مِنْ اللَّهِ اسْتَحْيَا ، وَعَلَى الصَّهْرِ وَابْنِ الْعَمِّ الْمُجَاهِدِ الزَّاهِدِ الَّذِي طَلَّقَ ثَلَاثًا الدَّارَ  
الْفَانِيَةَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بَقِيَا ، وَسَرَّهُ لِمَا قَضَى عَلَى الرِّضَا نَحْبَهُ ، فَوَجَدَ الْأَحْبَبَةَ : مُحَمَّدًا  
وَحُزْبَهُ ، وَحَمَدَ الْحَاقِّ وَاللَّقِيَا ، وَعَلَى تِمَّةِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ الْأَبْرَارِ ، وَبَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ



والأنصار، رحمة تديم لمضاجعهم صوبها الدار السُّقيا ، صلاة وإفرة الأقسام سافرين  
القسمات باهرة المحيا ، وسلم تسلياً كثيراً .

أما بعد ، فأحكام الشرع الشريف أولى بوجوب الاتباع ، وذمام الدين الحنيف  
يبر من عصي ويخير من أطاع ، وحرمت الملة الحمديّة أحق بأن تحفظ فلا تضاع ،  
ومن المهمات التي تُصرف إليها الهمة ، ويُرهب لها حد العزمه ، وتقام على متعدي  
حدودها بالانتقام الجزية ، اعتبار أحوال الملتين من أهل الذمة الذين حقن منهم  
الدماء حكم الإسلام ، وسكن عنهم الدهماء ما ألزموه من الأحكام ، مع القيام بالجزية  
في كل عام ، وسلموا لأوامر الشريعة المطهرة التي لولا الاتقياد إليها والاستسلام ،  
لأُغمد في نُحورهم حد الحسام . فهم تحت قهر سلطان الإيمان سائرون ، ولأمر دين  
الحق الذي نسخ الله تعالى به الأديان صائرون ، وهم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا  
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ  
دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .

ولما فتح الله تعالى ببركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح من البلاد ،  
وأسترجع بأيدي المهاجرين والأنصار من أيدي الكفار العاديّة كثيراً من الأمصار  
وأستعاد ، وأكثر ذلك في خلافة أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه ،  
فإنها كانت للفتح مواسم ، وبالمسح بواسم ، وتظافرت فيها للمسلمين غزائر العزائم ،  
التي أعادت هزاهن الكفار يجزون ذبول الهزائم - عقد أمراؤه الفاتحون لها  
بأمره - رضي الله عنه وعنهم - لأهل الكتاب عهداً ، وحدوا لهم من الآداب حداً  
لا يجوز أن يتعدى ، ولم تزل الخلفاء بعد ذلك والملوك في جميع بلاد الإسلام  
يُجددونها ، وبالمحافظة والملاحظة يتعهدونها ، وآخر من ألزمهم أحكامها العادلة ،

وَعَصَمَهُمْ بِذِمَّتِهَا الَّتِي هِيَ لَهُمْ مَا اسْتَقَامُوا بِالسَّلَامَةِ كَافِلُهُ ؛ وَالدُّنَا السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ  
« الْمَلِكُ النَّاصِر » نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، سَقَى اللَّهُ تَعَالَى عَهْدَهُ عَهْدَ الرَّحْمَةِ ، وَلَقِيَ نَفْسَهُ  
الْخَيْرَ لِنُصْحِهِ الْأُمَّةَ ؛ فَإِنَّهُ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - جَدَّدَ لَهُمْ فِي سَنَةِ سَبْعِمِائَةٍ لِبَاسَ الْغِيَارِ ،  
وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ بَأْسَ النَّكَالِ وَالْإِنْكَارِ ؛ وَعَقَدَ لَهُمْ ذِمَّةَ بِهَا الْأَعْتِبَارُ ، وَسَطَّرَ فِي الصِّحَافِ  
مِنْهَا شُرُوطًا لَهُمْ بِالتَّرَامِهَا إِقْرَارَ ؛ وَبِأَحْكَامِهَا أَمَكْنَهُمْ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ الْأَسْتَقْرَارَ ؛  
وَحَذَلَ الْفِتْنَتَيْنِ الْمُفْتَرَتَيْنِ عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ .

وَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ تَمَادَوْا عَلَى الْأَغْتِرَارِ ، وَتَعَادَوْا إِلَى الضَّرِّ وَالْإِضْرَارِ ؛  
وَتَدَرَّجُوا بِالتَّكْبَرِ وَالْأَسْتِجْبَارِ ، إِلَى أَنْ أَظْهَرُوا التَّزْنِ أَعْظَمَ إِظْهَارَ ، وَخَرَجُوا عَنْ  
الْمَعْهُودِ فِي تَحْسِينِ الزُّنَانِ وَالشُّعَارِ ، وَعَتَوْا فِي الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ ، وَأَتَوْا مِنَ الْفَسَادِ  
بِأُمُورٍ لَا تُطَاقُ بِكَارِ .

وَلَمَّا وَضَحَ عِنْدَنَا مِنْهُمْ الْأَسْتِمْرَارُ عَلَى ذَلِكَ وَالْإِضْرَارُ ، أَنْكَرْنَا عَلَيْهِمْ أَشَدَّ إِنْكَارَ ،  
وَرَأَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ فِيهِمْ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ ، وَأَبَيْنَا [ إِلَّا مُعَامَلَتَهُمْ ]  
بِأَحْكَامِ الْمِلَّةِ الْحَمْدِيَّةِ الَّتِي كَمَ لَهَا عَلَى الْمِلَّتَيْنِ الْعِيسَوِيَّةِ وَالْمُوسَوِيَّةِ مِنْ مَنَّةٍ ، وَادَّخَرَ اللَّهُ  
تَعَالَى لَنَا هَذِهِ الْحَسَنَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ جَمَلَةِ الْفَتْوحَاتِ الَّتِي يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا لَنَا فِي الدُّنْيَا  
أَبْوَابَ السَّعَادَةِ وَفِي الْآخِرَةِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ؛ فَاسْتَفْتَيْنَا فِي أَمْرِهِمُ الْمَجَالِسَ الْعَالِيَةَ حُكَّامَ  
الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَأَقْتَدَيْنَا بِأَقْوَالِ مَذَاهِبِهِمُ الْمُحَرَّرَةِ ، الَّتِي لَنَا بِهَدْيِهَا إِلَى إِصَابَةِ  
الصَّوَابِ تَبَيُّرِهِ ؛ وَعَقَدْنَا لَهُمْ مَجْلِسًا بَدَارَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ ، وَالزَّمَانَهُمْ أَحْكَامَ أَهْلِ  
الذِّمَّةِ الَّتِي بِالتَّرَامِ أَوْائِلِهِمْ لَهَا جَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ هَذَا التَّكْلِيفِ ؛ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَهْدِ  
الَّذِي نَسُوهُ ، وَالْبِسْنَاهُمْ تَوْبَ الْهَوَانِ الَّذِي لَبَسُوا [ وَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الزَّمَانُ نَزَعُوهُ  
وَلَمْ يَلْبَسُوهُ ؛ وَأَجْرَيْنَا عَلَيْهِمُ الْآنَ شُرُوطَهُ الْمَضْبُوطَةَ ، وَقَوَائِنَهُ الَّتِي هِيَ مِنَ التَّبْدِيلِ

والتغيير محوطه ؛ فمن جاوزها ، فقد شاقق الشريعة الشريفة وبارزها ؛ ومن خالفها ، فقد عاند الملة الإسلامية وواقفها ؛ ومن صدف عن سبيلها وتكبرها ، فقد آتلف الكبراء وأرتكبها ؛ وحظرنا عليهم أن يجعل أحد منهم له بالمسلمين شبا ، وصيرنا عليهم الدلة التي ضربها الله تعالى عليهم وأوجبها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولى ، السلطانى ، الملكى ، الصالحى ، الصلاحى - لا زال أمره الممثل المطاع ، وزجره به عن المآثم امتناع وأرتداع ، ورأيه الصالح يريد الإصلاح ما استطاع - أن يعتمد جميع طوائف النصارى واليهود والسامرة بالديار المصرية وجميع بلاد الإسلام المحروسة وأعمالها : من سائر الأقطار والآفاق ، ما أخذ على سالفهم فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أكيد العهد وثيق الميثاق :

وهو أن لا يحدثوا فى البلاد الإسلامية وأعمالها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ، ولا يحدوا فيها ما خرب منها ، ولا يمنعوا كنائسهم التي عاهدوا عليها ، وثبت عهدهم لديها ، أن يتزلف أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم ، ولا يؤوا جاسوسا ولا من فيه ريبة لأهل الإسلام ، ولا يكتنوا غشا للمسلمين ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يظهروا شركا ، ولا يمنعوا ذوى قرابة من الإسلام إن أرادوه ، وإن أسلم أحد منهم لا يؤذوه ولا يساكنوه ، وأن يوقروا المسلمين ، وأن يقوموا من مجالسهم إن أرادوا الجلوس ، وأن لا يتشبهوا بشيء من المسلمين فى لباسهم قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، بل يلبس النصارى منهم العمامة الزرقاء عشرة أذرع غير الشعرى (؟) فما دونها ، واليهودى العمامة الصفراء كذلك ؛ وتمنع نساؤهم من التشبه بنساء المسلمين ولبس العمام ، ولا يتسموا بأسماء

المسلمين ، ولا يتكفونوا بكفائهم ، ولا يتلقبوا بألقابهم ، ولا يركبوا سرجاً ، ولا يتقلدوا سيفاً ، ولا يركبوا الخيل ولا البغال ، ويركبون الحمير بالأكف عرساً من غير تزين ولا قيمة عظيمة لها ، ولا يتخذوا شيئاً من السلاح ، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ، ولا يبيعوا الخمر ، وأن يجزوا مقادير رؤوسهم ، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا ، ويشدوا زنايهم غير الحرير على أوساطهم ، والمرأة البارزة من النصارى تلبس الإزار الكتان المصبوغ أزرق ، واليهودية الإزار المصبوغ أصفر ، ولا يدخل أحد منهم الحمام إلا بعلامة تميزه عن المسلمين في عنقه : من خاتم نحاس أو رصاص أو جرس أو غير ذلك ، ولا يستخدموا مسلماً في أعمالهم ، وتلبس المرأة البارزة منهم خفين : أحدهما أسود ، والآخر أبيض ، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ، ولا يرفعوا بناء قبورهم ، ولا يعملوا على المسلمين في البناء ، ولا يسأوهم ، ولا يتحملوا على ذلك بحيلة ، بل يكونون أدون من ذلك ، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً ، ولا يرفعوا أصواتهم في كنائسهم ، ولا يخرجوا شعائين ، ولا يرفعوا أصواتهم على موتاهم ، ولا يظهروا النيران ، ولا يشتروا مسلماً من الرقيق ولا مسليمة ، ولا من جرت عليه سهام المسلمين ، ولا من منشؤه مسلم ، ولا يهودوا ولا ينصروا رقيقاً ، ويحتنبون أوساط الطريق توسعةً للمسلمين ، ولا يفتنوا مسلماً عن دينه ، ولا يدلوا على عورات المسلمين . ومن زنى بمسليمة قتل ، ولا يضعوا أيديهم على أراض موت المسلمين ولا غير موت ولا مزدرع ، ولا ينسبوه لصومعة ولا كنيسة ولا دير ولا غير ذلك ، ولا يشتروا شيئاً من الجلب الرقيق ولا يؤكلوا فيه ، ولا يتحملوا عليه بحيلة . ومتى خالفوا ذلك فقد حلّ منهم ما يحلّ من أهل النفاق والمعاندة .

وكذلك رسمنا أن كل من مات من اليهود والنصارى والسامرة : الذكور والإناث منهم يحتاط عليهم من ديوان الموارث الحشرية بالديار المصرية وأعمالها وسائر

البلاد الإسلامية المحروسة ، إلى أن تُثَبَّتَ ورثته ما يستحقونه من ميراثه بمقتضى الشرع الشريف ، وإذا أثبتوا ما يستحقونه يعطونه بمقتضاه ، ويحل ما فضل بعد ذلك لبيت المال المعمور ، ومن مات منهم ولا وارث له يستوعب ، حل موجوده لبيت المال المعمور ، ويحرون في الحوطة على موتاهم من دواوين المواريث ووكلاء بيت المال المعمور مجرى من يموت من المسلمين : ليتبين أمر موارِيثهم ، ويحل الأمر فيها على حكم الشرع الشريف ، عملاً بالفتاوى الشرعية المتضمنة إجراء موارِيث موتاهم على حكم الفرائض الشرعية بحكم الملة الإسلامية الحميدة : من إعطاء كل ذي فرض وعصبة ما يستحقه شرعاً ، من غير مخالفة ولا امتناع ، ولا موافقة ولا دفاع ، فإن ذلك مما يتعين أن يكون له إلى بيت المال المعمور فيه إرجاع ، ولتعلق حقوق المؤمنين بذلك ، ولأنه يعيد حيث تفي إلى المسلمين ما يستحقه بيت المال من مال كل هالك ، ولأننا المطالبون بما يسؤل إلى ميراث المسلمين من ثراث أولئك ، لتكون هذه الحسنة في صحائف مسطره ، وإن كانت الأيام قد تبادت عليها ومعرفة نكره ، وتعادت إليها أيديهم العادية فأختلست من الذهب والفضة القناطير المقنطرة .

ورسمنا أن لا يخدم نصراني ولا سامري ولا يهودي في دولتنا الشريفة ثبت الله قواعدها ، ولا في دواوين الممالك المحروسة والأعمال ، ولا عند أحد من أمرائنا أعزهم الله تعالى ، ولا يباشر أحد منهم وكالة ولا أمانة ، ولا ما فيه تأمر على المسلمين ، بحيث لا يكون لهم كلمة يستعملون بها على أحد من المسلمين في أمر من الأمور ، فقد حرم الله ذلك نصاً وتأويلاً ، وضمن حكمه في الحال والاستقبال قرآناً وتنزيلاً ، فقال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ . وأوضح في آجتنابهم للتقنين علم اليقين ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ

اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ .

وقد نهى الله عن موالاتهم وأضاف بسخطه كل خزي إليهم ، فقال تعالى :  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ .

وقد أذلهم الله جلَّ وعزَّ لأقترائهم وأجترائهم من كتابه العزيز في مواضع عدَّة ، فقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ . فوجب أن لا يكونوا على الأعمال آمنه ، ولا للأموال خزنة : لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليهود والنصارى خونه » . وقال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : « لا تستعملوا اليهود والنصارى فإنهم أهل رشا في دينهم ولا تحل الرشا » فباعترأهم واختزلهم يؤمن من مكرهم وخيائتهم ما يُخشَى .

ولما قدم عليه أبو موسى الأشعري من البصرة وكان عاملة بها ، دخل عليه المسجد ، وأستأذن لكتبه وكان نصرانياً ، فقال له أمير المؤمنين عمر : - ولَّيتَ ذمياً على المسلمين ، أما سمعتَ قولَ الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ هَلَّا اتَّخَذْتَ حَنِيفِيًّا ؟ - فقال يا أمير المؤمنين : لى كتابته وله دينه ، فأنكر أمير المؤمنين عليه ذلك ، وقال : لا أكرهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدنهم إذ أقصاهم الله . فاتبعنا في صرفهم الكتاب والسنة والأثر ، ومنعنا عن المسلمين - بفل أيديهم عن المباشرة - الأذى والضرر ، ودفعنا عن أمير المؤمنين من سوء معاشرتهم ما أَلَمُوا له من الأذى مع شر معشر .

فليعتمد حكم هذا المرسوم ، الذى هو بالعدل والإحسان موسوم ، وليخلد في صحائف المنوبات ليستقر وينتصر ويدوم ، وليشع ذكره في الممالك ، وليدع أمره في المسالك ، وعلى حكام المسلمين - أيدهم الله تعالى - وقضائهم ، ومتصرفيهم

وولاتهم ؛ أن يُوقِعُوا بمن تَعَدَّى هذه الحدود ، من النصارى واليهود ، ويردَعُوا  
بِسَيْفِ الشَّرْعِ كُلَّ جَهُولٍ من أَهْلِ الجُحُودِ ، وَيُجَلُّوا العَذَابَ بمن حَمَلَهُ العُقُوقُ عَلَى  
حَلِّ العُقُودِ ، وَيَذُلُّوا رِقَابَ الكَافِرِينَ بِالْإِذْعَانِ لَأَسْتَخْرَاجِ الحُقُوقِ وَإِخْرَاجِ  
الأَضْغَانِ وَالْحُقُودِ .

وقد رَسَمْنَا بأن يُحْمَلَ الأَمْرُ في هذا المَرْسُومِ الشَّرِيفِ عَلَى حُكْمِ مَا أَلْتَزَمَ في المَرْسُومِ  
الشَّرِيفِ الشَّهِيدِيُّ النَّاصِرِيُّ المَتَقَدِّمُ ، المَكْتَتَبُ في رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِمِائَةٍ ، المَتَضَمِّنِ  
لِلشَّهَادَةِ عَلَى بَطْرِكِي النِّصَارَى الِيعَاقِبَةِ ، وَالْمَلِكِيَّةِ ، وَرَأْسِ الْيَهُودِ بِالتَّحْرِيمِ وَإِيقَاعِ  
السَّكْمَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَ هَذَا الشَّرْطَ الْمَشْرُوطَ وَالْحَدَّ الْمَحْدُودَ ، وَأَنْ لَا يَجُلُّوا مَا أَنْبَرَمَ  
مِنْ مُحْكَمِ العُقُودِ ، فَيَحُلُّ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مُرَدُّودٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ سُلْطَانَ الْحَقِّ عَلَى  
مَا يَرْجِعُ بِنَفْعِ الْخَلْقِ وَيَعُودُ ، وَيَزِينُ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ مُلْكَ الْإِسْلَامِ وَمَمَالِكَ الْوُجُودِ ،  
وَيُهَيِّئُ بِبَاسِهِ أَعْدَاءَ الدِّينِ ، الَّذِينَ لَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ الْمُبِينِ ، صُدُوفٌ وَصُدُودٌ ، وَيَسْلُكُ بِهِ  
شِرْعَةَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَمِنْهَاجَهُ : مِنْ إِمَاتَةِ الْبِدْعِ وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ وَإِدَامَةِ الصُّوْنِ  
وإِقَامَةِ الْحُدُودِ ، وَيَهْلِكُ بِسَطْوَتِهِ الْكَافِرِينَ كَمَا هَلَكَ بِدَعْوَةِ صَالِحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ثَمُودُ . وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ .

تم الجزء الثالث عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع عشر

#### وأوله الباب الرابع من المقالة التاسعة

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسيننا الله ونعم الوكيل

(المطبعة الاميرية ١٦٩٣/١٩١٨/٣٠٠٠)



دار الكتب العلمية

---

صنع الاصل

---

الجزء الثالث عشر

---

طبع  
بالمطبعة الاميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٧ هـ  
١٩١٨ م



فهرس

الجزء الثالث عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

---



## المقالة السادسة

صفحة

- فيما يكتب في الوصايا الدينية ، والمسامحات ، والاطلاقات السلطانية  
والطرخانيات ؛ وتحويل السنين والتذاكر ، وفيها أربعة أبواب ... ٢
- الباب الأول - في الوصايا الدينية ، وفيه فصلان ... ٢
- الفصل الأول - فيما تقدماء الكتاب من ذلك ... ٢
- » الثاني - فيما يكتب من ذلك في زماننا ، وهو على ضربين ١١
- الضرب الأول - ما يكتب عن الأبواب السلطانية ... ١٢
- » الثاني - ما يكتب عن نواب السلطنة بالممالك ... ١٣
- الباب الثاني - فيما يكتب في المسامحات والاطلاقات ،  
وفيه فصلان ... ٢٣
- الفصل الأول - فيما يكتب في المسامحات ، وهي على ضربين ... ٢٣
- الضرب الأول - ما يكتب من الأبواب السلطانية ، وهو على مرتبتين ٢٣
- المرتبة الأولى - المسامحات العظام ... ٢٣
- » الثانية - من المسامحات أن تكتب في قطع العادة الخ ... ٣٨
- الضرب الثاني - ما يكتب عن نواب السلطنة بالممالك الشامية ٣٩
- الفصل الثاني - فيما يكتب من الاطلاقات ، وفيه طرفان ... ٤١
- الطرف الأول - فيما يكتب عن الأبواب السلطانية ، وهو على  
ثلاث مراتب ... ٤١
- المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع الثلث مفتوحا بـ «الحمد لله» ... ٤١
- » الثانية - ما يفتح بـ «أما بعد حمد الله» ... ٤٤
- » الثالثة - مما يكتب به في الاطلاقات أن يكتب في قطع  
العادة مفتوحا بـ «رسم بالأمر الشريف» ... ٤٦

صفحة

الباب الثالث - في الطرخانيات، وفيه فصلان ... ... ٤٨

الفصل الأول - في طرخانيات أرباب السيوف، وهي على ثلاث

مراتب (لم يذكر إلا مرتبتين) ... ... ٤٨

المرتبة الأولى - أن يفتح المرسوم المكتتب في ذلك بـ «الحمد لله» ٤٨

» الثانية - أن يفتح مرسوم الطرخانيات بـ «أما بعد» ... ٥١

الفصل الثاني - فيما يكتب في طرخانيات أرباب الأقلام ... ٥٢

الباب الرابع - فيما يكتب في التوفيق بين السنين الشمسية

والقمرية المعبر عنه في زماننا بتحويل السنين

وما يكتب في التذاكر، وفيه فصلان ... ٥٤

الفصل الأول - فيما يكتب في التوفيق بين السنين، وفيه طرفان ٥٤

الطرف الأول - في بيان أصل ذلك ... ... ٥٤

» الثاني - في صورة ما يكتب في تحويل السنين، وهو على

نوعين (لم يذكر إلا نوعاً واحداً) ... ... ٦٣

النوع الأول - ما كان يكتب في ذلك عن الخلفاء، وفيه

مذهبان ... ... ٦٣

المذهب الأول - أن يفتح ما يكتب بـ «أما بعد» ... ... ٦٣

» الثاني - مما كان يكتب عن الخلفاء في تحويل السنين

أن يفتح ما يكتب بلفظ «من فلان أمير المؤمنين

إلى أهل الدولة» ونحو ذلك، وفيه ضربان ... ٧١

الضرب الأول - ما كان يكتب في الدولة الأيوبية ... ... ٧١

» الثاني - ما يكتب به في زماننا ... ... ٧٤

صفحة

- الفصل الثانى — فيما يكتب فى التذاكر [ وفيه ثلاثة أضرب ]  
 ( ولم يذكر الضرب الأول ) ... .. ٧٩  
 الضرب الثانى — ما كان يكتب لتواب السلطنة بالديار المصرية  
 عند سفر السلطان عن الديار المصرية ... ٩١  
 » الثالث — ما كان يكتب لتواب القلاع وولاياتها : إما عند  
 استقرار النائب بها وإما فى خلال نيابته ... ٩٩

## المقالة السابعة

- فى الاقطاعات والقطائع ، وفيها بابان ... .. ١٠٤  
 الباب الأول — فى ذكر مقدمات الاقطاعات ، وفيه فصلان ... ١٠٤  
 الفصل الأول — فى ذكر مقدمات تتعلق بالاقطاعات ،  
 وفيه ثلاثة أطراف ... .. ١٠٤  
 الطرف الأول — فى بيان معنى الاقطاعات وأصلها فى الشرع ... ١٠٤  
 » الثانى — فى بيان أول من وضع ديوان الجيش وكيفية  
 ترتيب منازل الجند فيه والمساواة والمفاضلة  
 فى الاعطاء ... .. ١٠٦  
 » الثالث — فى بيان من يستحق إثباته فى الديوان وكيفية  
 ترتيبهم فيه ... .. ١١٠  
 الفصل الثانى — فى بيان حكم الاقطاع ، وهو على ضربين ... ١١٣  
 الضرب الأول — إقطاع التملك ... .. ١١٣  
 » الثانى — إقطاع الاستغلال ... .. ١١٥  
 الباب الثانى — فيما يكتب فى الاقطاعات فى القديم والحديث ،  
 وفيه فصلان ... .. ١١٨

صفحة

- الفصل الأول — في أصل ذلك ... .. ١١٨
- » الثاني — في صورة ما يكتب في الاقطاعات، وفيه طرفان ١٢٣
- الطرف الأول — فيما كان يكتب من ذلك في الزمن القديم،  
وهو على ضربين ... .. ١٢٣
- الضرب الأول — ما كان يكتب عن الخلفاء، ولهم فيه طريقتان ١٢٣
- الطريقة الأولى — طريقة كتاب الخلفاء العباسيين ببغداد ... ١٢٣
- » الثانية — ما كان يكتب في الاقطاعات عن الخلفاء  
الفاطميين بالديار المصرية ... .. ١٣١
- الضرب الثاني — مما كان يكتب في الاقطاعات في الزمن المتقدم  
ما كان يكتب عن ملوك الشرق القائلين على  
خلفاء بني العباس، وفيه طريقتان ... ١٣٩
- الطريقة الأولى — أن يكتب في الابتداء « هذا كتاب » كما كان  
يكتب عن خلفاء بني العباس في ذلك ... ١٣٩
- » الثانية — ما كان يكتب عن الملوك الأيوبيين بالديار  
المصرية، ولهم فيه أساليب ... ١٤٤
- الأسلوب الأول — أن يفتح التوقيع المكتوب بالاقطاع بخطبة  
مفتوحة بـ « الحمد لله » ... .. ١٤٤
- » الثاني — أن يفتح التوقيع بلفظ « أما بعد فان كذا » ... ١٤٨
- » الثالث — أن يفتح التوقيع بما فيه معنى الشجاعة والقتال،  
وما في معنى ذلك ... .. ١٥٠
- الطرف الثاني — ما يكتب في الاقطاعات في زماننا، وهو على  
ضربين ... .. ١٥٣



- الضرب الأول — ما يكتب قبل أن ينقل إلى ديوان الإنشاء ،  
وفيه جملتان ... .. ١٥٣
- الجملة الأولى — في ابتداء ما يكتب في ذلك من ديوان الجيش ١٥٣
- » الثانية — في صورة ما يكتب في المربعة الجيشية ... ١٥٤
- الضرب الثانى — فيما يكتب في الاقطاعات من ديوان الإنشاء ،  
وفيه خمس جمل ... .. ١٥٧
- الجملة الأولى — في ذكر اسم ما يكتب في الاقطاعات من ديوان  
الإنشاء ... .. ١٥٧
- » الثانية — في بيان أصناف المناشير، وما يخص كل صنف  
منها من مقادير قطع الورق ... .. ١٥٨
- » الثالثة — في بيان صورة ما يكتب في المناشير في الطرة والمتن ١٥٩
- » الرابعة — في الطغرى التي تكون بين الطرة المكتبة في أعلى  
المنشور وبين البسملة ... .. ١٦٢
- » الخامسة — في ذكر طرف من نسخ المناشير التي تكتب  
في الاقطاعات في زماننا، وهي على ثلاثة أنواع ١٦٧
- النوع الأول — ما يفتح بـ «الحمد لله» وهو على ثلاثة أضرب ... ١٦٧
- الضرب الأول — مناشير أولاد الملوك ... .. ١٦٧
- » الثانى — » الأمراء مقدمى الألف ... .. ١٦٩
- » الثالث — » أمراء الطبليخاناه ... .. ١٨٤
- النوع الثانى — من المناشير ما يفتح بـ «أما بعد» وهو على ضربين ١٩٠
- الضرب الأول — في مناشير العشرات كائنا ذلك الأمير من كان ... ١٩٠
- » الثانى — » أولاد الأمراء ... .. ١٩٣
- النوع الثالث — من المناشير ما يفتح بـ «يخرج الأمر الشريف» ١٩٨

## المقالة الثامنة

صفحة	في الأيمان ، وفيها بابان
٢٠٠	...
	الباب الأول - في أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض
٢٠٠	في الأيمان ، وفيه فصلان
٢٠٠	...
	الفصل الأول - فيما يقع به القسم ، وفيه طرفان
٢٠٠	...
	الطرف الأول - في الأقسام التي أقسم بها الله تعالى في كتابه
٢٠٠	العزير...
	» الثاني - في الأقسام التي تقسم بها الخلق ، وهي على ضربين
٢٠٣	...
	الضرب الأول - ما كان يُقسم به في الجاهلية...
٢٠٣	...
	» الثاني - الأقسام الشرعية
٢٠٥	...
	الفصل الثاني - في بيان معنى اليمين الغموس ولغو اليمين والتحذير
	من الحنث والوقوع في اليمين الغموس ،
٢٠٨	وفيها طرفان
٢٠٨	...
	الطرف الأول - في بيان معنى اليمين الغموس ولغو اليمين
٢٠٨	...
	» الثاني - في التحذير من الوقوع في ايمين الغموس
٢٠٩	...
	الباب الثاني - في نسخ الأيمان الملوكية ، وفيه فصلان
٢١١	...
	الفصل الأول - في نسخ الأيمان المتعلقة بالخلفاء ، وهي
٢١١	على نوعين...
	النوع الأول - في الأيمان التي يُحلف بها على بيعة الخليفة
٢١١	عند مبايعته...
	» الثاني - الأيمان التي يحلف بها الخلفاء (ووقع مهوًا :
٢١٦	الضرب الثاني الخ)...

الفصل الثانى - فى نسخ الأيمان المتعلقة بالملوك، وفيه خمسة	
مهايع (لم يذكر المهيع الخامس) ... ..	٢١٦
المهيع الأول - فى بيان الأيمان التى يُحَلَّف بها المسلمون،	
وهى على نوعين ... ..	٢١٦
النوع الأول - أيمان أهل السنة ... ..	٢١٦
» الثانى - أيمان أهل البدع، وهم ثلاث طوائف ...	٢٢٢
الطائفة الأولى - الخوارج ... ..	٢٢٢
» الثانية - الشيعة، وهم خمس فرق ... ..	٢٢٦
الفرقة الأولى - الزيدية ... ..	٢٢٧
» الثانية - الإمامية ... ..	٢٢٩
» الثالثة - الاسماعيلية ... ..	٢٣٥
» الرابعة - الدرزية ... ..	٢٤٨
» الخامسة - النصيرية ... ..	٢٤٩
الطائفة الثالثة - القدرية ... ..	٢٥١
المهيع الثانى - فى الأيمان التى يحَلَّف بها أهل الكفر،	
وهى على ضربين ... ..	٢٥٣
الضرب الأول - من زعم منهم التمسك بشريعة نبي من الأنبياء،	
وهى أصحاب ثلاث ملل ... ..	٢٥٣
الملل الأولى - اليهود، وهم طائفتان ... ..	٢٥٣
الطائفة الأولى - المتفق على يهوديتهم، وهم القراءون ... ..	٢٥٦
» الثانية - من اليهود السامرة ... ..	٢٦٨

صفحة

- الملة الثانية — النصرانية ( ووقع سهواً : الفرقة الثالثة الخ )  
 وهم ثلاث فرق ... .. ٢٧١
- الفرقة الأولى — الملكانية ... .. ٢٧٦
- » الثانية — اليعقوبية ... .. ٢٧٨
- » الثالثة — النسطورية ... .. ٢٨٠
- الملة الثالثة — المجوسية ، وهم ثلاث فرق ... .. ٢٩٢
- الفرقة الأولى — الكيومرثية ... .. ٢٩٢
- » الثانية — الشنوية ... .. ٢٩٢
- » الثالثة — الزرادشتية ... .. ٢٩٣
- المهيـع الثالث — في الأيمان التي يُحَلَّف بها الحكماء ، وهم على  
 ثلاثة أصناف ... .. ٢٩٨
- الصنف الأول — البراهمة ... .. ٢٩٨
- » الثاني — حكماء العرب ... .. ٢٩٩
- » الثالث — حكماء الروم ، وهم على ضريين ... .. ٢٩٩
- الضرب الأول — القدماء منهم ... .. ٢٩٩
- » الثاني — المتأخرون منهم ، وهم أصحاب أرسطاطاليس ... .. ٢٩٩
- المهيـع الرابع — في بيان المحلوف عليه ، وما يقع على العموم ،  
 وما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف  
 مما يناسب وظيفته ... .. ٣٠٧
- » الخامس — في صورة كتابة نسخ الأيمان التي يُحَلَّف بها ،  
 وهي على ضريين ... .. ٣١٩
- الضرب الأول — الأيمان التي يُحَلَّف بها الأمراء في الديار  
 المصرية ... .. ٣١٩
- » الثاني — الأيمان التي يُحَلَّف بها نواب السلطنة والأمراء  
 بالملك الشامية ، وما أنضم إليها ... .. ٣٢٠

## المقالة التاسعة

صفحة

- في عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك، وفيها خمسة أبواب ... ٣٢١
- الباب الأول - في الأمانات، وفيه فصلان ... ٣٢١
- الفصل الأول - في عقد الأمان لأهل الكفر، وفيه طرفان ... ٣٢١
- الطرف الأول - في ذكر أصله وشرطه وحكمه ... ٣٢١
- » الثاني - في صورة ما يكتب فيه ... ٣٢٣
- الفصل الثاني - في كتابة الأمانات لأهل الإسلام، وفيه طرفان ... ٣٢٩
- الطرف الأول - في أصله ... ٣٢٩
- » الثاني - فيما يكتب في الأمانات، وفيه مذهبان ... ٣٣٠
- المذهب الأول - أن يفتح الأمان بلفظ: «هذا كتاب أمان الخ»
- وهو على نوعين ... ٣٣٠
- النوع الأول - ما يكتب عن الخلفاء، وفيه مذهبان ... ٣٣١
- المذهب الأول - أن يفتح الأمان بلفظ: «هذا» ... ٣٣١
- » الثاني - أن يفتح الأمان بخطبة مفتوحة بالحمد ... ٣٣٢
- النوع الثاني - ما يكتب به عن الملوك، وهو على ضربين ... ٣٣٦
- الضرب الأول - ما يكتب من هذا النمط مما كان يصدر عن  
وزراء الخلفاء والملوك المتغلبين على الأمر معهم،  
ولهم فيه أسلوبان ... ٣٣٦
- الأسلوب الأول - أن يصدر بالتماس المستأمن الأمان ... ٣٣٦
- » الثاني - ألا يتعرض في الأمان لأتماس المستأمن  
الأمان ... ٣٣٩

صفحة

- المذهب الثانى — مما يكتب به فى الأمانات لأهل الإسلام  
 أن يفتح الأمان بلفظ: «رسم» ... ٣٣٩ ...  
 الضرب الثانى — من الأمانات التى تكتب لأهل الإسلام ما عليه  
 مصطلح زماننا، وهى صنفان ... ٣٤٢ ...  
 الصنف الأول — ما يكتب من الأبواب السلطانية ... ٣٤٢ ...  
 » الثانى — من الأمانات الجارى عليها مصطلح كتاب  
 الزمان — ما يكتب عن ثواب الممالك الشامية... ٣٥٠  
**الباب الثانى** — من المقالة التاسعة فى الدفن (دفن الذنوب)،  
 وفيه فصلان ... ٣٥٢ ...  
**الفصل الأول** — فى أصله وكونه مأخوذاً عن العرب ... ٣٥٢ ...  
 » الثانى — فيما يكتب فى الدفن عن الملوك ... ٣٥٣ ...  
**الباب الثالث** — فيما يكتب فى عقد الذمة، وفيه فصلان ... ٣٥٦ ...  
**الفصل الأول** — فى الأصول التى يرجع إليها هذا العقد،  
 وفيه طرفان ... ٣٥٦ ...  
**الطرف الأول** — فى بيان رتبة هذا العقد، ومعناه وأصله من  
 الكتاب والسنة ... ٣٥٦ ...  
 » الثانى — فى ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته فى عقد الذمة ... ٣٦٠ ...  
**الفصل الثانى** — ما يكتب فى متعلقات أهل الذمة عند خروجهم  
 عن لوازم عقد الذمة ... ٣٦٦ ...

(تم فهرس الجزء الثالث عشر من كتاب صبح الأعشى)